مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

سِلْسِلَةُ شُرُوحَاتِ وَتَعْلِيقَاتِ
سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بن بَاز (رحمه الله) (١٨)

شَرْحُ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ
عَبْدِ العَزِيزِ بن عَبْدِ اللهِ بن بَاز رحمه الله

لِكِتَابِ

الوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الكَلِمِ الطَّيِّبِ

لِلحَافِظِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رحمه الله

مُؤَسَّسَةُ عَبْدِ العَزِيزِ بن بَاز الخَيْرِيَّةُ

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (١٨)

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

لكتاب الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب

للحافظ شمس الدين

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية رحمه الله

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾

[الأحزَاب: ٣٥]

وقال ﷺ: «سبَقَ المُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»

[أخرجه عن أبي هريرة مسلم برقم (٢٦٧٦)]

قال ابن القيم:

«وقد ذكرنا في الذِّكر نحو مئة فائدة في كتابنا «**الوابل الصيب** ورافع الكلم الطيب» وذكرنا هناك أسرار الذِّكر وعظم نفعه وطيب ثمرته، وذكرنا فيه: أن الذِّكر ثلاثة أنواع... وذكر الأمر والنهي، والحلال والحرام، وذكر الآلاء والنعماء والإحسان»

[(مدارج السالكين (٢/ ٤٣)]

وقال أيضًا:

«ومن فوائد الذِّكر استجلاب ذكر الله سبحانه لعبده، وذكرنا قريبًا من مئة فائدة تتعلق بالذِّكر كل فائدة لا نظير لها وهو كتاب عظيم النفع جدًّا»

[طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٧٦)]

قال ابن باز:

«الوابل الصيب» كتاب نافع مفيد، وهو أعم من «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مميزات هذه النسخة:

* هذه الطبعة هي الأولى الشَّرعية لشرح كتاب «**الوابل الصيب**».
* هي النسخة المشتملة على شرح سماحته لجميع فصول الكتاب.
* الحكم فيها على الأحاديث والآثار للمؤلف والشَّارح فقط وما قامت به المؤسسة هو تعضيد حكمهما وتوثيق عزوهما في الحاشية.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيطيب لـ «مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب: «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو كتاب متوسط من الكتب المؤلفة في الأذكار الشرعية والأدعية النبوية.ولأهمية ما تضمنه الكتاب اعتنى به العلماء تحقيقا لنصوصه وضبطاً لألفاظه.

وقد شرحه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروسه العلمية ثلاث مرات بطريقته التي عرف بها سماحته كالإكثار من الاستدلال بالكتاب والسنة، مع العناية بالحكم على الأحاديث والآثار، وقد تعقب على ابن القيم إيراده بعض الأحاديث والآثار الضعيفة.

وقد رأت مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية إخراج شرح سماحته، وطبعه ليكون بين يدي طلاب العلم والعلماء وعامة المسلمين.

وأصل هذا الشرح: هو تفريغ لمادة صوتية لتدريس سماحته للكتاب، وتمت خدمتها علميا، وفق المنهجية العلمية المتبعة في التفريغ الصوتي، والمعتمدة في اللائحة العلمية في مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية.

وقبل الختام تشكر المؤسسة سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ؛ لإشرافه المباشر على علم سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله، كما تشكر المؤسسة كل من أسهم بالعمل في هذا الكتاب من الباحثين بالمؤسسة، والمرجعين من خارج المؤسسة من الشيوخ الكرام فللجميع تتقدم المؤسسة بخالص الشكر والعرفان بالجميل.

وتتطلع المؤسسة لأي اقتراح يخدم إخراج الإرث العلمي لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله خاصة من طلابه وتلاميذه الذين لهم معرفة تامة بمقاصده وبأسلوبه، وفهم عباراته وألفاظه، وإدراك قديم أقواله وجديدها حتى يكونوا شركاء في نشر العلم، وأوفياء ببعض حق شيخهم عليهم.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ونافعا لعباده المؤمنين، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يضاعف له به الأجر والمثوبة.

كما نسأله تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من تسبب في إخراج هذا الشرح، أو شارك وأعان في إخراجه أو ساهم في طبعه ونشره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة لـ «ابن قيم الجوزية»[(١)]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرَعي، ثم الدمشقي الحنبلي. **كنيته:** أبو عبد الله.

لقبه: شمس الدِّين، وهو مشهور بـ«ابن قيم الجوزية»[(٢)] وله ألقاب أخرى تدل على مكانته العلمية وما بلغها من منزلة؛ كالإمام الجليل، والحافظ، والعلَّامة، والفقيه، والأصولي، والمجتهد، والمحدِّث، والحُجَّة الثقة، وغيرها من ألقاب النعوت العلمَّية، الَّتي لقب بها.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد: في دمشق في سابع صفر من عام واحد وتسعين وستمئة هجرية [٧/ ٢/ ٦٩١هـ].

نشأته: نشأ في أسرة مشهورة بالفضل، معروفة بالعلم، فجدَّ مُنذ صغره في طلب العلم وتحصيله، وبرع في علوم الشريعة واللغة العربية حتَّى

(١) ينظر: ترجمته في: «**طبقات الحنابلة**» لابن رجب (٢/ ٤٤٧) و«**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥) و«**شذرات الذهب**» لابن العماد (٦/ ١٦٨) و«**الدرر الكامنة**» لابن حجر (٣/ ٤٠٠) و«**البدر الطالع**» للشوكاني (٢/ ١٤٣) و«**الأعلام**» للزركلي (٦/ ٢٨٠) و«**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (٩/ ١٠٦) و«**ابن قيم الجوزية**» لعبد العظيم شرف الدين (ص٦٧ - ٧٤) و«**ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف**» لعبد الله بن محمد (ص٥٩ - ٧٩) و«شرح سماحته لكتاب التوحيد (ص١٨٧).

(٢) الجوزية: نسبة لمدرسة ابن الجوزي: يوسف بن عبد الرحمن بن علي محي الدين أبو المحاسن المتوفى سنة (٦٥٦هـ فرغ من بنائها سنة(٦٥٢هـ) نسب إليها لأن أباه أبا بكر كان قيمًا عليها ومديرًا ومدبرًا لشؤونها. ينظر: مقدمة «**الوابل الصيب**» بشير محمد عيون(ص١٠) و«**الوابل الصيب**» بتحقيق: حسن إسبر (٧).

تولى التدريس وارتقى منصب الإفتاء، والإمامة، فدرَّس بـ(الصدرية) وأمَّ مدة بـ(الجوزية).

سيرته العلمية والعملية:

يُعد ابن القيم من كبار علماء الإسلام علمًا وقدرًا، وأكبر تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمة الله عليهما، وكان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الَّذي هذَّب كتبه، ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق حتَّى توفي شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

وقد عُني بالحديث ومتونه وبعض رجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره، وفي الأصلين، وتصدى لإقراء العلم ونشره.

ومن أبرز شيوخه:

١- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني.

٢- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة أبو العباس الله المقدسي النابلسي

٣- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء أبو الفداء مجد الدين الحراني.

٤- إسماعيل بن يوسف بن مكتوم أبو الفداء صفي الدين القيسي الدمشقي.

٥- أيوب بن نعمة الله الكحَّال، زين الدين النابلسي الدمشقي.

٦- أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة الله، النابلسي الصالحي.

٧- سليمان بن حمزة بن عمر بن قدامة المقدسي، أبو الفضل تقي الدين القاضي.

٨- عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام شرف الدين، أخو شيخ الإسلام.

---

(١) ينظر: «**الأعلام**» للزركلي (٦/ ٢٨٠) و«**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (٩/ ١٠٦).

٩- علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي علاء الدين ابن عرفة.

١٠- عيسى المُطَعِّم بن عبد الرحمن أبو محمد شرف الدين المقدسي الصالحي.

١١- عيسى بن عبد الكريم بن عسكر، أبو الروح شرف الدين القيس الدمشقي.

١٢- فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي أم محمد.

١٣- القاسم بن أبي غالب المظفر بن محمود، بهاء الدين الدمشقي.

١٤- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين.

١٥- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزِّي[(١)].

ب - ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى عليه العلماء؛ شيوخه، وأقرانه، وتلاميذه، ومن جاء بعدهم، ووصفوه بما يستحق من الصفات، وما بلغه من العلم من ذلك:

قال الحافظ السخاوي: في حقِّه العلامة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم[(٢)].

وقال عنه ابن العماد في الشذرات: هو المجتهد المطلق.

وقال الحافظ ابن رجب: لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الإسلام، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه المنتهى فيهما، وبالحديث ومعانيه، وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه والأصول، والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والتصوف، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل إلى قبر الخليل.

---

(١) ينظر: مقدمة «**الوابل الصيب**» بتحقيق: حسن أحمد إسبر (ص: ٨، ٩، ١٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

كان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى؛ لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن، والحديث وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن، وأوذي مرات، وحبس مع شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

قال ابن كثير: كان ملازمًا للاشتغال ليلًا ونهارًا، كثير الصلاة والتلاوة، وحسن الخلق، كثير التودُّد؛ لا يحسد، ولا يحقد.

ج - من أشهر تلامذته:

١- إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابنه، برهان الدين.

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء عماد الدين القرشي الدمشقي.

٣- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، أبو الفرج زين الدين البغدادي الدمشقي.

٤- عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن القيم الجوزية، شرف الدين.

٥- علي بن عبد الكافي بن علي السبكي تقي الدين أبو الحسن.

٦- محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد، أبو عبد الله شمس الدين بن قدامة.

٧- محمد بن عثمان بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين.

٨- محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن أبو عبد الله شمس الدين النابلسي.

٩- محمد بن محمد بن محمد بن الخضر العنبري شمس الدين.

١٠- محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقبري أبو عبد الله التلمساني.

---

(١) ينظر: «**طبقات الحنابلة**» (٢/ ٤٤٧) ومقدمة «**الوابل الصيب**» بتحقيق: حسن إسبر (ص: ١٣، ١٤).

مؤلفاته ووفاته:

أ / له مصنفات كثيرة مشهورة في التوحيد والأصول والتفسير والحديث والفقه وغيرها، وأكثيرها في الدفاع عن العقيدة والسُّنَّة، فهو متفنن في مختلف العلوم الشَّرعيَّة، منها مرتبة هجائيًا:

١ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»
٢ـ «أحكام أهل الذمة
٣ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين»
٤ـ «إغاثة اللهفان»
٥ـ «التبيان في أقسام القرآن»
٦ـ «تحفة المودود بأحكام المولود»
٧ـ «تفسير المعوذتين»
٨ـ «الجواب الكافي» ويسمى «الداء والدواء»
٩ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»
١٠ـ «الروح»
١١ـ «روضة المحبين»
١٢ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد»
١٣ـ «شرح الشروط العمرية»
١٤ـ «شفاء العليل في مسائل القضاء القدر»
١٥ـ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» طبع مختصره.
١٦ـ «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية»
١٧ ـ «طريق الهجرتين»
١٨ـ «عدة الصابرين»
١٩ـ «الفوائد»
٢٠ـ «الكافية الشافية» في العقائد

٢١ـ «كتاب الفروسية»
٢٢ـ «مدارج السالكين»
٢٣ـ «مفتاح السعادة»
٢٤ـ «هداية الحيارى»
٢٥ـ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» وهو كتابنا الذي نقدم لشرحه، وغيرها من المؤلفات المطبوعة[(١)].

وفاته:

توفي: في دمشق في ليلة الخميس ثالث عشر من شهر رجب سنة واحد وخمسين وسبعمائة هجرية [٧٥١هـ][(٢)].

---

(١) ينظر: لمؤلفاته: «كتاب مؤلفات ابن قيم الجوزية» إعداد: محمد عزيز شمس (ص ١٤٤) و«ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف» لعبد الله بن محمد (ص٥٩ - ٧٩) ومقدمة «**الوابل الصيب**» بتحقيق: حسن أحمد إسبر (ص: ح، حتى ص، ص ١٣- ٢٣).

(٢) ينظر: لوفاته: «**طبقات الحنابلة**» لابن رجب (٢/ ٤٤٧) و«**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥).

التعريف بالكتاب ودراسته

أ ـ نسبة الكتاب لمؤلِّفه (ابن القيِّم):

كتاب «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» لم يذكر مؤلِّفه تسميته في افتتاحيته، ولا في خاتمته، ولا في أثنائه لم يذكر اسمه، كما لم يذكر أيضًا تاريخ تصنيفه له، ولا ترتيبه بين مصنفاته[(١)] إلَّا أن نسبته الكتاب إليه ثابتة من عدة طرق:

منها: ذكره له ولمضمونه في موضعين من كتبه الأخرى حيث قال **في**: «**مدارج السالكين**»: «وقد ذكرنا في الذِّكر نحو مئة فائدة في كتابنا «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» وذكرنا هناك أسرار الذِّكر وعظم نفعه، وطيب ثمرته...»[(٢)].

وقال في «طريق الهجرتين»: «وقد ذكرنا في كتاب: «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» من فوائد الذِّكر استجلاب ذكر الله سبحانه لعبده، وذكرنا قريبًا من مئة فائدة تتعلق بالذِّكر كل فائدة لا نظير لها، وهو كتاب عظيم النفع جدًّا»[(٣)].

ومنها: ذكر الَّذين ترجموا لابن القيم، ذكروه ضمن مؤلفاته «**الوابل الصيب**».

ومنها: نقل العلماء عنه والاستفادة منه، والإحالة إليه، كما في كتاب «**نتائج الأفكار في شرح حديث سيِّد الاستغفار**» وكتاب «**غذاء الألباب**» فقد أكثر مؤلفهما النقل عنه فيهما، وفي كتاب «**الانصاف**» كما ذكر ذلك ابن قائد في مقدمة تعريف بالكتاب[(٤)].

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (ص١١، و١٩).
(٢) ينظر: «**مدارج السالكين**» (٢/ ٤٣).
(٣) ينظر: «**طريق الهجرتين وباب السعادتين**» (ص ٧٦).
(٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (ص١٦، ١٧).

ومنها: وُرود نسبته إلى المصنف على ظهور الأصول الخطية المعتمدة.

ومنها: وضوح طريقة ابن القيِّم فيه، في صياغة أفكاره، وأسلوبه المميَّز في تحرير مسائل العلم، وعباراته وألفاظه واختياراته، مع نقوله فيه عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، فبمجموع هذا الطرق تثبت لنا صحة نسبة الكتاب لمؤلفة ابن القيِّم[(١)]:

أمَّا اسمه:

فقد ورد عن المصنف أن ذكره باسمين، كما تقدَّم في نسبته إليه، وهما: «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» و«**الوابل الصيب**» فالاسم الأول هو الوارد في أكثر ظهور النسخ الخطية، وذكره به الحافظ ابن رجب ومن نقل عنه كابن العماد، والداودي[(٢)] وغيرهم في ترجمته:

أمَّا الاسم الثاني: «**الوابل الصيب**» فقد ذكره حاجي خليفة[(٣)]. وهو الاسم المشتهر في الألسنة[(٤)].

أمَّا موضوع الكتاب:

رسالة كتبها المصنف لبعض إخوانه، كما ذكر ذلك تلميذه: علي بن محمد بن علي بن حميد البعلي في مقدمته القصير بخط يده صدر بها نسخته حيث يقول: «وهذه رسالة[(٥)] كتبها شيخنا الإمام العلام

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (ص١١، ١٩).

(٢) ينظر: «**طبقات الحنابلة**» (٢/ ٤٥٠) و«شذرات الذهب» (٨/ ٢٩٠) و«**طبقات المفسرين**» (٢/ ٩٦) ومقدمة «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن ابن قائد (ص١١).

(٣) ينظر: «**كشف الظنون**» (٣/ ١٩٩٤).

(٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (ص١١، و٢٣).

(٥) وقد جاء تسميتها رسالة في قول المصنف في الفائدة الثالثة والسبعون بعد أورد حديث عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب، قال: والمقصود منه قوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احتَوَشَتْهُ الشَّياطينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ ﷻ، فَطَرَدَ الشَّيطَانَ عنهُ**» فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الَّذي شرحناه في هذه الرِّسالة. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٦٧- ١٧٠) وتحقيق: ابن قائد (ص١٩٨-٢٠٥).

شمس الدِّين أبو عبد الله محمد... وسماها: «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» وهي كما سماها»[(١)].

فهي إذًا رسالة، ومضمونها بيان فضل ذكر الله ﷻ، وعظيم أثره وفائدته، ورفيع مقامه والثواب المعد لأهله المتصفين به في الآخرة والأولى[(٢)].

أمَّا منهجه:

إنَّ ابن القيم قدَّم لكتابه بمقدمة تحدث فيها عن تقلب الإنسان في الدُّنيا بين نعم ومحن مصائب، وما ينبغي حيالهما، ثُمَّ خطر الشَّيطان ومداخله على الإنسان، ثُمَّ فصلًا عن استقامة القلب بتعظيم أوامر الله ونواهيه، ثُمَّ شرح حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه الَّذي أقام الرِّسالة عليه، لتضمنه أركان دعوة الأنبياء والرُّسل عليهم السلام من التَّوحيد، والصَّلاة والصِّيام والزَّكاة، وذكر خلال ذلك الفوائد واللَّطائف.

ثُمَّ خلص إلى الأمر الخامس وهو الذِّكر المقصود بهذا التَّصنيف، فذكر فوائد الذِّكر وثلاثة فصول تتعلق به، والفصل الرابع في الأذكار الموظفة الَّتي لا ينبغي للعبد أن يخل بها، وضمنه خمسة وسبعين فصلًا، وكل فصل يورد فيه آيات وأحاديث وآثار، وقد استفاد فيه من كتاب شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية «**الكلم الطَّيب**» في جلّ هذه الفصول، وقد أضاف إليها فصولًا لم تكن في كتاب شيخه، وأضاف أحاديث وفوائد ومسائل في مواضع متفرق من كتابه[(٣)].

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥) تحقيق: بشير محمد عيون (ص٧) وتحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد (ص١١، و٢٣) وتحقيق: بإعتناء أحمد إسبر (ص٧).

(٢) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥) وتحقيق: عبد الرحمن ابن قائد (ص٢٣).

(٣) ينظر: لمعرفة المزيد من منهجه «**الوابل الصيب**» تحقيق: عبد الرحمن بن حسن ابن قائد (ص٢٣ـ ٢٧).

طبعات الكتاب[1]:

طبع الكتاب لأول مرَّة بالهند عام ١٨٩٥م طبعة حجرية في دهلي، ثُمَّ طبع بمصر عدة مرَّات في أكثر من مطبعة بالقاهرة عام ١٣٤٢ و١٣٧٥هـ ثُمَّ طبع بالرياض بالمطبع الحكومية ١٣٨٩هـ، ثُمَّ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٩٥٣م ثُمَّ طبع بمكتبة دار البيان بسوريا ١٩٧٣م، ثُمَّ بمكتبة المؤيد بالطائف، ثُمَّ أعيدت طباعته من قبل مكتبة دار البيان ومكتبة المؤيد بتحقيق: بشير محمد عيون، وتخريج وتعليق عبد القادر الأناؤوط، وابنه محمود.

ثُمَّ طبع بتحقيق: الشيخ إسماعيل الأنصاري، وهي من أفضل نسخ الوابل الصيب تحقيقًا، وضبطًا للكتاب، وقد طبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ثُمَّ توالت طبعاته وتحقيقاته، ولكن لا يوجد له شرح - في حدود علمي - قبل شرح سماحة الشيخ ابن باز له رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: المصدر السابق (ص ٣٢، ٣٣).

ترجمة موجزة لشارح الكتاب رَحِمَهُ اللَّهُ[١]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز. **كنيته:** أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز، وله ألقاب أخرى كثيرة تدل على مكانته العلمية، وما تقلده من مناصب رسمية، منها: سماحة الشَّيخ، والإمام المجتهد، بقيَّة السَّلف، ومفتي المسلمين في زمانه، العلَّامة الأثري والشَّيخ المحدث، وغيرها.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة (١٢/ ١٢/ ١٣٣٠هـ) وبها نشأ وشبَّ وشاب وكبر، ولم يخرج منها إلَّا قاصدًا مكة، ناويًا الحج أو العمرة[٢] أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف، وجدة.

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن والدته، فقد

---

(١) ينظر ترجمته: في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١/ ٩ - ١٢) و«**الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**» للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) و«**كتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز**» راوية الشيخ محمد الموسى، إعداد: محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) و«**الإبريزية في التسعين البازية**» د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) و«**ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**» من إعداد واعتناء الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

(٢) ينظر: «**منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدعوة إلى الله**» لـ د. سليمان أبا الخيل (ص٣٧، ٣٨).

توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف هجرية [١٣٣٣هـ] وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، الَّتي أحسنت تربيته وتنشئته، مع شقيقه محمَّد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلّهم أكبر سنًا من سماحته[(١)].

وكان لوالدته الَّتي توفيت عام [١٣٥٦هـ] رحمها الله دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربية، وغرست فيه الصِّفات الحميدة.

كما كانت البيئة الَّتي عاش فيها بيئة عليمة، فقد كان في مدينة الرياض وما حولها كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشَّيخ عبد الله بن مفيريج رَحِمَهُ الله ثُمَّ تلقي العلوم الشرعية والعربية، على يد كوكبة من علماء الدعوة، ذكر منهم سماحته ستة شيوخ، وكان أول شيوخه فيما ذكره، د. سليمان أبا الخيل: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وآخر هم الشيخ الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار، أخذ عنه مسلم الأخضري في المنطق وكان يحضر حلقاته في التفسير في المسجد النبوي بين عامي (١٣٨٨- ١٣٩٣هـ)[(٢)].

ومن أبرز وأشهر شيوخه؛ مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ الله، والذي أخذ عنه جميع العلوم الشرعية، حيث لازمه عشر سنوات من عام (١٣٤٧-١٣٥٧هـ).

---

(١) ينظر: «**منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدعوة إلى الله**» لـ د. سليمان أبا الخيل (ص٣٧، ٣٨).

(٢) ينظر: «**منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدعوة إلى الله**» لـ د. سليمان أبا الخيل (ص٣٧، ٣٨).

أمَّا تلاميذه: فأكثر من أن نحصهم في هذه الأسطر لكثرتهم عددًا وطول المدة حدود سبعين عامًا فقد تتلمذ على يديه خلق كثير ذكر منهم الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة في ترجمته لسماحته أكثر من (٤٧٤) طالبًا[١].

وأمَّا حياته العملية:

فقد تولى عدة أعمال، **منها**: القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عاماً، وأشهراً من عام (١٣٥٧إلى ١٣٧١ هـ) **ومنها**: التدريس بالرياض في المعهد العلمي، وكلية الشريعة، وكلية اللغة، من سنة (١٣٧٢ـ ١٣٨٠ هـ) درس الفقه والتوحيد، والحديث، واللغة، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها**: العمل إدارياً في التعليم؛ من مطلع عام (١٣٨١ـ ١٣٩٥ هـ) نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتى مطلع سنة (١٤١٤ هـ).

وفي (٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ورئيسًا للجنة الدائمة للإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله في يوم (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي؛ كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها،

---

(١) ينظر: «**الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**» للشيخ عبد الرحمن الرحمة (ص ٨٤- ١٢٤).

والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها من العضويات، **وما** من منصب تقلده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات، وأوليات خالدة رحمه الله.

صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمَّا صفاته الخَلقيَّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلا، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمَّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الرحمة في ترجمته للشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رحمه الله، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته[1].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة فضيلة الشيخ: عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ: «ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه»[2].

(١) ينظر: «**الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**» لشيخ الرحمة (٣٧، ٤٥-٦٠) وكتاب «**جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز**» للشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد والشيخ محمد بن موسى الموسى (٣٩- ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من تقديمه لكتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤).

مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جداً: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» الَّذي قام بجمعه معالي الدكتور الشيخ محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ في ثلاثين مجلدًا وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

كما حُوِّلت تسجيلات فتاوى برنامجه الإذاعي «**نور على الدرب**» إلى كتاب بعنوان: «**فتاوى نور على الدرب**» وقد طُبع في (٣٤) مجلدًا بإشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وأصدرت مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «**شرح التبصير في معالم الدين**» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليق سماحته على «**مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير** مع تعليق على تفسيره لسورة الفاتحة» وشرح «**عمدة الأحكام**» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «**الواسطية**» و«**العقيدة الحموية**» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «**كشف الشبهات**» وتعليقات على كتاب «**القواعد الأربع**» وكتاب «**فضل الإسلام**» وشرح كتاب «**التوحيد**» جميع هذه الكتب الأربعة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «**وظائف رمضان**» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللَّهُ، من لطائف المعارف لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) ذكر سماحته في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» ثلاثة وعشرون مؤلفًا (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤ عنونا) في مقدمة تحقيقه لكتاب «**التحفة الكريمة**» (ص ٢٠- ٢٦) وأفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتبًا صغيرة، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «**الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز**» وغيرهم ممن كتبوا ترجمة لسماحته.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: بتحقيق تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم، حاشية في بلوغ المرام» في مجلدين، و«**التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة**» و«**تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان**» و«**تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان**» وتعليقات سماحته على كتاب «**تقريب التهذيب**» صدر بعنوان: النكت، بتحقيق د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «**الفوائد العلمية من الدروس البازية**» الذي جمعه الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي ١٣٩٨ و١٣٩٩هـ)، وما صدر، بعنوان: «**حديث الصباح**» و«**حديث المساء**»، و«**دروس وفتاوى المسجد الحرم**» من جمع صلاح الدين أحمد عثمان، أمين مكتبة سماحته في حياة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا الشرح سماحته لكتاب «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي نقدم له بهذه الترجمة، وغيرها من التعليقات، والشروح بعد خدمتها علميًّا.

زوجاته وعقبه ووفاته ورثاؤه:

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ **أربع نسوة**: **أولى** زوجاته تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي**: ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز حفظهم الله جميعًا، وهو رئيس اللجنة العلمية بالمؤسسة.

ورابع زوجاته تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب

من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموعهم ذريته عشرة، أسبغ الله عليهم النِّعم، وكفاهم الله الشرور والنقم[١] وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين، آمين[٢].

وفاته:

توفي رحمه الله قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنَّة مثواه، آمين.

---

(١) قال عبد الرحمن يوسف الرحمة: في «**الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**» كما في (ص ٣٤).

(٢) ينظر: «**الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**» للرحمة (ص٣٤، ٣٥) و«**الإبريزية في التسعين**» للشتوي (ص٢١) و«**ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**» للقاسم (ص ٢٣).

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مقدمة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المسؤولُ المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدُّنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً، وأن يجعلكم ممن إذا أُنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هذه الأمور الثلاثة هي عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبدٌ عنها أبدًا، فإنَّ العبد دائم التَّقَلب بين هذه الأطباق الثلاث:

الأوَّل: نعمٌ من الله تعالى تترادف عليه، فَقَيْدُها الشكر، وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثَّاني: محنٌ من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها الصبر والتسلي.

والصبر: حبس النَّفس عن التَّسخُّط بالمقدور، وحبس اللِّسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، كاللطم، وشقِّ الثياب، ونتف الشعر ونحو ذلك.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقِّه منحةً، واستحالت البليَّةُ عطيةً، وصار المكروه

محبوبًا، فإنَّ الله ﷻ لم يبتله ليهلكه، وإنَّما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته.

فإنَّ لله تعالى على العبد عبودية في الضَّرَّاء، كما له عليه عبودية في السَّراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوتت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى(١).

فالوضوء بالماء البارد في شدّة الحرّ عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء الَّتي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية، هذا والوضوء بالماء البارد في شدّة البرد عبودية، وتركه المعصية الَّتي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من النَّاس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين. فمن كان عبدًا لله في الحالتين، قائمًا بحقِّه في المكروه والمحبوب، فذلك الَّذي تناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] وفي القراءة الأخرى: ﴿عِبَادَهُۥ﴾(٢) وهما سواء؛ لأنَّ المفرد مضاف، فيعمُّ عموم الجمع.

فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلَّا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الَّذين ليس لعدوّه عليهم سلطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: ٤٢]»(٣).

---

(١) ينظر: «**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**» للمؤلف ابن قيم الجوزية (ص ٦٥).

(٢) بالجمع، يعني: به الأنبياء عليهم السلام، وهي قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي، ينظر: «**جامع البيان في تأويل آي القرآن**» لابن جرير الطبري (٢٤/ ٥) و«**ومعالم التنزيل**» لأبي محمَّد الحسين البغوي (٤/ ١٧).

(٣) قرئ بتاريخ (١٣/ ٤/ ١٤١٢هـ) وبتاريخ (١٩/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٥- ٧).

شرح سماحة الشيخ ابن باز لمقدمة المؤلف:

بسم الله والحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فهذه المقدمة الَّتي ذكرها المؤلف العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**الوابل الصيب**» مقدمة عظيمة ومفيدة، قد أخذ بعضها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وبدأ بها كتابه ...[(١)].

فالإنسان في هذه الحياة بين نعم وبين مصائب؛ ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أسأل الله أن يتولاكم في الدُّنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نِعمةُ ظاهرةً وباطنةً**» الَّذين تولاهم الله سبحانه، إن استقاموا، وفَّقهم لكلِّ خير، وأسبغ عليهم النِّعم: نعمة الدِّين، ونعمة الدُّنيا، ونعمة كفارة الذُّنوب، هذا دعاء عام.

ثُمَّ ذكر دعاء أخص، وقال: «**أسأل الله أن يجعلكم ممن إذا أعطي شكر**» أي: إذا أنعم عليه شكر «**وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فهؤلاء الأمور الثلاث هي عنوان السَّعادة**» وهي دليل توفيق الله للعبد، كونه يُوفَّق للشكر عند النِّعم، والصبر عند المحن، والتَّوبة عند الذُّنوب.

هذه أسباب السَّعادة اجتمعت له؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاس عند النِّعم لا يشكر، بل يبطر ويتعدى الحدود، ويستعين بالنِّعم على المعاصي، وبعض النَّاس أيضًا عند البليَّة لا يصبر إذا ابتُلي بمرض أو فقر، أو غير هذا من المصائب كموت قريب جزع ولم يصبر، وكثير من النَّاس أيضًا يصر على الذُّنوب ولا يتوب، ولا يستغفر، فيكون ذلك من أسباب الهلاك.

لكن إذا وفَّق اللهُ العبدَ للشكر عند النِّعم، والصبر عند المصائب، والتَّوبة عند الذُّنوب، تمت له السعادة، وهذه الأمور الثلاثة لا ينفك عنها أحد، كل أحد يبتلى بها، فالواجب على العبد عند هذه الأمور الثلاثة: أن يفعل ما ينبغي نحوها، فعند النِّعم، مثل نعمة الصِّحة، ونعمة المال،

---

(١) ينظر: القواعد الأربع مع شرح سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز (ص ٩).

ونعمة الزواج، ونعمة العلم يشكر الله على ما أعطاه من النِّعم بالاستقامة على طاعته، وترك معصيته، وهذا الشكر مبني على ثلاثة أركان:

الأوَّل: الاعتراف بها باطنًا، يعرف أنَّ الله أنعم عليه، ويقر بقلبه، يعلم الله ما في قلبه بأنَّه مُعترف بهذه النِّعمة، ويشكر الله عليها، ويحبه عليها ﷻ وأنَّهُ المنعم جَلَّ وَعَلَا، وهو خاضع له، ومنيب إليه، ومصدق بالإنعام.

الثَّاني: التحدث بها باللِّسان، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضّحىٰ: ١١].

الثَّالث: العمل: بأن يصرفها في طاعة الله، وترك معصيته، كما قال ﷻ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سَبَإ: ١٣] فهذه الأمور الثلاثة هي أركان نعم الشكر: الاعتراف بالنِّعمة لله، وأنَّهُ المنعم سبحانه، ومحبته على ذلك وخضوعه له تعالى، والتحدث بها بالقول، وصرفها في طاعة المنعم بها، وترك معصيته.

أمَّا المصائب: فهي تكون بالأمراض العارضة، وبالفقر، وبالحوادث الَّتي تضر الإنسان، وقد تكون بموت قريب ونحو ذلك، وأنواع المصائب كثيرة، وكلما يصيب الإنسان شيء مما يكرهه، يقال له مُصيبة.

والله ﷻ يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التّغَابُن: ١١] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحَديد: ٢٢] ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشّورىٰ: ٣٠].

فالمصائب تقع بإذن الله الكوني القدري، بمشيئته ﷻ وقدره السابق، ابتلاءً وامتحانًا، فقد يصاب الإنسان بمرض عام، أو مرض بأحد أعضائه، قد يُصاب بالفقر، قد يُصاب بالإيذاء من الأعداء، قد يُصاب بأنواع مما يكره، فالواجب على المسلم عند المصائب: أن يستعمل مراتب الصبر الثلاث، حيث يكف جوارحه قلبه ولسانه، ويده عما لا ينبغي، فلا يجزع بقلبه، ولا يتكلم بلسانه بشيءٍ مما يسخط الله، من النياحة والسب،

والكلام السيئ، ولا يفعل بجوارحه شيئًا؛ كخمش وجهه، أو لطم خده، أو شقّ ثوبه، ولا يحثو على نفسه التراب، أو ما أشبه ذلك، بل يكون مُنيبًا لله خاضعًا لله حامدًا لله، صابرًا محتسبًا، فلا يقول إلَّا خيرًا، ولا يفعل إلَّا خيرًا، وقلبه مطمئن صابر محتسب ليس بجزوع، هكذا يجب أن يكون عند المصائب، صابرًا بجميع جوارحه، فلا يخالف فعله قوله.

أمَّا عند الذُّنوب: فالواجب عندها البدار بالتَّوبة، والاستغفار، يقابل الذُّنوب بالتَّوبة، والمصائب بالصبر والاحتساب، والنِّعم بالشكر، والقيام بحقِّها، وهذه أسباب السَّعادة، وأسباب النَّجاة والفلاح، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولما علم عدوّ الله إبليس أنَّ الله تعالى لا يسلم عباده إليه، ولا يسلطه عليهم، قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [صٓ: ٨٢-٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سَبَإ: ٢٠-٢١].

فلم يجعل لعدوّه سلطانًا على عباده المؤمنين، فإنَّهم في حرزه وكلاءته وحفظه، وتحت كنَفه، وإن اغتال[1] عدوّه أحدهم كما يغتال اللّص الرجل الغافل، فهذا لا بدَّ منه؛ لأنَّ العبد قد ابتلي بالغفلة، والشَّهوة، والغضب، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز، فلا بدَّ له من غفلة، ولا بدَّ له من شهوة، ولا بدَّ له من غضب.

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلًا وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدوّ الله حتَّى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بفراشة الحلم، ومن عقله في جنب عقل أبيه كتَفْلة في بحر، ولكن عدوّ

(١) غاله الشيء واغتاله: أخذه من حيث لم يدري. ينظر: «**الصحاح**» للجوهري (٥/ ١٧٨٥) مادة: [غول].

الله لا يخلص إلى المؤمن إلَّا غِيلةً على غِرَّةٍ وغفلةٍ فيوقعه، ويظن أنَّهُ لا يستقيل[(١)] ربّه ﷻ بعدها، وأنَّ تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كله.

فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له من أبواب التَّوبة، والندم والانكسار، والذُّل والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرع والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السَّيِّئة به سبب رحمته حتَّى يقول عدو الله يا ليتني تركته ولم أوقعه.

وهذا معنى قول بعض السَّلف: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ**[(٢)] **وَيَعْمَلُ الحَسَنَة يَدْخُل بِهَا النَّار**» قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذَّنب فلا يزال نصب عينيه خائفًا منه، مشفقًا وَجِلًا، باكيًا نادمًا مستحيًا من ربِّه تعالى، ناكس الرَّأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذَّنب سبب سعادة العبد، وفلاحه حتَّى يكون ذلك الذَّنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور الَّتي بها سعادة العبد وفلاحه، حتَّى يكون ذلك الذَّنب سبب دخوله الجنَّة.

ويفعل الحسنة، فلا يزال يَمُنُّ بها على ربِّه، ويتكبر بها، ويرى نفسه ويُعجبُ بها، ويستطيل بها، ويقول: فَعلتُ وفعلت، فيورثه ذلك من العُجبَ والكبرَ، والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه»[(٣)].

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمر يَكسِرهُ به ويذل به

---

(١) يستقيل: يطلب أن يقال: أي أن يسامح هذه العثرة. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير (ص٧٨٢) مادة: [قيل] باب القاف مع الياء.

(٢) هذا الشطر: من قول السلف، يروى عن الحسن بلفظ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ فَمَا يَزَالُ بِهِ كَئِيبًا**» أخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» (٧ / ٢٨٨) وأخرجه أيضًا مرفوعًا عن أبي هريرة (٦ / ١٧٦، ٢٧٢) بلفظ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ، فَإِذَا ذَكَرَهُ أَحْزَنَهُ، فَإِذَا نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ قَدْ أَحْزَنَهُ غُفِرَ لَهُ مَا صَنَعَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ فِي كَفَّارَتِهِ بِلَا صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ**» كما أخرجه ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**» (١٣/ ٢٩ برقم ١٢٩٨).

(٣) بنحوه أورده المؤلف في كتابه «مفتاح دار السعادة» (ص٢٩٨).

عنقه ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه»(١).

الشرح:

إنَّ الله جَلَّ وَعَلَا خلق الخلق لعبادته، وأنزل الكتب وأرسل الرُّسل، تدعو إلى طاعته وتوحيده، والإخلاص له، وترك ما نهى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنذرهم الشَّيطان وذريته، وجعلهم أسبابًا لخزي بعض النَّاس، وهلاك آخرين، وذلك لما استكبر الشَّيطان عن سجوده لآدم، وطرد، وطلب الإنذار فأنذر، وتوعَّد بأنَّه سوف يفعل، وسوف يفعل ما يجر به النَّاس إلى النَّار، كما فعل بأبيهم آدم، إلَّا أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا أبطل كيده ووفَّق آدم للتَّوبة.

فلا يزال عدوُّ الله وذريته من الشَّياطين ونوابه، حريصين على إضلال النَّاس؛ ليكون معهم في السعير، إلَّا من عصمهم الله، ورحمهم من عباده المخلصين، كما قال في كتابه العظيم عن الشَّيطان أنَّهُ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر: ٤٢-٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

المقصود: أنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ابتلى النَّاس بدعاة الباطل من الشَّياطين: شياطين الجن وشياطين الإنس، وأرسل لهم الرُّسل وأقام عليهم الحُجَّة، وأنزل الكتب فأبان طريق الخير، وأبان طريق الشر، ودعا إلى الالتزام بالخير، وحذَّر من تعاطي الشر وطريقه ودعاته.

فالواجب على العبد: أن يبذل وسعه في تحري الحقِّ، والتماسه والأخذ به، والاستقامة عليه، والحذر من دعوة شياطين الإنس والجن،

---

(١) قرئ بتاريخ (١٤/ ٤/ ١٤١٢هـ) و(٢١/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٧، ٨).

وعدم الإصغاء إليهم، ومن أراد الله له الهداية وفقه لهذا، وأعانه على هذا الشيء، وشرح صدره لهذا الشيء؛ حتَّى يستقيم على ما يرضي الله، وحتَّى يبتعد عن محارم الله، ومن أراد الله خذلانه استولت عليه الشَّياطين، وزينت له أسباب الهلاك.

والإنسان يُبتلى بشهوة وغفلة وغضب، وهذه هي طُرق مداخل الشَّيطان على الإنسان من جهة غفلته عمَّا يجب عليه، أو يحرم عليه، ومن جهة شهوته في بعض ما حرَّم الله عليه، ومن جهة الغضب الَّذي يغيب عقله، ويجره إلى الباطل.

هذه هي طُرق مداخل الشَّيطان، من طريق الشَّهوات في المآكل والمشارب والمناكح وغير ذلك، كما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النَّجم: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يعني: الشَّهوات، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القَصَص: ٥٠] نسأل الله العافية.

ومن طريق الغضب، الغضب معلوم أنَّهُ من أسباب الشَّر، إذا غضب ضعف تصرفه، ورُبَّما زين له الشَّيطان الباطل فقبل منه، ولما غضب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألقى الألواح، وفيها كلام الرّبّ عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وابن آدم تعتريه الغفلة والذُّهول عن بعض الأسباب الَّتي تقتضي ذلك، والغفلة معلومة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعني: يغفل ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦] فرُبَّما أصابه الشَّيطان في هذه الأحوال الثلاثة.

وقد حرَّم الله على آدم نوعًا من الشَّجر، شجرة واحدة، وأباح له جميع ما في الجنَّة من ثمار، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا

مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥] فلم يزل به عدوُّ الله يسوقه إلى هذه الشجرة، ويدعوه إليها، ويعده ويمنيه حتَّى وقع، فأولاده من باب أولى، وأين عقولهم من عقل أبيهم آدم!؟ وأين علمهم من علمه!؟ وأين حلمهم من حلمه!؟ فلهذا وقع أكثرهم في حبال الشَّيطان، وزين لهم الشَّيطان أعمالهم وصدّهم عن السبيل، فهلكوا إلَّا القليل؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه العظيم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠] وقال عن الشَّيطان إنَّهُ قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، وقال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

فوقع ذلك الظن، وصار الأكثرون في طاعته، واتباع الهوى، ولم ينج من حباله، ومن مصائده ومن مكائده إلَّا القليل: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فإذا عرف المؤمن هذا أوجب له ذلك الحذر دائمًا، وأخذ الحيطة، وألَّا يقع فيما حرَّم الله عليه، بسبب غفلة أو شهوة أو غضب؛ بل يكون عنده التحرز والحذر، ورُبَّما قد يقع في الزلة، وأدركه الشَّيطان فيها، ثُمَّ يُوفَّق للتَّوبة والندم والإقلاع، فتكون سببًا لنجاته وسعادته، ورُبَّما تعاطا طاعة وأُعجب بنفسه، وَمَنَّ بعمله على ربِّه، وتكبر، فتكون سببًا لهلاكه - نعوذ باللَّه من ذلك -.

ولهذا قال بعض السَّلف: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ بِالحَسَنَة فَيَدْخُل بِهَا النَّار، وَيَعْمَلُ السَّيِئَةَ فَيَدْخُلُ بِهِ الجَنَّة» يعني: يعمل بالحسنة فتكبر في نفسه وتعظم حتَّى يمنّ بها على الله، فيقول: أنا فعلت وأنا فعلت، ويتكبر

ويفخر ويزين لنفسه الشَّيطان، وأنه هو الرجل وهو، وهو فيدخله ذلك الخيلاء والكبر والمنَّة على الله والعجب فيهلك.

ورُبَّما فعل السَّيِّئة فندم عليها ولام نفسه، وجاهدها بالتَّوبة والعمل الصَّالح، فتكون نصب عينيه حذرًا منها، بعيدًا عنها، تائبًا منها، وَجِلًا منها، فتكون هذه السَّيِّئة سببًا من أسباب دخوله الجنَّة؛ لأنَّه تاب منها توبةً نصوحًا، واجتهد في طاعة الله، وسابق إلى الخيرات، فصارت سببًا لنجاته وسعادته.

هكذا يجب على المؤمن: إن زل أن يحذر هذه السَّيِّئة، ويبادر بالتوبة والإقلاع، والندم، ويتبعها بالحسنات الكثيرة حتَّى يسلم من شرها، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإنَّ العارفين كلهم مُجمعون على أنَّ التَّوفيق: أنْ لَا يَكلكَ الله تعالى إلى نفسك، والخذلان: أن يَكلك الله تعالى إلى نفسك، فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذُّل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وظلمها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته، وجوده وبره، وغناه وحمده، فالعارف: سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلَّا بهما، فمتى فاته واحد منهما، فهو كالطير الَّذي فقد أحد جناحيه.

قال شيخ الإسلام(١): العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النَّفس والعمل، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث

(١) المراد: بشيخ الإسلام، **هنا**: هو أبو إسماعيل: عبد الله بن محمَّد بن علي الأنصاري الهروي، أصولي محدث حافظ مفسر مؤرخ من كبار الحنابلة، توفي بـ«هراة» سنة (٤٨١هـ) ينظر: ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي (٤/ ١٢٢) من تصانيفه: «**منازل السائرين**» الَّذي وردت فيه هذه العبارة، وقد شرحه ابن القيم بكتاب سماه: «**مدارج السالكين**» (١/ ٢٢١) وانظر: حاشية «**الوابل الصيب**» (ص٩).

الصَّحيح: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[١].

فجمع في قوله ﷺ: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**» مشاهدة المنَّة ومطالعة عيب النَّفس والعمل.

فمشاهدة المنَّة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النِّعم، والإحسان، ومطالعة عيب النَّفس والعمل، توجب له الذُّل والانكسار والافتقار، والتَّوبة في كل وقت وألَّا يرى نفسه إلَّا مُفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها.

بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصِّرف، والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتَّى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربِّه عَزَّ وَجَلَّ وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنَّه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لن تجبر إلَّا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدَّعوى.

والعبودية[٢]: مدارها على قاعدتين هما أصلها: حُبٌّ كامل، وذلٌّ

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٣٠٦، ٦٣٢٣) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا اسمه «**العبودية**» قال فيه: العبودية: هي العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان: **أحدهما**: ألَّا يعبد إلَّا اللهُ. **والثَّانِي**: أن يعبد بما أمر وشرع، لا بغير ذلك من البدع. ينظر: كتاب «**العبودية**» (ص٧١) و«**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ١٧٣) و«**الفتاوى الكبرى**» (٥/ ١٧٢) وينظر: حاشية «**الوابل الصيب**» (ص١١ ح ١).

تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين: وهما مشاهدة المنَّة الَّتي تورث المحبة ومطالعة عيب النَّفس والعمل، الَّتي تورث الذّل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلَّا على غرة وغفلة، وما أسرع ما ينعشه الله ﷻ ويجبره ويتداركه برحمته»[1].

الشرح:

إنَّ هذه الكلمات الطَّيِّبات والحديث الشريف، كلها تدل على أنَّ الواجب على العبد هو الانكسار إلى الله والذُّل بين يديه، وأن يحاسب نفسه ويطالع عيوبه من تقصير، وأعمال سيِّئة، حتَّى يرجع إلى الله، ويتوب إليه، ويضرع إلى الله، وينكسر بين يديه، فإن العارفين باللَّه: وهم العلماء باللَّه، قد أجمعوا على أنَّ التَّوفيق: أنْ لَا تُوكَل إلى نفسك، وأن يمنحك الله منه الأمن والرعاية، والتسديد.

وأنَّ الخذلان كل الخذلان: أن تُوكَل إلى نفسك، وأن يتخلى الله عنك فتهلك مع هواك وشيطانك، فالتوفيق والعزة والاستقامة كلها بالثقة باللَّه، والاعتماد عليه، والرجوع إليه، ومشاهدة منَّته، وإحسانه، فتعبده وحده، وتستقيم على طاعته، مؤمنًا بأنَّه سبحانه هو الَّذي أنعم عليك بها، وأحسن إليك، أوجدك من العدم، وغذاك بالنِّعم، وخلقك لعبادته، وخلق لك كل شيء.

فالواجب: أن تحبه كل الحبّ، وأن تخضع له كل الخضوع، وأن تستقيم على طاعته، وتدوم على شكر نعمه؛ لأنَّه المنعم المحسن المتفضل، الموفق والهادي، فالطريق إلى النجاة والسعادة، والوصول إلى جنَّة الله وكرامته أن تستقيم على طاعته، وأن تشاهد منَّته وإحسانه عليك من حين خلقك إلى أن يتوفاك، وأنت تتقلب في نعمه، وعليك أن تطالع

---

(١) قرئ بتاريخ (١٩/ ٤/ ١٤١٢هـ) وبتاريخ (٢٢/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٩- ١١).

عيب نفسك، وعيب عملك من الذُّنوب والسَّيِّئات.

وهذا ما دل عليه الحديث، وهو قوله ﷺ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: أَن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

فقوله: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ» يعني: أعترف وأقر بنعمتك عليَّ، هذا هو مشاهدة المنَّة والإحسان «وَأَبُوءُ بِذَنْبِي» هذا هو الاعتراف بالذَّنب والتقصير بالعمل، فإذا اعترف العبد بنعم الله عليه، وإحسانه، أوجب له ذلك حبّ الله، وشكر نعمه، والمسارعة إلى طاعته، وإذا شاهد سيِّئاته وذنوبه، وتقصيره، صار ذلك من أسباب انكساره لله، وذله بين يديه، ولزومه للتوبة حتَّى يلقى ربّه.

فالمؤمن الصَّادق: يسير إلى الله بين هاتين الحالتين كالجناحين للطائر، بين مشاهدة المنَّة، وبين مطالعة عيب نفسه وذنوبه، وسيئاته وعمله، فهما كالجناحين للطائر، وإذا تعطل أحدهما تعطل الطائر عن الطيران، وإن فقدهما هلك، وبقي لقمة لكلِّ مَن يصيده.

هذان الجناحان هما: مشاهدة المنَّة والإحسان، ومشاهدة عيب نفسه وذنوبه، فتكون بين الأمرين: تعرف نعمه عليك فتحبه، وتشكره عليها، وتطالع عيب نفسك وذنوبك، فتتوب إلى الله، وتقلع من سيِّئاتك، وتذل بين يدي الله وتنكسر، وتخضع له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خائفًا وجلًا مشفقًا، تخشى من شر ذنوبك.

فالعبودية: هي الانكسار بين يدي الله وطاعته.

وأمَّا الدَّعوى: كونه يدعي أنَّهُ كذا وأنَّه كذا، يمنُّ بأعماله، بأنَّه تقي، وأنَّه يقوم اللَّيل، وأنَّه صوَّام النَّهار، وأنَّه.. وأنَّه، فيبتلى بالرياء، والعُجب، ويبتلى بالمنَّة على الله.

يجب على أهل الإسلام، وأهل الإيمان: أن يكون سيرهم إلى الله، وعبادتهم إيَّاه بين هذين الأمرين: بين مشاهدة المنَّة والإحسان، فيشكر

الله على ذلك، ويعبده وحده، ويؤدي حقّه، وبين مطالعة عيب النفس والتقصير، وما حصل من الذُّنوب، حتَّى يتوب إلى الله، وحتَّى يندم ويقلع، وينكسر بين يدي الله، ويكون أبدًا في ضراعة، وذل وانكسار بين يدي الله، يرجو رحمته ويخشى عقابه.

□ **فائدة:**[(١)] **في تحديد العارف:**

«**العارفون**» هم العلماء، علماء الدِّين، أهل البصيرة، وليس علماء القشور، وعلماء الأعراض والأبعاض، وعلماء الألفاظ، إنَّما هم العلماء باللَّه وبدينه المتصفون بتعظيمه وخشيته، الَّذين عرفوه وعظموه، وكانت علومهم نابعة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

فـ«**العارف**»: هو العالم باللَّه، وهو اصطلاح أهل الزُّهد، وهي كلمات صحيحة، العارف باللَّه، يعني: العالم باللَّه: أي: من أنس باللَّه واشتاق إليه وتلذذ بمناجاته، هذه عبارات أهل السُّلوك، كـ في «**مدارج السالكين**» و«**طريق الهجرتين**».

ولشيخ الإسلام الأنصاري كتاب معروف إسمه: «**منازل السائرين**» أي: السائرين إلى الله الَّذين يعتنون بأحوال القلوب، على طريق بشر الحافي[(٢)] وأئمة السُّلوك من أهل السُّنَّة كالجنيد[(٣)]

---

(١) **فقرة فائدة أو مسألة** الَّتي في نهاية شرح بعض الدُّروس، هي من أجوبة سماحته على الأسئلة الَّتي عقب ذلك الشرح تمت صياغتها بما يتناسب مع الشرح المكتوب من قِبَل المعتني.

(٢) **هو: بشر بن الحارث** بن علي بن عبد الرحمن، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، توفي سنة (٢٢٧هـ). ينظر: ترجمته في «**تاريخ بغداد**» للخطيب (٧/ ٦٧-٨٠ برقم ٣٥١٧) و«**الأعلام**» للزركلي (٢/ ٥٤).

(٣) **هو: الجنيد بن محمد** بن الجنيد أبو القاسم، البغدادي الخزاز، صوفي، من العلماء بالدِّين، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد (٢٩٧هـ) ينظر: ترجمته في «**وفيات الأعيان**» لابن خلكان (١/ ٣٧٣ برقم١٤٤) و«**الأعلام**» للزركلي (٢/ ١٤١).

وأبو سليمان الداراني[١] وأشباههم.

وابن القيم: وإن استعمل بعض اصطلاحات الصُّوفيَّة وعباراتهم؛ إلَّا أنَّهُ يأخذ منها الحقّ، وينفي الباطل، ويُبيِّن زيفها، فالعارف، يعني به العالم، والله المستعان[٢].

(١) ينظر: هو عبد الرَّحمن بن أحمد بن عطية، وقيل: عبد الرحمن بن عطية، وقيل: عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني، من أهل داريا، وهي ضيعة إلى جانب دمشق. جالس سفيان الثوري، وغيره، وكان أحد أئمة العلماء العاملين، ومن كبار الصَّالحين. توفي سنة خمس عشرة ومئتين، وقيل: سنة خمسٍ ومئتين. ينظر: «**المنتظم**» لأبي الفرج ابن الجوزي (٣/ ٢٥٥) و«**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٠/ ٢٥٥) و«**تاريخ الإسلام**» للذهبي (٤/ ١٣٦).

(٢) مما يؤيد هذا الكلام ما قاله رحمه الله في هذا الكتاب «**الوابل الصيب**» ينظر: (ص ١٧١ في الفائدة٣٥).

«فصل
[في استقامة القلب][(١)]

«وإنَّما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحابِّ، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حُبُّ الله تعالى حُبَّ ما سواه، فرتّب على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى، وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

وما أكثر ما يُقدِّم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه أو أهله، على ما يحبه الله تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملِكَةَ المؤمَّرة عليها، وسنَّة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكِّد عليه محابه وينغِّصها عليه، ولا ينال شيئًا منها إلَّا بنكد، وتنغيص، جزاءً له على إيثار هواه، وهوى من **يعظمه** من الخلق، أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله **تعالى** قضاءً لا يردُّ ولا يُدفع أنَّ من أحبَّ شيئًا سواه عُذِّب به، ولا بدَّ، وأنَّ من خاف غيره سُلِّطَ عليه، وأنَّ من اشتغل بشيء غيره كان شُؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يُبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بدّ.

الأمر الثَّاني: الَّذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنَّهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر النَّاهي، فإنَّ الله تعالى ذمَّ من لا يعظِّم أمره ونهيه، قال

---

(١) العناوين الَّتي بين المعكوفتين [...] بعد كل فصل: في القسم الأول من الكتاب في بضعة عشر موضعًا وكذلك بعض العناوين الجزئية، هي من وضع المحقق أضافها لتقريب مضمون الفصل وجعلها بين معكوفتين [....] لتتميَّز عن الأصل، وتم إثباتها كما قرئت على سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣﴾ [نوح: ١٣] قالوا في تفسيرها: مالكم لا تخافون لله تعالى عظمة[(١)].

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام[(٢)]: في تعظيم الأمر والنَّهي: هو أن لا يعارضا بترخص جافٍ، ولا يعرضا لتشديد غالٍ، ولا يحملا على علة تُوهنُ الانقياد.

ومعنى كلامه: أنَّ أوَّلَ مراتب تعظيم الحقّ عَزَّ وَجَلَّ تعظيم أمره ونهيه؛ وذلك لأنَّ المؤمن يعرف ربّه عَزَّ وَجَلَّ برسالته الَّتي أرسل بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كافَّة النَّاس، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنَّما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّ وَجَلَّ واتِّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالًا على تعظيمه لصاحب الأمر والنَّهي.

ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتَّصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النِّفاق الأكبر، فإنَّ الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة، والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدُّنيوية من الحدود الَّتي رتَّبها الشَّارع على المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنَّهي، ولا تعظيم الآمر النَّاهي.

فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حقٍّ من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنَّهُ تقبلت منه صلاته منفردًا، فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا.

ولو أنَّ رجلًا يعاني البيع والشراء تفوته في صفقة واحدة في بلده من

---

(١) ينظر: «**تفسير ابن جرير الطبري**» (٢٣/ ٦٣٥) و«**تفسير ابن كثير**» (٤/ ٢٣٣).

(٢) هو أبو إسماعيل الهروي ذكر هذه العبارة في «**منازل السائرين**» ينظر: المنازل مع شرحه «**مدارج السالكين**» (٢/ ٩) لابن القيم، وانظر: حاشية «**الوابل الصيب**» تحقيق: ابن قائد (ص١٠، ١١) وتحقيق: إسبر (ص١٣).

غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف، وألف ألف وما شاء الله تعالى، فإذا فوَّت العبد عليه هذا الربح خسر قطعًا.

وكثير من العلماء يقول: لا صلاة له وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاحٍ لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه.

وكذلك إذا فاته أوَّل الوقت الَّذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الَّذي يصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه، ولكانت قرعة، وكذلك فوت الجمع الكثير الَّذي تضاعف الصَّلاة بكثرته وقلته، كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله ﷻ، وكلما بعدت الخُطا كانت خطوة تحُط خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

وكذلك فوتُ الخشوع في الصَّلاة، وحضور القلب فيها بين يدي الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذي هو روحها ولبُّها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور، كبدن ميِّت لا روح فيه أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا أو جارية ميتة، فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملِك، أو أمير، أو غيره؟!

فهكذا سواء، الصَّلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمَّة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الَّذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك؛ ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه، وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فإنَّه ليس للعبد من صلاته إلَّا ما عقل منها، كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «**إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا، إِلَّا ثُلُثُهَا، إِلَّا رُبُعُهَا، إِلَّا خُمُسُهَا، حَتَّى بَلَغَ عُشْرِهَا**»(١).

---

(١) باللَّفظ المذكور أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ٣٩٠ برقم ١٦٢٨) عن عمار رضي الله عنه. أمَّا ما عزاه المؤلف للسنن والمسند فلفظه: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**» =

وينبغي أن يُعلم: أنَّ سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الَّذي يُكفر السَّيِّئات تكفيرًا كاملًا، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما:

تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسَّيِّئات بحسب كماله ونقصانه، وبهذا يزول الإشكال الَّذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الَّذي فيه «**إِنَّ صَوْمَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ، وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً**»(١).

قالوا: فإذا كان دأبه دائمًا أنَّهُ يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟! وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات، ويا لله العجب فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيِّئاته باجتماع بعضها إلى بعض»(٢).

الشرح:

يوضح المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بحثًا مُهمًا عظيمًا ينبغي للمؤمن أن يلاحظه، وهو: أنَّ الواجب على العبد أن يستقيم قلبه على طاعة الله، وأن يثبت على ذلك، وأن يسير عليه فيما يأتي ويذر، وألَّا يصاب بالانحراف والتكاسل، والترك في بعض الأشياء، وفي بعض الأحيان، عليه أن يستقيم ويثبت، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هُود: ١١٢] وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سَأَلَهُ قَائِلًا قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّه ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(٣).

= أخرجه أبو داود، برقم (٧٩٦) والنسائي في الكبرى (١/ ٢١١، ٢١٢ برقم ٦١١، ٦١٢) والإمام أحمد (٤/ ٣١٩، ٣٢١ برقم ١٨٨٩٩، ١٨٩١٤).

(١) أخرجه مسلم، برقم (١١٦٢) عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قرئ بتاريخ (٢٠/ ٤/ ١٤١٢هـ) و (٢٣/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص١٢- ١٦).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تقدَّم أنَّ الواجب على العبد: أن يسير إلى الله ﷻ في عباداته وأعماله بين أمرين: مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل، وهذان الأمران مستفادان من حديث سيد الاستغفار، الَّذي رواه البخاري في الصَّحيح: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» يعني: لا إله معبود بحقٍّ سواك.

فيقول في آخره: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي» معنى أبوء كما تقدَّم، يعني: أعترف بنعمتك وأقر بها، فهذه مشاهدة المنَّة، مشاهدة نعم الله عليه في صحته وفي بصره، وفي قلبه، وفي بدنه، وفي ذريته، وفي أمواله، وفي كل ما يتصل به، مشاهدة هذه المنَّة، وهذه النِّعمة تسبب الأمرين الآتيين، كل إنسان شاهد هذه المنَّة.

وأنَّ الله جَلَّوَعَلَا أعطاه هذه النّعم يتقلب فيها، ونعمة الصِّحة، ونعمة الدِّين، ونعمة المال، ونعمة الذّرية، ونعمة الزوجة وغيرها.

ثُمَّ أمرٌ ثانٍ: مطالعة عيوبه وأعماله السَّيِّئة.

فالأول: يوجب له محبة الله، **والثاني**: يوجب له الذُّل، والانكسار بين يدي الله؛ ولهذا قال بعدها رَحِمَهُ اللهُ: «**لا يستقيم العبد استقامة قلبه مع الله إلَّا بأمرين:**

أحدهما: تقدم حبّ الله على غيره.

والثَّاني: تعظيم أمر الله ونهيه، فهذان الأمران ناشئان عن مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النَّفس والعمل، فالعبد إذا شاهد منَّة الله، وعرف عيوبه وتقصيره أوجب له ذلك محبّة الله سبحانه، وأن يُقدَّم محبته على غيره، وأن تكون محبة النَّاس تابعة لذلك، فهو يحب ما أحبه الله، ويكره ما كرهه الله، ويؤثر محابّ الله على غيره، لو تعارض عنده محبة الله مع محبة زيد أو عمرو قدم حب الله، وهكذا في صلواته في صيامه في زكاته، في أعماله كلّها يقدمها على جميع محابِّ نفسه والناس.

ثُمَّ مطالعة عيبه وتقصيره وذنوبه توجب له الانكسار والذّل بين يدي الله، وتعظيم أمر الله ونهيه، وأنَّ اللهَ ﷻ أعطاه نعمًا عظيمة، وأوجب

عليه واجبات وحرم عليه أشياء، فلا بد أن يشاهدها ويعتني بها، ومشاهدته نعم الله وتذكره لها توجب له حب الله سبحانه، وتعظيم أمره ونهيه، ومجاهدة النفس، وفعل ما يرضيه، وترك ما يغضبه، ومشاهدته ذنوبه وتقصيره، كونه يشهد ذنوبه وتقصيره، يوجب له ذلك الذل والانكسار، والحياء من الله، والحذر من السَّيِّئات والبُعد عنها.

هكذا المؤمن: يقدِّم محابّ ربّه على محاب النَّاس، وعلى هواه، ويعظم أمر الله ونهيه تعظيمًا يحمله على فعل ما أمر الله، وترك ما نهى الله عنه، والحذر من الجفاء والغلو والتقصير، فلا يجفو ولا يغلو، بل يستقيم على الطريق السوي، الَّذي سلكه الرَّسول ﷺ وأصحابه، من دون غلو ولا جفاء، ومن دون حمل الأوامر على علل تُوهنها، ولا حملها على علل إذا كان كذا فيتساهل ويقصر.

بل تكون همته عالية في فعل الأوامر وترك النَّواهي، وعدم الجفاء وعدم الغلو، وعدم قصرها على علل واهية توهن العمل، كما يأتي الشَّيطان للإنسان، ويقول: أنت الحمد لله إذا صليت في الوقت وجلست في بيتك؛ لأجل كذا وكذا، لا يضرك.

فالمقصود: فعل الصَّلاة فقط، ليس المقصود حضور الجماعة فقط، أو أنت إذا فعلت كذا وكذا يكفي، وليس هناك تعظيم لله، ولا الحذر منه، والانكسار بين يديه، فيأتي بعلل توهن له الانقياد، توهن له نشاط قلبه، لا، بل يكون عنده همة عالية لتعظيم الأمر والنهي، وأن يؤديه على أكمل وجه، وأحسن وجه، يريد ثواب الله يريد تعظيمًا لوجه الله الكريم؛ لأنَّه سبحانه هو أعظم شيء.

فالواجب: أن تقدِّم له أقصى ما عندك من الجهد في طاعته، ومحبته، وتعظيم أمره ونهيه، والحذر مما يسخطه، على أعلى مستوى، وعلى أفضل وجه تريد وجهه الكريم، تريد القربة لديه، تريد المنزلة العالية، تريد الحذر من غضبه وأليم عقابه، وهذا لا يأتي لك إلَّا بالمجاهدة، المجاهدة التامة فيعظم الأمر والنَّهي، والحذر من قربان السَّيِّئات

والتساهل بها.

وتكفير صام يوم عرفة، وعاشوراء إذا كان صامه إيمانًا واحتسابًا، كفر ما عليه من السَّيِّئات، إذا وجدت سيئات، وتمت الشروط: شرط اجتناب، وشرط انتفاء الموانع، وفَّق الله الجميع.

❍ مسألة: **في ضابط المحبَّة:**

المحبة لا بدَّ لها من العمل، محبة الله، المحبَّة الصَّادقة تدعو إلى العمل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والتكفير بهذه مشروط بشروط، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه، فإن علمَ العبدُ: أنَّهُ جاء بالشروط كلّها، وانتفت عنه الموانع كلها، فحينئذ يقع التكفير، وأمَّا عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره، وفقد الإخلاص الَّذي هو روحه ولُبُّه ولم يوف حقّه، ولم يقدره حقَّ قدره، فأيُّ شيء يكفِّر هذا؟

فإن وثق العبد من عمله: بأنَّه وفَّاه حقَّه الَّذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره، ولا مبطل يحبطه من عُجْبٍ، أو رؤية نفسه فيه، أو يمنّ به، أو يطلب من العباد تعظيمه به، أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه، أو يعادي من لا يعظمه عليه، ويرى أنَّهُ قد بخسه حقّه، وأنَّه قد استهان بحرمته، فهذا أيُّ شيء يكفر.

ومُحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل إنَّما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه، فالرياء: وإن دق محبط للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكون العمل غيرَ مُقيَّد باتِّباع السُّنَّة أيضًا موجب لكونه باطلًا، والمنّ به على الله تعالى بقلبه مفسد له، وكذلك المنّ بالصَّدقة، والمعروف، والبر والإحسان والصلة مفسد لها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤].

وأكثر النَّاس ليس عندهم خبر من السَّيِّئات الَّتي تحبط الحسنات، وقد

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [الحُجرَات: ٢].

فحذَّر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردَّة، بل معصية يحبط بها العمل وصاحبُها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدم على قول الرَّسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟ أليس هذا قد حبط عمله، وهو لا يشعر!؟

ومن هذا قوله ﷺ: «مَن تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(١) ومن هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعينة(٢) «إِنَّهُ قَدْ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَّا أَن يَتُوبَ»(٣). وليس التبايع بالعينة ردَّة، وإنَّما غايته أنَّهُ معصية، فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها، ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يُفتِّش عليه العبد، ويحرص على عمله ويحذره»(٤).

الشرح:

هذا الكلام يفيد المؤمن العناية بأعماله، والتَّفتيش عن زلاته وأخطائه، وأنَّ الله عز وجل وعد عباده بتكفير السَّيِّئات، بالأعمال الصَّالحات: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: ١١٤] لكن على المؤمن أن يعتني بهذا العمل، حتَّى يكون خالصًا لله، موافقًا للشريعة، حتَّى يحصل منه

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢٨) عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) بيع العينة: أن يبيع سلعة بثمن معلوم لأجل مسمى، ثُمَّ يشتريها منه بأقل من الثمن الَّذي باعها به، وهي حيلة لاستحلال الربا، ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير (ص ٦٥٥) باب العين مع الياء، مادة: [عين].

(٣) أخرجه عبد الرَّزاق في مصنفه (٨/ ١٨٤ برقم ١٤٨١٢) والدارقطني في سننه (٣/ ٥٢ برقم ٢١١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٣٠ برقم١٠٥٨٠).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٥/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ١٦- ١٨).

المطلوب، من تكفير السَّيِّئات وإزالتها، ومن قبوله عند الله؛ ولهذا أخبر جَلَّ وَعَلَا في كتابه أن الإنسان قد يرفع صوته على صوت النَّبِيّ ﷺ، كما يرفع صوته على النَّاس فيحبط عمله عقوبة، وهذا حبوط مجمل، ظاهره حبوط الأعمال بهذا العمل.

وهكذا من ترك صلاة العصر حبط عمله، قال الجمهور: لعظم الجريمة.

وقال آخرون: لأنَّه يكفر بذلك، من تركها كَفَرَ فحبط عمله، قال الله سبحانه: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] فالمنّ والأذى سيِّئتان تبطلان العمل.

وهكذا الرِّياء إذا صلَّى يرائي، وإذا تصدَّق وأعطى يرائي، يبطل عمله وثوابه، فصار آثمًا، فينبغي للمؤمن أن يفتِّش عن أعماله، وأن تكون أعماله على الإخلاص والصَّواب والسَّداد والاستقامة.

ولهذا يقول ﷺ: «**مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»(١) قد يصومه إيمانًا واحتسابًا، وقد يصومه رياءً وسمعةً، ومجاملة واتِّباعًا لأهله؛ ليقال: أنَّهُ يصوم، أو ما أشبه ذلك من المقاصد، فلا يحصل على الخير المطلوب، وهكذا «**قِيَام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**» وهكذا «**مَن حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ**»(٢) قد يحج فيرفث ويفسق، فلا يحصل له ثواب الحج المبرور، وما أشبه ذلك.

فالمؤمن يحاسب نفسه ويفتِّش عن عمله، فإذا كان عمله خالصًا لله موافقًا للشريعة، فهو حري بعظيم الأجر، وحري بتكفير السيئات وحط الخطايا، وهكذا صوم عاشوراء كونه يكفر سنة، وصوم عرفة يكفر سنتين، هذا إذا استوفى شروطه، بأن كان صومًا خالصًا لله إيمانًا واحتسابا، فهذا قد يحصل به المقصود، مع اجتناب السيئات.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٨، ١٩٠٥) ومسلم، برقم (٧٥٩، ٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٥٢١) ومسلم، برقم (١٣٥٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أمَّا إذا كان يتعاطى الذنوب، فإنَّها تكون حجر عثرة في الطريق، تمنع من التكفير، فإذا كان الإنسان يتعاطى بعض من الذُّنوب، صار ذلك من أسباب عدم تكفير حسناته لسَّيِّئاته؛ ولهذا يقول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ**» الصَّلاة هي أعظم شيء بعد التوحيد هي عمود الإسلام «**وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ**» وفي اللَّفظ الآخر: «**إِذَا اجْتَنَبَ**»(١).

هذه الصَّلاة الَّتي هي عمود الإسلام، وهكذا صوم رمضان وقيامه، وهكذا الحجّ، إنَّما تنفع ويحصل بها المطلوب عند اجتناب الذنوب، فأمَّا إذا كان يتعاطها لم تغفر له سيِّئاته بهذا العمل، حسبه أنَّهُ قد عمل الواجب؛ لكن العمل لا يكون قويًا، ولا يكون مؤثرًا في تكفير السَّيِّئات حسبه أنَّهُ يؤجر عليه أجرًا يناسب عمله الله يعلم به.

لكن لا تحصل له به الفائدة من كونه يحبط السَّيِّئات، حتَّى يتم الشرط: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» أن يكون عن إيمانٍ وعن احتسابٍ، لا عن رياءٍ ولا عن سمعةٍ، ولا عن غفلةٍ وتقليدٍ، ولا لطلب حمدِ النَّاس وثنائهم، ولا رجاءً لمعروفهم ومساعداتهم؛ بل صامه عن إيمانٍ بأنَّ الله شرعه، وهو مفروض عليه ومطلوب منه هذه أمورٌ عظيمة يجب على المؤمن أن يلاحظها، وأن يجتهد أن تكون أعماله خالصة لله، يبعثه إليها إيمانه باللَّه، وتصديقه بوعده، وطلبًا لمرضاته، لا لشيء آخر، بل يبعثه على العمل حبه لله وإخلاصه لله، ورغبته فيما عند الله، هذه هي الأعمال الَّتي يحصل بها تكفير السَّيِّئات، ورفع الدرجات، وحط الخطايا نسأل الله للجميع التَّوفيق والهداية.

---

(١) أخرجه مسلم، بلفظيه، برقم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد جاء في أثر معروف: «**وَإِنَّ العبدَ ليعملُ العَملَ سِرًا لا يطلع عليه أحدٌ إِلَّا الله تَعَالَى، فَيَتَحَدَّث بِهِ**»[١] فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، ثُمَّ يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية، فإن تحدث به للسمعة، وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله، كما لو فعله لذلك.

فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل؟

قيل: إن كان قد عمله لغير الله تعالى، وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلبُ صالحًا بالتوبة، بل حسبُ التوبة أن تمحوَ عنه عقابَه، فيصير لا له ولا عليه.

وأمَّا إن عملَه لله تعالى خالصًا، ثُمَّ عرض له عُجب ورياء، أو تحدَّث به، ثُمَّ تاب من ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: أنَّهُ لا يعود إليه، بل يستأنف العمل.

والمسألة مبنية على أصل: وهو أن الردَّة هل تُحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلَّا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها، فمتى أسلم استأنف العمل، وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام، وإن قلنا: لا يحبط العمل إلَّا إذا مات مرتدًّا فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله.

وهكذا العبد إذا فعل حسنة، ثُمَّ فعل سيِّئة تحبطها، ثُمَّ تاب من تلك السَّيِّئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يُخرَّج على هذا الأصل.

ولم يزلْ في نفسي من هذه المسألة، ولم أزلْ حريصًا على الصَّواب

---

(١) ورد قريبًا من هذا الأثر مرفوعًا عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٢٨ برقم ٦٨١٣) عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **وقال سماحته: «لا أعرف له أصلًا»** وضعفه الشيخ الألباني في «**ضعيف الترغيب**» (١/ ٧ برقم٢٤).

(٢) ينظر: «**فتح الباري**» للحافظ ابن رجب (٣/ ٨٩، ٥/ ١٣٧).

فيها، وما رأيت أحدًا شفى فيها، والَّذي يظهر لي واللَّه تعالى أعلم، وبه المستعان، ولا قوة إلَّا به: أنَّ الحسَّنات والسَّيِّئات تتدافعُ وتتقابلُ، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهرُ المغلوبَ، ويكون الحكم له، حتَّى كأنَّ المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت[1] حسناتُه الكثيرة سيِّئاته، ومتى تاب من السَّيِّئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد ترب وتزيد على الحسنة الَّتي حبطت بالسَّيِّئة، فإذا عزمت التَّوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السَّيِّئات، حتَّى كأنها لم تكن، فإِنَّ «**التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَن لَا ذَنْبَ لَهُ**»[2].

وقد سأل حكيم بن حزام ﵁ النَّبيّ ﷺ عن عتاقة وصلة وبرٍّ فعله في الشِّرك هل يثاب عليه؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفْتَ مِن خَيْرٍ**»[3] فهذا يقتضي أنَّ الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات الَّتي كانت باطلة بالشِّرك، فلمَّا تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة.

فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقةً خالصةً أحرقت ما كان قبلها من السَّيِّئات، وأعادت عليه ثواب حسناته، يُوضِّح هذا أنَّ السَّيِّئات والذُّنوب هي أمراض قلبية، كما أنَّ الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عُوفِيَ من مرضه عافية تامة عادت إليه قوَّته وأفضل منها، حتَّى كأنه لم يضعف قط.

فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسَّنات، والمرض بمنزلة الذُّنوب، والصِّحة والعافية بمنزلة التوبة سواء بسواء، وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدًا لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب

(١) وفي نسخة «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٣) تحقيق: ابن قائد «دفعت» بدل «رفعت» الَّتي في النسخة المقروءة.
(٢) اقتباس من الحديث الَّذي أخرجه ابن ماجه، برقم (٤٢٥٠) عن ابن مسعود ﵁.
(٣) أخرجه البخاري، برقم (١٤٣٦) ومسلم، برقم (١٢٣).

وتدافعها، ويعود البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصحَّ مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية، وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتَّى ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته، كما قال الشاعر:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فرُبّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بالعِلَلِ[1]

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق لا إله غيره ولا ربَّ سواه»[2].

الشرح:

هذا بحث مُهمٌ فيما إذا أسرف العبد على نفسه في المعاصي، أو الكفر باللَّه، وعنده أعمال صالحات كان قد فعلها، ثُمَّ تاب إلى الله، فهل تبقى له تلك الأعمال الصَّالحات؟ أم تزول بسبب سيِّئاته الَّتي أحبطتها، أو الكفر الَّذي أحبطها؟

دلَّ القرآن الكريم على أنَّ العبدَ إذا تاب ورجع إلى الله جَلَّ وَعَلَا بقيت له حسناته السابقة، ولا تحبط، وسبب الإشكال الَّذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ذكره القرآن.

والمؤلف رجع إليه أخيرًا، وهو أنَّ العبدَ إذا تاب ورجع إلي الله ومات على التَّوبة، فأعماله الصَّالحة السابقة تبقى، فليست حابطة، بل تبقى معلقة، إن مات على الكفر بطلت، وإن مات على الإيمان، فهي باقية له؛ ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ لحكيم: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفْتَ مِن خَيْرٍ**»[3] وعلى حسب إيمانه وتقواه تكون أعماله الصَّالحة، فكلما قوى إيمانه، قويت أعماله الصَّالحة، وصار أجره أكثر، وكلما قلّ صار الأجر بحسب ذلك.

---

(١) الشاعر: هو المتنبي أبي الطيب أحمد بن الحسن. ينظر: ديوانه، بشرح العكبرى (٣/ ٨٦).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٤/ ١٤١٢هـ) و(٢٦/ ٧/ ١٤١٤) و(١٥/ ٥/ ١٤١٧). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص١٨- ٢١).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

أمَّا أعماله السابقة السَّيِّئة الَّتي قبل الكفر، فلا تبقى معلقة؛ إن كان تاب منها تاب الله عليه، وإن مات عليها حبطت؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾ [البَقَرَة: ١٦١] فقيد موتهم بالكفر.

وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] فقيد حبوطها بالكفر ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ فهذا يدل على أن أعمالهم الصَّالحة معلقة، فمتى منَّ الله عليه بالتَّوبة ورجع إلى الحقِّ والصَّواب بقيت له تلك الأعمال.

وهكذا الكُفَّار الَّذين في عهده ﷺ سبقت لهم حسنات من حج وصدقات، وصلة رحم وغير ذلك، فعلوها لله، ثُمَّ هداهم الله وأسلموا تبقى لهم تلك الأعمال، كما قال النَّبيُّ ﷺ لحكيم: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسَلَفتَ مِن الخَيْرِ**» هذا هو الحقُّ: أنَّ الأعمال الصَّالحة لا تحبط ما دام العبد لم يمت، فإذا مات على الكفر حبطت، وأمَّا إذا مات على الإسلام، وهداه الله وتاب وأناب، فإنَّ أعماله الصَّالحة تبقى له، يأجره الله عليها فضلًا منه وإحسانًا ﷻ؛ لكن كلما قوي إيمانه، قويت أعماله الصَّالحة، وكمل إخلاصه وصار ثوابه أكثر وأجزل.

○ **مسألة: في التَّوبة واستبدال السَّيِّئات:**

التَّائب من الذَّنب كمن لا ذنب له، كما في الحديث الصَّحيح الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةَ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١) يعني: كأنَّه لم يرتكبه، يمحه الله عنه، إذا تاب عنه

(١) الحديث مروي عن عدد من الصَّحابة أخرجه ابن ماجه، برقم (٤٢٥٠) ابن مسعود أمَّا ما عزاه سماحته العائشة رضي الله عنها في الصَّحيح، فهو في قصة الإفك بلفظه: «**يَا عَائِشَةُ، إِنْ كُنْتِ قَارَفْتِ سُوءًا أَوْ ظَلَمْتِ، فَتُوبِي إِلَى الله، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ**» أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٩) وجاء عنها بلفظ: «**يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ أَلَمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالاسْتِغْفَارُ**» أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٦٤ برقم ٢٦٣٢٢) =

توبةً صادقةً.

والتوبة الصَّادقة: والعمل الصَّالح يبدل الله بهما السَّيِّئات إلى حسنات، كما في آية الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفُرقان: ٧٠] إذا تاب، وعمل صالحًا، أبدل الله له مكان كل سيِّئة حسنة.

= قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١١/ ٧٦ برقم ١٧٥١٤) قلت: في الصَّحيح طرف من أوله، رواه أحمد: ورجاله رجال الصَّحيح غير محمَّد بن يزيد الواسطي وهو ثقة. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح دون قوله في حديث الإفك: «**فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار**» (٥٧/ ١٤٢ برقم ٢٧٠٣٣).

‹‹فصل
[في علامات تعظيم المناهي]

«**وأمَّا علاماتُ تعظيم المناهي**: فالحرص على التباعد من مظانها، وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تُقرِّب منها، كمن يهرب من الأماكن الَّتي فيها الصور التي تقع بها الفتنةُ خشية الافتتان بها، وأن يدَعَ ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهد بارتكابها ويحسِّنها، ويدعو إليها ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلَّا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم الله: أن يغضب لله ﷿ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرةً إذا عُصِي الله تعالى في أرضه، ولم يُطَعْ بإقامة حدوده، وأوامره، ولم يستطعْ هو أن يغيِّر ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنَّهي: ألَّا يسترسل مع الرُّخصة إلى حد يكون صاحبه جافيًا غيرَ مستقيم على المنهج الوسط، مثال ذلك: أنَّ السُّنَّة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي: أن يبرد إلى فوات الوقت، أو مقاربَة خروجه، فيكون مترخصًا جافيًا.

وحكمة هذه الرخصة: أنَّ الصَّلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع، والحضور، ويفعل العبادة بِتكرُّهٍ وضجر، فمن حكمة الشَّارع أن أمرهم بتأخيرها حتَّى ينكسر الحر، فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصَّلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى.

ومن هذا نهيه ﷺ أن يصلي بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول

والغائط[١] لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصَّلاة ولا يحصل المراد منها، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله، ثُمَّ يُفَرِّغْ قلبه للصَّلاة فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى، ونصب وجهه له وأقبل بكليته عليه، فركعتان من هذه الصَّلاة، يغفر للمصلي بهما ما تقدَّم من ذنبه»[٢].

الشرح:

هذا بحث مُهِمٌ في تتمة تعظيم الأوامر والنواهي، سبق أنَّ الواجب على أهل الإسلام تعظيم أمر الله ونهيه، وأن يكون المؤمن حريصًا على تنفيذ أمر الله، على الوجه الَّذي شرعه الله، وأن يكون حريصًا على اتقاء محارم الله والبعد عنها؛ لأنَّ المؤمن مأمور بذلك، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] ويقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحَشر: ٧].

ويقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [الحَجّ: ٣٠] ويقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحَجّ: ٣٢] فالواجب على أهل الإسلام تعظيم أمر الله ونهيه، حتَّى لا يقعوا في المحذور، وحتَّى لا يتساهل في المأمور.

فمن علامات تعظيم الأمر والنَّهي: أن يلاحظ ذلك في أعماله، وأن يعتني بالأمر على الوجه الَّذي شرعه الله، وأن يبتعد عن النَّهي غاية الابتعاد، فيأتي بالمأمور، كما شرعه الله، ويعتني به في وقته وبصفته، وفي توجيه قلبه لله، حتَّى يؤديه كما شرعه الله من غير جفاء ولا غلو، بل على الوجه الوسط، فلا يجفو فيتساهل، ولا يغلو فيزيد على ما شرعه الله، فيبتدع.

---

(١) يشير بذلك لما أخرجه مسلم، برقم (٥٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**».

(٢) قرئ بتاريخ (٢٧/ ٤/ ١٤١٢هـ) و(٢٧/ ٧/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٢، ٢٣).

ولكن يكون وسطًا في صلاته، وجهاده، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وبر الوالدين، وصلته للرحم وغير ذلك، يتحرى أن تؤدى كما شرع الله، فلا يبالغ في أدائها، حتَّى يغلو فيزيد في الصَّلاة ما لم يشرعه الله، أو يزيد في الصَّوم ما لم يشرعه الله، أو يزيد في البر ما لم يشرعه الله.

ولا يتساهل فيحصل له الجفاء بأن يقصر في الأداء، كأداء الصَّلاة، فلا يؤديها كما أمر الله، أو في الزَّكاة أو في الصوم أو في الحج، أو بر الوالدين أو غير ذلك؛ ولكن يتحرى أن يؤدي أمر الله كما شرع من غير زيادة ولا نقصان.

ومن الأمثلة في تعظيم الأمر والنَّهي: أن يؤدي الصَّلاة في وقتها مع الجماعة بقلب حاضر غير مشغول، فإن كان عنده طعام حاضر بدأ به، وإن كان يدافع الأخبثين تخلص منهما، حتَّى يأتي الصَّلاة بقلب حاضر مقبل على الله ﷻ، يسارع إليها من حين يؤذن لها حتَّى لا يفوته الصف الأول، وحتَّى لا تفوته الصَّلاة، كل هذا من تعظيم الأمر والنَّهي.

ومن تعظيم النَّواهي: الحذر منها، والحذر من وسائلها، مثل الخمر، يحذر الجلوس مع أهلها ومصاحبتهم؛ لأنَّ هذا وسيلة لفعلها، ومثل المتكاسلين عن الصَّلاة يحذر صحبتهم، وأهل العقوق وقطيعة الرحم يحذر صحبتهم، وكذلك الزنا يحذر أسبابه، كالخلوة بالأجنبية، والنظر إلى النِّساء، والاختلاط بهن، يحذر هذه الأسباب، حتَّى يكون ذلك من أسباب السَّلامة؛ لأنَّ خلطة المرتكبين لمحارم الله والأنس بهم من أعظم وسائل الوقوع في المحرم.

ومن علامات تعظيم الأمر والنَّهي: أنَّهُ إذا قصر في ذلك يجد كسرة في قلبه، وتأثرًا عظيمًا حتَّى يعود إلى تعظيم الأمر والنَّهي، فيغضب لله إن انتهكت محارمه، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويجد وينشط في ذلك.

فالمؤمن بقوله وفعله وقلبه حريص على أداء الأوامر كما شرعها الله، حريص على ترك النَّواهي كما أمر الله، ومتى تساهل في شيء من ذلك،

فهذا من ضعف تعظيم الأمر والنَّهي، وكلما زاد تساهله زاد الضعف حتَّى يقع في المحظور، من ترك الواجب، أو فعل المحرم، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، نسأل الله للجميع التَّوفيق والهداية.

○ **مسألة: في الإبراد والأكل:**

سئل سماحة الشيخ عن حكمة تأخير صلاة الظهر؟

فقال: إذا اشتد الحر، فالأفضل الإبراد بالصَّلاة، كما قال النَّبِيُّ ﷺ حتَّى يؤدي الصَّلاة بقلب خاشع، وحتَّى مع وجود المكيفات، فالطريق حر فالمصلِّي قد يتأثر بالجو حر بعد برد، وبرد بعد حر.

وأيضًا من السُّنَّة تأخير الأذان عند اشتداد الحر، ولكن إذا لم يؤخروه يؤخروا الإقامة، مالم تحدد الأوقاف وقتًا فعليهم الامتثال ليس لهم أن يبردوا.

وكذلك من السُّنَّة تقديم العشاء على العشاء؛ لكن لا يعتاد تأخير الصَّلاة دائمًا للأكل، الواجب عليه أن يأكل بعد الصَّلاة أو قبلها، ولا يجعل الأكل في وقت الصَّلاة حتَّى لا يعتاد ترك الصَّلاة في الجماعة؛ لكن لو حضر الطعام يأكل حاجته منه، أو يأكل حتَّى ينهيه، ويكمل غداءه وعشاءه، ولو فاتته الصَّلاة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**والمقصود**: أَنَّهُ لا يترخص ترخصًا جافيًا، ومن ذلك أَنَّهُ أرخص للمسافر في الجمع بين الصَّلاتين عند العذر، وتعذُّر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير، وتعذُّر النزول أو تعس ره عليه، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمعه بين الصَّلاتين لا موجب له؛ لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة.

فالجمع ليس سنَّة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين، أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد، بل الجمع رخصة عارضة، والقصر سنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية، سواء كان له عذر أو لم يكن، وأمَّا جمعه بين الصَّلاتين فحاجة ورخصة، فهذا لون وهذا لون.

ومن هذا: أنَّ الشّبعَ في الأكل رخصة غير محرمة، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتَّى يصل به الشبع إلى حد التُّخمة والامتلاء، فيتطلب ما يصرف به الطعام، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع، ويدع الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النَّبِيُّ ﷺ: «**ثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[(١)] ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأمَّا تعريض الأمر والنَّهي: للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتَّى يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو يكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتَّى لا يأكل شيئًا من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشُّبهات عليه.

ولقد دخل هذا الورعُ الفاسدُ على بعض العُبَّاد الَّذين نقص حظُّهم من العلم، حتَّى امتنع أن يأكل شيئًا من بلاد المسلمين، وكان يتقوَّتُ بما يحمل إليه من بلاد النَّصارى، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظن بالنَّصارى، نعوذ باللَّه من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنَّهي: ألَّا يعارضا بترخص جاف ولا يعارضا بتشديد غالٍ، فإن المقصود هو الصِّراط المستقيم الموصل إلى الله ﷻ بسالكه، وما أمر الله ﷻ بأمر إلَّا وللشيطان فيه نزغتان:

إمَّا تقصير وتفريط، وإمَّا إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامُّهُ، فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخُطَّة، فثبطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٨٠) عن مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (٤/ ١٣٥ برقم ٧١٣٩) **وقال عنه سماحته**: لا بأس به جيِّد رواه الإمام أحمد وجماعة، ينظر: المسند (٤/ ١٣٢ برقم ١٧٢٢٥).

والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتَّى رُبَّما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذرًا وَجِدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك، وهمَّتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألَّا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا[١] وألَّا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصَّلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة، وتعدي الصراط المستقيم.

كما يحمل الأول على التقصير دونه، وألَّا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصّراط المستقيم، هذا بأن لا يقربه، ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلَّا علم راسخ وإيمان، وقوة على محاربته، ولزوم الوسط، والله المستعان»[٢].

الشرح:

ذكر المؤلف رحمه الله في هذا البحث أنواعًا من التقصير، وأنواعًا من الغلو، بناء على ما تقدم من وجوب تعظيم أوامر الله، ووجوب تعظيم نواهي الله، فإنَّ الواجب على أهل الإسلام أن يعظموا أمر الله ونهيه، وأنَّ الصّراط المستقيم أن يسير إلى الله بين الأمر والنَّهي، كما يسير الطائر بين جناحين، لا يغلو ولا يجفو، بل يسير إلى الله مُعظمًا أمره تاركًا نهيه، مجتهدًا في طاعته، لا مقصرًا متكاسلًا، ولا غاليًا وزائدًا؛ ولكن الصّراط المستقيم أن تسير إلى الله على المنهج الَّذي سلكه رسول الله ﷺ وسلكه أصحابه، في الأوامر والنواهي، من دون زيادة ولا نقص.

---

(١) **قال سماحته**: «وَلَا تَقْصُر إِذَا قَصِرُوا» أي: لا تقصر الصَّلاة.

(٢) قرئ بتاريخ (٢٨/ ٤/ ١٤١٢هـ) و(٢٨/ ٧/ ١٤١٤هـ) و(٢١/ ٥/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٣- ٢٥).

فالزيادة: تُسمَّى غلوًا وإفراطًا، والنَّقص: يُسمَّى جفاءً وتقصيرًا وتفريطًا، وقد ابتلي النَّاس إلَّا من رحم الله بهذين الأمرين، فأكثر الخلق إمَّا في جفاءٍ وتفريطٍ وتقصيرٍ، وإمَّا في غلو وزيادة.

وما من عمل إلَّا وللشَّيطان فيه نزغتان، الشَّيطان حريص على إفساد أعمال بني آدم، أو نقصها، فله نزغتان: إمَّا إلى التقصير، وإمَّا إلى الزيادة، حريص على هذا، وكذلك أعداء الله، من شياطين الإنس والجن، فالشَّيطان ونوابه إذا رأوا من الإنسان ضعفًا، ضعف إيمان وتساهل نزغ إلى الجفاء والتقصير، حتَّى لا يصلي مع الجماعة، أو يدع الصَّلاة بعض الأوقات، أو يفطر في رمضان، أو يقصر في بر والديه، أو يتعاطى الغيبة والنميمة، أو غير ذلك من تفريط بالأوامر، أو وقوع في المحارم.

يجرونه إلى هذا أو هذا، إمَّا أن يقع في التقصير، والتساهل بأوامر الله، وهذا هو الجفاء، وإمَّا إلى الغلو والزيادة، وكأن يزيد في الوضوء فوق ثلاث غسلات، إذا غسل النَّاس ثلاث غسلات، يغسل هو سبع غسلات، أو يكرر، الله أكبر الله أكبر، ما يكفيه مرة يردد التكبير حتَّى يزداد اليقين أَنَّهُ كبر.

وهكذا في الغسل كلما غسل أعاد الغسل، قال: ما كملت، أخاف كذا، ينزغه إلى الغلو، بل رُبَّما أعاد الصَّلاة مرَّات، قال: ما كملت صلاتك تراها ناقصة، ما اطمأننت في كذا حتَّى يلعب به، وينزغه إلى الغلو، أو إلى الجفاء والتقصير، فلا يبالي، ما يضرك ما دمت موحدًا ما عليك لو سرقت، لو شربت الخمر، لو فعلت كذا، لو فعلت كذا، ما يضرك، حتَّى يوقعه في المحارم، والجفاء والتقصير.

ليس بلازم أن تصلي في الجماعة، صلي في بيتك، وربك غفور رحيم، وهكذا يلعب به عدو الله، فهو مع أهل الإيمان في طرفي نقيض، إمَّا جرهم وسحبهم إلى الجفاء والتقصير، وإمَّا جرهم وسحبهم إلى الغلو والزيادة، وضرب الأمثلة رَحِمَهُ اللهُ الَّتي سمعتم، تارة في الوضوء وتارة في الغسل، وتارة في الصَّلاة، وتارة في المحارم، وتارة في غير ذلك.

ومن ذلك: قصر الصَّلاة والجمع في السفر، يقول له: أنت لست مثل النَّاس لا تجمع ولا تقصر صل تامة اعمل بالأحوط، لا تقصر ولا تجمع أبدًا، هذا مثل في فعل الأوامر، أو يتساهل ويقصر بدون سبب، أو يجمع بدون سبب، والقصر سنَّة؛ لكن لو قصر بدون أسباب، بدون سفر حقيقي، أو يجمع وهو مقيم، فالأفضل للمقيم والنازل أنَّهُ لا يجمع.

النَّبِيُّ ﷺ لما أقام في منى في حجَّة الوداع صلى كل صلاة في وقتها؛ لأنَّ الجمع رخصة عارضة، والأفضل تركه إذا كان نازلًا، الأفضل تركه، يصلي كل صلاة في وقتها؛ لكن لو جمع وهو نازل أجزأه، مثلما جمع النَّبِيّ في تبوك وهو نازل، جمع في تبوك، كان يخرج من خبائه فيصلي الظهر والعصر جميعًا، ثُمَّ يدخل، ثُمَّ يخرج لوقت المغرب والعشاء ويصلي المغرب والعشاء جميعًا، ولاسيما إذا دعت الحاجة إلى ذلك، إمَّا برد أو قلة ماء على المسافرين، أو غير هذا من المصالح.

لكن الأفضل للمسافرين النازلين المقيمين، الأفضل لهم أن يصلوا كل صلاة في وقتها، مثلما فعل النَّبِيّ ﷺ في حجّة الوداع أيام منى، كان يصلي كل صلاة في وقتها.

بعض النَّاس يمنع القصر في السفر، وهذا غلط وغلو، فالسُّنَّة للمسافر أن يقصر، لكن لو أتم أجزأه ذلك، ويكون خالف السُّنَّة، فالسُّنَّة أن يقصر.

كذلك الشبع في الأكل: الشبع جائز؛ لكن لا يزيد زيادة تضره، وتوقعه في التخمة والأمراض، لا، ولكن تارة يشبع، وتارة يخفف، وتارة يجوع حتَّى يسلم من آفات الشبع، لا بأس من الشبع، النَّبِيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قد أكل وشبع بعض الأحيان، وقال ﷺ لأبي هريرة: «**اشْرَبْ**» قال: فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حتَّى قُلْتُ: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا»[1].

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فقد يشبع الإنسان؛ لكن كونه يخفف حتَّى لا يصل إلى حد الشبع الَّذي قد يخشى منه أفضل، يقول ﷺ: «مَا مَلأَ ابن آدَم وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»(١) لا يملأها بالأكل حتَّى يتعب في النَّفس، ويتعب في الشرب، يخفف بعض الشيء، وحتَّى يعتاد التخفيف، حتَّى لا يبتلى بالأمراض والأسقام الناتجة عن زيادة التخمة..

فالمقصود: أنَّهُ يلاحظ الأشياء الَّتي يخشى منها، فلا يسرف في المباحات حتَّى تضره من الأكل والشرب، ولا يقتر على نفسه كفعل بعض العُبَّاد فيموت من الجوع، يقصر على نفسه حتَّى يضعف، ويكسل عن العبادات بسبب الجوع والحاجة، لا هذا، ولا هذا يكون بين ذلك، يأكل ويشرب ويشبع بعض الأحيان، ويخفف بعض الأحيان، ويلاحظ الأشياء الَّتي تنفع ولا تضر.

هكذا أن يكون على الصِّراط المستقيم، يسلك الصّراط الوسط، لا جفاء تفريط وتقصير، ولا غلو زيادة وإفراط، بل يتحرى سنَّة الرَّسول ﷺ والسير عليها في كلّ أموره، وفق الله الجميع.

○ **مسألة: في الورع:**

سئل سماحته عن النوع من أكل الأطعمة الَّتي تأتي من الخارج؟

فقال: طيِّب «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»(٢) تعمل به أنت بنفسك، وكذلك تأمر به إخوانك توصيهم وتنصحهم بالورع.

---

(١) سبق تخريجه في (٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٥١٨) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال: حسن صحيح.

«فصل
[بيان أكمل مراتب العبودية][(١)]

«ومن علامات تعظيم الأمر والنَّهي: ألَّا يحمل الأمر على علة تُضعف الانقياد والتَّسليم لأمر الله ﷻ، بل يُسلم لأمر الله تعالى وحكمه، ممتثلًا ما أمر به سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه، أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتَّسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه، وتركه جملة.

كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف، فإنَّ الله ﷻ شرع الصَّلوات الخمس إقامة لذكره، واستعمالًا للقلب والجوارح واللِّسان في العبودية، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية الَّتي هي المقصود بخلق العبد فوضعت الصَّلاة على أكمل مراتب العبودية.

فإنَّ الله ﷻ: خلق هذا الآدمي واختاره من بين سائر البريَّة، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتَّوحيد والإخلاص والمحبة والحياء، والتعظيم والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النَّظر إلى وجهه، والفوز برضوانه ومجاورته في جنَّته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة وبالغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب الَّتي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنَّه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة، فلا يمكنها إلَّا الانبعاث.

---

(١) وفي بعض نسخ «**الوابل الصَّيب**» فصل [في التسليم لأمر الله] (ص٢٤) كما في تحقيق: حسن أحمد إسبر.

فهذا شأن هذه الثَّلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أَمَرُوا، وأين يمموا، هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربَّه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الَّذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشَّيطان، فإذا أمره الشَّيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يُلمُّ به مرَّة وهذا مرَّة، والمنصور من نصره الله ﷻ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

وجعل له مقابل نفسه الأمَّارة نفسًا مطمئنة، إذا أمرته النَّفس الأمَّارة بالسوء نهته عنه النَّفس المطمئنة، وإذا نهته الأمَّارة عن الخير أمرته به النَّفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو للغالب عليه منهما، ورُبَّما انقهرت إحداهما بالكليَّة، قهرًا لا تقوم معه أبدًا، وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشَّيطان، والنَّفس الأمَّارة، نورًا وبصيرةً، وعقلًا يردُّهُ عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنُّور: الحذر، الحذر، فإن المهالك والمتالفَ بين يديك، وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق، إن سرت خلف هذا الدَّليل.

فهو يطيع الناصح مرَّة فيَبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله ويسلب ثيابه، فيقول: تُرى من أين أتيت؟ والعجب أنَّهُ يعلم من أين أتي، ويعرف الطريق الَّتي قطعت عليه وأخذ فيها، ويأبى إلَّا سلوكها؛ لأن دليلها قد تمكَّن منه وتحكم فيه وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له وزجره إذا دعاه، وحاربه إذا أراد أخذه، لم يتمكن منه؛ ولكن هو مكَّنه من نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرَّجل يضع يده في يد عدوه فيأسره، ثُمَّ يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا العبد يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمَّارة، ثُمَّ يطلب الخَلاص، فيعجز عنه.

فلما أن بُليَ العبدُ بما بُلي به، أُعين بالعساكر والعُدد والحصون، وقيل: قاتل عدوَّك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه العدد

البس منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن منها بأي حصن شئت، ورابط إلى الموت، فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جدًّا.

فكأنك بالملك الأعظم، وقد أرسل إليك رسله، فنقلوك إلى داره، واسترحت من هذا الجهاد، وفُرِّق بينك وبين عدوِّك، وأُطلقت في دار الكرامة تتقلَّب فيها كيف شئت، وسُجن عدوُّك في أصعب الحبوس، وأنت تراه فالسجن الَّذي كان يريد أن يُودعك فيه، قد أُدخله وأُغلقت عليه أبوابُه، وأيس من الخروج والفرج، وأنت فيما اشتهتْ نفسُك وقرَّتْ عينك، جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة، ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلَّا ساعة، ثُمَّ انقضت، وكأنَّ الشِّدَّة لم تكن.

فإن ضعفت النَّفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه، فليتدبَّر قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النَّازعَات: ٤٦] وقوله ﷻ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤]»[(١)].

الشرح:

قد سبق بحث مُهمّ، وأدلَّة كثيرة في وجوب تعظيم الأوامر والنَّواهي، وأنَّ الواجب على المكلَّف من الرجال والنِّساء العناية بالأوامر والنَّواهي، وأنَّه خلق لذلك، خلق ليعبد ربّه، ولا طريق إلى ذلك إلَّا باتِّباع الأوامر،

(١) قرئ بتاريخ (٣/ ٥/ ١٤١٢هـ) و(٢٩/ ٧/ ١٤١٤هـ) و(٢٢/ ٥/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٢٦- ٢٨).

وترك النَّواهي، ولا يتم له ذلك إلَّا بتعظيم الأوامر، والحرص على تنفيذها، والمجاهدة في ذلك، حتَّى يؤدي ما أمر به، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [العنكبوت: ٦].

فلا بدَّ من تعظيم الأوامر: وعدم حملها على محامل تُوهن العزم، تُوهن الجهاد، بل يأخذها بظاهر الأوامر الَّتي بيَّنتها النُّصوص، ويترك التأويل الَّتي تضره، وتضعف انقياده، بل يتبع ويستقيم، والنَّواهي يحذرها غاية الحذر، لعله ينجو.

هكذا المؤمن يبتعد عما نهى الله عنه، ويحرص على ما أمر الله به، مُعظمًا لذلك، متبصرًا في ذلك، يرجو ثواب ربه ويخشى عقابه؛ لكن أغلب الخلق مُبتلى بهواه، ونفسه الأمَّارة بالسوء، وشيطانه، فيطيع هذه الثلاثة أو أحدها فيهلك.

فلا بدَّ من حرب للنَّفس الأمَّارة بالسُّوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣] وحرب للهوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦] ومحاربة الشَّيطان: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] لا بدَّ أن يحارب، والعُدَّة معه دائمًا، واللَّه أمده بالجنود، وأعطاه النُّصوص: الكتاب والسُّنَّة، وأعطاه ملكًا له لمة، وللشَّيطان لمة، والملك لمته وعد بالخير وتصديق بالحقّ، والرُّسل دعوه وبينوا له، وأعطاه عقلًا ضد الهوى، عقلًا يميِّز به بين الحقّ والباطل، والخير والشر، أعطاه نفسًا مطمئنة بصيرة، فليستعن بالنَّفس المطمئنة المتبصرة بالحقّ، ويستعمل عقله الرشيد، ضد الهوى، ضد الشَّيطان، ضد النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، حتَّى ينجو.

فإنَّه إن تساهل مع نفسه الأمَّارة بالسُّوء، ومع هواه، ومع شيطانه كان من الخاسرين، وصار مع أهلها، وصار أسيرًا مع الشَّيطان وطاعة الهوى.

فالواجب: أن يحذر، وأن يستعين باللَّه، وأن يتذكر وقوفه بين يدي الله، ولقاءه له، وأن الهوى والنَّفس الأمَّارة بالسُّوء، والشَّيطان أعداء، لا

بدَّ من الحذر من هذه الأشياء الثلاثة.

والإنسان يُصاب بالغفلة والشَّهوة والغضب، فربَّما دخل عليه الشَّيطان والهوى والنَّفس الأمَّارة بالسُّوء من هذه الطرق، من طريق الغضب، من طريق الغفلة عن النُّصوص والأدلَّة، عن طريق الشَّهوة، فإذا غضب جاءه الشَّيطان وزين له الباطل، وهكذا إذا اشتهى الشيء المحرَّم جره عدُّو الله إليه، وقادته نفسه الأمَّارة بالسُّوء.

فالواجب: أن يكون في جميع الأوقات حذرًا، مطيعًا للنَّفس الطَّيِّبة المطمئنة، ويكون في حال الغضب حذرًا أيضًا، وفي حال الهوى وميل النَّفس حذرًا، ينظر إن كان ما عرض عليه أو دعي إليه طيِّبًا حقًّا أجاب، وإلَّا تعوذ باللَّه من الشَّيطان، ومن النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وابتعد عن طاعة الهوى والشَّيطان.

وهذه الدار: دار المجاهدة، ما هي إلَّا أيام وتنتهي، لا بدَّ من صبر لجهاد أعداء الله، جهاد عدوّك الشَّيطان، جهاد الهوى، جهاد النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فيوم القيامة يقولون: ما لبثوا في هذه الدُّنيا إلَّا عشية أو ضحاها، راحت تلك الأعوام والسنون، وعشرات السنين، كأنهم ما لبثوا بها إلَّا يومًا، أو ساعة من نهار.

والمؤمن: إذا دخل الجنَّة، يُقال له: هَلْ مَرَّ بِكَ بُؤْس هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ، فَيَقُولُ: لَامَا مَرَّ بِي شَيْء، ينسى كلّ شيء، بؤس الدُّنيا وشرها ذهب نسيه، والكافر: إذا غمس في النَّار غمسة سئل هَلْ مَرَّ بِكَ نعيم، هَلْ مَرَّ بِكَ خير، يقول: لا مَا مَرَّ بِي شَيْء»[(١)] ينسى نعيم الدُّنيا كلّها.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٨٠٧) عن أنس رضي الله عنه، بلفظ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَم أَهْلِ الدُّنْيَا مِن أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَالله يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَالله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**».

الحاصل: أنَّ المؤمن العاقل يؤثر طاعة الله، يؤثر العبادة الَّتي خلق لها، فهو مخلوق لعبادة الله، شرع الله له الصَّلوات يستعمل فيها قلبه ولسانه وجوارحه، هكذا الزَّكاة، هكذا الصوم، هكذا الحج، هكذا الجهاد.

وهكذا الأذكار، يستعمل قلبه ولسانه وجوارحه في طاعة الله، ويحذر استعمالها فيما يغضب الله، ولا بدَّ من جهاد، لابدَّ من صبر، فهي أيام وليالٍ، ثُمَّ تنتهي، وفّق الله الجميع.

○ مسألة: **فيما يطفئ الغضب:**

سُئل سماحة الشَّيخ عما يطفئ الغضب؟

فقال: الغضب يطفئه التَّعوذ باللَّه من الشَّيطان الرجيم، والغضبان: إن كان قائمًا يجلس، وإن كان جالسًا يضطجع، كذلك الوضوء يتوضأ، وهذا كلّه وارد(١) وكلّه صحيح.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وخطب النَّبِيُّ ﷺ أصحابه يومًا، فلمَّا كانت الشَّمس على رؤُوس الجبال، وذلك عند الغروب، قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِن يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ**»(٢).

---

(١) أمَّا التعوذ فلما أخرجه البخاري، برقم (٣٢٨٢) ومسلم، برقم (٢٦١٠) عن سليمان بن صُرد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أمَّا الجلوس فلما أخرجه أبو داو برقم (٤٧٨٢) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمّا الوضوء فلما أخرجه أبو داود، برقم (٤٧٨٤) عن عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وستأتي بنصوصها في الفصل التاسع والأربعون: فيما يقال ويفعل عند الغضب (ص ٤٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال حديث: حسن، وصححه الحاكم (٢/ ٤٨٤ برقم ٣٦٥٦) وتعقبه الذهبي بقوله: كثير بن زيد ضعفه النَّسائي ومشاه غيره، **وقال عنه سماحته**: الَّذي يظهر أنَّهُ لا بأس به، والمعنى صحيح، فمُعظم الدُّنيا قد ذهب ما بقي منها إلَّا القليل بنص القرآن.

فليتأمَّل العاقل النَّاصح لنفسه هذا الحديث؛ وليعلم أيّ شيء حصل له من هذا الوقت الَّذي قد بقي من الدُّنيا بأسرها؛ ليعلم أنَّهُ في غُرور وأضغاث أحلام، وأنَّه قد باع سعادة الأبد والنِّعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا موفورًا وأكمل منه، كما في بعض الآثار: «**ابن آدم بع الدُّنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدُّنيا تخسرهما جميعًا**»[(١)].

وقال بعض السَّلف: ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدُّنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدُّنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنت من نصيب الدُّنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدُّنيا فانتظمته انتظامًا[(٢)].

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، يقول في خطبته: «أيُّها النَّاس إنَّكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سدًى، وإن لكم معادًا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته الَّتي وسعت كل شيء، وجنَّته الَّتي عرضها السَّموات والأرض، وإنَّما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، وشقاوة بسعادة، ألَا ترون أنَّكم في أصلاب[(٣)] الهالكين تتقلبون، وسَيخلُفه[(٤)] بعدكم الباقون، ألَا ترون أنَّكم في كلِّ يوم تشيعون غاديًا أو رائحًا إلى الله، قد قضى نحبه وانقطع أملُه، فتضعونه في بطن صدع من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» (٢/ ١٤٣) عن الحسن البصري رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة «**مصنفه**» (١٣/ ٣٤٦) عن معاذ رضي الله عنه والطبراني في «**الكبير**» (٢٠/ ٣٥ برقم ٤٩).

(٣) هكذا في النسخة المقروءة (ص٢٩السطر الأخير) **وقال سماحته**: أسلاب بالسين، وهو موافق لما في تحقيق: عبد الرحمن بن قائد (ص٣٦ سطر١١).

(٤) هكذا في النسخة المقروءة (ص٢٩ السطر الأخير) **قال سماحته**: وسيخلفكم، يعني: يأتي خلف بعدكم، وهو موافق لما في نسخة تحقيق: إسبر (ص٢٧ سطر٢٠).

الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب»(١) (٢).

الشرح:

هذا البحث مقصوده: أنَّ الدُّنيا عرض زائل، ومدتها قصيرة، وعُمر الإنسان منها أقصر وأقصر، فهي متاع قليل: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ٢٦﴾ [الرّعد: ٢٦] ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التّوبَة: ٣٨].

وجاء في هذا الحديث: أن ما بقي منها، في عهد النَّبيّ ﷺ مثل ما بقي من اليوم حين تكون الشَّمس على رؤوس الجبال، وأطراف النخيل، يعني: أنَّهُ مضى مُعظمها وأكثرها، وما بقي منها إلَّا اليسير، فجدير بالعاقل أن يغتنم الفرصة من هذا اليسير، في كلّ أحواله، وأن يقدِّم الآخرة، ويعمل لها، حتَّى لا تفوته الدُّنيا والآخرة.

فيبدأ بحظه من الآخرة، ويتبعه بحظه من الدُّنيا، فإنَّ الرِّزق مضمون مقدر، وله أسباب، فليعمل للآخرة وليجتهد فيها، وليأخذ من الدُّنيا ما يسَّر الله له، كما قال قوم قارون لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القَصَص: ٧٧] فمن باع الآخرة بالدُّنيا خسرهما جميعًا، ومن باع الدُّنيا بالآخرة ربحهما جميعًا.

فالعاقل: يبتدئ بحظه من الآخرة، ويعمل ويجتهد، ويعد العدّة، ويتزود من التقوى، ويرضى من الدُّنيا بما يسر الله، ولا يجعلها أكبر همه، ولا مبلغ علمه؛ ولكن يجعلها متاعًا، يجعلها وسيلة، يجعلها مطيَّة

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٥/ ٢٦٦، و٢٨٧ و٢٩٥).
(٢) قرئ بتاريخ (٤/ ٥/ ١٤١٢هـ) وبتاريخ (١/ ٨/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٢٨- ٣٠).

حتَّى يتوجه إلى الآخرة.

وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخليفة الرَّاشد، كثيرًا ما يُعرِّض بهذا الأمر في خطبه، يُزهد في الدُّنيا ويرغِّبُ في الآخرة، ويقول: «**ألا ترون أنَّكم في أسلاب الهالكين تتقلبون**» السلب ما خلفه الإنسان، أسلاب الهالكين، يعني: ما خلفوه وانتقلوا عنه من حصون ومدن وقرى ومزارع وغير ذلك «**وسيخلفها من بعدكم الباقون** - **بعدكم أناس آخرون** - **ألَا ترون أنَّكم تشيعون كلّ يوم غاديًا ورائحًا إلى الله**» في كلِّ يوم هذا ميِّت بالصَّباح، وهذا ميِّت في آخر النَّهار، أموات يموتون في الصَّباح، وأموات يموتون مساءً في آخر النَّهار، تشاهدونهم، لكم فيهم أسوة، لا بدَّ أنَّكم صائرون إلى ما صاروا إليه.

فالواجب على العاقل الحذر، حتَّى لا يأتيه الأجل على غرّة، فالموت يأتي بغتة، فالواجب عليك أن تعدَّ العُدَّة حتَّى إذا هجم عليك الأجل، فأنت على أُهبة الاستعداد لآخرتك، وعلى عمل يرضي الله عنك، وكم من مصبح لا يمسي، وكم من ممس لم يصبحْ، فالآجال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الَّذي يعلمها، فعليك أنت أن تحتاط، وأن تستعد، حتَّى إذا هجم الأجل، إذا أنت على أهبة واستعداد، نسأل الله للجميع التَّوفيق.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**والمقصود**: أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد أمد العبد في هذه المدَّة اليسيرة بالجنود، والعدد والأمداد، وبيَّن له بماذا يحرز نفسه من عدوه، وبماذا يفتكُّ نفسه إذا أسره، وقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قال: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيَّا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: **أَن يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَن يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ له عِيسَى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَن يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَن آمُرُهُمْ.**

فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِن سَبَقْتَنِي بِهَا أَن يُخْسَفَ بِي، أَوْ أُعَذَّبَ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَن أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَن تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أَن تَعْبُدُوا الله، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَن أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِن خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ له: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَن يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِن رِيحِ المِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

وَآمُرُكُمْ أَن تَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيطان إِلَّا بِذِكْرِ الله».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ الله أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِن عُنُقِهِ إِلَّا أَن يَرْجِعَ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِن جُثَا جَهَنَّمَ» فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِن صَلَّى وَصَامَ [وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ][(١)] فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ

(١) ما بين المعكوفتين [...] من النسخة الَّتي قرئت على سماحته، وهي في المسند، وليس عند الترمذي.

الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن ـ الَّذي ينبغي لكلِّ مُسلم حفظه وتعقُّله ـ ما ينجي من الشَّيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنَّجاة في دنياه وأخراه»[(٢)].

الشرح:

الله جَلَّ وَعَلَا خلق العباد لعبادته الَّتي شرعها على أيدي الرُّسل، وأعظمها توحيده والإخلاص له، وصرف العبادة له وحده، وابتلاه بعدٍّو لا يفتر عن معاداته، وشهوةٍ، وغفلةٍ، وغضبٍ، ثُمَّ أمدَّه بجنود وعدد، وأمداد كثيرة، يتحرز بها من عدوّه، ويتخلص بها إذا أسره العدوّ أو الشَّهوة أو الغضب، وهذه الأمداد أنواع من العبادات، من الأذكار، والتَّعوذات الشَّرعيَّة، والأعمال الشَّرعيَّة الأخرى: من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك، ومنها ما يقوم بالقلوب من أعمال كالخوف من الله، وتعظيمه، ومراقبته، في سائر الأحوال وغير ذلك.

فالواجب عليه: أن يستعمل هذه العدد، وهذه الأمداد، والجنود ليتحرز من عدوِّه، وليفك أسره إن أسره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦].

فالواجب على العبد: أن يلتزم الذِّكر القولي والعملي لينجو من شر عدوِّه، فإن ابتلي ووقع في المعصية، فليجتهد في التخلص بالتَّوبة، إن أسره العدوّ وطمع فيه، فليبادر بالتَّوبة حتَّى يتخلص من عدوِّه.

وهذه الدار: دار الابتلاء والامتحان، يبتلى العبد فيها بالغضب، والهوى، والغفلة، والشَّيطان وراء ذلك يمدّ هذه الشرور، فيسبب الغفلة،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢برقم ١٧٢٠٩، ١٧٨٣٣) والترمذي، برقم (٢٨٦٣) وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي (١/ ٥٨٢ برقم ١٥٣٤) كما أخرجه مختصرًا على آخره (١/ ٢٠٤ برقم ٤٠٤).

(٢) قرئ بتاريخ (٥/ ٥/ ١٤١٢هـ) و(٣/ ٨/ ١٤١٤هـ) و(٢٨/ ٥/ ١٤١٧هـ) ينظر: **«الوابل الصَّيب»** (ص٣٠، ٣١).

ويسبب الهوى، ويسبب الغضب، ويدعو إليها، ويجتهد في تحصيل أسباب ذلك، فلا بدَّ أن يَقوم العبد بجهاد آخر، وصبر ومصابرة في محاربة هذه الشرور، محاربة الهوى بالإخلاص لله، والعلم بأنك عبده، وأنَّه واجب عليك الإخلاص له، والحذر من طاعة الهوى.

وهكذا الشَّهوات، يجب أن تحذر ما حرَّم الله منها، وأن تكتفي بما أباح الله تقف عند الحد، ولا بدَّ من جهاد وصبر.

وهكذا الغضب إذا غضبت فاحذر أن تزل قدمك، تعوذ باللَّه من الشَّيطان حتَّى لا يوقعك الغضب فيما حرَّم الله، والغضب من الشَّيطان، فاستعذ باللَّه من الشَّيطان، وعالج الغضب بما تستطيع من وضوء، وغيره من أسباب إزالته؛ لأنَّ الشَّيطان قد يتسلط عليك بهذه الأشياء، فاحذره حتَّى تغلبه حتَّى تأسره أنت، وحتَّى تكفى شره بالصِّدق والإخلاص والذِّكر والأعمال الصَّالحة، والتَّوبة إلى الله، وصدق الخوف منه، والرَّغبة إليه، حتَّى تسلم من عدوِّك الَّذي هو ملازمك.

وسبق أن ذكر المؤلف أنَّ مع كلّ إنسان ملك وشيطان، فالملك له لمة، والشَّيطان له لمة، ولمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحقِّ، ولمة الشَّيطان تكذيب بالحقِّ، وإيعاد بالشَّر.

فعليك يا عبد الله أن تستعمل ما أعطاك الله من القوى والحرس والجنود والعدة، دائمًا بالقلب واللِّسان والعمل، وكن على حذر دائم، لا تغفل، يكون سلاحك دائمًا حاضرًا وهو القول الصَّادق الطَّيِّب، والعمل الطَّيِّب بالجوارح، وأعمال القلب من الخوف والرجاء، والإخلاص لله، والصِّدق.

وهذا الحديث: حديث الحارث الأشعري(١) حديث عظيم، وهو

---

(١) هو: أبو مالك الحارث بن الحارث الأشعري الشامي صحابي مشهور باسمه الحارث، مُقل من الحديث، تفرد بالرواية عنه أبو سلام، أخرج له مسلم والترمذي والنَّسائي. ينظر: ترجمته في «**الطبقات الكبرى**» لابن سعد (٤/ ٢٦٥ ترجمة رقم ٥٥٩) و«**تقريب التهذيب**» لابن حجر (ص١٤٥ ترجمة رقم١٠١٤) وهو غير أبي مالك الأشعري المشهور بكنيته.

صحيح، فيه لنا عظة وتوجيه وإرشاد، فقد أعطانا الله جنودًا مذكورة في هذا الحديث، فاللَّه جَلَّ وَعَلَا أوحى إلى يحيى بن زكريا نبي الله ابن نبي الله: «أن يأمر بني إسرائيل بخمس، ويعمل بها» فلما تأخر قال له عيسى ابن خالته ـ عيسى ابن خالة يحيى، كلاهما نبي ورسول عليهما الصَّلَاة وَالسَّلَام هما ابنا خالة ـ: «إمَّا أن تُبلغهم، وإمَّا أن أُبلغهم» فقال يحيى: «إنِّي أخشى إن بلغْتَهم، ولم أبلغْهم أنا أن يخسف بي، وأن أُعذَّب، أنا مأمور بذلك» فجمعهم إلى بيت المقدس حتَّى قعدوا على الشرف، امتلأ المسجد، وصعدوا فوق الأطراف والأحجية يسمعون.

فقال لهم: «إنَّ الله أمرني بخمس» يعني: خمس خصال، أن أعمل بها، وأن آمركم أن تعملوا بها، وهي التَّوحيد، والصَّلاة، والصِّيام، والصَّدقة، والذِّكر، هنَّ خمس، توحيد الله والإخلاص له، والثَّانية: الصَّلاة، والثالثة: الصَّدقة، والرَّابعة: الصَّوم، والخامسة: ذكر لله عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ ضرب لهم مثلًا، حينما قال لهم: «إنَّ الله أمره أن يأمرهم أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا» هذه أهم الأمور الخمسة، ولهذا خلق العباد، خلقهم؛ ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه أهمها أن يعبدوا الله وحده، بما شرع لهم، وأن يدعوا الشِّرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثُمَّ ضرب لهذا مثلًا إنسان له عبدٌ اشتراه من خالص ماله من ذهب أو فضة، ثُمَّ قال له: هذه داري، وهذا عملي، وأعطاه مالًا، وقال له: تسبب واعمل بهذا المال وأدِّ إليَّ، فجعل العبد يعمل ويتصرف ويؤدي إلى غير سيِّده، يعطي الأرباح لغير سيِّده، فأيُّ إنسان يرضى بهذا العبد الخائن.

هكذا العبد إذا عمل لغير الله، وصرف نِعم الله في طاعة غير الله، فهو مثل هذا العبد الخائن، الواجب عليه أن يعمل لله، وأن تكون أعماله كلها لله وحده في طاعته، في سبيل مرضاته حسب ما أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثُمَّ ذكر الصَّلاة وأن أمرها عظيم، وأنَّ الله ينصب وجهه، إلى عبده المصلِّي ما لم يلتفت، والمعنى: الحث على الاستقامة في الصَّلاة،

والخشوع فيها، والإقبال عليها حتَّى تنهيها بقلب حاضر، وإخلاص وصدق وخشوع.

ثُمَّ ذكر الصَّدقة وأنَّ الصَّدقة لها شأن عظيم، ومَثَّلَ صاحب الصَّدقة بمن قدمه العدو ليضربوا عنقه، فجعل يفدي نفسه منهم بالقليل والكثير، هكذا العبد ينبغي أن يفدي نفسه بالصَّدقة، يفدي نفسه بالنفقات؛ لأنَّ الصَّدقة من أسباب العتق من النَّار، قال ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**»[1].

وفي الحديث الصَّحيح: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[2] فالصَّدقة لها شأن عظيم لدفع البلاء، والعتق من النَّار، ويعظم الله بها الأجر، لا سيما إذا كانت من الكسب الطَّيِّب.

وذكر الصَّوم وأن مثله كمثل إنسان في عصابة معهم صرة مسك كلهم يعجبه أن يشم ريحها، وهكذا الصائم، ريحه أطيب عند الله من ريح المسك، وما ذلك إلَّا لفضل العبادة، وأنَّها سر بين العبد وبين ربّه يرجو رحمته، ويخشى عقابه، فلها فضل عظيم.

ثُمَّ بيَّن لهم شأن الذِّكر وأنَّ الذِّكر عظيم، وأن مثله كمثل رجل طلبه العدو سراعًا، فما أدركه إلَّا وقد تحرز منهم في حصن حصين، فهكذا العبد يحرز نفسه من الشَّيطان بذكر الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزّخرُف: ٣٦] فالذِّكر حرز عظيم من الشَّيطان.

فعليك بالذِّكر بالقلب واللِّسان والعمل، اجتهد بذكر الله قلبًا ولسانًا وعملًا، لعلك تحرز نفسك من عدو الله الشَّيطان، فكن ذاكرًا قائمًا،

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٦١٤) عن كعب رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن غريب، كما أخرجه عن معاذ رضي الله عنه الترمذي، برقم (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والإمام أحمد (٥/ ٢٤٨ برقم٢٢١٨٦) وأخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٩٩ برقم ١٥٣١٩) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤١٣) ومسلم، برقم (١٠١٦) عن عدي رضي الله عنه.

وقاعدًا، وماشيًا، وفي جميع الأحوال تذكر ربّك بالتسبيح والتهليل، والتحميد والتكبير، والتعوذ باللَّه من الشَّيطان، وبالدَّعوات الطَّيِّبة، والعمل الصَّالح.

هذه ذكرها النَّبِيّ ﷺ وأقرها، فكما أن بني إسرائيل مأمورون بها فنحن مأمورون بها أيضًا؛ لأنَّ الرَّسول ذكرها وجاء بها شرعنا، فنحن مأمورون بهذه الخمس، التَّوحيد، وتعظيم الصَّلاة، وتعظيم الصَّوم، والصَّدقة، وتعظيم الذِّكر، وهو ما جاء به رسولنا محمَّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثُمَّ أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّ اللهَ أمره بخمس، وأمر الأمة أن يعملوا بها «**السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ**» وهي الطاعة لولاة الأمور بالمعروف، في المعروف، وعدم شقّ العصا، **الثالثة**: الجهاد في سبيل الله، **الرابعة**: الهجرة من بلاد الشِّرك إلى بلاد الإسلام.

والخامسة: الجماعة، لزوم الجماعة على الحقِّ، وعدم الخروج عن الجماعة، وعدم التفرق والاختلاف، تلزم جماعة المسلمين، وتكون معهم في الشِّدَّة والرَّخاء، تكون معهم عقيدةً وقولًا وعملًا، فلا تخالفهم في العقيدة، ولا في القول، ولا في العمل، تكون معهم من أنصارهم بالحقِّ فيما هو مجمع عليه، وكل ما قام عليه الدَّليل يجب الثبات عليه، تكون معهم مع السَّمع والطَّاعة لولاة الأمور بالمعروف، هذا كله لازم، من أجل أن تستقيم الأمور، وتقام الحدود، وينصر الحقّ ويخذل الباطل.

أمَّا إذا جاء التفرق والعصيان، ومخالفة ولاة الأمور وشق العصا، ضاع الحقّ بين النَّاس، وسفكت الدِّماء، واختل الأمن، وأخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّهُ: «**وَإِن صَلَّى وَصَامَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**» إذا شق العصا وخرج عن الجماعة، فهو من جثا جهنَّم، يعني: حطبها والعياذ باللَّه، وهذا من باب الوعيد، يعني: هو يحصل له هذا الوعيد، وهو من جثا جهنَّم، متوعَّد بالنَّار، وإن صام وصلى، مثل الزَّاني توعَّده بالنَّار، وإن صام وصلى.

فيجب الحذر، وأن يكون المؤمن مكتفيًا بالدَّعوى الَّتي شرعها الله «**المسلمون، المؤمنون، عباد الله**» مسلم مؤمن عبد الله، يترك التحزبات

الَّتي تشق العصا، وتسبب الفرقة والافتراق، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **في معنى دعوة الجاهلية:**

سئل سماحة الشَّيخ عن معنى دعوى الجاهلية؟

فقال: هي التعصب للآباء، والأجداد، والقبيلة، وأهل البلد، أو لآخرين من النَّاس، أو للعادات، ليس هو تعصب للكتاب والسُّنَّة، بل تعصب لأبيه وأمه، أو قبيلته، هذه هي دعوى الجاهلية.

○ مسألة: **التناصح بين الدُّعاة:**

إذا اختلف الدُّعاة ينصحون ويوجهون للخير، حتَّى لا يشقوا العصا، حتَّى يكونون شيئًا واحدًا، ويقال لهم: الزموا الجماعة، وتُعالج الأمور، إذا كان شيئًا مشكلًا يعالج، حتَّى يجتمع عليه الجميع، والحديث يشملهم إذا كان بينهم تعصب، أمَّا إذا كانوا متفقين في المعنى، ولو كان هذا لحاله وهذا لحاله، هذا يدرس، وهذا يدرس، هذا يعمل وهذا يعمل، لكن يتعاونون، ليس فيهم شق عصى لا بأس.

○ مسألة: **في نصرة المجاهدين:**

المجاهدون الأقرب في الأمر، أنَّهم يستحقون النُّصرة بالمال والسَّلاح، هذا الواجب الآن، وقد كتبنا في هذا مرَّات كثيرة[١] وإذا تيسر واستطاع بالبدن فلا حرج[٢].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (٨/ ٢٦٧- ٢٧٠ و١٨/ ٣٧١، ٤١٠- ٤١٥).

(٢) إذا توفرت شروط الجهاد بالنَّفس، وانتفت موانع ذلك، فلا حرج في الجهاد بالبدن.

[مثل الموَحِّد والمُشرك][1]

«**فذكر مثل الموَحِّد** والمُشرك، فالموَحِّد كمن عمل لسيِّده في داره، وأدَّى لسيِّده ما استعمله فيه، والمُشرك كمن استعمله سيِّده في داره، فكان يعمل ويؤدِّي خراجه وعمله إلى غير سيِّده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى، ويتقرب إلى عدوِّ الله تعالى بنعم الله تعالى.

ومعلوم: أنَّ العبدَ من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشدَّ شيء غضبًا عليه، وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف بربِّ العالمين الَّذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلَّا هو، ولا يصرف السَّيِّئات إلَّا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته، وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره، في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟

وشواهد أحوالهم؛ بل وأقوالهم وأعمالهم ناطقة بأنَّهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات، ويخافونهم ويَرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويَهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى، ويخافون ويرجون ويَهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الَّذي لا يغفره الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

والظلم عِنْدَ الله ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ: **دَوَاوِين ثَلَاثَةٌ**:

دِيوَانٌ: لَا يَغْفِرُ الله مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ الشِّركُ بِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن

(١) هذا العنوان بين المعكوفتين [...] هو من وضع المحقق. ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٣٢).

يُشْرَكَ بِهِ.

وَدِيوَانٌ: لَا يَتْرُكُ الله تَعَالَى مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ ظُلْمُ العِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْتَوْفِيهِ كُلَّه.

وَدِيوَانٌ: لَا يَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئًا، وَهُوَ ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ.

فإنَّ هذا الدِّيوان أخفُّ الدواوين وأسرعها محوًا، فإنَّه يمحى بالتَّوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشِّرك، فإنَّه لا يمحى إلَّا بالتَّوحيد.

وديوان المظالم: لا يُمحى إلَّا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها»[١].

الشرح:

قد سبق حديث الحارث الأشعري عن النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو حديث عظيم، ذكر فيه أنَّ الله أمر يحيى بن زكريا عليه وعلى نبيِّنا الصَّلاة والسَّلام: «**أن يأمر بني إسرائيل بخمس مسائل، وأن يعمل بها**»: وأن يحيى كاد أن يبطئ بها عليهم، فقال له عيسى: «**يا نبي الله إمَّا أن تخبرهم، وإمَّا أن أخبرهم**» فقال يا أخي: «**إني أخشى إن سبقتني بذلك أن يخسف بي أو أعذب**» وبادر يحيى فأخبرهم، دعاهم وجمعهم في بيت المقدس، وخبَّرهم بها.

الأولى: أنَّ اللهَ أمرهم أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وهذه أهم الخصال الخمس، وهي الَّتي بعث الله بها الرُّسل جميعًا، بعثهم، أن يأمروا النَّاس بعبادة الله وحده، فالمعنى: أنَّ الله أمر يحيى أن يؤكد عليهم هذا الَّذي جاء به موسى، وجاء به داود، وجاء به سليمان، وجاءت به الرُّسل كلهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ

---

(١) قرئ بتاريخ (١٠/٥/١٤١٢هـ) و(٤/٨/١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٣٢، ٣٣).

ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النّحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزّخرُف: ٤٥] أي: لم يجعل، استفهام إنكار.

ثُمَّ ضرب مثلًا لهذا، قال: مثل المشرك كمثل إنسان اشترى عبدًا من خالص ماله، ثُمَّ أعطاه المال، وقال: هذا مالي وهذه داري فاعمل وأدِّ إليَّ، فجعل العبد يعمل ويعطي الأموال إلى غير سيِّده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ لن يرضى به أحد، فكيف بربِّ العالمين الَّذي خلقك من العدم، وغذاك بالنِّعم، وأنت مملوكه أنت وما في يدك، كيف تعمل لغيره، تعبد غيره، تخافه وترجوه، وتحبه كحبّ الله أو أكثر، تدعوه تستغيث به، تنذر له، هذا هو الشِّرك الأكبر، الَّذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزُّمَر: ٦٥] فالواجب على جميع العباد: أن يعبدوا الله وحده، ويخصوه بصلاتهم، وصومهم وذبحهم، ونذرهم وخوفهم، ورجائهم، وسائر عباداتهم كلّها لله وحده.

وأن تكون محبتهم لله، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] فمحبة الله الصَّادقة تقتضي اتِّباعه، واتِّباع رسوله، والقيام بحقِّه، وترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى.

وقد ذم الله المشركين بحبهم آلهتهم كحب الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] أندادًا، أي: أشباهًا ونظراء من الملائكة، أو من الأنبياء، أو من الأصنام، أو من الأشجار والأحجار أو الجن يعبدونهم، يستغيثون بهم، ينذرون لهم، يذبحون لهم، يستعينون بهم يتعوذون بهم، إلى غير ذلك من العبادات، فاللَّه عابهم بهذا، وحذرهم من مغبة شركهم، وبعث

الرُّسل تنهاهم عن هذا الشِّرك، وأن تكون العبادة لله وحده.

أمَّا الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر فيم يستطيع، فلا بأس أن تعامله بما يليق به، تستعين به في إصلاح ما تريد، خادمًا بالأجرة يعينك، هذا لا بأس به؛ لأنَّه حاضر يسمع، ويعقل، ويستطيع، في أمور يقدر عليها، مثل ما قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القَصَص: ١٥] فالحي الحاضر في الأمور الَّتي يقدر عليها الاستغاثة به ليست من الشِّرك، أن تقول له: ساعدني على العمل في المزرعة، أو على إصلاح السَّيارة، هذا بين النَّاس لا بأس به.

أمَّا أن تدعو الميت أو الغائب، والَّذي تعتقد أن له سر يسمع كلامك وينفعك، تدعو غائبًا، أو الجن أو الملائكة، أو الأصنام أو الأشجار أو الأحجار، فهذا هو الشِّرك الأكبر، هذا ما فعله المشركون مع أصنامهم، مع اللَّات والعُزى، ومناة، وهبل ومع غيرها من الأصنام، ومع الأشجار، والأحجار، يعتقدون فيها السِّر، وأنَّها تنفع، وأنَّها تشفع لهم عند الله، فيدعونها، ويرجونها، ويخافونها، ويذبحون لها، وينذرون لها لتقربهم عند الله، وتشفع لهم عند الله.

كما قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [يُونس: ١٨] وقال تعالى حاكيًا عنهم أنَّهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] فمن اتخذ قبرًا أو شجرةً، أو صنمًا أو جنًا أو نجمًا معبودًا، يدعوه، أو يخافه، أو يرجوه، أو يذبح له وينذر، يعتقد: أنَّهُ ينفعه، أو يشفع له، هذا هو الشِّرك الأكبر.

فالواجب على أهل الإسلام على المكلَّفين التفقه في الدِّين، والتَّبصر، والحذر من الشِّرك الَّذي حرَّمه الله، وجعله أكبر الذُّنوب فاحذره، حتَّى لا تقع فيه وأنت لا تشعر، جاهد وتعلم وتبصر، حتَّى تدع الشِّرك على بصيرة، وتعبد الله على بصيرة.

والشِّرك هو أعظم الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمَان: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤]

وقال الله فيه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعَام: ٨٢] يعني: بشرك، فأعظم الظلم هو الشِّرك باللَّه جَلَّ وَعَلَا وهو الديوان الأول الَّذي لا يغفره الله إلَّا بالتَّوبة، ومن مات عليه، فله النَّار، نسأل الله العافية.

والدِّيوان الثَّاني: ما يتعلق بمظالم العباد بعضه بعضًا، وهذا الظلم لا يترك الله منه شيئًا، بل يقتص لعباده من خصومهم، ظلمهم في أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، هذا ظلم يجازى به العباد إلَّا أن يسمحوا، أو يعطوهم حقوقهم قبل الموت، لابدَّ من القصاص في هذا الظلم.

والدِّوان الثَّالث: ظلم العبادِ أنفسهم بالمعاصي، هذا أسهلها، يُمحى بالتَّوبة، وبالمصائب، وبالحسنات الماحية، وباستغفار المؤمنين وغيرها من الأسباب، أعظمها التَّوبة، إذا تاب إلى الله، وندم عفا الله عنه، ومن ذلك الحسنات قد تمحى السَّيِّئات بالحسنات العظيمة، والأعمال الصَّالحة.

هكذا المصائب الَّتي تُصيب العبد من الأمراض وغيرها، يُكَفِّر بها بعض الخطايا، وهكذا استغفار المؤمنين ودعاؤهم له، وهكذا الصَّدقات، كلّها من أسباب التَّكفير: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] نسأل الله للجميع التَّوفيق.

○ مسألة: **الخوف ثلاثة أقسام**:

القسم الأوَّل: خوف الشِّرك، أن تخاف الأصنام، أو أصحاب القبور، أو الأشجار، أو الأحجار، أو الجن، أو غيرهم من الغائبين أن يفعلوا بك ما يضرك؛ لاعتقاد أنَّهم يستطيعون ذلك بغير أسباب حسية، بل بقدرتهم الخاصة، فهذا هو الشِّرك الأكبر(١).

القسم الثَّاني: أن تخاف المخلوق مما يقدر عليه كخوف السلطان، وخوف الظالم، وخوف اللصوص، هذا الخوف لا حرج فيه، ويتخذ الأسباب، مثلما قال الله عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ٢١] خاف من فرعون، وقومه من الظلمة، فإذا خاف الظالم واتقى شره بالبعد

(١) فهذا الخوف وهو الَّذي يدخل في ديوان الظلم الأكبر.

عنه، أو بالاعتذار إليه، أو خاف من اللصوص، فجعل الحرس وأغلق الباب ونحو ذلك كل هذا لا بأس به.

القسم الثَّالث: الخوف الطبيعي، كالخوف من البرد، فيتخذ اللِّباس الجيِّد، الخوف من الحر فيتخذ المبردات، يخاف من العقرب والحية ونحوها، فيتخذ الأسباب الَّتي تقيه منها، لا حرج في هذا الخوف، ولا بأس به[(١)].

المقصود: إذا كان يخاف المخلوق خوفًا طبيعيًا، خوفًا له أسباب، لا يكون من الشِّرك، الخوف الَّذي يعتقد فيه أنَّهُ يعلم أموره، ويعلم الغيب، وأنَّه ينفع ويضر بقدرته أو ما أشبه ذلك، أمَّا الخوف الَّذي له أسباب، كخوف الشخص أو خوف السراق أو ما أشبهه، مثلما في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ٢١]

○ مسألة: **في الصَّلاة والغيبة:**

وسُئل سماحته عن ترك الصَّلاة من أي الدَّواوين؟

فقال: ترك الصَّلاة من الكفر الأكبر، من ديوان الظلم الأكبر، وكذلك الاستهزاء بها أيضًا من ديوان الظلم الأكبر، نسأل الله العافية من ذلك.

وسئل عن الغيبة من أي الدَّواوين هي؟

فقال: الغيبة من ديوان ظلم العباد: إذا سمحوا له وعفو عنه، أو دعا لهم وذكرهم بالأعمال الطَّيِّبة الَّتي يعرفها منهم، وتاب إلى الله وندم، وكفر عن ذلك بذكرهم بحسناتهم الطَّيِّبة، وأعمالهم الطَّيِّبة بدلًا من أعمالهم الخبيثة يرجى له أن الله يعفو عنه، وتكون كفارة له.

أمَّا المجاهر بالمعاصي ليس له غيبة قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ**»[(٢)] الَّذي يشرب الخمر في السوق ليس له غيبة، الَّذي يحلق لحيته ما له غيبة في اللَّحية وما أشبه ذلك، فيما أظهر من المعاصي

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ ابن باز (٨/ ٢٨١، ٢٨٢).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٦٩) ومسلم، برقم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والمنكرات، لا غيبة له فيه، نسأل الله العافية.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«**ولما كان الشِّرك أعظم** الدَّواوين الثلاثة عند الله عَزَّ وَجَلَّ؛ حرَّم الجنَّة على أهله، فلا تدخل الجنَّة نفس مشركة، وإنَّما يدخلها أهل التَّوحيد، فإنَّ التَّوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له، لم يمكن الفتح به.

وأسنان هذا المفتاح هي: الصَّلاة، والصِّيام، والزَّكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وبر الوالدين، فأيُّ عبدٍ اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التَّوحيد، وركب فيه أسنانًا، من الأوامر، جاء يوم القيامة إلى باب الجنَّة ومعه مفتاحها الَّذي لا يفتح إلَّا به، فلم يَعُقْه عن الفتح عائق اللَّهم إلَّا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتَّوبة والاستغفار، فإنَّه يحبس عن الجنَّة حتَّى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده، فلا بد من دخول النَّار ليخرج خبثه فيها، ويتطهر من درنه ووسخه.

ثُمَّ يخرج منها فيدخل الجنَّة، فإنَّها دار الطَّيِّبين لا يدخلها إلَّا طيِّب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النَّحل: ٣٢]وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٧٣] فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الَّذي يؤذن بأنَّه سبب للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم ادخلوها.

وأمَّا النَّار: فإنَّها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

فاللَّه تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه، كما يُركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثُمَّ يجعله في جهنَّم مع أهله، فليس فيها إلَّا الخبيث، ولما كان النَّاس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة:

دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار الَّتي تفنى، وهي دار العصاة، فإنَّه لا يبقى في جهنَّم من عصاة الموحِّدين أحد، فإنَّهم إذا عُذِّبوا بقدر أعمالهم أخرجوا من النَّار فأدخلوا الجنَّة، ولا يبقى إلَّا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»[١].

الشرح:

إنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جعل الدواوين الَّتي يؤخذ بها النَّاس ثلاثة:

ديوان: لا يغفر الله منه شيئًا: وهو الشِّرك الأكبر.

وديوان: لا يترك الله منه شيئًا، وهو المظالم بين العباد.

وديوان: لا يعبأ الله به، وهو تحت مشيئته، وهو المعاصي الَّتي بين العبد وبين ربّه.

والجنَّة دار الطَّيِّبين: الَّذين سلموا من أنواع الخبث كلّها، فمن سلم من الشِّرك كله، والمعاصي صار إلى الجنَّة، دار الطَّيِّبين، فيقال لهم يوم القيامة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزُّمَر: ٧٣] صاروا طيِّبين فاستحقوا الجنَّة بسبب أعمالهم الطَّيِّبة الَّتي استقاموا عليها حتَّى الموت.

ودار هي دار للخبث: وهي النَّار لها من تم خبثه، وهو المشرك الكافر، فهذا يساق إلى النَّار وبئس المصير؛ لأنَّه خبيث لا طيب فيه؛ لأنَّ الشِّرك يحبط الأعمال فيساق إلى النَّار، ويبقى فيها أبد الآباد، كما

---

(١) قرئ بتاريخ (١١/٥/١٤١٢هـ) و(١٠/٨/١٤١٤هـ) وبـ (٢٩/٥/١٤١٧هـ).
ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٣٣، ٣٤).

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ الآية [الزُّمَر: ٧١].

هذه الدار هي لأهلها، وهم الكفرة الَّذين ماتوا على الخبث التام، ليس عندهم طيب، ليس عندهم توحيد، فلهم النَّار، والجنَّة عليهم حرام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائدة: ٧٢].

وهناك خبث وطيب توحيد معه معاصٍ، فهذا إن تاب الله عليه، وعفا عنه وطاب، دخل الجنَّة، بزوال الخبث بالتَّوبة والعفو عنه، أو بتكفير السَّيِّئات بأشياء مُكفرة، كَفَّر الله بها خطاياه، أو بالأسباب الَّتي زال الله بها خبثه، من المصائب، والشدائد الَّتي أصابته، أو بحسنات عظيمة فعلها، أو دعاء المسلمين له، وغير ذلك من الأسباب فيلحق بالطَّيِّبين لزوال الخبث، بتوبته.

وهناك قسم لم تحصل لهم توبة، ولم يعف الله عنهم، وهم موحِّدون، هؤلاء لا بدَّ من تطهيرهم، إن ماتوا على معاصيهم، هم معهم التَّوحيد مسلمون موحِّدون؛ لكن عندهم شيء من المعاصي و، فهؤلاء يتم من تطهيرهم قبل دخول الجنَّة، من ماتوا على الأعمال السَّيِّئة، ولم يتوبوا ولم يعف عنهم، يدخلهم الله النَّار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعذبون فيها على قدر معاصيهم، ثُمَّ يخرجهم الله من النَّار إلى الجنَّة، لزوال الخبث بالتطهير بالتعذيب.

فإذا هذبوا ونقوا بتطهيرهم من سيِّئاتهم بالعذاب: «**يُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ، كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**(١)»(٢) فإذا تم خلقهم دخلوا الجنَّة.

(١) هو ما يجيء به السيل من طين أو غُثاء وغيره.. فإذا اتّفقت فيه حبّة واستقرت على شطّ مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسادهم إليهم بعد إحراق النار لها. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير (ص٢٣٣) حرف الحاء، باب الحاء مع الميم، مادة: [حمل].

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٢، ٦٥٦٠) ومسلم، برقم (١٨٣) ومطولًا (١٨٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه طبقة من النَّار لهؤلاء الخبثاء، الَّذين خبثهم عارض ليس بمستحكم، أمَّا الخلود في النَّار لمن خبثه كامل.

فالواجب على المؤمن المكلّف أن يحذر الخبث كلّه، أن يحذر السَّيِّئات كلها، وأن يحرص أن يكون طيِّبًا في أقواله وأعماله، حتَّى يدخل الجنَّة من أوَّل وهلة، وحتَّى يكون من الطَّيِّبين الَّذين يقال لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزُّمَر: ٧٣].

وليحذر الإصرار على السَّيِّئات، ويبتعد عنها، وإذا ابتلي بشيء منها فليبادر بالتَّوبة، حتَّى لا يموت عليها، على المعصية، فليبادر بالتَّوبة، والإصلاح والله يتوب عليه.

[في حضور القلب في الصَّلاة][(١)]

«وقوله في الحديث: «**وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**»[(٢)] الالتفات المنهيُّ عنه في الصَّلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله ﷻ إلى غير الله تعالى.

والثَّاني: التفات البصر، وكلاهما منهيٌّ عنه، ولا يزال الله مقبلًا على عبده ما دام العبد مقبلًا على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه، وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «**اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَان مِن صَلَاةِ العَبْدِ**»[(٣)].

وفي أثر يقول الله تعالى: «**إِلَى خَيْرٍ مِنِّي؟! إِلَى خَيْرٍ مِنِّي؟!**»[(٤)].

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السُّلطان فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالًا، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأنَّ قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظنُّ هذا الرَّجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقلُّ المراتب في حقِّه أن ينصرف من بين يديه

(١) هذا العنوان من وضع المحقق، كما في (ص٣٥) وما قرئ على سماحته في التسجيل الصوتي الَّذي وجدته، وفي تحقيق: حسن أحمد إسبر، عنوان غيره [النهي عن الالتفات في الصَّلاة] (ص٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٢).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البزار كما في «**البحر الزخار**» (١٦/ ٢٠٠ برقم٩٣٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الهيثمي: في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٨٠ برقم ٢٤٢٧) فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو ضعيف.

ممقوتًا مبعدًا، قد سقط من عينيه؟

فهذا المصلِّي: لا يستوي والحاضر القلب، المقبل على الله تعالى في صلاته الَّذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته وذلَّت عنقه له، واستحى من ربِّه تعالى أن يقبل على غيره، أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما، كما قال حسان بن عطية: «**إن الرجلين ليكونان في الصَّلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض**»(١) وذلك أنَّ أحدهما مقبل بقلبه على الله ﷻ، والآخر ساه غافل.

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله، وبينه، وبينه حجاب لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظّن بالخالق ﷻ، وإذا أقبل على الخالق ﷻ وبينه، وبينه حجاب الشَّهوات والوساوس، والنَّفس مشغوفة بها ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا، وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب.

والعبدُ إذا قام في الصَّلاة غار الشَّيطان منه، فإنَّه قد قام في أعظم مقام وأقربه، وأغيظه للشَّيطان وأشدِّه عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد ألَّا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتَّى يهون عليه شأن الصَّلاة، فيتهاون بها فيتركها.

فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد وقام في ذلك المقام، أقبل عدوُّ الله تعالى حتَّى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصَّلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتَّى ربَّما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها، فيذكره إيَّاها في الصَّلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربّه ﷻ، الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصَّلاة، فإنَّ الصَّلاة إنَّما تكفر سيِّئات من أدى حقَّها، وأكمل خشوعها ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه.

---

(١) أخرجه عنه ابن المبارك في «**الزهد**» برقم (٢٤).

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحةً وَرَوْحًا حتَّى يتمنى أنَّهُ لم يكن خرج منها؛ لأنَّها قرَّة عينه، ونعيم روحه وجنَّة قلبه ومستراحه في الدُّنيا، فلا يزال كأنَّه في سجن وضيق حتَّى يدخل فيها فيستريح بها، لا منها، فالمحبُّون يقولون: نصلِّي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيّهم ﷺ: «**يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»[(١)] ولم يقل: أرحنا منها.

وقال ﷺ: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(٢)] فمن جعلت قُرَّةُ عينه في الصَّلاة كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه، الَّذي قُرَّةُ عينه في الصَّلاة، هي الَّتي تصعد، ولها نور وبرهان، حتَّى يُستقبل بها الرَّحمن ﷻ، فتقول: «**حَفِظَكَ اللهُ تَعَالَى كَمَا حَفِظْتَنِ**» وأمَّا صلاة المفرِّط المضيِّع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنَّها تُلف كما يُلف الثَّوب الخَلق، ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: «**ضَيَّعَكَ الله كَمَا ضَيَّعْتَنِي**»[(٣)].

وقد روي في حديث مرفوع، رواه بكر بن بشر، عن سعيد بن سنان[(٤)] عن أبي لزاهرية، عن أبي شجرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه أنَّهُ

---

(١) أخرجه عن رجل من خزاعة، أبو داود، برقم (٤٩٨٥) والإمام أحمد (٥/ ٣٦٤ برقم ٢٣١٣٧).

(٢) أخرجه النَّسائي، برقم (٣٩٣٩) عن أنس رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ١٧٤ برقم ٢٦٧٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «**الأوسط**» (٣/ ٢٦٣ برقم ٣٠٩٥) عن أنس رضي الله عنه قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٣٧٧ برقم ١٦٧٧) رواه الطبراني في الأوسط: وفيه عباد بن كثير، وقد أجمعوا على ضعفه، وينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٢٩٠ ترجمة رقم ٣١٣٩).

(٤) أبو مهدي الحمصي متروك، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع، من الطبقة الثامنة، مات سنة (٣ أو ٨ و٦٠ بعد ٢٠٠) أخرج له ابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» لابن حجر (ص٢٣٧ ترجمة رقم٢٣٣٣).

قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يتم الوضوء إلى أماكنه، ثُمَّ يقوم إلى الصَّلاة في وقتها، فيؤديها لله ﷻ لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئًا إلَّا رفعت له إلى الله ﷻ بيضاء مسفرة يستضيء بنورها ما بين الخافقين حتَّى يُنتهى بها إلى الرَّحمن ﷻ**».

ومن قام إلى الصَّلاة، فلم يكمل وضوؤها وأخرها عن وقتها واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة، ثُمَّ لا تجاوز شعر رأسه، تقول: «**ضَيَّعَكَ الله كَمَا ضَيَّعْتَنِي، ضَيَّعَكَ الله كَمَا ضَيَّعْتَنِي**»[(١) (٢)].

الشرح:

هذه المباحث كلّها تتعلق بحديث الحارث الأشعري، الَّذي رواه الإمام أحمد والترمذي بإسناد صحيح، أن يحيى بن زكريا أمره الله أن يبلغ بني إسرائيل خمس كلمات، منها: أنَّه أمره أن يأمرهم بتوحيد الله، والإخلاص له، وترك الإشراك به.

والثَّاني: **أمرهم** بالصَّلاة، وقال: «**إِنَّ الله يَنْصِبُ وَجْهَهُ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**» فإذا التفت انصرف الله عنه، هذا فيه الحث على العناية بالصَّلاة، وأنَّها محل تعظيم الرَّبّ جَلَّ وَعَلَا، فهي عمود الإسلام، وقُرَّةُ عين النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهي تحفظ الدِّين، لمن حفظها، حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع، ومن أداها

(١) إسناده ضعيف جدًا ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٣٩ ح١) فيه سعيد بن سنان، وقد ورد معناه عن بعض الصَّحابة أخرجه أبو داود الطيالسي (١/ ٤٧٩ برقم ٥٨٦) عن عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ١٤٥ برقم٢٧٣٤) رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه، وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلي، وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون. ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٩٦ ترجمة رقم٢٩٠).

(٢) قرئ بتاريخ (١٢/ ٥/ ١٤١٢هـ) و(٥/ ٦/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٣٥- ٣٩).

بخشوع وإقبالٍ عليها، وقعت موقعًا عظيمًا من الله ﷻ.

فينبغي للمؤمن: أن يعتني بها، وأن يقبل عليها بقلبه وقالبه، وأن يحذر من التفات قلبه أو وجهه عن صلاته إلَّا من حاجة في التفات الرأس، إذا كان هناك حاجة، فلا بأس، كما التفت النَّبِيّ ﷺ في قصة الشخص الَّذي بعثه، فنظر هل جاء أم لا؟[(١)].

وفي قصة إمامة الصِّديق بالنَّاس، فلما جاء النَّبِيّ ﷺ وشق الصفوف، أخذ الصَّحابة في التَّصفيق، فالتفت الصِّديق، فرأى النَّبِيّ ﷺ فأشار له النَّبِيّ أن يبقى، فتأخر الصِّديق، وتقدَّم النَّبِيّ ﷺ[(٢)] ولم ينكر عليه التفاته من أجل الحاجة.

فالمقصود: أنَّ الالتفات في الصَّلاة مكروه بالوجه إلَّا من حاجة، لحديث عائشة ﵂ لما رواه البخاري في الصَّحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: هو «**اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَان مِن صَلَاةِ العَبْدِ**» يعني: انتقاص ينتقصه الشَّيطان، وهو نوع من العبث، فيكره في الصَّلاة إلَّا من حاجة، أما قلبه فالواجب: أن يقبل على الصَّلاة، ويهتم بها ويعظمها.

والله سبحانه يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢] فالواجب الطمأنينة فيها حتَّى يؤديها بقلب حاضر، عاقلٍ لها مطمئنٍ فيها، ولما صلَّى رجل من الأعراب عند النَّبِيّ ﷺ فنقر صلاته أمره أن يعيدها، وقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، وَعَلَّمَهُ الطُّمَأْنِينَة**»[(٣)] فهذه الصَّلاة هي عمود الإسلام، وهي أهم أركان الإسلام بعد الشَّهادتين.

فالواجب العناية بها والإقبال عليها، وأن تؤديها بإكمال شروطها،

---

(١) لعله يعني: ما أخرجه أبو داود، برقم (٩١٦) عَن سَهْلِ ابنِ الحَنْظَلِيَّةِ، قَالَ ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، يَعْنِي صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله يُصَلِّي وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ.. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣٦٢ برقم ٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٤) ومسلم برقم (٤٢١) عن سهل ﵁.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٥٧) ومسلم، برقم (٣٩٧) عن أبي هريرة ﵁.

وأركانها وواجباتها، ومن أهم ما يكون فيها حضور قلبك، بين يدي الله، مقبل على الله، تريد وجهه الكريم، وأن تحذر الوساوس والمشاغل، وتذكر دائمًا قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢] ومن أداها هكذا كانت له يوم القيامة نورًا وبرهانًا ونجاةً، ومن غفل عنها ولم يعتن بها، لم تكن له نورًا ولا برهانًا، نسأل الله العافية.

فالواجب على المؤمن: أن يعتني: بالصَّلاة، فهي عمود الإسلام، وأعظم الأركان بعد الشَّهادتين، فليؤدها كما أمر الله، ويستحضر عظمتها في قلبه، ناصبًا قلبه إلى ربِّه جَلَّ وَعَلَا، معظمًا ذاكرًا شاكرًا مستغفرًا حتَّى ينتهي، رزق الله الجميع التَّوفيق والهداية.

وسئل عن حديث «**تُلف كما يُلف الثَّوب الخَلق**» فقال: هو حديث ضعيف كما قال المؤلف، لكن إذا أداها بأركانها وواجباتها صحت، وإذا كان فيها غفلة يكون ثوابها ناقصًا.

وإن كانت الغفلة شديدة في جميع الصَّلاة؛ لكن أداها كما أمر الله بركوعها وسجودها وقراءتها يكون أدَّى الفريضة ويكون ثوابها بحسب حضور قلبه وخشوعه، ولا تلزمه إعادتها، فلا أحد يسلم من الغفلة.

وسئل فيمن التفت عن القبلة بجسمه؟ فقال: إذا تعمد ذلك تبطل صلاته إلَّا من حاجة، يلتفت برأسه فقط، أمَّا بجملته تبطل صلاته نسأل الله العافية.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالصَّلاة المقبولة، والعمل المقبول: أن يصلي العبد صلاة تليق بربِّه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتليق به كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلِّي العبد ويعمل سائر الطَّاعات وقلبه متعلق باللَّه ﷻ، ذاكر لله ﷻ على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله ﷻ، حتَّى

تقف قبالته فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله ﷻ، متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثَّاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله ﷻ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها؛ ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتَّى تعرض عليه يوم القيامة، فتميز فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها.

فهذا قبوله لهذا العمل إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب، والحور العين، وإثابة الأول رضا العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون والأول لون، والنَّاس في الصَّلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرِّط، وهو الَّذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثَّاني: مَن يُحافظ على مواقيتها وحدودها، وأركانها الظاهرة، ووضوئها؛ لكن قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثَّالث: مَن حَافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوِّه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهادٍ.

الرَّابع: مَن إذا قام إلى الصَّلاة أكمل حقوقها، وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها، لئلا يضيِّع شيئًا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصَّلاة وعبودية ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها.

الخامس: مَن إذا قام إلى الصَّلاة قام إليها كذلك؛ ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربِّه ﷻ، ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنَّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربِّه، فهذا بينه وبين غيره في الصَّلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربِّه ﷻ قرير العين به.

فالقسم الأوَّل: معاقب، **والثَّاني**: محاسب، **والثَّالث**: مُكفَّر عنه، **والرَّابع**: مُثاب، **والخامس**: مُقرَّبٌ من ربِّه؛ لأن له نصيبًا ممن جعلت قُرَّةُ عينه في الصَّلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدُّنيا، قرت عينه بقربه من ربِّه ﷻ في الآخرة، وقرت عينه أيضًا به في الدُّنيا، ومن قرت عينه باللَّه، قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه باللَّه ﷻ تقطعت نفسه على الدُّنيا حسرات»[(١)].

الشرح:

هذا البحث العظيم مقصوده بيان حال العبد في عباداته لله ﷻ، وفي أعماله، وأنَّ العباد في هذا أقسام، وأن أعلاهم قسمًا، وأفضلهم عملًا من استغرق قلبه في العبادة لله وحده، إخلاصًا وتصديقًا، ومتابعة للرَّسول ﷺ هذا هو أكملهم إيمانًا وأكملهم عبادةً، أن يشتغل قلبه بهذه العبادة، حتَّى يؤديها على أكمل وجه، مجتهدًا قلبه مشغولًا بها كأنَّه ينظر إلى ربِّه ويشاهده.

وهذا مقام الإحسان: **أن تعبد الله كأنك تراه**، وهو في حال صلاته، وصيامه، وصدقاته، وجميع أعماله، مشغول باللَّه مُعتنٍ بهذه العبادة كأنَّه يشاهد الله، كأنَّه يرى الله، فهذا في أعلى المراتب، وصلاته وعباداته في أعلى المراتب، من جهة الإخلاص والإكمال، والعناية، حتَّى يؤديها على خير وجه، لكونه عَبد الله كأنه يراه.

---

(١) قرئ بتاريخ: (١٢/ ٨/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٣٩- ٤١).

الثَّاني: دون ذلك، مجتهد مخلص؛ لكن دون الأول، لم يرتق إلى درجة المشاهدة، فصار إلى درجة المراقبة، يعتقد أن الله يطلع عليه ويراه، وأنَّه مراقب من جهة الله، وهو مجتهد في العمل، فهو في درجة عالية أيضًا؛ لكن الأول أفضل منه، وهناك درجات ثلاث أخرى في الصَّلاة وغيرها من الأعمال، فالمجموع خمسة أنواع:

النوع الثَّالث: ظالم لنفسه، بتقصيره، وعدم قيامه بالواجب، واجبات العمل وشروطه، فلم يؤده كما ينبغي، فهو على خطر عظيم، ويستحق العقاب.

النوع الرَّابع: شُغل بالعمل؛ لكن كثرت عليه الوساوس، وغلبت عليه الغفلة، فهذا يجزئه؛ لكنه في مرتبة ضعيفة؛ لأنَّ إخلاصه وعمله شابه الجهل والغفلة، والهواجس الكثيرة، حتَّى شغلته عن كمال الإخلاص، وكمال المتابعة.

النوع الخامس: مجاهد، يجاهد نفسه في وساوسه، ويجتهد في أداء العمل، فهو في منازلات مع الشَّيطان بهذه الوساوس، فهذا مثاب، وعلى خير عظيم؛ لكنه دون درجة من صلى وتعبد أنَّهُ كان يراقب الله، أو أنَّهُ كان يرى أن الله يراه، فالمراتب خمس، كما تقدَّم.

فعليك يا عبد الله: أن تسعى في تحصيل الدرجات العالية، وأن تستحضر مقام الله، بهذه الأعمال، وأن تجتهد في أن تعمل كأنك ترى الله، أو على الأقل تجتهد على أنك تعمل، وأن الله يراك ويطلع عليك، حتَّى تستحي منه، حتَّى لا تقصر في العمل، تعتقد في أنك في مرأى من الله، وأن الله يراقبك.

كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحج: ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١] قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

فأنت مراقب فاجتهد في إكمال العمل، في صلاتك وصومك

وحجك، وجهادك، وبرك بوالديك، وصدقك في الحديث، وغير هذا، اجتهد في أن تعمل، مستحضرًا أن الله يراقبك، ويطَّلع على عملك، وإذا ارتفعت همتك، وارتفعت نفسك إلى استحضار أنَّك تشاهد الله، وأنَّك تعمل كأنك ترى الله، فهذه أعلى المراتب، أن تعبد الله كأنك تراه، مرتبة الإحسان العليا، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وقد روي**: أنَّ العبدَ إِذَا قام يصلِّي، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «**ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي، فإذا التفت قال أرخوها**»[(١)] وقد فُسِّر هذا الالتفات، بالتفات القلب عن الله عَزَّ وَجَلَّ إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره أرخى الحجابَ بينه العبد، فدخل الشَّيطان، وعرض عليه أمور الدُّنيا، وأراه إيَّاها في صورة المرآة.

وإذا أقبل بقلبه على الله، ولم يلتفت لم يقدر الشَّيطان على أن يتوسط بين الله تعالى، وبين ذلك القلب، وإنَّما يدخل الشَّيطان إذا وقع الحجاب، فإن فرّ إلى الله تعالى، وأحضر قلبه فر الشَّيطان، فإن التفت حضر الشَّيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوِّه في الصَّلاة.

[(٢)] **وإنَّما يقوى العبد** على حضوره في الصَّلاة، واشتغاله فيها بربِّه عَزَّ وَجَلَّ، إذا قهر شهوته وهواه، وإلَّا فقلب قد قهرته الشَّهوة، وأسره الهوى، ووجد الشَّيطان فيه مقعدًا تمكن فيه، كيف يخلص من الوساوس والأفكار[(٣)].

---

(١) ذكره ابن القيم، وجميع محققي «**الوابل الصيب**» لم يذكروا له تخريجًا. ينظر: تحقيق: الأرناؤوط (ص ٢٩) وتحقيق: عيون (ص ٤١) وتحقيق: إسبر (ص٣٨) وتحقيق ابن قايد (ص٥٠) ولم أقف له على تخريج.

(٢) في موضع المعكوفتين في نسخ «**الوابل الصيب**» «فصل» تحقيق: ابن قايد (ص٥٢) وتحقيق: إسبر (ص٣٨).

(٣) قرئ بتاريخ (١٧/ ٥/ ١٤١٢هـ) و(٦/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيد ذلك القارئ في نسخة كتابه «**الوابل الصيب**» (ص ٤٢). والَّتي زودنا بها رَحِمَهُ اللَّهُ.

والقلوب ثلاثة:

قلبٌ خالٍ من الإيمان، وجميع الخير، فذلك قلب مُظلم قد استراح الشَّيطان من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنَّه قد اتخذه بيتًا ووطنًا، وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثَّاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه؛ لكن عليه ظلمة الشَّهوات، وعواصف الأهوية، فللشَّيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوِّه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوِّه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثَّالث: قلبٌ محشو بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حُجُبُ الشَّهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في قلبه إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد، لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشَّيطان يتخطاها رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السَّماء.

والسَّماء مُتعبد الملائكة، ومستقر الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة، والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدوّ، فلا ينال منه شيئًا إلَّا خطفه.

وقد مُثل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت:

بيت للملك: فيه كنوزه، وذخائره، وجواهره.

وبيت للعبد: فيه كنوز العبد، وذخائره وجواهره، وليس كجواهر الملك وذخائره، **وبيت خال**: صفر لا شيء فيه، فجاء اللِّص يسرق من أحد البيوت، فمن أيُّها يسرق؟

فإن قلتَ: من البيت الخالي كان مُحالًا؛ لأنَّ البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق؛ ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: «**إنَّ اليَهُودَ تَزعُم أنَّها لَا**

تُوسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشَّيطان بالبيت الخراب»[١].

وإن قلتَ: يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإنَّ عليه من الحرس واليزك[٢] مالا يستطيع اللِّص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه، وكيف يستطيع اللِّصُ الدُّنوَّ منه، وحوله من الحرس والجند ما حوله!؟ فلم يبق للِّص إلَّا البيت الثَّالث، فهو الَّذي يشن عليه الغارات.

فليتأمل اللَّبيب: هذا المثال حقَّ التأمل، ولينزله على القلوب، فإنَّها على منواله.

فقلب خلا من الخير كله، وهو قلب الكافر والمنافق، فذلك بيت الشَّيطان قد أحرزه لنفسه واستوطنه، واتَّخذه سكنًا ومستقرًا، فأيُّ شيء يسرق منه، وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه، وخيالاته، ووساوسه.

وقلبٌ قد امتلأ من جلال الله ﷻ، وعظمته ومحبته، ومراقبته والحياء منه، فأيُّ شيطان يجترئ على هذا القلب!! وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق منه؟ وغايته: إن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب، يحصل له على غِرَّة من العبد، وغفلة لا بدَّ له منها؛ إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه، من الغفلة والسهو والذُّهول وغلبة الطبع.

وقد ذكر عن وهب بن مُنَبِّه رحمه الله تعالى: أنَّهُ قال: في بعض الكتب الإلهية: «**لَسْتُ اسْكن البُيُوت، وَلَا تَسَعُنِي، وَأَيُّ بَيْتٍ يَسَعُنِي وَالسَّمَوَاتِ حَشْوَ كُرْسِي، وَلَكِنْ أَنَا فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ الوَادِعِ التَّارِكُ لِكُلِّ**

---

(١) قال ابن قائد: أخرج قريبًا منه عن العلاء بن زياد الإمام أحمد في «**الزهد**» (٢٥٥) وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٢/ ٢٤٥) ولم أقف عليه من قول ابن عباس. ينظر: تحقيقه لـ «**الوابل الصيب**» (ص٥٣، ٥٤).

(٢) كلمة فارسية معناها طليعة الجيش، ينظر: «**المعجم الذهبي**» للتنوجي (٦١٩) و«**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**» للخطيب (٤٤٦) و«**الوابل الصيب**» تحقيق: الأرناؤوط (ص٣٠) وتحقيق ابن قائد: (ص٥٤) وتحقيق: حسن أحمد إسبر (ص ٤٠).

شَيْءٍ سِوَاي»(١) وهذا معنى الأثر الآخر: «**مَا وَسِعَتْنِي سَمَوَاتِي وَلَا أَرْضِي، وَوَسِعَنِي قَلْب عَبْدِي المُؤْمِنِ**»(٢).

وقلبٌ: فيه توحيد الله تعالى ومعرفته، ومحبته والإيمان به، والتَّصديق بوعده ووعيده، وفيه شهوات النَّفس وأخلاقها، ودواعي الهوى والطبع.

وقلبٌ بين هذين الدَّاعيين، فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى، وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الشَّيطان، والهوى والطباع، فهذا القلب للشَّيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويعطي الله النصر من يشاء: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وهذا لا يتمكن الشَّيطان منه إلَّا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشَّيطان فيجد سلاحه عنده، فيأخذه ويقاتله به، فإنَّ أسلحته هي الشَّهوات والشُّبهات والخيالات والأماني الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشَّيطان فيجدها عتيدة، فيأخذها ويصول بها على القلب. فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدَّة، وتزيد عليها انتصف من الشَّيطان، وإلَّا فالدولة لعدوِّه عليه، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، فإذا أَذِنَ العبد لعدوِّه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكنه من السِّلاح يقاتله به، فهو الملوم.

فَنَفْسَكَ لُمْ وَلَا تَلُمْ المَطَايَا ... وَمُتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِذَارُ»(٣)

---

(١) أخرجه بنحوه في «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٤٦) والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٥/ ٤٤٧ برقم ٣٦٩٩).

(٢) وتمامه: «**اللَّيِّنِ الوَادِعِ**» ذكره الغزالي فِي «**الإحياء**» وقال مخرج «**الإحياء**» العراقي: لم أر له أصلًا، وكذا قال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النَّبِيِّ ﷺ. ينظر: «**اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة**» للزركشي (ص١٣٤) و«**المقاصد الحسنة**» للسخاوي (ص٥٨٩ برقم٩٩٠) **وقال سماحته:** ليس له أصل ثابت عن النَّبِيِّ ﷺ إنَّما هو من الإسرائليات.

(٣) البيت لم ينسب لشاعر بعينه: وهو في «**الزهرة**» لمحمد بن داود (١/ ٤٩٤) =

الشرح:

هذه البحوث تابعة لما قبلها، والمؤلِّف يُبيِّن حال الشَّيطان مع العبد، وأنَّ العبدَ على أقسام، تارة يكون خاليَ القلب من الإيمان والتَّوحيد، فهذا الشَّيطان قد اتخذ قلبه بيتًا له، كاليهود والنَّصارى، وسائر الكفرة، قد أحرزهم واتخذهم محل سلطانه، ومحل أشيائه ومحل لعبه بهم؛ لأنَّهم قد خلت قلوبهم من الإيمان الَّذي يدفعه، وينقذهم منه، فقلوبهم هي بيت الشَّيطان، ومحل سلطانه.

وقلبٌ مؤمن: لكن عنده معاصي، وأهواء وشهوات، فللشَّيطان معه كرات ومنازلات، فتارة يغلبه الشَّيطان، وتارة يَغلب الشَّيطان، والحرب سجال، والمعصوم من عصمه الله، والمنصور من نصره الله.

وقلب قد امتلأ: بالإيمان والاستقامة، والاستحضار لعظمة الله، والحذر من الهوى والشَّهوات، فهذا قد أعانه الله بهذه العُدد على محاربة الشَّيطان؛ لأنَّ الله رزقه القوة الإيمانية، والإخلاص والاستقامة، والبُعد عن الهوى والشَّيطان، فصار قويًا على عدوٍّ الله، ليس له عليه سلطان، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحِجر: ٤٢] فهذا قد ينال منه الشيء القليل عند الغفلة.

والإنسان بشر قد يناله بعض غفلة؛ لكن في الغالب أنَّ الشَّيطان محروم منه؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قد قواه عليه بالإيمان، والتقوى، والاستقامة، أمَّا الآخرون: فالشَّيطان قد أحرز منهم ما أحرز، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سَبَإ: ٢٠]

أمَّا ما يُروى عنه ﷺ أنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا، يقول: «مَا وَسِعَتْنِّي سَمَوَاتِّي، وَلَا أَرْضِي، وَإِنَّمَا وَسِعَنِي قَلْبَ عَبْدِي الْمُؤْمِن» فهو أثر معروف إسرائيلي، ليس له صلة بأحاديث النَّبِيِّ ﷺ، فلا أصل له من الصِّحة؛ لكن معناه

= ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥٦). تحقيق: ابن قائد. قرئ بتاريخ (١٨/ ٥/ ١٤١٢هـ) و(١٣/ ٨/ ١٤١٤هـ) و (١٢/ ٦/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٤١- ٤٥).

- لو صح - أن قلب المؤمن متسع للإيمان باللَّه، ومعرفته ومحبته، والأنس به، والشَّوق إليه، والقيام بحقِّه محبةً وخوفًا ورجاءً، كل ذلك في قلب المؤمن، قد وسع ذلك قلب المؤمن، وإلَّا فاللَّه ﷻ، فوق العرش، فوق جميع الخلق، ليس في شيء من خلقه ﷻ.

وهكذا ما يروى: أنَّ العبدَ إذا أقبل على صلاته، قال الله: «**ارفعوا الحجب، وإذا التفت، قال: أرخوها**» هذا لا تعرف صحته، ولا أعرف له أصلًا؛ لكن معناه دلَّ عليه حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه[(١)].

فالواجب في الصَّلاة أن يقبل عليها العبد بقلب حاضر، وأن يجتهد في الخشوع، واستحضار عظمة الله، في قراءته وفي ركوعه وسجوده، حتَّى يحصل له من الله الفضل العظيم، والخير الكثير.

ويحذر الوساوس الَّتي تصد قلبه عن الله، حتَّى يصد الله عنه، فمن أقبل على الله واشتغل باللَّه خوفًا ورجاءً ومحبةً منَّ الله عليه بالتَّوفيق والإعانة، والتَّسديد والإصلاح.

ومن ابتلي: بالإعراض عن الله، وبالغفلة والشَّهوات، فهو على حسب حاله مع عدوِّه، كلما كثر إعراضه عن الله غلب عليه عدوّه الشَّيطان، وكلما كثر إقباله على الله، وابتعاده عن الشَّهوات، والغضب ضعف سلطان الشَّيطان عليه، والمعصوم من عصمه الله، والموفق من وفقه الله.

فالواجب على المؤمن: أن يجتهد في محاربة عدوّ الله الشَّيطان بالاستقامة، وإحضار قلبه بين يدي الله، في الصَّلاة وفي غيرها، والحذر من الشَّهوات المحرَّمة، واتباع الهوى حتَّى يسلم من عدوّه، حتَّى يكون من عباد الله المخلصين، وفَّق الله الجميع».

(١) سبق تخريجه في (ص٩٩) وقد ذكر الموضع المشار إليه في (ص٧٤).

فصل
[في بيان فضل الصِّيام]

[عدنا إلى شرح حديث الحارث، الَّذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه][1].

«قوله ﷺ: «**وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ**»[2].

إنَّما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصُرَّة الَّتي فيها المسك؛ لأنَّها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصَّائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم.

والصَّائم: هو الَّذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطَّعام والشَّراب، وفرجه عن الرَّفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا.

وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرَّائحة الَّتي يشمها مَن جالس حامل المسك، كذلك مَن جالس الصَّائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب، والفجور والظلم، هذا هو الصَّوم المشروع، لا مجرد

(١) ما بين المعكوفتين موجود في جميع نسخ الكتاب المطبوع الَّتي اطَّلعتُ عليها، ولم يقرأ في التسجيل الصوتي الَّذي قرئ على سماحته، ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: الأرناؤوط (ص٣٢) وتحقيق: عيون (ص٤٦) وتحقيق: إسبر (ص٤٣) وتحقيق: ابن قائد (ص٥٧).

(٢) سبق تخريجه في (ص٧٤).

الإمساك عن الطَّعام والشَّراب، ففي الحديث الصَّحيح: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[١].

وفي الحديث: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ وَالعَطَشُ**»[٢]. فالصَّوم: هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشَّراب والطَّعام، فكما أنَّ الطَّعام والشَّراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم.

وقد اختُلف في وجود هذه الرائحة من الصَّائم، هل هي في الدُّنيا، أو في الآخرة على قولين، وقد وقع بين الشَّيخين الفاضلين أبي محمَّد عز الدِّين بن عبد السَّلام[٣] وأبي عمرو بن الصَّلاح[٤] في ذلك تنازع، فمال أبو محمَّد إلى أنَّ تلك في الآخرة خاصة، وصنف فيه مصنفًا، ومال الشَّيخ أبو عمرو إلى أنَّ ذلك في الدُّنيا والآخرة، وصنف فيه مصنفًا ردَّ فيه على أبي محمَّد[٥].

وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم ابن حبان[٦] فإنَّه في «صحيحه» بوب عليه كذلك، فقال: «ذكر البيان بأنَّ خُلوف فَم الصَّائم أطيبَ عند الله تعالى من ريح المسك» ثُمَّ ساق حديث الأعمش عن أبي

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٠٢) وبرقم (٦٠٥٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم (١٦٩٠) والإمام أحمد (٢/ ٣٧٣ برقم٨٨٤٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السَّلام، الملقب بسلطان العلماء. ينظر: ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي (٤/ ٢١).

(٤) هو عثمان بن عبد الرَّحمن بن عثمان. ينظر: ترجمته في «**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (٦/ ٢٥٧).

(٥) ينظر: «**التلخيص الحبير**» للحافظ ابن حجر (١/ ٦١) تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني.

(٦) هو محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان. ينظر: ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي (٦/ ٧٨) و «**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (٩/ ١٧٣).

صالح عن أبي هريرة عَن النَّبِيِّ ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلَّا الصِّيَامَ، وَالصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»[(١)] [(٢)].

ثُمَّ قال: «ذكر البيان، بأنَّ خُلُوف فم الصَّائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة» ثُمَّ ساق حديثًا من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنَّهُ سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مِن رِيحِ المِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ الله تعالى فَرِحَ بِصَوْمِهِ**»[(٣)].

قال أبو حاتم: «شعار المؤمنين يوم القيامة التَّحجيل بوضوئهم في الدُّنيا فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في يوم القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ليعرفوا من ذلك الجمع بذلك العمل جعلنا الله تعالى منهم»[(٤)].

ثُمَّ **قال**: «ذكر البيان بأن خلوف فم الصَّائم قد يكون أيضًا أطيبَ من ريح المسك في الدُّنيا» ثُمَّ ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ: «**كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا ابْنُ آدَمَ بعَشْرِ حَسَنَاتٍ**

---

(١) أخرجه ابن حبان، برقم (٣٣١٣) وأصله في البخاري، برقم (٧٤٩٢) ومسلم، برقم (١١٥١).

(٢) قرئ بتاريخ (١٩/ ٥/ ١٤١٢هـ) فيما قيده القارئ في نسخة كتابه «**الوابل الصيب**» (ص ٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان، برقم (٣٣١٤) وأصله في البخاري، برقم (١٩٠٤) ومسلم، برقم (١١٥١).

(٤) ينظر: «**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**» (ص٦٠٦) طبعة بيت الأفكار الدولية. وقرئ بتاريخ (١٣/ ٦/ ١٤١٤هـ) فيما قيده القارئ في نسخة كتابه «**الوابل الصيب**» (ص٥٠).

إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، يَقُولُ اللهُ ﷻ إِلَّا الصَّوْمَ، فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ الطَّعَامَ مِن أَجْلِي، وَالشَّرَابَ مِن أَجْلِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِين يَلْقَى رَبَّهُ ﷻ، وَلخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ حِينَ يُخْلُفُ مِنَ الطَّعَامِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه الكلمات كلها تتعلق بحديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، الحديث المتقدّم، أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا أمر يحيى بن زكريا، أن يأمر بني إسرائيل بخمس، وأن يعمل بها، ويأمرهم أن يعملوا بها، وأنَّه جمعهم في بيت المقدس، وبلغهم إيَّاها:

أوَّلها: أنَّهُ أمرهم بعبادة الله وحده، وترك الإشراك به.

والثَّاني: أنَّهُ أمرهم بالصَّلاة، وبيَّن لهم أنَّ العبدَ إذا قام إلى الصَّلاة، فإنَّ الله ينصب وجهه إلى وجه عبده، ما لم يلتفت، وتقدَّم ما يتعلق بالتَّوحيد والصَّلاة وعظم شأنهما.

والثَّالث: أنَّهُ أمرهم بالصَّوم، وأن مثل الصَّائم كمثل رجل في عصابة معه صُرّة مسك كلهم يعجبهم ريحها، وأن ريح الصِّائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأنَّ خُلوف فم الصَّائم أطيبَ عند الله من ريح المسك.

فهذا فيه الحث على الصِّيام، والترغيب فيه، وأن شأنه عظيم، بل جاءت الأدلَّة عن رسول الله ﷺ على شرعيَّة الاستكثار من الصَّوم؛ ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي» ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٣٣١٥).

(٢) قرئ بتاريخ (١٤/ ٨/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٤٦- ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٣٨) ومسلم، برقم (٧٦٠،٧٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويقول: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ**»(١) الحديث. فالصِّيام له شأن عظيم، فينبغي الإكثار منه، ولا سيما يوم الإثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر.

وأفضله أن يصوم يومًا ويفطر يومًا، هذا أفضل صِيام التطوع.

وللصَّائم فرحتان: شرعيتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه، يفرح حين يفطر؛ لأنَّه أكمل الصِّيام، واللَّه يحبُّ لعباده أن يسارعوا في الإفطار، وفي الحديث: «**أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا**»(٢).

وفرح طَبَعِي: فالنُّفوس مجبولة على محبَّة ما منعت منه إذا أُبيح لها، فهو مجبول على حب الإفطار، وتناول الطَّعام بعد غروب الشَّمس.

والفرح الثَّاني: فرحة عند لقاء ربِّه، لما له من الأجر العظيم عند الله بالصَّوم، والخلوف: أصلًا ما يتصاعد من الرَّائحة من الجوف، لخلو البطن، من آثار الطَّعام، يقال له خلوف، أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنَّه نشأ عن طاعة الله وعبادته، وتعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

واختلف أهل العلم: هل هذه الرَّائحة هي في يوم القيامة فقط، أو في الدُّنيا أيضًا، والأقرب والأظهر، ما قاله ابن حبان، وأبو عمرو ابن الصَّلاح، ومن قال بقولهما: أنَّهُ في الدُّنيا والآخرة، فقد يتبيَّن، وقد يظهر من بعض النَّاس في الدُّنيا، وقد لا يظهر، كما يأتي في كمال البحث.

قد روي أنَّ عبد الله بن غالب العابد المعروف لما دفن صار يفوح من قبره ريح المسك(٣) وكان من العباد والأخيار.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٩٠٤) واللَّفظ له، ومسلم، برقم (١١٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٧٠٠) والإمام أحمد (٢/ ٢٣٧، ٣٢٩ برقم٧٣٤٠، ٨٣٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج قصته عن مالك، الإمام أحمد في «**الزهد**» (ص٤٤٣) والبيهقي في «**الشعب**» (٤/ ٥٦ برقم٤٣٢٣).

وحدثني بعض الثِّقات المعروفين: أنَّهُ مات رفيقًا لهم، وأنَّهم كانوا بأرض فلاة، فحفروا له في تلك الأرض الفلاة، فوجدوا في الأرض الَّتي حفروها ميتًا، قديم الدَّفن، ووجدوه على حاله، يفوح من قبره ريح المسك، وهذا شاهد من شواهد قد تقع الروائح الطَّيِّبة في الدُّنيا، إظهارًا لفضل هذا الشخص، وترغيبًا في الصّوم.

كما قد تظهر آثار العبادة والصَّلاح على الإنسان عند موته: إمَّا بخاتمة حسنة، كلمات طيِّبة، أو موته على عمل صالح، أو بنور في وجهه ونحو ذلك، وكل ذلك من آثار الأعمال الصَّالحة، فينبغي للمؤمن الاستكثار من نوافل الصَّلاة، والصَّوم، والصَّدقات، والحج، والذِّكر، وسائر الأعمال الصَّالحات، ليوفق على أسباب حسن الخاتمة، ورفعة الدَّرجات، وعظيم الأجر، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **في نقصان الأجر**:

سئل سماحته هل ينقص أجر العبد إذا أظهر عمله السِّري؟

فقال: قد ينقص، الشَّيطان عدوٌّ المؤمن، دائمًا يترقب الفرص؛ ليفسد عمله أو ينقص أجره، فيجب على المؤمن أن يكون حذرًا، وأن يجاهد نفسه في تقوى الله والإخلاص له، محبةً وخشيةً، ومراقبة دائمًا، وحذرًا من عدوِّه الخبيث المتربص به.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واحتج الشَّيخ أبو محمَّد[١] بالحديث الَّذي فيه تقيِّيد الطِّيب بيوم القيامة.

قلتُ: ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مَكْلُوْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَكَلْمُهُ يَدْمَي اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ المِسْكِ**»[٢].

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله ﷻ بأنَّها كريح المسك

(١) المراد به عبد العزيز بن عبد السَّلام تقدَّمت ترجمته في (ص ١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٥٣٣) ومسلم، برقم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصَّائم، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدُّنيا، وهذا خلوف له؛ ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكًا يوم القيامة.

واحتج الشَّيخ أبو عمرو[١] بما ذكره أبو حاتم في «**صحيحه**» من تقيِّيد ذلك بوقت إخلافه، وذلك يدل على أنَّهُ في الدُّنيا، فلما قيد المبتدأ «**وَهُوَ خَلُوف فَمِ الصَّائِم**» بالظرف، وهو قوله: «**حِينَ يُخلف**» كان الخبر عنه، وهو قوله: «**أطيب عند الله**» خبرًا عنه في حال تقييده، فإنَّ المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف، كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه.

قال: وَرَوَى الحسن بن سفيان في «**مسنده**» عن جابر ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسًا**» فذكر الحديث، وقال فيه: «**وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَإِنَّهُم يُمْسُونَ وَرِيحُ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ**»[٢].

ثُمَّ ذكر كلام الشُّراح في معنى طيبه، وتأويلهم إيَّاه بالثناء على الصَّائم، والرضى بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتَّى كأنَّه قد بورك فيه، فهو موكل به، وأيُّ ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله، والرضى بفعله، وإخراج اللَّفظ عن حقيقته؟

وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى، ثُمَّ يدعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص، من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الَّذي عيَّنه، أو احتمال اللغة له.

---

(١) المراد به ابن الصَّلاح تقدمت ترجمته في (ص ١٠٦).

(٢) أخرجه في «الأربعين» لأبي العباس الحسن بن سفيان (ص٧٧ برقم ٣٧) والبيهقي في «**الشعب**» (٥/ ٢٢٠، برقم٣٣٣١) وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٢/ ٩٢) ونسبه للبيهقي، وقال: إسناده مقارب، كما في «**الوابل الصيب**» (ص٥٢) وتحقيق ابن قائد: (ص٦٢).

ومعلوم: أنَّ هذا يتضمن الشَّهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوضع اللفظ لذلك المعنى، أو عرف الشَّارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى، أو تفسيره له به، وإلَّا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم: أنَّ أطيبَ ما عند النَّاس من الرائحة، رائحة المسك، فمثل النَّبِيُّ ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنَّها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه، وغضبه، وفرحه، وكراهيته، وحبُّه، وبغضه، لا تماثل ما للمخلوق من ذلك.

كما أنَّ ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم، وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطَّيِّب، فيصعد إليه، والعمل الصَّالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا.

ثُمَّ تأويله لا إنَّ يرفع الإشكال؛ مما استشكله هؤلاء من الاستطابة، يلزم مثله في الرضى، فإن قال: رضاه ليس كرضى المخلوقين، فقولوا: استطابته ليست كاستطابة المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب.

ثُمَّ قال: وأمَّا ذكر يوم القيامة في الحديث فلأنَّه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبًا لرضا الله تعالى، حيث يؤمر باجتنابها، واجتلاب الرائحة الطَّيِّبة، كما في المساجد والصَّلوات وغيرها من العبادات، فخص يوم القيامة بالذِّكر في بعض الروايات، كما خص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العَاديَات: ١١] وأطلق في باقيها نظرًا إلى أن أصل أفضليته ثابت في **الدارين**.

قلتُ: ومن العجب ردُّهُ على أبي محمَّد بما لا ينكره أبو محمَّد ولا غيره.

فإنَّ الَّذي فسَّر به الاستطابة المذكورة في الدُّنيا بثناء الله تعالى على الصَّائمين، ورضاه بفعلهم، أمر لا ينكره مسلم، فإنَّ الله تعالى قد أثنى

عليهم في كتابه، وفيما بلَّغه عنه رسوله ﷺ ورضيَ بفعله، فإن كانت هذه هي الاستطابة، أفترى الشَّيخ أبا محمَّد ينكرها؟!

والَّذي ذكره الشَّيخ أبو محمَّد: أنَّ هذه الرَّائحة إنَّما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الَّذي يظهر فيه طيب دم الشَّهيد، ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة، فإنَّ الصَّائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، كما يجيء المكلوم في سبيل الله ﷻ، ورائحة دمه كذلك، لاسيما والجهاد أفضل من الصِّيام، فإن كان طيب رائحته إنَّما يظهر يوم القيامة، فكذلك الصَّائم.

وأمَّا حديث جابر: «**فَإِنَّهُم يُمْسُونَ وَخُلُوف أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ مِن رِيحِ المِسْكِ**» فهذه جملة حالية لا خبرية، فإنَّ خبر **أمسى** لا يقترن بالواو؛ لأنه خبر مبتدأ، فلا يجوز اقترانه بالواو، وإذا كانت الجملة حالية، فلأبي محمَّد أن يقول: هي حال مقدرة، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها؛ ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا، فقال: يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة، لم يكن التركيب فاسدًا، كأنه قال: يمسون وهذا لهم يوم القيامة.

وأمَّا قوله: «**لَخَلُوفُ فَم الصَّائِم حِينَ يَخْلُفُ**» فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له، وبيانَ إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازه، ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد، وصلاته حين يصلي، يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة، ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التَّوبة، وإلَّا فما دام مصرًا وإن لم يباشر الفعل

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٤٧٥) ومسلم، برقم (٥٧) عن أبي هريرة ﵁.

فالنفي لاحق به، ولا يزول عنه اسم الذم، والأحكام المترتبة على المباشرة إلَّا بالتَّوبة النُّصوح، والله ﷻ أعلم.

قلت: وفصل النزاع في المسألة، أن يقال: حيث أخبر النَّبِيُّ ﷺ بأن ذلك الطِّيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الَّذي يظهر فيه ثواب الأعمال، وموجباتها من الخير والشَّر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخُلُوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله، كرائحة المسك.

وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه، وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة دم الكُفَّار، وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون، فلأنَّه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها زائدًا على ريح المسك عند الله تعالى، وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد، فرب مكروه عند النَّاس، محبوب عند الله تعالى، وبالعكس.

فإنَّ النَّاس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبُّه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشَّر.

وإنَّما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد حتَّى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدُّنيا، في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الوَجْهِ، وَنُورًا فِي القَلْبِ، وَقُوَّةً فِي البَدَنِ، وَسِعَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ، وَإِنَّ لِلْسَيِّئَةِ سَوَادًا فِي الوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي القَلْبِ، وَوَهْنًا فِي البَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبغضةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ**»(١).

(١) لم اجده عن ابن عباس في حدود ما اطَّلعت عليه من المصادر والمراجع غير ذلك المصنف له هنا، وهو ما قاله ابن قائد أيضًا: في تحقيقه، ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٦٧) وورد قريبًا منه عن الحسن البصري من قوله عند ابن أبي شيبة في «**المصنف**» (١٣/ ٥٠٠) وعن سليمان التيمي عند أبي نعيم في «**الحلية**» (٣/ ٣٠).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**مَا عَمِلَ رَجُلٌ عَمَلًا إِلَّا أَلْبَسَهُ الله تَعَالَى رِدَاءَهُ، إن خيرًا فَخَيْرٌ، وَإِن شَرًّا فَشَرٌّ**»[١].

وهذا أمر معلوم يشترك فيه، وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتَّى إن الرَّجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيِّبة، وإن لم يمس طيبًا فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الَّذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا، ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى اعلم بالصَّواب»[٢].

الشرح:

إِنَّ العبادات والطَّاعات لها آثار، في القلوب والأعمال، والذِّكر عند الله، وعند عباده، فإن استقام على طاعة الله باطنًا وظاهرًا، وجاهد نفسه لله، ظهرت عليه آثار الخير من النُّور، والبركة، والتَّوفيق، والإعانة، وأحبه الخلق المؤمنون، لما ظهر عليه من آثار أعماله الطَّيِّبة.

وهكذا ضده، فمن أحبّ الشَّر وأعلنه ظهرت عليه آثار ذلك من البغض عند المخلوقين، وسوء الحال، وسوء السمعة، وغير هذا من أسباب الكراهة، بسبب أعماله الخبيثة.

وهكذا الأعمال الصَّالحات كالصَّوم والجهاد، فالصَّائم إذا أخلص صيامه لله، واجتهد، قد تظهر عليه آثار الخير، ويكون خلوفه عند الله أطيب من ريح المسك، ويوم القيامة يظهر ذلك أكثر.

وهكذا المجاهد الَّذي يُقتل في سبيل الله، يأتي وكلمه يدمي، اللَّون لون الدّم، والرِّيح، ريح المسك؛ لإظهار فضله وعمله العظيم يوم القيامة بين النَّاس.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٧) وأبو داود في «الزهد» (١/ ١١١ برقم ٩٩٩).
(٢) قرئ بتاريخ (١٥/ ٨/ ١٤١٤هـ) و(١٩/ ٦/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥٠- ٥٦).

فهذه الدُّنيا دار العمل، دار الجد والاجتهاد، فقد يظهر فيها للعباد آثار الصَّلاح والفساد على الشخص، وقد يرى ذلك بعض أهل الإيمان، من أهل القلوب الحية، وقد تخفى بالنِّسبة إلى آخرين، كحال المزكوم الَّذي لا يشم الرَّائحة، وغيره من الأصحاء يشم الرَّائحة، ويعرف أنَّ هذه الرَّائحة طيِّبة أو غير طيِّبة.

والنَّاس في رؤيتهم لهذه الآثار متباينون حسب ما أعطاهم الله من البصيرة، والعلم، والتقوى، فمن رزق البصيرة، قد يظهر له مالا يظهر لغيره، من ظاهر صالح أحوال النَّاس، وما يعملون، ما لا يعلمه الآخرون.

وهكذا مسألة الصِّيام وكونه يصوم لله، ويجتهد فتظهر آثار صومه في الدُّنيا قبل الآخرة؛ لكن ظهورها في الآخرة: أظهر وأعظم، كدم الشهيد يأتي يوم القيامة اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

والمؤمن يتحرى بأعماله الصّدق والإخلاص، حتَّى تنفعه في الدُّنيا والآخرة.

ويحذر الرِّياء، قد يكون الرِّياء في الصَّوم إذا بيَّنه للنَّاس وتحدث به من أجل أن يثنوا عليه، صار ذلك رياءً، نسأل الله العافية.

○ مسألة: **في آثار الطَّاعات:**

سئل سماحته عن ظهور آثار الطَّاعات؟

فقال: قد تكون على أصحاب الطَّاعات رائحة حسيَّة وتكون معنوية، حسيَّة بالنِّسبة لأهل الخير، والاستقامة، وقد تظهر لهم من الأعمال، ومن الأحوال ما لا تظهر لغيرهم كالصَّائم، وغالب الخلق لا يحس بها كالظاهرة الَّتي يراها النَّاس بأبصارهم، ولا يسمعونها بآذانهم.

فصل
[في فضل الصَّدقة]

«قوله: «**وَآمُرُكُمْ: بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ**»[(١)].

هذا أيضًا من الكلام الَّذي برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإنَّ للصَّدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر، فإنَّ الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كُلُّهم مُقرُّون به؛ لأنَّهم جرَّبوه.

وقد روى الترمذي في «**جامعه**» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**»[(٢)] **وكما أنَّها تطفئ غضب الرَّبّ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهي تطفئ الذُّنوب والخطايا، كما يطفئ الماء النَّار.

وفي «**الترمذي**» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه، ونحن نسير، فقال: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**»

[شعار الصَّالحين[(٣)]] ثُمَّ تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السَّجدَة: ١٦][(٤)]. وفي بعض الآثار:

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٦٦٤) وحسنه، وصححه ابن حبان، برقم (٨١٦).

(٣) ما بين المعكوفتين جملة [شعار الصَّالحين] ليست في الترمذي. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥٩ح١) وتحقيق: ابن قائد (ص٧٠ ح١).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح.

«بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ البَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ»[(١)].

وفي تمثيل النَّبيّ ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه، فافتدى نفسه منهم بماله كفاية فإنَّ الصَّدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإنَّ ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصَّدقة تفديه من العذاب وتفكه منه.

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح لما خطب النِّساء يوم العيد: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»**[(٢)] وكأنَّه حثهنَّ ورغبهنَّ على ما يفدين به أنفسهن من النَّار.

وفي «**الصَّحيحين**» عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**[(٣)].

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنَّه، قال: سألت رسول الله ﷺ مَاذَا يُنَجِّي العَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: **«الإِيمَانُ بِاللَّه»** قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، مَعَ الإِيمَانِ عَمِلٌ، قَالَ: **«أَنْ تَرْضَخَ مِمَّا خوَّلَكَ الله، أَوْ تَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَكَ اللهُ»** قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، فَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، لَا يَجِدُ مَا يُرْضَخُ؟ قَالَ: **«يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ»** قُلْتُ: إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟

---

(١) أخرجه الطبراني في «**الأوسط**» (٦/ ٩ برقم (٥٦٤٣) عن عليٍّ رضي الله عنه قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣/ ١٤٧ برقم٤٦٠٦) فيه عيسى بن عبد الله بن محمَّد وهو ضعيف، وقال: سماحته: لا أعرف حال سنده؛ لكن يذكر من باب الشواهد في الترغيب والترهيب.

(٢) باللَّفظ المذكور أخرجه الترمذي، برقم (٦٣٥) عن زينب امرأة ابن مسعود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٦٤٦ برقم ٨٧٨٤) وأصله بغير هذا اللَّفظ عند البخاري، برقم (١٤٦٦) ومسلم، برقم (١٠٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٥١٢) ومسلم، برقم (١٠١٦).

قَالَ: «**فَلْيُعِنُ الأَخْرَقَ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ لا يُحْسِنُ أَنْ يَصْنَعَ؟ قَالَ: «**فَلْيُعِن مَظْلُومًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ قَالَ: «**مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبِكَ مِن خَيْرٍ لِيُمْسِكْ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِن فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُصِيبُ خَصْلَةً مِن هَذِه الخِصَالِ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حتَّى تُدْخِلَهُ الجَنَّةَ**» ذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان(١).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ذكر لي أنَّ الأعمال تتباهى، فتقول: الصَّدقة أنا أفضلكم»(٢)(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار فيها الحث على الصَّدقة، والترغيب فيها، والصَّدقة من أفضل القُربات، لما فيها من الجود والكرم في إخراج المال المحبوب إلى النفوس، ولما فيها أيضًا من مساعدة الفقير، وسد خلته وإعانته على حاجاته، ولما فيها أيضًا من حسن الظن باللَّه، ورجاء الخلف، فالصَّدقة فيها أنواع من الخير.

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٨٠] ويقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سَبَإ: ٣٩] ويقول: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ

---

(١) أخرجه في «**شعب الإيمان**» (٣/ ٢٠٤برقم٣٣٢٨) والطبراني في «**الكبير**» (٢/ ١٥٦برقم١٦٥٠) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**»: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات (٣/ ١٧٩ برقم ٤٧٤٤) **قال سماحته**: لا أعرف حال سنده؛ لكن يذكر من باب الشَّواهد في الترغيب والترهيب.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ١١٦٦ برقم ٢٤٣٣) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٥٧٦ برقم ١٥١٨).

(٣) قرئ بتاريخ (١٨/ ٨/ ١٤١٤هـ) و(٢٠/ ٦/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٥٧- ٦١).

لَكُمْۚ﴾ [التّغَابُن: ١٧] **والقرض**: الصدقة والإحسان، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في الصَّدقة، ولو بالقليل، وفي الحديث يقول ﷺ: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**» وفي حديث معاذ، أنَّهُ قال: «**الصَّدَقَةَ** ـ صدقة السر ـ **تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**» وإن كان في هذا الحديث في سنده مقال؛ لكن له شواهد، يذكر من باب الترغيب والترهيب؛ لأنَّ الصَّدقة من أسباب ذلك، والتوفيق من أسباب رحمة الله للعبد.

ويقول ﷺ كما في الصَّحيحين من حديث عدي «**اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» وفي الحديث الآخر في الصَّحيح يقول ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ يَتَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ ـ وَلَا يَقْبَلُ الله إِلَّا الطَّيِّبَ ـ فَإِنَّ الله يُرَبِّيهَا فِي يَدِهِ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(١).

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في الصَّدقة والإحسان، والجود والكرم، ومواساة المحاويج، من الأرحام وغيرهم، فإنَّ ذلك له منزلة عند الله عظيمة، ومن أسباب تفريج الكروب، وتيسير الأمور، ودخول الجنَّة والنَّجاة من النَّار، وسرعة الخلف من الله عَجَّلَ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سَبَإ: ٣٩].

وفي الحديث الصَّحيح يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ فِيهِ العِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢) ومصداق هذا في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سَبَإ: ٣٩].

وفي هذا المثل الَّذي ضربه يحيى بن زكريا لبني إسرائيل، وأقره النَّبيّ محمَّد ﷺ فيه أنَّ الصَّدقة فيها المصلحة العظيمة، وأنَّها فدية للعبد من

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤١٠) ومسلم، برقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤٤٢) ومسلم، برقم (١٠١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النَّار، فإنَّه ذكر إنسانًا أخذه العدوّ، فأوثقوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فجعل يفدي نفسه بالقليل والكثير، حتَّى أطلق نفسه، هذا يدل على أنَّها فدية، وأنَّه متَّى أكثر من الصَّدقة يبتغي وجه الله.

فهذا من أسباب عتقه من النَّار «فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» ومتَّى اعتاد الإنسان الصَّدقة يسّر الله أمره، وانشرحت نفسه، وصار يخرجها بنفس طيِّبة.

ومتَّى لم يعتدها، غلب عليه شُح النَّفس، وصار بخله يمنعه، ونفسه تنقبض عن إخراج الصَّدقة، فالمؤمن يعود نفسه الخير، فيكون إذا عود نفسه الصَّدقة والخير، اعتاد ذلك، وصار ينبسط للصَّدقة، ويفرح بها، ويسارع إليها، وإذا لم يعود نفسه ذلك، وغلب عليه الشَّيطان، صار كلما أهم بالصَّدقة انقبض عنها.

فهذه الأحاديث والآثار كلها تفيد أنَّهُ ينبغي للمؤمن: أن يجتهد في تعويد نفسه على الصَّدقة، والجود والكرم، يمرنها على ذلك، حتَّى تعتاد الخير، وينشرح له صدره، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **في التداوي بالصَّدقة:**

وسئل عن حديث: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ».

فقال: ضعيف[(١)]؛ وكذلك حديث «**بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ البَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ**»[(٢)] لكن يُذكر مثل هذا من باب الشواهد، من باب الترغيب والترهيب.

---

(١) أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (١٠/ ١٢٨ برقم١٠١٩٦) وفي «**الأوسط**» برقم (١٩٦٣) عن عبد الله رضي الله عنه قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣/ ٧١/ برقم١٠٠٤): رواه الطبراني، وفيه موسى بن عمير الكوفي وهو متروك. وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٣٠١ برقم ١١١٢) وقال: وقد روي مرفوعًا متصلًا، ومرسلًا والمرسل أشبه. ينظر: «**المقاصد الحسنة**» للسخاوي، فقد ذكره مرفوعًا (عن ٥من الصحابة (١/ ١٠٤).

(٢) تقدَّم تخريجه في (ص١١٨) عن علي رضي الله عنه وأخرجه البيهقي، في «**شعب الإيمان**» (٣/ ٢١٤ برقم ٣٣٥٣) عن أنس رضي الله عنه.

○ **مسألة: وقف المصاحف من الصَّدقة:**

وسئل سماحته هل شراء المصاحف والكتب، وجعلها في المساجد وقفًا لله، يعتبر من الصَّدق؟

فقال: نعم هو من الصَّدقة الجارية، وهكذا لو وقف بيتًا أو أرضًا للفقراء، أو في مشاريع الخير، تعتبر صدقة جارية يلحق ثوابها صاحبها بعد الموت.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «الصَّحيحين» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ مَثَلَ البَخِيلِ وَالمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، أَوْ جُنَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا**».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ، فَرَأَيْتُهُ يُوَسِّعُهَا فَلَا تُوَسَّع**»[(١)] [(٢)].

وروى البخاري هذا الحديث في كتاب الزَّكاة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا ولفظه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ، يَقُولُ: «**مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، مِن ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا اتَّسَعَتْ ـ أَوْ وَفَرَتْ ـ عَلَى جِلْدِهِ حتَّى يَخْفَى أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ: فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٩٧) ومسلم، برقم (١٠٢١).

(٢) هذا الحديث قرئ بتاريخ (١٨/ ٥/ ١٤١٤هـ) وبتاريخ (٢٠/ ٦/ ١٤١٧هـ) ثُمَّ تمت إعادة قراءته.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (١٤٤٣).

وَرُوي عن أبي بردة عَن أَبِيهِ عَن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله فَمَن لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**فَلْيَعْمَل بِالمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**»[(١)].

ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البر والخير، كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصَّدر ممنوع من الانشراح، ضيق العطن صغير النَّفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه، بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله، فبقي قلبه في سجنه كما هو.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصَّدقة إلَّا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها، والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وكان عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص يطوف بالبيت، وليس له دأب إلَّا هذه الدَّعوة: «**رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي**» فَقِيلَ لَهُ: أَما تَدْعُو بِغَيْرِ هَذِهِ الدَّعْوَة، فَقَالَ: «**إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسي فَقَدْ أَفْلَحْتُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٤٥) ومسلم، برقم (١٠٠٨) وقرئ (٢٩/ ٥/ ١٤١٢هـ) كما قيَّد القارئ (س٦٢).

(٢) أخرجه الفاكهي في كتاب «**أخبار مكة**» (١/ ٢٢٨ برقم ٤١٥) عن أبي الهياج.

والفرق بين الشُّح والبُخل:

أنَّ الشُّح: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النَّفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه، وَوُقِيَ شره وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩][١].

والسخي قريبٌ من الله تعالى، ومن خلقه، ومن أهله، وقريب من الجنَّة، وبعيد من النَّار، والبخيل بعيد من خلقه، بعيد من الجنَّة قريب من النَّار»[٢] فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده.

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا ... يَزِينُ وَيُزْرِي بِالفَتَى قُرَنَاؤُهُ
وَأَقْلِلْ إِذَا مَا اسْتَطَعْتَ قَوْلًا فَإِنَّهُ ... إِذَا قَلَّ قَوْلُ المَرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ... وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضِهِ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ ... فَنَادِ بِهِ فِي النَّاسِ هَذَا جَزَاؤُهُ[٣]

وحدُّ السخاء: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، وليس كما قال بعض من نقص علمه: **حدُّ الجود**

---

(١) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيّد القارئ في نسخة كتابه (ص٦٤).

(٢) هذا اقتباس من ابن القيم رحمه الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسيورده بنصه في(ص١٧٨).

(٣) هذه الأبيات مذكورة في «الفاضل» للمبرد، دون نسبته لقائل (٤٣) وإن كانت بعض الأبيات منسوبة لقائل، كما قال ابن قائد أحد المحققين لكتاب «**الوابل الصيب**» **ينظر**: (ص٧٦).

بذل الموجود(١) ولو كان كما قال هذا القائل، لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما وجاءت السُّنَّة بالنَّهي عنهما، وإذا كان السَّخاء محمودًا، فمن وقف على حدِّه سُمِّي كريمًا، وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلًا، وكان للذم مستوجبًا، وقد روي في أثر: «**إِنَّ اللهَ ﷻ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ أَلَّا يُجَاوِرَهُ بَخِيلٌ**»(٢) (٣).

والسَّخاء نوعان:

فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك. **والثَّاني**: سخاؤك ببذل ما في يدك. فقد يكون الرَّجل من أسخى النَّاس، وهو لا يعطيهم شيئًا؛ لأنَّه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السَّخاء «**أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مُتَبَرِّعًا، وَعَنْ مَالِ غَيْرِك مُتَوَرِّعًا**»(٤)(٥).

الشرح:

هذه الأحاديث الثلاثة الصَّحيحة في بيان صفة البخيل والسخي، وما جاء في هذا من الآثار، كلّها تدل على استحباب الجود والكرم، والإحسان، والبذل والإنفاق في سبيل الله، والتحذير من الشُّح والبخل، وأنَّ السَّخي قريب من الله، قريب من عباد الله، وقريب من أهله، وقريب من الجنَّة، والبخيل بعيد من الله، ومن النَّاس، ومن أهله، ومن الجنَّة،

---

(١) ذكره في «**المحاسن والأضداد**» (١٢٥) قال ابن قائد: العبارة مشهورة منسوب لغير واحد ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٧٧).

(٢) أخرجه مرفوعًا ابن أبي الدُّنيا في «**صفة الجنَّة**» (٢٠) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه مرفوعًا الطبراني في «**الكبير**» (١٢/ ١٤٣برقم ١٢٧٢٣) وفي «**الأوسط**» (٥/ ٣٤٩ برقم ٥٥١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) إلى هذا القدر قرئ بتاريخ (٣٠/ ٥/ ١٤١٢هـ) كما قيّد القارئ في كتابه (ص٦٥ س٧).

(٤) ذكره عن منصور، ابن المرزبان، في كتاب «**المروءة**» (ص١٣٢) والماوردي في «**أدب الدُّنيا والدِّين**» (ص١٨٧).

(٥) قرئ القراءة الثانية بتاريخ: (١٩/ ٨/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٦١- ٦٥).

فالَّذي ينبغي للمؤمن العناية بهذا الأمر، وأن يجاهد نفسه، حتَّى يؤدي حق الله، وحقّ عباده، وحتَّى لا يبخل بما أوجب الله عليه.

فالسَّخاء: هو بذل المال في محله وفي جهاته المناسبة، وفي أوقاته المناسبة، هذا هو السخاء، أمَّا قول بعضهم: الجود بذل الموجود، هذا غلط؛ لأنَّ بذل الموجود قد يدخل في الإسراف والتبذير، وهذا لا يصح؛ لكن السخي والجواد: هو الَّذي يبذل المال في محله، للضيف للفقير ينفق على من يستحق النفقة، يقيم المشاريع الخيرية، ويطلب ما عند الله، هو يبذل المال في المحل المناسب، ولا يبذِّر ولا يسرف، ولا يبذله فيما لا يصح.

وقد مثل النَّبِيُّ ﷺ السخي والبخيل برجلين عليهما جبتان، أو جنتان من حديد، فالبخيل جبته ضيقة قد أمسكت يديه إلى عنقه، كلما أراد أن يخرج يده لم يستطع من شدة ما في قلبه من الشُّح والبخل، وحب المال، كأنَّه موثوق بأربطة تربطه، لضيق نفسه وحرجه، وعدم انبساطه للبذل.

أمَّا السَّخي: فجبته تتسع كلما أراد البذل اتّسعت، هذه إشارة لما في قلبه من الخير، ومن المحبة للنفقة، والأنس بها، كلما أراد البذل انشرح صدره، واتسع قلبه، وفرح بالنفقة، فهو يُوَسِّعُهَا فتتسع، حتَّى تعفي أثره، وتغطي أقدامه.

فينبغي للمؤمن: أن يُعَوِّدَ نفسه السخاء والجود والإحسان في محله، وأن يحفظ المال عن الإسراف والتبذير، فيكون جوادًا بالمال في محل البذل، في الصَّدقة على الفقراء، في مشاريع الخير، ولكن يحذر الإسراف والتبذير، والبخل.

والله يقول: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محَمَّد: ٣٨] مضرته عليه، **فالشَّحيح**: هو الحريص على جمع المال بكلِّ طريقة من حرام أو حلال، وإذا جمعه بخل بإخراجه، وصرفه على وجهه، فالبخل نتيجة الشُّح، فهو شحيح قبل وجود المال، حريص على كسبه، ومتى وجد المال بخل به، ولم ينفقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩] مَن وُقِيَ شح نفسه، فأنفق المال، وأخذه من وجهه فقد أفلح.

وكان عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنه يطوف بالبيت، ويقول في طوافه: «اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي» فقال له بعض النَّاس: ألَّا تدعو بغير هذا؟ فقال: إذا وقاني الله شح نفسي، فقد أفلحت، هذا الدُّعاء مُهم: اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي.

○ **مسألة: في التَّصدق على كل سائل:**

وسئل إذا عرض لك سائل؟

فقال: الأصل: أن يعطى إذا عرفت حاجته وحالته، أو جهلتها لقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذّاريَات: ١٩] أمَّا إذا علمت أنَّهُ كذَّاب، فتزجره وتنهاه، وتنكر عليه، وتنصحه بأنَّه لا يجوز له السؤال.

قال المصنف رحمه الله:

«وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، يقول: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم: «**أَتَدْرِي لِمَ اتَّخذتُك خَلِيلًا؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**لِأَنِّي رَأَيْت العَطَاءَ أَحَبَّ إِلَيْك مِن الأَخْذِ**»[(١)].

وهذه صفة من صفات الرَّبّ **جلَّ جلاله**، فإنَّه يعطي ولا يأخذ، ويطعم ولا يُطعم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بصفاته، فإنَّه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال.

وروى «**الترمذي**» في «جامعه» قال: حدثنا محمَّد بن بشار، قال حدثنا أبو عامر، قال أخبرنا خالد بن إلياس، عن صالح بن أبي حسان، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يقول: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ**

(١) ذكره شيخ الإسلام في كتاب «**السياسة الشرعية**» (ص ٧٤) وهو في «**مجموع الفتاوى**» (٢٨/ ٢٩٥).

يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ[(١)]**، وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ**» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ عَنْ أَبِيهِ **رضي الله تعالى عنه** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «**نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ**»[(٢)] هذا حديث غريب، خالد بن إلياس يُضَعَّف[(٣)].

وفي «**الترمذي**» أيضًا في «**كتاب البر**» قال: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا سعيد بن محمَّد الوراق[(٤)] عن يحيى بن سعيد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تعالى مِن عَابِدٍ بَخِيلٍ**»[(٥)] [(٦)].

---

(١) هكذا في الترمذي المطبوع والمقروء «**الوابل الصيب**» (ص٦٧ س٦) وفي بعض نسخ الوابل «**أَخْبِيَتَكُمْ**» كما في تحقيق: ابن قائد (ص٧٨ س ٩) وتحقيق: حسين إسبر (ص٥٧ س٤).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٧٩٩) **وقال عنه سماحته**: ضعيف، وعلق في نسخة كتابه «**الوابل الصيب**» (ص ٦٨) وقال الحافظ في «**التقريب**»: ضعيف. ينظر: (ص٢٤٠ ترجمة ٢٣٨٧) ونقل في «**تهذيب التهذيب**»: عن أئمة الحديث تضعيفه، وعن الدارقطني: أَنَّهُ متروك (٤/ ٧٧ ترجمة رقم ١٣٥) وشذ ابن حبان، فذكره في الثقات (٦/ ٣٧٤برقم ١٨٦٦) وهو متساهل، فلا يُعوَّل على توثيقه، والله ولي التوفيق حرر بتاريخ (١/ ١/ ١٤٠٨هـ).

(٣) قال ابن حجر: في «**التقريب**» خالد بن إلياس أو إياس أبو الهيثُمَّ المدني متروك الحديث (ص١٨٧ برقم١٦١٧).

(٤) قال ابن حجر: في «**التقريب**» سعيد بن محمَّد الوراق أبو الحسن: ضعيف من صغار الثامنة أخرج له الترمذي وابن ماجه (ص٢٤٠ برقم٢٣٨٧).

(٥) أخرجه الترمذي، برقم (١٩٦١) **قال**: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلَّا من حديث سعيد بن محمَّد، وقد خُولف سعيد بن محمَّد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنَّما يُروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة مرسلًا .«**سنن الترمذي**» (ص ٤٤٦) وضعفه سماحة الشَّيخ.

(٦) قرئ بتاريخ: (٢٧/ ٦/ ١٤١٧هـ) كما قيّد القارئ في نسخة كتابه (ص٦٨ س٥).

وفي الصَّحيح: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[١] وهو ﷻ رحيم يحب الرُّحماء، وإنَّما يرحم من عباده الرُّحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفوٌ يحب من يعفو عنهم من عباده، وغفور يحب من يغفر لهم من عباده، ولطيف يحب اللَّطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظريَ الجواظ[٢] ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البِرَّ وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصِّفات فيه، وجودًا وعدمًا.

فمن عفا، عفَا عنه، ومن غفر، غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه.

ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاقّ الله، شاقّ الله تعالى به، ومن مكر، مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدُّنيا والآخرة.

فاللَّه تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**مَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن نَفَّسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى حِسَابَهُ**»[٣] و«**مَن أَقَالَ نَادِمًا**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤١٠) ومسلم، برقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الجَعظَرِيَّ: هو الفظ الغليظ المتكبر، وقيل: هو الَّذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير (ص١٥٥) مادة: [جعظر] باب الجيم مع العين، والجوَّظ: هو الجموع المنوع، وقيل: هو الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين. المصدر السابق (ص١٧٣) باب الجيم مع الواو.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَثْرَتَهُ»[١] و«**مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ الله تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»[٢] لأنَّه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاه من حر المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه، نجاه الله تعالى من حر الشَّمس يوم القيامة إلى ظل العرش.

وكذلك الحديث الَّذي في الترمذي، وغيره عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال في خطبته يومًا: «**يَا مَعْشَرَ مَن آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهُ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَن تَتَبَّعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**»[٣] **فكما تَدين تُدان، وكن كيف شئت، فإنَّ اللهَ تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده.**

ولما أظهر المنافقون الإسلام، وأسروا الكفر، أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورًا على الصِّراط، وأظهر لهم أنَّهم يجوزون الصِّراط، وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم، وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه، فإنَّ الله تعالى يظهر له في الدُّنيا والآخرة أسباب الفلاح، والنجاح والفوز، ويبطن له خلافها، وفي الحديث: «**مَن رَاءَى، رَاءَى الله بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ الله بِهِ**»[٤].

والمقصود: أنَّ الكريم المتصدق يعطيه الله مالا يعطي البخيل الممسك، ويوسع عليه في ذاته وخلقه، ورزقه ونفسه، وأسباب معيشته،

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣٤٦٠) وابن ماجه، برقم (٢١٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ٥٢ برقم٢٢٩١).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٣٠٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه باختلاف يسير الترمذي، برقم (٢٠٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنه وقال: حسن غريب. وأخرجه أبو داود، برقم (٤٨٨٠) عن أبي برزة رضي الله عنه **وقال سماحته عنه**: الظاهر: أنَّهُ لا بأس به.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٩) ومسلم، برقم (٢٩٨٦) عن جندب رضي الله عنه ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه، برقم (٢٩٨٧).

جزاء له من جنس عمله»[(١)].

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار كلّها تتعلق بالجود والإحسان إلى عباد الله، والرفق بهم، ورحمتهم، وإقالة عثراتهم، وتيسير أمورهم، كل هذه الأمور شرعها الله لعباده، وجعل المؤمنين يتراحمون ويتعاطفون، ويحسن بعضهم إلى بعض.

فالواجب على المؤمن: أن يحرص على فعل ما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، وأن يبذل كلّ ما يخلّصه من عذاب الله، ويباعده من أسباب الهلاك، ويقربه من أسباب النَّجاة والسَّعادة.

والإنفاق في وجوه الخير، والإحسان إلى عباد الله، من أسباب التوفيق، ومن أسباب الرَّحمة والإحسان من الله إلى المحسن، كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠] فالإنسان متى أحسن، أحسن الله إليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

يُروى أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا، قال لإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أتدري لِمَ اتَّخذتك خليلًا؟**» ـ وهذا من الأحاديث القدسيَّة الَّتي تروى، ولا يجزم بها، لكن تُذكر من باب العظة ـ قال: لماذا يا رب؟ قال: «**لأنِّي رأيتك تحب الجود، والعطاء، والإحسان أحب إليك من الأخذ**» لأنَّه كان جوادًا كريمًا، يعطي، ولا يأخذ، وهكذا الله يُطعم عباده ويجود عليهم، وهو غنيٌّ عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الحديث الصَّحيح: «**مَن كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَالله فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا**

---

(١) قرئ بتاريخ (١/ ٦/ ١٤١٢هـ) و(٢٠/ ٨/ ١٤١٤هـ) و(٤/ ٧/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٦٥- ٧١).

سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[(١)] «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[(٢)] «وَمَن يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» مثلما تدين تدان، وضابط الستر على المسلم ألَّا يظهر المعصية، أمَّا المجاهر فلا ستر له فيما جاهر به، أمَّا المتستر فلا تفضحه.

فينبغي للمؤمن: أن يعوِّد نفسه الخير، والرفق والرحمة، والحلم والجود، والعفو والصفح، يرجو بها من الله أن يعفو عنه، ويحلم عليه، ويرفق به، ويحسن إليه، وينجيه من الكربات يوم القيامة، ومتى تظاهر العبد بخلاف ذلك رياءً وسمعةً عوقب بمثل ذلك، فأظهر الله له يوم القيامة ما يظن أنَّهُ منجيه.

ثُمَّ يحال بينه وبين النجاة ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النَّبإ: ٢٦] ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢] وكما أخبر الله عن المنافقين أنَّهم، يقولون لأهل الإيمان يوم القيامة: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحَديد: ١٣-١٤] كانوا معهم في الدُّنيا بالرياء، والنفاق، ولهذا سلبوا النور الظاهر يوم القيامة، وحيل بينهم وبين النجاة، وسيقوا إلى النَّار مع الكفار، نعوذ باللَّه من ذلك.

المقصود: أنَّ اللهَ يُحبّ مقتضى أسمائه وصفاته، فكما أنَّهُ رحيم، يحب الرحماء، جواد يحب الجود والكرم، عالم يحب العلماء الصادقين المحسنين، حليم يحب الحلماء جميل يحب الجمال، محسن يحب

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٩٤١) والترمذي، برقم (١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المحسنين، رفيق يحب الرفق في الأمر كله، فالمؤمن يتحرى مقتضى أسمائه وصفاته، حتَّى يكون كذلك، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **التضعيف:**

سئل سماحته هل لتضعيف الحديث ضوابط؟

فقال: نعم عند أهل العلم بمصطلح الحديث، قد يكون ضعيفًا لضعف بعض رجاله، وقد يكون ضعيفًا لانقطاعه، وقد يكون ضعيفًا؛ لأنَّه مرسل، وقد يكون ضعيفًا؛ لأنَّه شاذًا وخالف الحديث الصَّحيح، يعني التضعيف للحديث له أسباب.

والاستشهاد بالضعيف له ضوابط كذلك، ذكرها العلماء أيضًا، منها: أن يورده بصيغة التمريض، يروى عن النَّبِيِّ، أو يُذكر أو روي عن الرَّسول أو ذُكر، فلا يجزم عن النَّبِيّ ﷺ إلَّا بالأحاديث الصَّحيحة هكذا ذكر جمهور أهل العلم هذا المعنى، وذكر هذا الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه المعروف بالألفية[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: «**شرح التبصرة والتذكرة**» للحافظ العراقي (١/ ١٠١ برقم ٢٥٤) تحقيق د. ماهر ياسين الفحل، وانظر: أيضًا «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحة الشَّيخ ابن باز (٢٦/ ٣٠٤).

«فصل
[في فضل الذِّكر]

«وقوله ﷺ: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله تَعَالَى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حتَّى إِذَا أَتَى إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيطان إِلَّا بِذِكْرِ الله**»(١).

فلو لم يكن في الذِّكر إلَّا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد ألَّا يفتُر لسانُهُ من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلَّا بالذكر، ولا يدخل عليه العدوُّ إلَّا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدوُّ الله تعالى وتصاغر وانقمع، حتَّى يكون كالوَصَع(٢) وكالذُّباب؛ ولهذا سمي الوسواس الخناس، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس، أي: كف وانقبض.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ**»(٣).

وفي «**مسند الإمام أحمد**» عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، أنَّهُ بلغه عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى**

---

(١) جزء من حديث الحارث الأشعري، سبق تخريجه في (ص٧٤).

(٢) الوَصَع: طائر أصغر من العصفور، ينظر: «**لسان العرب**» (١٥/ ٣١٥) و«**الوابل الصيب**» (ص٧٢) وتحقيق الأرناؤوط (ص٤٧) وتحقيق: إسبر (ص٦١) وتحقيق: القيسي (ص) وتحقيق: ابن قائد (ص٨٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة «**مصنفه**» (٧/ ١٣٥ برقم٣٤٧٧٤) وأبو داود في «الزهد» (ص٢٩٥ برقم٣٣٧).

لَهُ مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله ﷻ».

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِن إِنفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمِن أَن تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»** قَالُوا بَلَى يَا رَسُول الله، قَالَ: **«ذِكْرُ الله ﷻ»**[(١)].

وفي **«صحيح مسلم»** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: **«سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»** قِيلَ وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»**[(٢)].

وفي **«السنن» عن أبي هريرة** رضي الله عنه، **قال: قال رسول الله** ﷺ: **«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِن مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عليهم حَسْرَةً»**[(٣)].

وفي رواية الترمذي: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»[(٤)].

وفي **«صحيح مسلم»** عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: **«لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ يَذْكُرُونَ الله فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ»**[(٥)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٩ و٦/ ٤٤٧ برقم ٢٢١٣٢، ٢٧٥٦٥).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٥٥) والنسائي، في «الكبرى» (٦/ ١٠٧، ١٠٨برقم ١٠٢٤١، ١٠٢٣٦) وصححه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي (١/ ٦٦٨ برقم ١٨٠٨ - ١٨١٠).

(٤) أخرجها الترمذي، برقم (٣٣٨٠) وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٥ برقم ٢٠١٧).

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠٠).

وفي «**الترمذي**» عَن عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ الله: إِنَّ أَبْوَاب الخَيْر كَثِيرَةٌ، وَلَا أَسْتَطِيع القِيَام بِكُلِّها فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، وَلَا تُكْثِر عَلَيَّ فَأَنْسَى».

وفي رواية: «إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ وَأَنَا كَبِرْتُ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ الله تَعَالَى»(١).

وفي «**الترمذي أيضًا**» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا**» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «**لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حتَّى يَنْكَسِرَ، وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُ لله تَعَالَى أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً**»(٢)(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث الكثيرة، كلّها تتعلق بالذِّكرُ، والذِّكر فضله عظيم، والذِّكر يكون باللِّسان، ويكون بالقلب، ويكون بالعمل، فالمؤمن يذكر الله بلسانه، ويذكر الله بقلبه، ويذكر الله بعمله، فأكمل النَّاس إيمانًا أكثرهم ذكرًا لله، بلسانه وقلبه وعمله.

وذكر الله باللِّسان، بالتَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير، وغير ذلك من أنواع الذِّكر والدُّعاء، وذكر الله بالقلب بتوحيده والإخلاص له، ومحبته وخوفه ورجائه، والشَّوق إليه، وتعظيمه رغبةً ورهبةً، هكذا يكون

---

(١) هذا لفظ الترمذي، برقم (٣٣٧٥). وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه برقم (٣٧٩٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٢ برقم ١٨٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٧٦) وقال: هذا حديث غريب، وإنَّما نعرفه من حديث دراج. وسئل عنه سماحته قال: هذا يحمل على المجاهد الغافل والمجاهد الذَّاكر أفضل من المجاهد الغافل.

(٣) قرئ بتاريخ (٦/ ٦/ ١٤١٢هـ) و(٢١/ ٨/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٧٢ - ٧٦).

ذكر القلب.

وذكر العمل: بأداء ما شرع الله من الطَّاعات من صلاة وغيرها، فالمصلي ذاكر لله، والصَّائم ذاكر لله، والمزكي كذلك، والحاج ذاكر لله، والمجاهد ذاكر لله.

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في الإكثار من ذكر الله، لسانًا وقلبًا وعملًا، وفي حديث معاذ: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجى لَهُ مِن عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله ﷻ» وفي الحديث الآخر: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَةِ، وَمِن أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قَالُوا: بَلَى يا رسول الله، قَالَ: «ذِكْرُ الله ﷻ».

فالمجاهد الغافل: ليس له نصيب من هذا، أمَّا المجاهد الذَّاكر فهو أفضل النَّاس حينئذٍ؛ لأنَّه جمع بين الجهاد والذِّكر، وإذا غفل ولها عن ذكر الله وصار جهاده ليس عن ذكر الله، بل لأسباب أخرى، صار الذَّاكر أفضل منه.

وفي الحديث يقول ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ» قَالُوا وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» رواه مسلم في الصَّحيح[(١)] يعني: سبقوا إلى كل خير، إلى طاعة الله ومحبته، وسبقوا إلى الجنة، الذَّاكرون الله كثيرًا والذَّاكرات، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذا الأمر، وأن يجتهد بأن يكون قلبه ذاكرًا ولسانه ذاكرًا لله، وجوارحه كلها ذاكرةً لله.

والشَّيطان يُسلط على الإنسان من غفلته، وإعراضه، فإذا ذكر الله خنس عدو الله وتصاغر وصار كالذباب، فإذا غفل العبد عن ذكر الله هجم عليه ووسوس له، وزين له الباطل، والله سبحانه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، ويقول

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد تقدَّم في (ص ١٣٥).

سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] يعش: يغفل ويعرض، بنص القرآن من غفل عن ذكر الله قيض له الشَّيطان، فعدّو الله جاثُمَّ على قلب الإنسان.

كل إنسان معه ملك ومعه شيطان، فالملك يعينه بالخير، ويأمره بالحقِّ، والشَّيطان بالضد من ذلك، فإذا غفل وسوس إليه، وزين له الباطل، ودعاه إلى الباطل، وإذا ذكر الله وأقبل على الخير خنس عدوُّ الله، وسلم من شره، فهو وسواس عند الغفلة، خناس عند الذِّكر، فعلى حسب يقظة العبد في الذِّكر بالقلب واللِّسان والجوارح، تكون سلامته من عدوّ الله، وعلى حسب غفلته وإعراضه وتشاغله يكون تسلط الشَّيطان عليه، وتكون كثرة الوساوس، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **الأفضل الذَّاكر**

سئل سماحته عن الأفضل للذَّاكر؟

فقال: الأفضل للذَّاكر أن يرفع صوته حتَّى يسمعه من حوله، ويقْتَدي به، إلَّا إذا كان في موضع يشوش فيه على تالٍ أو مصلٍ، كان النَّبِيُّ ﷺ يرفع صوته بعد الانتهاء من الصَّلاة، والصَّحابة كذلك كانوا يرفعون أصواتهم إذا انتهوا من الصَّلاة، أمَّا بقية الأوقات يكون يسمع نفسه، ويسمع من حوله، كان النَّبِيُّ ﷺ يذكر الله فيسمعه الصَّحابة، فيقتدون به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**صحيح البخاري**» عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(١).

وفي «**الصَّحيحين**» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

وفي «**الترمذي**» عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا يا رسول الله وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»(٣) (٤).

وفي «**الترمذي**» أيضًا عن النَّبيِّ ﷺ عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه، يقول: «**إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ**»(٥).

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذَّاكر، والمجاهد، فإنَّ الذَّاكر المجاهد أفضل من الذَّاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذَّاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٧) ومسلم، برقم (٧٧٩) بلفظ: «**مَثَلُ البيت الَّذي يَذْكُرُ**».

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥١٠) وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) قرئ بتاريخ: (٥/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٧٨).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٨٠) عن عمارة بن زعكرة، وقال: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي، ولا نعرف لعمارة بن زعكرة عن النَّبيِّ ﷺ إلَّا هذا الحديث الواحد. ينظر: سنن الترمذي (ص٨١٤).

فأفضل الذَّاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذَّاكرون.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥] فأمرهم بالذِّكر الكثير، والجهاد معًا؛ ليكونوا على رجاءٍ من الفلاح، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي: كثيرًا، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠]

ففيه(١) الأمر بالذِّكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة، عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ كانت عليه، لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله.

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثُمَّ أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصَّله.

وذكر «**البيهقي**» عن عائشة عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «**مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا: «**لَيْسَ تَحَسَّرُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ ﷻ فِيهَا**»(٣).

وعن أم حبيبة زوج النَّبيِّ ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**كَلَامُ ابنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ،**

---

(١) في نسخة [فَقَيَّد] بدل «**ففيه**». ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٨٩ س٩) تحقيق: ابن قائد.

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٣٩٢ برقم٥١١) قال عقبه وفي هذا الإسناد ضعف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٤ برقم١٨٢) بإسناد ضعيف.

أَوْ ذِكْرًا لله ﷻ»[(١)](٢).

الشرح:

هذه الآيات الكثيرة والأحاديث كلها تتعلق بفضل الذِّكر، وأدلة فضل الذِّكر كثيرة جدًا، فجدير بالمؤمن أن يعمر أوقاته بذكر الله، قلبًا ولسانًا وعملًا، وكل حالة تمر على العبد يخلو فيها من الذِّكر، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بعمله، تكون حسرة عليه يوم القيامة، يتحسر أنَّها فاتت عليه بغفلته.

ويقول ﷺ: «مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ الله، وَالَّذي لَا يَذْكُرُ الله، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» فرق عظيم، فالذَّاكر حي والغافل ميت، فجدير بالمؤمن الَّذي يعقل أن يفهم هذا الأمر، وأن يعمر أوقاته بذكر الله، بلسانه وبقلبه وبأعماله أينما كان.

ويقول ﷺ: «يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

هذا يدلّ على أنَّهُ سبحانه أسرع بالخير وأجود من عبده، وأنَّ العبدَ متى فعل الخير، فاللَّه أجود، وأكثر خيرًا منه له، فمتى «**ذَكَر الله فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللهَ فِي نَفْسِهِ**» هذا فيه فضل عظيم «**وَإِنْ ذَكَرَهُ فِي مَلأٍ**» في جماعة من

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤١٢) وابن ماجه، برقم (٣٩٧٤) وفي سنده أم صالح بنت صالح لا يعرف حالها من السابعة أخرج لها الترمذي وابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» لابن حجر (ص٧٥٧ برقم ٨٧٤٠) وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٧ برقم ٣٨٩٢) والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٣٩٣ برقم٥١٤) ينظر: حاشية الوابل الصيب» (ص٨٠ ح٤) وتحقيق: ابن قائد (ص٩٠ ح٤).

(٢) قرئ بتاريخ (٧/ ٦/ ١٤١٢هـ) وبتاريخ: (٢٢/ ٨/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٧٧ - ٨٠).

النَّاس «**ذَكَرَهُ الله فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» ومتى تقرب إليه قدر شبر، تقرب الله منه ذراعًا، وإن تقرب إلى الله ذراعًا تقرب الله إليه باعًا، وإن أتاه يمشي أتاه هرولةً» والإشارة بهذا إلى أنَّهُ سبحانه أسبق بالخير من عبده وأجود.

وهذه صفات تليق باللَّه، لا يشابهه فيها خَلقه، تقربه ذراعًا وباعًا ومجيئه هرولة، كل هذه الصِّفات تليق باللَّه، نثبتها لله ونمرها كما جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، بل يقال فيها الله جَلَّ وَعَلَا يفعل ذلك على الكيفية الَّتي يعلمها، لا نعلم كيفيتها، كالاستواء، والغضب، والرضا، نثبتها لله على الوجه اللَّائق باللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا نكيف مجيئه يمشي أو هرولة، بل نقول: يرضى على الوجه الَّذي يعلمه، يغضب كذلك، يحب إلى غير ذلك، كلّها صفات تليق باللَّه، لا يشابه فيها خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذا قوله ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالَوا وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**» فينبغي للمؤمن: أن يحرص على الذِّكر دائمًا، وأن يكون على استمرار ورغبة.

وهكذا حديث: «**أَفْضَلُ عِبَادِي الَّذي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ**» أي: في الجهاد ـ يعني: يذكر الله في تلك الساعة ـ، فالمجاهدون الذَّاكرون أفضلَّ، والذَّاكرون الله كثيرًا أفضل من المجاهدين الغافلين.

والحديث فيه أم صالح غير معروفة[(١)] لكن بكلِّ حال الجهاد عمل عظيم، فينبغي للمجاهد ألَّا يشغله الجهاد عن ذكر الله بقلبه ولسانه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥] نص القرآن، فيجاهد، وهو ذاكر لله عَزَّ وَجَلَّ.

والحاصل: أنَّ المؤمن عليه، أن يعمر أوقاته بالذِّكر القولي والقلبي والعملي، وأن يحذر الغفلة عن الله، ولو لحظة، حتَّى في المواطن الَّتي لا ينبغي أن يذكر الله فيها باللِّسان كالحمام عند قضاء الحاجة، يكون

(١) سبق ذكر كلام الحافظ عليها في الحاشية عند ذكر الحديث في المتن.

ذاكرًا لله بقلبه، تفكيرًا في نعم الله عليه ورحمته به فذكر الله بالقلب يكون في أي مكان، وأي زمان، فالمؤمن يعمر قلبه ولسانه وسائر جوارحه بالذِّكر المناسب في كل مكان.

فالإنسان يقضي حاجته وقلبه مع الله بالتفكير، محبةً وشوقًا إليه، ويكره الذِّكر باللِّسان عند قضاء الحاجة، كراهة تنزيه، أمَّا التَّسمية عند الوضوء، إذا دعت الحاجة للوضوء في الحمام، فيسمي؛ لأنَّ التَّسمية واجبة، ولا يتركها من أجل الكراهة.

○ مسألة: **في حكم حديث:**

سُئِل سماحته عن حديث: «مَنْ لَم يَهْتَم بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»[(١)]؟

فقال: ضعيف؛ لكن معناه صحيح، يعني: الدِّين النَّصيحة.

○ مسألة: **في طاعة الوالدين:**

سُئِل سماحته هل للابن، أن يساعد أباه على حلق اللَّحية أو قصها؟

فقال: ليس للابن أن يساعد أباه على ذلك، كما ليس له أن يذهب به للزنا، أو للسرقة، أو لأمر محرم كل هذا لا يجوز، إنَّما الطاعة بالمعروف، يقول له: يا أبي هذا أمر لا يجوز، يُعَلّمه السُّنَّة بالَّتي هي أحسن، والله المستعان.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٧٠ برقم ٧٤٧٣) عن حذيفة رضي الله عنه، ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحة الشيخ ابن باز (١٦/ ٢٨).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وعن معاذ بن جبل، قال: سألت رسول الله ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله ﷻ؟ قَالَ: «**أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله ﷻ**»(١).

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله ﷻ.

وذكر «**البيهقي**» مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كان يقول: «**لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةٌ، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ الله ﷻ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله ﷻ، مِنْ ذِكْرِ الله**» قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله ﷻ؟ قَالَ: «**وَلَوْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ**»(٢).

ولا ريب: أنَّ القلب يصدأ كما يصدأ النُّحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذِّكر، فإنَّه يجلوه حتَّى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك الذِّكر صَدِئَ، فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذَّنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذِّكر.

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكبًا على قلبه، وصدؤُه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحقّ، والحقّ في صورة الباطل؛ لأنَّه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأُ اسود، وركبه الران، فسد تصوره وإدراكه،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٣، ١٠٦، ٢٠٧ برقم ١٨١، ٢٠٨، ٢١٢) وفي «**الدُّعاء**» (٣/ ٦٢٨) وفي «**مسند الشاميين**» (١/ ١٢٢) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٤ برقم ١٦٧٤٧): رواه الطبراني بأسانيد، وفيه خالد بن يزيد، وضعفه جماعة، ووثقه أبو زرعة الدمشقي وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه في كتاب «**الدعوات الكبير**» (١/ ٨٠ برقم١٩) وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٢/ ٢٥٤ برقم ٢٢٩٥) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٨١ح ٢).

فلا يقبل حقًّا ولا ينكر باطلًا، وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة، واتِّباع الهوى، فإنَّهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذِّكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟

فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، وأمره فُرُطٌ، لم يقتد به، ولم يتبعه، فإنَّه يقوده إلى الهلاك.

ومعنى الفُرُط قد فُسِّر بالتضييع، أي: أمره الَّذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائع، قد فرَّط فيه، **وفُسِّر بالإسراف**، أي: قد أفرط، وفسر بالإهلاك، وفُسِّر بالخلاف للحقِّ وكلُّها أقوال متقاربة(١).

والمقصود: أنَّ الله ﷻ نهى عن طاعة من جمع هذه الصِّفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى، واتباع السُّنَّة، وأمره غير مفروط عليه؛ بل هو حازم في أمره، فليستمسك بعروته(٢).

ولا فرق بين الحي والميت إلَّا بالذِّكر، فمثل الَّذي يذكر ربه والَّذي لا يذكر ربه، كمثل الحي والميت.

وفي المسند مرفوعًا: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله تَعَالَى حتَّى يُقالُ: مَجْنُونٌ**»(٣)(٤).

---

(١) ينظر: لمعرفة من فسر فُرطا بما ذكر تفسير الطبري (١٨/٨، ٩) وتفسير البغوي (٥/١٦٧).

(٢) في نسخة [بِغَرْزِه] بدل «**بعروته**». ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٩٣ س٩) تحقيق: ابن قائد.

(٣) أخرجه عن أبي سعيد رضي الله عنه الإمام أحمد (٣/٦٨، ٧١ برقم١١٦٧١، ١١٦٩٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/٦٧٧ برقم ١٨٣٩) وسيأتي في (ص٣٣٢) وتوقف سماحته عن صحته.

(٤) قرئ بتاريخ (٨/٦/١٤١٢هـ) والثالثة: (١٠/٧/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٨١- ٨٣).

الشرح:

هذه الآثار والأحاديث كلها تدل على عظم شأن الذِّكر، وتقدم ذكر بعض الآيات مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزَاب: ٤١-٤٢].

وجاء في صفة المؤمنين: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزَاب: ٣٥].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجُمُعَة: ١٠].

وتقدَّمت أيضًا بعض الأحاديث الصَّحيحة في ذلك، منها: قوله ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[1].

المقصود: أنَّ الذِّكر له شأن عظيم، كما تقدَّم، فالذِّكر باب جامع، فلا ينبغي أن يكون لسانك خاليًا من ذكر الله، بل ينبغي أن يكون رطبًا بذكر الله، وهكذا بقية جوارحك، كما جاء في حديث عبد الله بن بسر لما قال أخبرني بشيء جامع أتمسك به، قال: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله**»[2].

والله عَزَّوَجَلَّ، يقول: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦].

فالمؤمن يجتهد في ذكر الله قلبًا ولسانًا وعملًا، فهذه علامات السعادة، ومن علامات الهلاك الغفلة عن الله، قولًا وعملًا وعقيدةً.

والهوى: يهوي بصاحبه إلى النَّار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ

(١) سبق تخريجه في (ص ١٣٥).
(٢) سبق تخريجه في (ص ١٣٦).

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازعَات: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القَصَص: ٥٠].

فالواجب على المؤمن: أن يحاسب نفسه، وأن يجاهدها، حتَّى يتبع الحقّ وينقاد للحقِّ قولًا وعملًا وعقيدةً، ويحذر الهوى والغفلة، فإنَّ الغفلة متى رانت على القلوب اسودت وقست، ورُبَّما ماتت بالكليَّة، وذلك بالمعاصي والشرور والغفلة عن الله، ومجالسة الأشرار.

ومع ذكر الله والإكثار من قراءة القرآن، والعمل الصَّالح، ومجالسة الأخيار تبيض القلوب وتقوى ويثبت فيها الذِّكر، وينبض على حقائقها، فإذا غلب الهوى، وغلبته الغفلة صار أمره فُرطًا، وضاعت عليه أمور دينه ودنياه، نسأل الله العافية والهداية والسلامة للجميع، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

❍ مسألة: **سئل عن أجر الذِّكر:**

فقال: أجر الذِّكر: يكون على حسب حال الذَّاكر، على قدر حضور قلب الذَّاكر، أو على قدر عمله، فإذا اجتمع في الذِّكر القلب واللِّسان والعمل، **تم** الأجر وكمل، وإذا كان الذِّكر بالقلب فله نصيب، وإذا كان باللِّسان فله نصيب، وإذا رافق ذلك العمل، فقد اجتمعت الثلاثة القلب واللِّسان وبقية الجوارح هذا هو الكمال في أجر الذِّكر.

«فصل

[في فوائد الذِّكر]

وفي الذِّكر نحو من مئة، فائدة:

إحداها: أَنَّهُ يطرد الشَّيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أَنَّهُ يرضي الرحمن ﷻ.

الثالثة: أَنَّهُ يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أَنَّهُ يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أَنَّه يقوي القلب والبدن.

السادسة: أَنَّهُ ينور الوجه والقلب.

السابعة: أَنَّهُ يجلب الرِّزق.

الثامنة: أَنَّهُ يكسو الذَّاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أَنَّهُ يورثه المحبة الَّتي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدِّين، ومدار السعادة، والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذِّكر، فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ، فليلهج بذكره، فإنَّ الدرس والمذاكرة، كما أَنَّهُ باب العلم، فالذِّكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوى[(١)].

العاشرة: أَنَّهُ يورثه المراقبة حتَّى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت[(٢)].

الحادية عشرة: أَنَّهُ يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ، فمتى أكثر

---

(١) قرئ بتاريخ (١٣/ ٦/ ١٤١٢هـ) كما قيَّد ذلك القارئ في نسخة كتابه (ص ٨٤ س ١٥).

(٢) قرئ القراءة الثالثة (١١/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص ٨٤ س ١٨).

الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه وملاذه، ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنَّهُ يورثه القرب منه، فعلى قَدر ذكره لله ﷻ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الثالثة عشرة: أنَّهُ يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذِّكر ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنَّهُ يورثه الهيبة لربِّه ﷻ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل، فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه»[(١)].

الشرح:

هذه الكلمات كلها تتعلق بفوائد الذِّكر، والذِّكر له فوائد كثيرة، ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّها أكثر من مائة، وعند التأمل قد تكون مئات، فالذِّكر يكون بالقلب، ويكون باللِّسان، ويكون بالعمل.

والله سبحانه يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد: ٢٨] فبذكر الله تطمئن القلوب، وترتاح النفوس، وتزول الغفلة، ويحضر القرب، فيكون بذكره لله قريبًا من الله، بعيدًا من الشَّيطان، قريبًا من الخير بعيدًا من الشر.

وهو من أسباب زوال الهمِّ، والمنكر، والغفلة، ومن أسباب قربه من الله، وتلذذه بمناجاته، وخوفه منه، ومحبته له، وتنزيهه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن أسباب كمال المحبة، وكمال المراقبة، يعبد الله كأنَّه يراه.

ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ

---

(١) قرئ بتاريخ (١٥/ ٦/ ١٤١٢هـ) و(٢٧/ ٨/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٨٤، ٨٥).

قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦] فالغفلة من أسباب تقييض الشَّيطان، وتسليطه عليه، واليقظة والانتباه والذِّكر في القول والعمل من أسباب طرد الشَّيطان.

ولما ذكر أهل النَّار ذكر أنَّهم هم الغافلون، فقال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعرَاف: ١٧٩] هم الغافلون عن الله وذكره، مشغولون بأهواء نفوسهم.

ولو لم يكن في ذكر الله إلَّا أنَّهُ يقربك من الله، ويعرفك به، ويحببه إليك، ويعظم خوفه في قلبك، والشوق إليه والتلذذ بمناجاته، وطاعته، وينجيك من الشَّيطان، لكان هذا كافيًا، فكيف وفيه الفوائد العظيمة، فأكثر من ذكر الله في قلبك، واستحضار عظمته، وأنَّك موقوف بين يديه يوم القيامة، وأنك في جواره إذا دخلت الجنَّة، استحضر هذه الأمور، فيكون ذلك من أسباب رغبتك في الآخرة، ومن أسباب المبادرة إلى طاعة الله ورسوله، ومن أسباب الإكثار من ذكره باللِّسان، والقلب، وكلما عظم ذكر الله في القلب، كثر آثار ذلك على اللِّسان والجوارح، فالجدير بالمؤمن أن يهتم بهذا الأمر، وأن يحرص عليه.

○ مسألة: في نفع الذِّكر:

فقال: يكون قدر نفع الأذكار على حسب استحضار القلب، كلما زاد الاستحضار كان الأجر أكثر، وإذا زاد الإنسان من الأذكار والدَّعوات المشروعة في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة ليس فيه بأس، حتَّى ولو لم يرد باللَّفظ؛ لكن إذا تحرى الوارد، وأكثر منه يكون أفضل.

وإذا زاد الذَّكر دعوات احتاج إليها، فأتى بكلمات من الذِّكر، مثل: سبحان الله العظيم الجليل القدوس، الملك الرحمن، ليس فيه بأس، ولو ما جاء في حديث، كل هذا تسبيح وتقديس لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

○ **مسألة: في استعمال الأذكار كرقية:**

قال: لا أعرف شيئًا يمنع في استعمل الورد اليومي من أذكار الصباح والمساء كرقية.

○ **مسألة: في الذِّكر بالضعيف:**

قال: لا بأس للعمل بالأحاديث الضعيفة في الذِّكر في باب الترغيب والترهيب؛ لكن لا يعتقدها أنَّها سُنَّة، يأخذها ويقولها من باب الفائدة لا على أنها من السُّنَّة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

«**الخامسة عشرة:** أنَّهُ يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذِّكر إلَّا هذه وحدها لكفى بها فضلًا وشرفًا، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**مَن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[(١)].

السادسة عشرة: أنَّهُ يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه، يقول: «**الذِّكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك** إذا فارق الماء»[(٢)].

السابعة عشرة: أنَّهُ قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد، صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرةً صلَّى الفجر، ثُمَّ جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النَّهار، ثُمَّ التفتَ إليَّ، وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ هذا الغداء سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرةً: لا أترك الذِّكر إلَّا بنية إجمام نفسي، وإراحتها لأستعدَّ بتلك الراحة

---

(١) سبق تخريجه في (ص ١٣٩).

(٢) ذكر نحوه شيخ الإسلام في «**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ٨٥).

لذكر آخر أو كلامًا هذا معناه[(١)].

الثامنة عشرة: أَنَّهُ يورث جلاء القلب من صدئه، كما تقدم في الحديث، وكل شيء له صدأٌ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذِّكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدَّم هذا المعنى»[(٢)].

الشرح:

هذه بعض من فوائد الذِّكر، وذكر الله جَلَّ وَعَلَا مثلما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ له فوائد عظيمة وكثيرة، والذِّكر له شأن عظيم في إعطاء العبد قوة على طاعة الله، وقوةً في سائر أعماله، ومن أعظمها أَنَّهُ يورث ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فالَّذي يذكر الله في نفسه يذكرهُ الله في نفسه، والَّذي يذكر الله في ملأٍ يذكره الله في ملأٍ خير منهم، كما جاء في الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**».

وأنَّ من فوائد ذكر الله أَنَّهُ يُورث القلب حياة وقوة، فالذِّكر قوت القلب والروح، وجلاء صدئه الَّتي تكون بسبب الغفلة والهوى، وجلاؤه يكون بالذِّكر.

وكذلك ذكر الله يورث قوة في البدن، كما جاء في قصة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها أتت أباها النَّبِيّ ﷺ تسأله خادمًا فَعَلَّمَها النَّبيُّ ﷺ أَنْ تُسَبِّحَ كُلّ لَيلَةٍ إِذَا أَخَذتْ مَضجعها لِلنَوْم ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيتَحْمِدَ الله ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرَ الله أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَقَال لها: «**إِنَّهُ خَيْرٌ لَهَا مِن خَادِمٍ**»[(٣)] وإن من داوم على ذلك وجد قوةً في بدنِهِ مُغنيةً له عن خادم».

---

(١) قرئ القراءة الثالثة بتاريخ: (١٧/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيَّد ذلك القارئ في نسخة كتابه (ص ٨٦).

(٢) قرئ القراء الأولى بتاريخ (١٦/ ٦/ ١٤١٢هـ) كما قيَّد ذلك القارئ في نسخة كتابه (ص٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٣٧٠٥) ومسلم، برقم (٢٧٢٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**التاسعة عشرة**: أنَّهُ يحط الخطايا ويذهبها، فإنَّه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السَّيِّئات.

العشرون: أنَّهُ يزيل الوحشة بين العبد وبين ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإنَّ الغافل بينه وبين الله عَزَّ وَجَلَّ وحشه لا تزول إلَّا بالذِّكر.

الحادية والعشرون: أنَّ ما يذكر بّه العبد ربه عَزَّ وَجَلَّ، من جلاله وتسبيحه وتحميده، يُذَكِّرُ بصاحبه عند الشِّدة، فقد رَوَى الإمام أحمد في المسند عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّهُ قال: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّهْلِيلَ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدَ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ العَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[(١)] هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أنَّ العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء، عرفه في الشِّدة، وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذَّاكر لله تعالى إذا أصابته شدة، أو سأل اللهَ تعالى حاجةً، قالت الملائكة: يا رب صوت معروف، من عبد معروف، والغافل المعرض عن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا دعاه وسأله، قالت الملائكة: يا رب صوت منكر، من عبد منكر[(٢)].

الثالثة والعشرون: أنَّهُ ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويروى مرفوعًا: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى**»[(٣)] [(٤)].

---

(١) أخرجه عن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مسنده (٤/ ٢٦٨، ٢٧١برقم ١٨٣٨، ١٨٤١١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٨، ٦٨٢ برقم ١٨٤١، ١٨٥٥).

(٢) أخرجه من قول سلمان الفارس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ابن أبي شيبة في «**مصنفه**» (١٠/ ٣٠٩ و١٣/ ٣٣٣).

(٣) سبق تخريجه في (ص ١٣٥) في رواية مطولة عن الإمام أحمد.

(٤) قرئ بتاريخ: (٢٢/ ٦/ ١٤١٢هـ) والثالثة: (١٨/ ٧/ ١٤١٧هـ) كما قيَّد ذلك القارئ في نسخة كتابه (ص ٨٧) ولم أعثر له على شرح؛ لذا جمعتُ لهذه الفوائد شرحًا من كلام سماحته وتوثيق ذلك من مجموع فتاوى سماحته. وينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٨٦، ٨٧).

الشرح:

من فوائد ذكر الله: أنَّهُ سبب لكسب الحسنات، وحط الخطايا، وذهاب السَّيِّئات وإزالة الوحشة بين العبد وربه، الَّتي تحدث بسبب الغفلة والهوى، وأنَّ ما يذكر الله به العبد من التهليل والتسبيح والتحميد في حال رخائه وصحته، يذكره الله به حال شدته ومرضه، تعرف على الله في الرَّخاء يعرفك في الشِّدَّة، وتشهد لصوت ذكره الملائكة في السماء، ومن لم يعرف ذكر الله إلَّا في حال الشدة أنكرت الملائكة صوته.

وأنَّ من فوائد الذِّكر أيضًا: أنَّهُ يُنجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ ﵁: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِن عَذَابِ اللهِ ﷻ مِن ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى**» ويروى عنه هذا الحديث مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ فالذِّكر له شأن عظيم في الدُّنيا والآخرة.

قال المصنف ﵀:

«**الرابعة والعشرون**: أنَّهُ سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرَّحمة، وحفوف الملائكة بالذّاكر، كما أخبر به النَّبِيّ ﷺ[(١)].

الخامسة والعشرون: أنَّهُ سبب اشتغال اللِّسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل، فإنَّ العبدَ لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى، وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السَّلامة منها البتة إلَّا بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى، ترطب بكل باطل ولغو، وفحش، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

السادسة والعشرون: أنَّ مجالس الذِّكر مجالس الملائكة، ومجالس اللَّغو والغفلة مجالس الشَّياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه، وأولاهما

(١) ينظر: نص الحديث ما سبق تخريجه في (ص١٣٥ حاشية ٥).

به، فهو مع أهله في الدُّنيا والآخرة»[١].

الشرح[٢]:

في هذه الفوائد: شرعية مجالس الذِّكر، وهي مجالس العلم والعناية بها، والحرص على الاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسته والمذاكرة فيه، وفي أحاديث الرَّسول ﷺ، ومجالس الذِّكر، هي مجالس الملائكة، الَّتي تنزل فيها السَّكينة، وتغشاها الرَّحمة، فينبغي مجالسة أهلها، فهم القوم الَّذين لا يشقى جليسهم[٣].

ومما ينبغي الحذر منه حضور مجالس اللَّهو واللَّغو، والقيل والقال، والخوض في أعراض النَّاس، فهي مجالس ممرضة للقلوب، وصادة عن ذكر الله، والحقّ، وتلاوة القرآن[٤] وهي مجالس الشَّياطين، والواجب الحذر من مجالسة أهلها، والرضى بعملهم القبيح[٥] وعلى العبد أن يختار مع أي المجلسين يكون، فالمرء يسعد ويشقى بجليسه، ويكون مع أهل مجالسه في الدُّنيا والآخرة.

ومن فوائد ذكر الله: أَنَّهُ يشغل اللِّسان عن المحرمات كالغيبة، والنَّميمة، والكذب، والباطل، فإن العبد لا بدّ له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى، وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ولا سبيل إلى السَّلامة منها البتة إلَّا بذكر الله تعالى.

---

(١) قرئ بتاريخ (٢٣/ ٦/ ١٤١٢هـ) كما قيَّد القارئ في نسخته (ص ٨٨ س٤) ولم أعثر لهذه الفوائد على شرح.

(٢) شرح الفوائد (٢٤، ٢٥، ٢٦) من جمع المعتني من كلام سماحته، وليس من نص شرحه.

(٣) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٤/ ٢٥٥، و٢٤/ ٣٧٧، و٢٧/ ١٨٦).

(٤) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ٢٥١، و٤/ ٢٥٥، و٩/ ١٠، و٢٧/ ١٨٥).

(٥) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ٢٥٠، و٥/ ٢٢٠).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**السابعة والعشرون**: أنَّهُ يسعد الذَّاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان، والغافل واللَّاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مجالسه.

الثامنة والعشرون: أنَّهُ يُؤَمِّنُ العبدَ من الحسرة يوم القيامة، فإنَّ كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربَّه تعالى كان عليه حسرة، وترة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنَّهُ مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والنَّاس في حر الشَّمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذَّاكر مستظل بظل عرش الرَّحمن عَزَّوَجَلَّ.

الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذَّاكر أفضل ما يعطي السائلين ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ، وَذِكْرِي عَن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِى السَّائِلِينَ**»[١] [٢].

الشرح:

ومن فوائد ذكر الله: أنَّ الذَّاكر يسعد بذكره ويسعد به جليسه، والغافل واللَّاغي يشقى بغفلته ولغوه ويشقى به جليسه، وذاكر الله يأمن يوم القيامة من الحسرة والندامة، كما تقدَّم، وإذا بكى الذَّاكر في خلوته يكون ذلك سببًا لإظلال الله له يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا** ـ ليس عنده أحد ـ **فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[٣] خوفًا من الله، وتعظيمًا له

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٩٢٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: حسن غريب، وخرَّجه الدارمي، برقم (٢٣٥٧) والبخاري في «**خلق أفعال العباد**» (ص٢٠٥).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٤/٦/١٤١٢هـ) وبتاريخ (٣٠/٨/١٤١٤هـ) وبتاريخ (٢٤/٧/١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٨٨، ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٦٠) ومسلم، برقم (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومحبة له، وأنسًا به ﷻ، فصار من السبعة الَّذين يظلهم الله في ظله[(١)] يوم القيامة.

وإعطاء الله لذاكره أفضل ما يعطي السائلين، كما في الحديث عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، قال سبحانه وتعالى: «**مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ، وَذِكْرِي عَن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**» فاشتغال العبد نفسه بذكر الله فيه فوائد كثيرة في الدُّنيا والآخرة، جعلنا الله وإيَّاكم من الذَّاكرين الله كثيرًا، ووفَّق الله الجميع.

قال المصنف رحمه الله:

«**الحادية والثلاثون:** أنَّهُ أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللِّسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم واللَّيلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

الثانية والثلاثون: أنَّهُ غِراس الجنَّة، فقد روى الترمذي في «**جامعه**» من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عليه السلام، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ**»[(٢)] **قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود.**

وفي «**الترمذي**» من حديث أبي الزبير عن جابر عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**»[(٣)] قال الترمذي حديث حسن صحيح.

---

(١) ينظر: «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (٨/ ٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٦٤، ٣٤٦٥).

الثالثة والثلاثون: أنَّ العطاء والفضل الَّذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال، ففي «**الصَّحيحين**» عن أبي هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيطان يَوْمَهُ ذَلِكَ حتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»(١) **وَمَن قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(٢).

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، واللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»(٣).

وفي «الترمذي» من حديث أنس أنَّ رسول ﷺ قال: «**مَن قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ، أَوْ يُمْسِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ الله رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَن قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ الله نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ الله ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ الله تَعَالَى مِنَ النَّارِ**»(٤).

وفيه عن ثوبان أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: حِينَ يُمْسِي، وَإِذَا أَصْبَحَ رَضِيتُ بِاللَّه رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُرْضِيَهُ**»(٥).

وفي «**الترمذي**»: «**مَن دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ**

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٥) ومسلم (٢٦٩١).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٩١).
(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٠١) وأبو داود، برقم (٥٠٦٩) واللَّفظ له.
(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٨٩) وقال: هذا حديثٌ حسن غريبٌ من هذا الوجه.

لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»[(١)] [(٢)].

الشرح:

هذه الفوائد بعض من فوائد الذِّكر، وكلها فوائد عظيمة وكثيرة، ومن أعظمها أنَّ الله جَلَّوَعَلَا رتَّب عليه من العطاء الشيء الكثير، وحركة اللَّسان أيسر الحركات وأسهلها، ولو أن يد الإنسان أو رجله تحركت مثل حركة اللِّسان لشق عليه ذلك مشقة كبيرة؛ ولكن الله جعل حركة اللِّسان ميسرة، ورتب على ذلك من الخير العظيم، ما لم يرتبه على غيره، وهذا من يسر الله ورحمته وإحسانه.

فينبغي أن يستغل: الإنسان هذه النعمة، بإشغال هذا اللِّسان بذكر الله ﷻ في جميع الفرص، ولا سيما الأذكار الواردة الشرعية، فإن العناية بها أولى وأهم، وقد جاء في المعنى أحاديث كثيرة، كلها تشتمل على أنواع من الذِّكر.

فينبغي للمؤمن: أن يعتني بها، وأن يشغل لسانه بها، وأن يحفظها في أوقاتها، ومما جاء في ذلك أن الذِّكر غِراس الجنة، وهو دليل على أن الجنة موجودة قائمة، وفيها من النعيم ما فيها، فيها قيعان، كما جاء في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهُ قال للرَّسول ﷺ: **«غِرَاسَ الجَنَّة: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ»**.

ويبنى فيها كما قال ﷺ: **«مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا، بَنَى الله لَهُ مِثْلَهُ**

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٢٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ضعفه سماحته، كما سيأتي في الشرح، وسيأتي ذكر تكرار ابن القيم له في الفصل الحادي والخمسون: ذكر دخول السوق.

(٢) قرئ بتاريخ (٢٩/ ٦/ ١٤١٢هـ) و(٩/ ١٠/ ١٤١٤هـ) و(٢٥/ ٧/ ١٤١٧هـ) ينظر: **«الوابل الصيب»** (ص ٨٩- ٩٢).

فِي الجَنَّةِ»[(١)].

وقد جاء في النُّصوص ذكر ترتيب بناء بيت في الجنَّة على بعض الأذكار، ومن أعظم أسباب الزيادة للعبد في دار النعيم كثرة الصَّلاة، والصَّوم، والذِّكر إلى غير ذلك، من أنواع الذِّكر، فإنه غراس الجنة، ولهذا جاء في هذا الخبر: من قال: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**».

المقصود: أنَّ الأعمال الصَّالحات، هي سبب مزيد النعيم في الجنة، من القصور والبساتين، ومما ورد في ذلك من الأجر العظيم، ما ثبت في الصَّحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ** ـ الأمر عظيم عدل عشر رقاب يعتقها ـ **وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيطان يَوْمَهُ ذَلِكَ حتَّى يُمْسِي**».

أربع فوائد أو أربعة جزاءات، إذا قال مئة مرة: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» في أول النَّهار، في وسط النَّهار، في آخره.

الفائدة الأولى: أَنَّهُ يلقى ـ ثواب ـ عدل عشر رقاب يعتقها.

الفائدة الثانية: يكتب له مائة حسنة.

الفائدة الثالثة: يمحى عنه مائة سيئة.

الفائدة الرابعة: تكون له حرزًا ذلك اليوم من الشَّيطان حتَّى يمسي «**وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِنْهُ إِلَّا رَجلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ**» يعني: لو قال: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**، مائتي مرة، أو ثلاثمائة أو ألفًا كان الأجر أعظم، وما

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣١٩) عن أنس رضي الله عنه، وبرقم (٣١٨) عن عثمان رضي الله عنه وأخرجه ابن ماجه برقم (٧٣٥) عن عمر رضي الله عنه، وبرقم (٧٣٦) عن عثمان رضي الله عنه، وبرقم (٧٣٧) عن علي رضي الله عنه، وبرقم (٧٣٥) عن جابر رضي الله عنه.

ذاك إلَّا أن الذِّكر يغرس في القلب تعظيم الله، والأنس به، والشوق إليه، والمسارعة إلى طاعته، والتحدث بنعمه، والوقوف عند حدوده، والحذر من معاصيه، وكلما أكثر من ذكر الله صار ذلك أقرب إلى صلاح قلبه، وطهارته.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من هذا الذِّكر، ولا يشترط أن يقول المائة دفعة واحدة، لو فرقها حصل له الأجر، والفضل المترتب عليها، وإن كان الأولى قولها دفعة واحدة **وكذلك الأولى** جعلها صباحًا؛ لتكون له حرزًا من الشَّيطان، من بداية يومه.

ويقول ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» أخرجه مسلم في الصَّحيح، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَحَبُّ الكَلَام إِلَى الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ**»[(١)] أخرجه مسلم في الصَّحيح أيضًا. فأنت يا عبد الله حاسب نفسك، واغتنم هذه الفرصة، هذا الخير العظيم، أينما كنت.

أمَّا حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ...**» لا بأس بإسناده، حديث حسن، وبعض الروايات: «**أَعْتَقَهُ الله مِنَ النَّارِ يَوْمَهُ ذَلِكَ**» يعني: العتق لمن قال هذا الذِّكر «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ الله رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ...**»[(٢)].

إذا قالها مرَّة أعتق الله ربعه من النَّار، ومن قالها: مرتين، أعتق الله نصفه من النَّار، ومن قال لها ثلاث مرَّات أعتق الله ثلاثة أرباعه، وإذا قالها أربع، أعتق كله من النَّار، **فينبغي للمؤمن**: أن يُكثر من ذكر الله، في كل أحواله، في بيته على فراشه، في طريقه، في عمله، في أي مكان.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٣٧) عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) بلفظ: «**إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ**» أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٧٨).

أمَّا حديث السوق: «مَن دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكُ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ». فهو حديث ضعيف[(١)] غير ثابت عن النَّبِيِّ ﷺ لكن ذكر الله في الأسواق، عند غفلة النَّاس فيه فضل كبير، وخير عظيم، وفوائد جمَّة، فينبغي للمؤمن الإكثار من ذكر الله، في السوق، وفي المسجد وفي كل مكان.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الرَّابعة والثلاثون**: أنَّ دوام ذكر الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يوجب الأمان من نسيانه الَّذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها، واشتغل عنها، فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان، أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره وضيَّع مصالحه، فإنَّه يفسد ولا بدَّ.

هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها، وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان.

وهذا هو الَّذي صار أمره كله **فُرطًا** فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلَّا بدوام ذكر الله تعالى، **واللَّهج** به، وأن لا يزال

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٢٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال حديث: غريب، فيه عمرو ابن دينار قهرمان آل الزبير، ضعيف من السادسة، ينظر: «**تقريب التهذيب**» لابن حجر (ص٤٢١ ترجمة رقم ٥٠٢٥).

اللِّسان رطبًا به، وأن ينزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها، ومنزلة غذائه الَّذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللِّباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسَّمُوم.

فحقيق بالعبد: أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما، من هلاك البدن وفساده!؟ هذا هلاك لا بد منه، وقد يعقبه صلاح لأبد، وأمَّا هلاك القلب والروح، فهلاك لا يُرجى معه صلاح، ولا فلاح، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذِّكر وإدامته إلَّا هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدُّنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] أي: تُنسى في العذاب، كما نسيت آياتنا فلم تذكرها، ولم تعمل بما فيها.

وإعراضه عن ذكره: يتناول إعراضه عن الذِّكر الَّذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربِّه تعالى.

فإنَّ الذِّكر في الآية: إمَّا مصدر مضاف إلى معموله الَّذي هو المذكور، وإمَّا اسم مضاف إلى الفاعل، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة، أي: من أعرض عن كتابي ولم يتله ولم يتدبره، ولم يعمل به ولا فهمه، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلَّا مُضيَّقة عليه، مُنكدة معذَّبًا فيها.

والضَّنكُ: **الضيق والشّدّة** والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفُسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصَّحيح: أنها تتناول معيشته في الدُّنيا وعذابه في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة ينسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ فهذا في الدُّنيا، ثُمَّ قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧] فهذا في البرزخ، والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النّحل: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فهذا في الدُّنيا، ثُمَّ قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هُود: ٣] فهذا في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر: ١٠].

فهذه أربعة مواضع، ذكر تعالى فيها أنَّهُ يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاءً في الدُّنيا، وجزاءً في الآخرة، فالإحسان له جزاء مُعجَّل ولا بد، والإساءة لها جزاء مُعجَّلٌ ولابد.

ولو لم يكن إلَّا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره، وانفساح قلبه، وسروره، ولذته بمعاملة ربِّه ﷻ، وطاعته، وذكره ونعيم روحه بمحبته، وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السُّلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يجازى به المسيء: من ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتشتته وظلمته، وحزازاته، وغمِّه وهمِّه، وحزنه، وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم، والأحزان، والضيق، عقوبات عاجلة، ونار دنيوية وجهنم حاضرة.

والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضاء به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته، ثواب عاجل وجنَّة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة»[١].

---

(١) قرئ بتاريخ (١١/ ١٠/ ١٤١٤هـ) والثالثة: (١٧/ ٨/ ١٤١٧هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٩٢- ٩٦).

الشرح:

الذِّكر له فوائد عظيمة، وقد تقدَّم جملة منها، فذكر الله جَلَّوَعَلَا له شأن عظيم في حياة القلب وصلاحه، وعمارته بخوف الله ومراقبته، والقيام بحقِّه، والحذر من معاصيه، بخلاف الغافل عن الله وعن ذكره، والمشتغل عنه بشهواته وحظوظه العاجلة، فقد اسودَّ قلبه، وأظلم، وقسا، وأعرض عن الآخرة، وصار إلى الهلاك، فمن أسباب السعادة، والنجاة دوام ذكر الله، بتسبيحه وتهليله وتكبيره، ودعائه، والتفكر فيما يجب على العبد من حقوقه، والتفكر في جزائه في الآخرة، وعقابه، ونعيمه، وما أعد لأوليائه، وما أعد لأعدائه، فهذه أسباب النَّجاة.

ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤] وقال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧] هذه عقوبات عظيمة، نسأل الله العافية.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] نسوه، أي: نسوا حقه، وأعرضوا، وتابعوا الهوى، والشهوات، فأنساهم الله أنفسهم، أي: أنساهم الله أسباب نجاتها، وأسباب سعادتها بشغلهم بعاجل أمرهم، ودنياهم وشهواتهم، عقوبة عاجلة.

فالواجب على المؤمن: أن يفكر في هذا الأمر، وأن يجتهد في دوام ذكر ربّه، والأنس به والخوف منه، ومراقبته له في بيته في طريقه، في مصنعه، في مركبه في كل مكان، أن يكون جسمه مع النَّاس، وقلبه مع الله، في كل وقت، جسمه في الصنعة في العمل في البيع والشراء، في الحرث في غير ذلك؛ ولكنه مع ربه بذكره، وتعظيمه، وأنسه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ هذا العامل بسبب استقامته، يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، ثُمَّ يجزى في الآخرة الجزاء الحسن، لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] **فيجازى في الدُّنيا** بالحياة الطَّيِّبة، الَّتي فيها سعادة قلبه، واستقامته مع الله، وأداؤه الحقوق، وأنسه بربه، وأنسه بإخوانه وأهله، ثُمَّ في الآخرة له الجنة والكرامة.

فجدير بكلِّ مؤمن وبكل مؤمنه: أن يشتغل بذكر الله قولًا وعملًا، بقلبه ولسانه، وألَّا يفتر عن ذلك، حتَّى تكون أوقاته مشغولة بما ينفعه، ويبعده عن الغفلة، وحتَّى يسلم من تفارط أمره عليه، وضياع حياته بسبب تزيين الشَّيطان، واتباع الهوى، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه، يقول: إنَّ في الدُّنيا جنَّة من لم يدخلها لا يدخل جنَّة الآخرة(١).

وقال لي مرةً: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري إن رحت، فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة(٢).

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٣) ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربِّه تعالى، والمأسور

---

(١) ينظر: «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام» لعبد الرَّحمن ابن قاسم (١/ ١٥٣).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى شيخ الإسلام**» لابن تيمية (٣/ ٢٥٩).

(٣) اقتباس منه رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث وصية النَّبيّ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذي أخرجه عنه أبو داود، برقم (١٥٢٢).

من أسره هواه، ولما أُدخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].

وَعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنَّعيم، بل ضدها ومع ما كان فيه من الحبس، والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنَّا إذا اشتدَّ بنا الخوف، وساءت منَّا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلَّا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كُلُّهُ عنَّا، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنَّته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحِهَا ونسيمها وطيبها، ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها[(١)].

وكان بعض العارفين، يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف[(٢)]. وقال آخر: مساكين أهل الدُّنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها.

قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال محبَّة الله تعالى ومعرفته وذكره، أو نحو هذا.

وقال آخر: أنَّهُ لتمرُّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا.

وقال آخر: أنَّهُ لتمرُّ بي أوقات، أقول: إن كان أهل الجنَّة في مثل هذا إنَّهم لفي عيش طيِّب.

فبمحبة الله تعالى، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون

---

(١) ينظر: «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام» لعبد الرحمن بن قاسم (١/ ١٥٣، ١٥٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ٣٧٠) عن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ.

هو وحده المستولي على هموم العبد، وعزماته، وإرادته هو جنَّة الدُّنيا، والنَّعيم الَّذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين.

وإنَّما تقرُّ عيون النَّاس بهم على حسب قرة أعينهم باللَّه ﷻ، فمن قرت عينه باللَّه قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه باللَّه تقطَّعت نفسه على الدُّنيا حسرات.

وإنَّما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياةٌ، وأمَّا ميِّت القلب فَيُوحِشُكَ، ثُمَّ فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلَّا حضوره عندك، فإذا ابتليت به، فأعطه ظاهرك، وترحّل عنه بقلبك، وفارقه بسرّك، ولا تشتغل به عما هو أولى بك»[(١)].

الشرح:

هذه الكلمات الَّتي ذكرها المؤلف عن الذِّكر، هي الحقيقة الَّتي يعرفها المؤمنون، فإنَّ ذكر الله ﷻ، ومحبته والرغبة فيما عنده، والخوف من عذابه، راحة المؤمنين، ولذَّة قلوبهم، وجنَّتهم العاجلة، وأنسهم باللَّه، واشتغالهم بذكره، وحسن ظنهم بربّهم سبحانه وتعالى، والاجتهاد في مراضيه، مع الصِّدق، وهذه حياتهم الطَّيِّبة، ونعيمهم أنسهم باللَّه وشوقهم إليه.

ولهذا يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله شيخ المؤلف: إنَّ في الدُّنيا جنَّة من لم يدخلها لم يدخل جنَّة الآخرة، فالجنَّة الأنس بالذِّكر، والطاعة، ومحبة الله سبحانه وتعالى، والتلذذ بمناجاته ودعائه، من لم يعرف هذه ا لجنَّة، ولم يأنس بها، كيف يصل إلى جنَّة الآخرة، وهو بعيدٌ عن ذكر الله، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والأنس به، وحسن الظن به.

فجدير بالمؤمن: أن يجتهد في طاعة ربّه، وأن يجتهد في الإكثار من ذكره، وأن تكون هذه الأمور غالبة على قلبه أينما كان، فإذا حصلت له، فهي معه تدور حيث دار، لا يستطيع أحد أن يخرجها من قلبه.

(١) قرئ بتاريخ: (١٧/ ١٠/ ١٤١٤هـ. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٩٦- ٩٨).

ولما حبس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قلعة دمشق، بسبب ما جرى بينه وبين بعض علماء عصره من المنحرفين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا يصنع الأعداء بي جنَّتي معي، في قلبي، حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي سياحة.

فالمقصود: أنَّ المؤمن البصير بدينه لا يبلغ أعداؤه منه إلَّا الشيء الظاهر، من سجن أو عذاب، أو قتل، أمَّا قلبه فهو مع ربّه مستقر في جنَّة بالذِّكر والنّعيم، والأنس باللَّه، والشوق إليه، وحسن الظن به، ومحبته والتلذذ بمناجاته، في أي مكان، وفي أي زمان.

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ والاجتهاد في محاسبة النَّفس وجهادها في جميع الأوقات، حتَّى تكون مع الله بالمحبة والذِّكر، والخوف، والرجاء، والشوق إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُلك: ١٢] وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤] وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرَة: ١٥٢].

فالحياة الطَّيِّبة حياة المؤمن مع ربه بطاعته، والأنس به والشوق إليه، ومحبته وخوفه ورجائه، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧] وهذه الدار، دار العمل، دار الزراعة للآخرة، دار المجاهدة والجدِّ والنشاط،، ليست هي بدار الشهوات العاجلة.

هي في حقِّ أهل البصيرة: هي دار العمل، دار الاستكثار من ذكره وطاعته، دار مجاهدة النفوس فيما يحبه ويرضاه، ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفَال: ٢٤] **فالدعوة: دعوة الرُّسل** لما يحي العباد، دعوة لما فيه الحياة؛ لأن طاعة الله، وذكر الله والأنس به، والاستقامة على دينه،

هذه هي الحياة.

أمَّا الإعراض: عن الله، والاشتغال بمتاع الحياة العاجلة، فهذا هو الموت؛ ولهذا قال في الجهلة المعرضين يقول سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤] هذه حالهم كما قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ هذه حال أكثر الخلق، كالإبل والبقر والغنم، بل أضل منهم أسوأ حالًا من البهائم.

البهائم تأنس بمرعاها، وفي وجودها مع أشكالها، ولا يهمها شيء آخر غير حاجة بدنها، هؤلاء كذلك مثل الأنعام، لا يهم إلَّا بطونهم وشهواتهم، معرضين عن الآخرة غافلين عنها، عندهم عقول ما نفعتهم، صاروا أضل من الأنعام وأقبح.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] بين سبحانه أنَّهُمن لم ينتفع بعقله، ولا بسمعة، ولا ببصره، فهو غافل جاهل، شبيه بالبهيمة، بل شر من البهيمة، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

[... «**واعلم أنَّ الحسرة** كلّ الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلَّا فوت نصيبك وحظك من الله ﷻ، وانقطاعك عنه وضياع وقتك عليك، وشتات قلبك، وضعف عزيمتك وتفرق همِّك.

فإذا بُليت بهذا ولا بدَّ لك منه، فعامل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرب إلى الله تعالى بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجرًا لك لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل أوقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به، فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع، فلا تقف معه بل اركب

الدرب ودعه، ولا تلتفت إليه، فإنه قاطع الطريق، ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضن بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ، أو يطلع الفجر وأنت في المنزلة، فتسير الرفاق، فتصبح وحدك وأنى لك بلحاقهم][(١)].

الخامسة والثلاثون: أنَّ الذِّكر يسيِّر العبدَ، وهو قاعد على فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده، واضطجاعه وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتَّى أنَّهُ يسيِّر العبدَ وهو نائم على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب، وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل، في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وحُكي عن رجل من العُبَّاد، أنَّهُ نزل برجل من العُبَّاد ضيفًا، فقام العابدُ ليلهُ يصلِّي، وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب أو كما قال، فقال: ليس الشأن فيمن بات مسافرًا وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب.

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حمله على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت، فهو باطل، وإنَّما محمله أن هذا المستلقي على فراشه عَلَّقَ قلبه بربِّه ﷻ، وألصق حَبَّةَ قلبه بالعرش، وبات قلبُهُ يطوف حول العرش مع الملائكة، قد غاب عن الدُّنيا ومن فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام، أو خوف على نفسه من رؤية عدوٍّ يطلبه، أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله تعالى به عليم.

---

(١) الجزء الَّذي ما بين المعكوفتبن [...] قرئ بتاريخ (٨/ ٧/ ١٤١٢هـ) وبتاريخ (٢٤/ ٨/ ١٤١٧هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٩٩ س ١) ولم أعثر له على شرح في التسجيلات الصوتية، وأثبته من «**الوابل الصيب**» **(ص٩٨، ٩٩)** حتَّى تكتمل نصوص الكتاب ولا يكون فيها نقص.

وآخر قائم يصلِّي ويتلو، وفي قلبه من الرياء والعُجب، وطلب الجاه والمَحْمَدَةِ عند الناس، ما الله به عليم، أو قلبه في واد وجسمه في واد، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعوَّلُ على الساكن لا على الأطلال، والاعتبار بالمحرِّك الأول فالذِّكر يثير العزم الساكن، ويهيج الحبَّ المتواري، ويبعث الطلب المبيَّت»(١).

الشرح:

قد تقدَّم من الفوائد الكثيرة للذِّكر، ما فيه الحث والتحريض على الذِّكر، والترغيب في الاستمرار عليه، ومن فوائده: أنَّهُ يسيِّر العبدَ إلى منازل المقرَّبين، وإلى الغُرف العالية، وإلى مرضاة الرَّب ﷻ وهو جالس، فالإنسان بذكر الله جَلَّ وَعَلَا، والشوق إليه محبةً له وتعظيمًا وإخلاصًا له، يرفعه الله به درجات، ويحط به الخطيئات، أعظم من الرجل العامل الَّذي هو في غفلة، وفي إعراض، والَّذي جسمه في واد، وقلبه في واد، أو قد بُلي بالرياء وطلب السمعة، والمنَّة بعمله، أو بغير هذا من الآفات.

أمَّا هذا الذَّاكر: فيكون مع المقربين الأخيار، لملازمته الذِّكر، مع قيامة بالواجبات، وتركه للمحرمات، ومما يدل على هذا المعنى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لجويرية بنت الحارث لما دخل عليها ضحى، وهي في مصلاها، فقال: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(٢) أربع كلمات، ثلاث مرَّات...

---

(١) قرئ بتاريخ (١٨/ ١٠/ ١٤١٤هـ) و (٢٤/ ٨/ ١٤١٧هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٩٨ - ١٠٠).

(٢) أخرجه عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مسلم، برقم (٢٧٢٦).

فينبغي للإنسان: أن يُكثر من الذِّكر، ـ لا سيما الذِّكر بالألفاظ الجامعة، عليك أن تكثر من الذِّكر ـ، وأنت في أعمالك، في صنعتك، في حدادتك، في مزرعتك، في شأن إبلك، في سفرك وإقامتك، في نجارتك، هكذا الذّكر يمشي معك في كل شيء والحمد لله، هو أسهل العبادات وأيسرها، مع فضله العظيم.

المقصود: أنَّهُ ينبغي للمؤمن، أن يُكثر من ذكر الله بقلبه، وبلسانه، كما يذكر الله بعمله من صلاة وغيرها، وحين الذِكر يكون فيه إخلاص وصدق مع الله، ورغبه وشوق إليه ﷻ، لا رياء ولا سمعة، يكون أجره أعظم.

فالإكثار من الذِّكر يرفع العبد إلى درجة المقربين، ويحصل له من الدرجات العالية، مع استقامته على فعل الأوامر وترك المحارم، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رحمه الله:

«**السادسة والثلاثون**: أنَّ الذِّكر نور للذَّاكر في الدُّنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصَّراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالأول: هو المؤمن استنار بالإيمان باللَّه، ومحبَّته ومعرفته وذكره.

والآخر: هو الغافل عن الله تعالى، المعرض عن ذكره ومحبَّته، والشَّأن كل الشأن، والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته؛ ولهذا كان النَّبيّ ﷺ يبالغُ في سؤال ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حين يسأله: أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وبشره، وسمعه وبصره، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، وخلفه وأمامه، حتَّى يقول: «**وَاجْعَلْنِي نُورًا**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم، برقم (٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فسأل ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا، فدين الله ﷻ: نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره الَّتي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نور السماوات والأرض ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه.

وفي دعاء النَّبيّ ﷺ يوم الطائف: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ العُتْبَى حتَّى تَرْضَى، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ**»[(١)].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لَيْسَ عِنْدَ رَبُّكُمْ لَيْلٌ، وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ**»[(٢)] ذكره عثمان الدارمي، وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩].

فإذا جاء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة للفصل بين عباده، وأشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما، وحجابه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النُّور.

قال أبو موسى: قام فينا رسول الله ﷺ بِخمسِ كلماتٍ، فقال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ [لكنه] يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» ثُمَّ قر [أبو **عبيدة**] ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النَّمل: ٨][(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في كتاب «الدعاء»(ص٣١٥ برقم١٠٣٦) عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٥/ ٤٥٦ برقم ٨٩٥١) وعزاه للطبراني، وقال: فيه محمَّد بن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقلت.

(٢) في كتابه «**نقض المريسي**»(١/ ٤٧٥) والطبراني في «**المعجم الكبير**» (٩/ ١٧٩ برقم٨٨٨٦) وذكره الهيثمي (١/ ١٠٠ برقم ٢٨٢) وعزاه للطبراني، وقال: فيه أبو عبد السَّلام، ذكر ابن حبان في الثقات، وقال عنه أبو حاتم مجهول، وفيه عبد الله بن مكرز، أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٧٩).

فاستنارةُ ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره؛ ولهذا لما تجلى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** للجبل، وكشف من الحجاب شيئاً يسيرًا ساخ الجبل في الأرض، وتدكدَكَ، ولم يقم لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: ذلك الله عَزَّوَجَلَّ، إذا تجلَّى بنوره لم يقم له شيء.

وهذا من بديع فهمه **رضي الله تعالى عنه**، ودقيق فطنته كيف لا، وقد دعا له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ يعلمه الله التأويل[(١)].

فالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له، وإن رأته، فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشَّمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها ولا ندركها، كما هي عليه، ولا قريبًا من ذلك. ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية، وأورد عليه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أفتدركها؟ قال: لا، قال: فاللَّه تعالى أعظم وأجلُّ»[(٢)].

الشرح[(٣)]:

هذه الفائدة السادسة والثلاثون: من فوائد الذِّكر: تدلّ على أنَّ الذِّكر له أثر عظيم، فهو نور للذَّاكر في الدُّنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده وآخرته، فمن داوم على ذكر الله وأكثر منه جعل الله له بذلك نورًا

---

(١) يشير لحديث: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» أخرجه عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الطبراني في «**الكبير**» (١٠/ ٢٣٨ برقم ١٠٥٨٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٣/ ٦١٥ برقم ٦٢٨٠) وإن كان أصله عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، في الصَّحيح بلفظ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**» البخاري، برقم (٣٧٥٦) وبلفظ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**» برقم (٧٥).

(٢) قرئ بتاريخ (٩/ ٧/ ١٤١٢هـ) و (٢٤/ ١٠/ ١٤١٤هـ) وبتاريخ (٣٠/ ٨/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٠٠ - ١٠٣).

(٣) **تنبيه**: شرح هذه الفائدة هو من جمع المعتني من كلام سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يمشي به بين الناس في الحياة الدُّنيا وفي يوم القيامة، فالذِّكر حياة القلوب ونورها، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالمؤمن استنار بالإيمان باللَّه، وبذكره، والغافل المعرض عن ذكر الله فوت على نفسه نور الذِّكر والخير الكثير.

وقد كان النَّبِيُّ ﷺ كثيرًا ما يسأل ربّه ويدعوه أن ينور له عقله، وروحه، وجسده، وكل أعضائه بقوله: في لحمي، وعظامي، وعصبي، وشعري، وبشري، وسمعي وبصري، ومن فوقي ومن تحتي، وعن يميني وعن شمالي، ومن خلفي وأمامي حتَّى يقول: «وَاجْعَلْنِي نُورًا»(١).

وكان من دعائه ﷺ: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ...» هكذا كان يتعوذ بنور وجه الله الَّذي أشرقت له الظلمات في الدُّنيا، وفي يوم الفصل والقضاء ستشرق الأرض بنور ربها، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩].

والله نور، وحجابه النُّور، أو النَّار، كما في الحديث: «حِجَابُهُ النُّورُ - أَوْ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ» فالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى يوم القيامة عيانًا بالأبصار، يراه أهل الإيمان في الموقف، ثُمَّ أعظم نعيمهم رؤيته في الجنَّة، رؤية دون إدراك به وإحاطة ﷻ، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] فلا تحيط به الأبصار(٢) كما قال حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رزقنا وإياكم النظر إلى وجهه الكريم.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٧٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: للمزيد حول رؤية الله ﷻ، في الدُّنيا منامًا، وفيَ في الآخرة عيانًا بالأبصار. «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٦/ ٤٦٣، ٤٦٥) و«**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (١/ ١٥٦، ١٥٨، ١٦٥).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقد ضرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنوره في قلب عبده مثلًا لا يعقله إلَّا العالمون، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النُّور: ٣٥].

قال أبي بن كعب: مَثل نوره في قلب المسلم.

وهذا هو النُّور الَّذي أودعه في قلبه من معرفته، ومحبته، والإيمان به، وذكره وهو نوره الَّذي أنزله إليهم فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين النَّاس، وأصله في قلوبهم، ثُمَّ تقوى مادته فتتزايد حتَّى يظهرَ على وجوههم، وجوارحهم، وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم، وسائر الخلق له منكرون.

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النُّور، وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتَّى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدُّنيا، فمنهم من نوره كالشَّمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنّجم، وآخر كالسراج، وآخر يعطى نورًا على إبهام قدمه يضيء مرة ويَطفأ أخرى، إذا كانت هذه حال نوره في الدُّنيا، فأعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدُّنيا، بل كان نوره ظاهرًا لا باطنًا أعطي نورًا ظاهرًا مآلُهُ إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله عَزَّ وَجَلَّ لهذا النُّور، ومحله، وحامله، ومادته، مثلًا بالمشكاة، وهي الكوَّة في الحائط، فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج، وحتى شبِّهت بالكوكب الدُّريِّ في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب وشبهت بالزجاجة؛ لأنَّها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن.

وهي الصَّفاء، والرِّقة، والصَّلابة، فيرى الحقَّ والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة، والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى،

ويغلظ عليهم، ويشتد في الحقِّ ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أُخرى، ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفَتْح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبَة: ٧٣][١].

الشرح:

هذه الآية الكريمة في أثر الذِّكر الظاهر للعيان في الذَّاكر من الاستنارة بنور الله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٥] ومعنى الآية عند العلماء: أن الله سبحانه منورها، فجميع النور الَّذي في السماوات والأرض، ويوم القيامة كل من نوره سبحانه.

والنور نوران: نور مخلوق، وهو ما يوجد في الدُّنيا والآخرة، وفي الجنَّة، وبين النَّاس الآن من نور القمر، والشمس، والنُّجوم، وهكذا نور الكهرباء والنَّار كله مخلوق، وهو من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا خالق سواه.

أمَّا النُّور الثَّاني: غير مخلوق؛ بل هو صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنور وجهه عَزَّ وَجَلَّ، ونور ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كلاهما غير مخلوق، بل هما من صفاته جَلَّ وَعَلَا، كسمعه، وبصره، ويده، وقدمه، وغير ذلك من صفاته العظيمة، وهذا هو الحقُّ الَّذي درج عليه أهل السنة والجماعة[٢].

وهذا المثل الَّذي ضربه الله بـ«المشكاة» ضربه لصفاء قلب المؤمن بالمشكاة المضيئة بالمصابيح الزيتية، الزيتونية، يعرف الحقّ بفطرته، وعقله، الَّذي استنار بنور الوحي فاجتمع له، نوران: نور الفطرة، ونور الوحي، فهو نور على نور، فيكاد ينطق بالحقّ، وإن لم يسمع فيه أثرًا،

---

(١) قرئ بتاريخ (١٣/ ١٠/ ١٤١٧هـ) .ينظر: «**الوابل الصيب**» (**ص١٠٣ - ١٠٥**).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٦/ ٦٨، ٦٩) و(٢٤/ ٢٥٨، ٢٥٩).

فهو قلب حي بنور، ومن لم يؤمن باللَّه، فقلبه قلب الجاف، والمفرط، هو القلب الميت، الَّذي لم يستنر بنور الله، نور الله قلوبنا بالإيمان، وأحيا أجسادنا وقلوبنا بذكره[1].

فالمؤمن الَّذي يدع: ما نهى الله عنه على بصيرة، ويسير إلى الله على بصيرة، مَثله جَلَّ وَعَلَا بالمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، المصباح: هو السراج، والزجاجة معلومة؛ كأنها كوكب دريٌّ لصفائها ونقائها وبياضها.

ثُمَّ هذا المصباح يوقد من شجرة مباركة زيتونة، المادة الَّتي تجيء من هذه الشجرة، لا شرقية، ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، فقلبه مليء بالنور، وما أعطاه الله من الوحي كله نور، فجمع الله له النورين: نور القلب بفطرته، ونور الإيمان، والهدى، دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وفي أثر**: «القلوب آنية الله تعالى في أرضه، فأحبُّها إليه أرقُّها وأصلبها واصفاها»[2].

وبإزاء هذا القلب قلبان: مذمومان في طرفي نقيض.

أحدهما: قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه، ولا إحسان، ولا بر، ولا له صفاء يرى به الحقّ، بل هو جبارٌ جاهل لا علم له بالحقِّ، ولا رحمة للخلق.

وبإزائه قلب ضعيف مائي، لا قوَّة فيه ولا استمساك، بل يقبل كل

---

(١) **تنبيه**: تكملة شرح الفائدة (٣٦) هو من جمع المعتني من كلام سماحته وليس من نصه.

(٢) أخرجه مرفوعًا الطبراني في «**مسند الشاميين**» (٢/ ١٩) عن أبي عنبة الخولاني، قال ابن قائد: قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٦٩١) إسناده جيِّد وانظر: «**السلسلة الصحية**» (١٦٩١) قال: وروي من وجوه أخرى مرفوعًا وموقوفًا. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٢١).

صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصور، ولا قوة التأثير في غيره، وكل ما خالطه أثر فيه، من قوي وضعيف، وطيب وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النُّور الَّذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر حتَّى أنَّهُ ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الَّذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي الَّتي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور، وأعدلها وأفضلها لم تنحرف انحراف النصرانية، ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتَّى كاد أن يضيء بنفسه، ثُمَّ خالط النار فاشتدت بها إضاءته، وقويت مادة ضوء النار به، كان ذلك نورًا على نور.

وهكذا المؤمن قلبه **مضيء** يكاد يعرف الحقّ بفطرته، وعقله، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي، فباشرت قلبه وخالطت بشاشته، فازداد نورًا بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور، فيكاد ينطق بالحقّ، وإن لم يسمع فيه أثرًا، ثُمَّ يسمع الأثر مطابقًا لما شهدت به فطرته، فيكون نورًا على نور.

فهذا شأن المؤمن يدرك الحقَّ بفطرته، مجملاً، ثُمَّ يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللَّبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، فذكر ﷻ نوره في السَّموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر، والنور الَّذي استنارت به البصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار، الَّذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان، **أحدهما**: أعظم من الآخر.

وكما أَنَّهُ إذا **فقد أحدهما** من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره؛ لأنَّ الحيوان إنَّما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور، لا يعيش فيها حيوان، ولا يتكوَّن البتة، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي، والإيمان ميتة، وقلب فقد منه هذا النور ميتٌ، ولا بد لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه»[(١)].

الشرح:

جمع الله للمؤمن النُّورين: نور القلب بفطرته، وما جعل الله فيه من العلم، ونور الإيمان، والهدى، دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة، هكذا المؤمن جمع الله له النُّور كله نور القرآن، نور السُّنَّة، نور الفطرة، فهو بفطرته وبما علمه الله من كتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ قد أراه الله نورًا عظيمًا يسير به بين النَّاس، فيعبد الله على بصيرة، ويدع ما نهى الله عنه على بصيرة، ويوالي على بصيرة، ويعادي على بصير، ويأمر وينهى على بصيرة حتَّى يلقى ربّه، فهو في النُّور في الدُّنيا وفي القبر، وفي الآخرة، ببصيرته وعلمه النافع واهتدائه بما أعطاه الله من النور.

أمَّا المنافق والكافر الأعمى: فهو في ظلمته، وإن أضاء له في الآخرة، فهو نور في الظاهر فقط، مجاراة له بزعمه في الدُّنيا أَنَّهُ مسلم وتلبيسه على النَّاس، فيعامل بمثل ذلك يخادع كما خدع، ويعطى يوم القيامة نور لا حقيقة له يضيء وينطفأ، ويعود في الظلمة إلى أن يساق إلى النَّار نعوذ باللَّه من ذلك.

فعلى المؤمن: أن يتحرى النُّور الَّذي شرعه الله، وأن يجتهد في تعلم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والإكثار من ذكر الله، وأعمال الخير، فهذه كلها أنوار يجعلها الله في قلبه تضيء له طريق الآخرة، طريق

---

(١) قرئ بتاريخ: (١٠/ ٧/ ١٤١٢هـ) و(١/ ١١/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٠٥ - ١٠٧).

السَّعادة، وتباعد بينه وبين طريق أهل الظلمة، وأعمالهم السَّيِّئة وسيرتهم الذميمة، نور الله قلوبنا بالإيمان، وأحيا أجسادنا وقلوبنا بذكره(١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقرن بين الحياة والنُّور، كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] وكذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشّورى: ٥٢].

وقد قيل: إنَّ الضمير في: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد إلى الأمر، **وقيل**: إلى الكتاب، **وقيل**: إلى الإيمان، **والصواب**: أنَّهُ عائد إلى الروح، أي: جعلنا ذلك الروح الَّذي أوحيناه إليك نوراً، فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح، فهو ميت مُظلم، كما أن من فارق بدنه روح الحياة، فهو هالك مضمحل.

ولهذا يضرب سبحانه المثلين: المائي والنَّاري معًا لما يحصل بالماء من الحياة، وبالنَّار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧] وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم؛ لأنَّ النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم

(١) **تنبيه**: تكملة شرح الفائدة (٣٦) هو من جمع المعتني من كلام سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا، فأصلاها الله تعالى إيَّاها يوم القيامة ناراً موقدة تطلع على الأفئدة.

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدُّنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق عرف، ثُمَّ أنكر، وأقر ثُمَّ جحد، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [الأنعام: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧١].

وشبَّه الله تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأنَّ المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا.

ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة: ١٨] إليه؛ لأنَّهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا، فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في حقِّ الكُفَّار: ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧١] لأنَّهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه ولا استناروا به، بل لا يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي، فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا، لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا من غيها خالية؛ ولكن عصفت على القلوب أهوية الشُّبهات والشهوات، فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة، فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها، فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغيِّ، وشهادة الباطل، فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ

أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة و«مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ»(١) (٢).

الشرح:

الله سبحانه جعل كتابه الكريم، وسُنَّة رسوله الأمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حياةً للبشر، ونورًا للبشر، فمن رزق الاستضاءة بهذا النور، والاهتداء به، استقام على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قولًا وعملًا وعقيدةً، عاش بالنور في الدُّنيا، ومات في النور.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني: باتِّباع الإسلام، بتوحيد الله والإخلاص له ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ نور العلم والبصيرة من كتاب الله وسنة رسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: هل يستوي مع من هو في الظلمات: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] لا يستويان.

فالمؤمن الموفَّق: قد رزقه الحياة والنور، والكافر في ظلمة وضلالة وموت، فلا حياة لأنه لم يدخل في الإسلام، ولا نور له، ولا علم له بالشريعة، ولا بصيرة له، بما جاءت به الرُّسل، فهو في ظلمته وجهله، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١] صم لا يسمعون الحق، بكم لا ينطقون به، عمي لا يبصرونه، قد شغلوا بشهواتهم وشبهاتهم، وإعراضهم، وجحودهم، واستكبارهم على الحق، فهم لا يعقلون، ولا يفهمون.

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ

---

(١) عجز بيت للمتنبي، وصدره: مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليهِ، ينظر: «**شرح ديوان المتنبئ**» للواحدي (١/ ٢٦٢) و«**خزانة الأدب**» لتقي الدين أبي بكر علي الحميري (١/ ١٨٩).

(٢) قرئ بتاريخ: (١٦/ ٨/ ١٤١٢هـ) و(٢/ ١١/ ١٤١٤هـ) و(١٤/ ١٠/ ١٤١٧هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٠٧ - ١٠٩).

إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤] جعلهم سبحانه أضل من الإبل والبقر والغنم؛ لأن هذه البهائم قد تهتدي إلى مصالحها، أما هؤلاء لا يهتدون إلى مصالحهم، بل فارقوا مصالحهم، وحادوا عن طريق أهل السداد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ يعني: خلقنا لجهنم ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالَّذي لا يستعمل عقله وسمعه، وبصره في الحقّ، فهو أردى من الأنعام، الأنعام تستعمل ما أعطاها الله من القوى، فترعى وتذهب إلى الماء، وتجيب الداعي إذا دعاها لعلفها، أو لشيءٍ الَّذي اعتادته، أما هؤلاء فقد صاروا شرًا من الأنعام، فلا يستجيبون للداعي، ولا ينظروا لمصالحهم، وليس همهم إلَّا الشَّهوات، الَّتي تناسبهم، والشبهات الَّتي رانت على عقولهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشّورىٰ: ٥٢-٥٣].

فالروح: هو الوحي: الكتاب والسنة، ما جاءت به الرُّسل: هو الروح؛ لأنه الحياة تحصل به في الدُّنيا والآخرة، وهو النور أيضًا تحصل البصيرة، والهداية، والعلم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ هو روح تحصل به الحياة، ونور تحصل به البصيرة والعلم لمن رزق التفقه في الدين والتبصر والتعلم.

أمَّا من تابع الهوى والشَّيطان، فإنه تفوته هذه الحياة، ويفوته هذا النور، ويبقى في ظلمة الجهل والشُّبهات والشَّهوات.

فالواجب على ذي العقل والراغب في الحقِّ أن يلجأ إلى الله، وأن يسأله الهداية، وأن يشمر عن ساعد الجد للتفقه في الدِّين والتبصر في كتاب الله وسُنَّة رسوله حتَّى يأتي الأمور من أبوابها، وحتَّى تحصل له الحياة بهذا العلم، والنُّور بهذا العلم، وفَّق الله للجميع.

فصل

[في بيان المثل المائي في حياة القلب]

«**والمثل الثَّاني المائي**، قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [البَقَرَة: ١٩] الصيب: المطر الَّذي يصوب من السماء، أي: ينزل منها بسرعة، وهو مثل القرآن الَّذي به حياة القلوب، كالمطر الَّذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد، والتهديد، والعقوبات والمُثُلات الَّتي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنَّهُ منزلها بمن كذَّب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء، والصبر على اللأواء، أو الأوامر الشَّاقة على النُّفوس التي هي بخلاف إرادتها، فهي كالظلمات، والرعد والبرق؛ ولكن من علم مواقع الغيث، وما يحصل به من الحياة لم يستوحش، لما معه من الظلمة، والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب.

وأمَّا المنافق: فإنَّه لَعمى قلبه، لم يجاوز بصره الظلمة، ولم يرَ إلَّا برقاً يكاد يخطف البصر ورعدًا عظيمًا وظلمة فاستوحش من ذلك وخاف منه، ووضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله ذلك البرق، وشدة لمعانه وعظم نوره، فهو خائف أن يختطف معه بصره؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيراً لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الَّذي به حياة الأرض والنبات، وحياته هو نفسه، بل لا يدرك إلَّا رعدًا وبرقا وظلمة، ولا شعور له بما وراء ذلك،

فالوحشة لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه.

وأمَّا من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخيرات، والحياة والنفع، علم أنَّهُلا بد فيه من رعد، وبرق، وظلمة، بسبب الغيم استأنس بذلك، ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصَّيِّب.

فهذا مثل مطابق للصيب الَّذي نزل به جبريل ﷺ، من عند رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم، والرعد، والبرق ما يقارن الصيب من الماء، حكمة بالغةً وأسبابًا منتظمة نظمها العزيز الحكيم.

فكان حظُّ المنافق: من ذلك الصيب سحابَهُ، ورعودَهُ وبروقه فقط، لم يعلم ما وراءه فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأنَّ به العالمون، وشك فيما تيقن منه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد، وقد ذُكِرَ عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد.

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء، والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمُكْثِّرين لسوادهم عدداً، وما أقلهم عند الله وأوليائه قدرًا.

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهَتكِ، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم، وأعمالهم، وأقوالهم، ولم يزل ﷻ، يقول: ومنهم، ومنهم، ومنهم حتَّى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله ﷻ في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار

آيتين، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية؛ لعموم الابتلاء بهم، وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة مُظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الَّذي قد تأبد بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته، ومفارقته»(١).

الشرح:

هذه الآية الكريمة مع الَّتي قبلها، فيها فضيحة المنافقين من سورة البقرة، فإن الله جَلَّ وَعَلَا ضرب لهم مثلين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٧-٢٠].

هذه حال المنافقين، فمنهم الأعمى، الَّذي في ظلمة دامسة؛ لكفره وضلاله، وإصراره على الباطل، ومنهم من يتردد ويتحير تارة يفيق، وتارة يرجع إلى باطله، مثل صاحب النَّار، تضيء تارة، وتنطفئ أخرى.

المقصود: أنَّهم أقسام: منهم المطبق في نفاقه المعاند لله ولرسوله، الكافر في باطن أمره، المعادي للحق، فهذا شأنه في ظلمة دائمة، ومنهم المتقلب فتارة يحصل شيء من الإقبال، وتارة يعمى ويصد عن الحق، وتارة يبقى متذبذبًا متحيرًا.

فالواجب الحذر: من هذه الصِّفات، وأن يكون المؤمن في غاية من اليقين، والاطمئنان إلى الحق والثبات عليه بأدلة شرعية، حتَّى لا يشابه

(١) قرئ بتاريخ: (١٧/٨/١٤١٢هـ) و(٨/١١/١٤١٤هـ) و (٢٠/١٠/١٤١٧هـ).
ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٠ - ١١٢).

أعداء الله المنافقين الحائرين، وهذا يحصل بالتفقه في الدين، والتعلم والعناية بالقرآن والإقبال عليه، والإكثار من تلاوته، بهذا يظهر الحق ويتضح، وهكذا صحبة الأخيار الطَّيِّبين وملازمتهم، والحذر من صحبة الأشرار، هذه أسباب السَّعادة، والطمأنينة والإيمان الصَّادق.

أمَّا إذا تساهل العبد، وصاحب الأشرار، وأعرض عن العلم، فإنَّه يبقى في الحيرة والظلمة والشك والنفاق، إلَّا أن يمن الله عليه بالهداية أو يتوفاه على هذه الحالة السيئة، نسأل الله العافية، ولا شك أن هذا ينذر أصحاب القلوب الحية، ويحذرهم من التساهل، وأن الواجب على كل مؤمن: أن يتفقه في الدِّين، ويتبصر؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١) رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧١) ومسلم، برقم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.

«فصل
[في تشبيه الوحي بماء السماء]

«ونظير هذين المثلين المذكورين في سورة الرعد، في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧] فهذا هو المثل المائي شبَّه الوحي الَّذي أنزله بحياة القلوب بالماء الَّذي أنزله من السماء، وشبَّه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل.

فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كوادٍ كبير يسع ماءً كثيرًا، وقلب صغير كواد صغير يسع علمًا قليلًا، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

ولمَّا كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه، مما يمر عليه السيل، فيحتمله السيل فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا، يمر عليه متراكبًا، ولكن تحته الماء الفرات الَّذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتَّى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الَّذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض، فيحيي به البلاد والعباد، والشجر، والدواب، والغثاء يذهب جفاءً يجفى، ويطرح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الَّذي أنزله من السَّماء في القلوب فاحتملته، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشَّهوات، وزبد الشُّبهات الباطلة، فطفأ في أعلاها واستقر العلم، والإيمان، والهدى في جذر القلب، وهو أصله ومستقرَّه، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**نَزَلَ الإِيمَانُ فِي جُذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**»[١] رواه البخاري من حديث حذيفة.

فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاءً، ويزول شيئًا فشيئًا، حتَّى

(١) متفق عليه، بلفظ: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٧) ومسلم، برقم (١٤٣).

يزول كله، ويبقى العلم النافع، والإيمان الخالص في جذر القلب يرده النَّاس، فيشربونه، ويسقون ويزرعون»[١].

الشرح:

هذا مثل آخر ضربه الله للإيمان في القلوب، وما تحتوي عليه من العلم والهدى، كمثل غيث أصاب أرضًا، فسالت أودية بقدرها، فالغيث: هو ما بعث الله به نبيه من الهدى، والعلم، والبصيرة، والأودية بمثابة القلوب، فهذا واد كبير يأخذ ماءً كثيرًا، وهذا واد صغير يأخذ ماء قليلًا، فهكذا قلوب النَّاس فيهم من علمه واسع، وإيمانه قوي، قد جمع الله له إيمانًا قويًا، وبصيرةً نافذةً، وعملًا صالحًا، بسبب ما أعطاه الله من الفقه في الدِّين، والبصيرة، والإيمان الصادق، والعمل الصالح، **وآخرون**: دون ذلك.

والنَّاس طبقات: فيما يتعلق بالوحي، طبقة: تقبلت الوحي، وحملت العلم، ونفعت النَّاس بدعوتها وتعليمها، فقلوب هم أفضل القلوب، الراغبة في الخير.

وطبقة ثانية: عندها تقبل الوحي وحمل العلم والبصيرة، والفقه في الدِّين؛ لكن ليس عندها من العمل والسعة في التعليم، والاستنباط ما عند الأولى.

أمَّا الطبقة الثالثة: هم أغلب الخلق، ليس عندهم علم، ولا عمل، بل غثاء، كما قال عنهم سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤] وشبههم بهذا كالغثاء، غثاء السيل.

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٣، ١١٤).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**الصَّحيح**» من حديث أبي موسى عن **النَّبيِّ** ﷺ، **قال: «مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْم، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَسَقَى النَّاسَ وَزَرَعُوا، وَأَصابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله تَعَالَى، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ»**(١) (٢).

فجعل النَّبِيُّ ﷺ، النَّاس بالنسبة إلى الهدى، والعلم، ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: ورثة الرُّسل وخلفاء الأنبياء **عليهم الصَّلاة والسَّلام**، وهم الَّذين قاموا بالدِّين علمًا وعملًا ودعوةً إلى الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل **صلوات الله عليهم وسلامه**، حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا النَّاس بها.

وهؤلاء هم الَّذين جمعوا بين البصيرة في الدِّين، والقوة على الدَّعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء ﷺ، الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥] فالأيدي: القوة في أمر الله تعالى، والأبصار، أي: البصائر في دين الله عَزَّوَجَلَّ، فبالبصائر يدرك الحقّ، ويعرف، وبالقوى يتمكن من تبليغه، وتنفيذه، والدَّعوة إليه.

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدِّين، والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النُّصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهمًا خاصًا.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧٩) ومسلم، برقم (٢٢٨٢).

(٢) قرئ بتاريخ (٩/ ١١/ ١٤١٤هـ) و(٢١/ ١٠/ ١٤١٧هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٥).

كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ، بشيء دون النَّاس؟ فقال: «**لَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ**»(١) فهذا الفهم، هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الَّذي أنبتته الأرض، وهو الَّذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية.

الطبقة الثانية: فإنَّها حفظت النصوص، وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها، واتجروا فيها، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها، ووردوها كل بحسبه، قال: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٦٠].

وهؤلاء هم الَّذين قال فيهم النَّبيّ ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غير فقيه، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»(٢).

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النَّبيّ ﷺ، لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الَّذي يقول فيه: سمعت ورأيت، وسمع الكثير من الصَّحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه، حتَّى ملأ الدُّنيا علمًا وفقهًا.

قال أبو محمَّد بن حزم:(٣) وجمعت فتاويه في سبعه أسفار كبار(٤)

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه مع زيادة في آخره، برقم (٣٠٤٧ وبرقم ٦٩١٥).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٦٦٠) والترمذي، برقم (٢٦٥٦) وقد حسنه، عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه، كما أخرجه برقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: عنه حسن صحيح.

(٣) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مذهبًا، المولود بقرطبة سنة (٣٨٤هـ) عالم الأندلس في زمانه، وأصله من فارس، توفي سنة (٤٥٦هـ) ينظر: ترجمته في «**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٢/ ٩٢) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٧).

(٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٣٨) تحقيق: ابن قائد. «**الإحكام في أصول الأحكام**» لابن حزم (٥/ ٩٢) و«**إعلام الموقعين**» **للمصنف** (١/ ١٢).

وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلَّا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه، وفهمه في القرآن بالموضع الَّذي فاق به النَّاس، وقد سمع كما سمعوا وحفظ القرآن كما حفظوا؛ ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النُّصوص فأنبتت من كل زوج كريم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

وأين تقع فتاوى ابن عباس، وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمَّة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ، وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النُّصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها. وهكذا النَّاس بعده قسمان:

قسم حفاظ معتنون بالضبط والحفظ والأداء، كما سمعوا، ولا يستنبطون، ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم معتنون: بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها.

فالقسم الأول: كأبي زرعة، وأبي حاتم، وابن وارة، وقبلهم كبندار محمَّد بن بشار، وعمرو الناقد، وعبد الرَّزاق، وقبلهم كمحمَّد بن جعفر غندر، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النُّصوص.

والقسم الثَّاني: كمالك، واللَّيث، وسفيان، وابن المبارك، والشَّافعي، والأوزاعي، وإسحاق، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي داود، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية، فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، وهم الَّذين قبلوه، ورفعوا به رأسًا[(١)].

---

(١) ينظر: لتراجم القسم الأول من الحفاظ فقط «**الوابل الصيب**» تحقيق: ابن قائد (ص ١٣٩، ١٤٠) أمَّا القسم الثَّاني الحفاظ المستنبطون فهم الأئمة الفقهاء أشهر من أن يعرف بهم.

الطبقة الثَّالثة: وأمَّا الطائفة الثَّالثة: وهم أشقى الخلق الَّذين لم يقبلوا هدى الله، ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حفظ ولا فهم، ولا رواية ولا دراية ولا رعاية.

فالطبقة الأولى: أهل رواية ورعاية ودراية.

والطبقة الثَّانية: أهل رواية ورعاية، ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثَّالثة: الأشقياء لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤] فهم الَّذين يضيِّقون الدِّيار، ويُغلون الأسعار، إن همُّ أحدهم إلَّا بطنه وفرجه، فإن ترقَّت همَّتُهُ فوق ذلك كان همُّه مع ذلك لباسه وزينته، فإن ترقَّت همَّته فوق ذلك كان همُّه في داره وبستانه، ومركوبه، فإن ترقَّت همَّته فوق ذلك كان همُّه في الرياسة، والانتصار للنفس الكلبية، فإن ارتفعت همَّته عن نصرة النفس الكلبية، كان همّه في نصرة النفس السبعية، وأما النفس الملكية، فلم يعطها أحد من هؤلاء، فإنَّ النَّفوس: كلبية، وسبعية، وملكية.

فالكلبية: تقنع بالعظم، والكسرة، والجيفة، والعذرة.

والسبعية: لا تقنع بذلك، بل قهر النفوس والاستعلاء عليها بالحق والباطل.

وأمَّا الملكية: فقد ارتفعت عن ذلك، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان، ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، والطمأنينة به والسكون إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنَّما تأخذ من الدُّنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربِّها ووليِّها، لا لتنقطع به عنه»[(١)].

---

(١) قرئ بتاريخ: (١٨/ ٨/ ١٤١٢هـ) و(١٦/ ١١/ ١٤١٤هـ) و(٢٧/ ١٠/ ١٤١٧هـ).
ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٤ - ١٢٠).

الشرح:

في هذا الحديث الصَّحيح ضرب النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مثلًا لما بعثه الله به من العلم والهدى وإقبال النَّاس عليه، وإعراض الأكثرين، ضرب المثل بغيث، مطر عظيم أصاب الأرض، فصارت الأرض ثلاثة أقسام:

قسم منها: طيِّب قبل الماء وأنبت الكلأ والعشب الكثير، وانتفع به النَّاس.

وطائفة ثانية: من الأرض أجادب أمسكت الماء، يعني: أرض مطمئنة منخفضة يبقى فيها الماء، فصارت فيها المياه الكثيرة، والغُدران، فشرب منها الناس، وسقى الناس منها وزرعوا.

طائفة ثالثة: قيعان لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، لا يستقر عليه ماء، ولا تنبت؛ ولهذا قال ﷺ: «مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ».

هذا المثل لأصحاب الطبقة الأولى، والثانية.

وأمَّا الثَّالثة، فقال: «مَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» هذا مثل الطبقة الثالثة القيعان.

فالنَّاس أقسام ثلاثة:

فيما بعث الله به الرَّسول ﷺ:

قسم تلقوه بالقبول، وتعلموا وتفقهوا، وحفظوا، وعلموه النَّاس، ودعوا إلى الله وأرشدوا الناس، وبصروهم، هؤلاء مثل الأرض الطيبة، التي قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

وطائفة من النَّاس: حفظوا العلم ونقلوه إلى النَّاس، نقلوه إليهم،

ونقله عنهم العلماء والأخيار، وتفقهوا فيه؛ ولكن ما كان نصيبهم فيه التفقه، بل كان غالب نصيبهم فيه الحفظ والنقل، والتفقه لغيرهم، هم حفظوا ونقلوا واستفادوا، واستنبطوا بعض الشيء؛ لكنهم لم يستكملوا ذلك؛ لأن همتهم محصورة في الحفظ والنقل.

والطائفة الثَّالثة: من النَّاس وهم الأكثرون، أكثر الخلق لم يقبلوا الحقّ ولم يتأثروا به، بل أعرضوا عنه، وصارت همة أكثرهم همة البهائم بطنه وفرجه، فإن ارتفع فإلى ملابسه ومزرعته ونحو ذلك، أو فإن زاد، زاد في الظلم والفساد، وصار كالسباع ولكلاب، محروم من الخير.

وهذه حال الأكثرين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سَبَإ: ١٣] قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سَبَإ: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يُوسُف: ١٠٣].

فعليك يا عبد الله: أن تكون من القسم الأول، أو من الثاني على الأقل، تحفظ العلم تتفقه في الدِّين، وإذا تيسر لك أن تكون معلمًا ومرشدًا وموجهًا للخير أحرص على ذلك، حتَّى تكون نافعًا لنفسك نافعًا لغيرك، هاديًا مهديًا.

وهذه الطبقة طبقة الرُّسل وأتباعهم من الفقهاء والعلماء، حفظوا العلم وعلموه الناس، وفقهوا الناس فيه، واستنبطوا أحكامه.

والطائفة الثَّانية: حفظوا العلم ونقلوه؛ ولكن ليس لهم فيه العناية القوية في تفجير أنهاره، وبيان معانيه، بل أغلب حظهم النقل والرواية، والتحفيظ، والعلماء الآخرون فجروا أنهارها وأخذوا ما فيها من علوم وبينوها للناس، ودعوا إليه.

فينبغي للمؤمن: أن تكون همّته عالية يتفقه ويتعلم، ويحفظ، وإذا حفظ يتفقه حتَّى يعمل بما حفظ؛ لأنَّه خلق ليعمل، خلق ليعلم، يتعلم ويعمل، فعليه أن يجتهد أن يتعلم الحقّ، وأن يعمل به.

وسئل هل علم وحفظ أبي بكر ﷺ أكثر من حفظ أبي هريرة ﷺ أو أقل؟ فقال: المشهور عند العلماء أنَّ أبا هريرة كان أحفظ النَّاس، حفظ العلم[(١)] وبعده عبد الله بن عمرو حفظ الشيء الكثير؛ لكن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، كانوا أفقه من الطائفة الأولى رضي الله عن الجميع، وفَّق الله الجميع.

(١) فمروياته بلغت (٥٣٧٤ حديثًا) ينظر: «**سير أعلام النبلاء**» للذهبي (٢/ ٦٣٢).

فصل
في تشبيه الوحي بالنُّور(١)

«ثُمَّ ضرب الله ﷻ مثلًا ثانيًا وهو المثل الناري، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرّعد: ١٧] هذا كالحديد والنحاس، والفضة والذهب وغيرها، فإنَّها تدخل الكِيرَ لِتُمحَّص، وتُخلص من الخبث، فيخرج خبثها، فيرمى به ويطرح، ويبقى خالصها، وهو الَّذي ينفع النَّاس.

ولما ضرب الله ﷻ هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له، ورفع بهداه رأسًا، وحكم من لم يستجب له، ولم يرفع بهداه رأسًا، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرّعد: ١٨].

والمقصود: أَنَّ الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودين الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة، كما أنَّه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه، كما لا إضاءة بدونه، وكما به حياة القلب فبه انفساحه وانشراحه وسعته.

كما في الترمذي عن النَّبيِّ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ**» قَالُوا: وَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**الإِنَابَةُ إِلى دَارِ الخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَن دَارِ الغُرُورِ، وَالاسْتِعدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ**»(٢).

---

(١) **تنبيه**: من هذا الفصل بدأ التسجيل في الألبوم الَّذي أفردته تسجيلات «**البردين**» ووزعته، وظنت بعض دور النشر هو القدر المشروح والمعلق عليه فقط من الكتاب، بينما قُرِئ الكتاب كاملًا مرتين، ولم يكمل في الثالثة.

(٢) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص١٢٥، ١٢٦) ولم يخرجه الترمذي في «**جامعه**» وأخرجه عن الحاكم وسكت عنه، وتعقبه الذهبي (٣٤٦/٤ برقم ٧٨٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ونور العبد هو الَّذي يَصْعَدُ عَملهُ وكَلمُهُ إلى الله تعالى، فإنَّ الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة، وهي أرواح المؤمنين الَّتي استنارت بالنور الَّذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الَّذين خُلِقُوا من نور.

كما في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**خُلِقَتْ المَلَائِكَةُ مِن نُورٍ، وَخُلِقَتْ الشَّيَاطِينُ مِن نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[(١)].

فلما كانت مادة الملائكة من نور، كانوا هم الَّذين يعرجون إلى ربهم **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وكذلك أرواح المؤمنين، هي الَّتي تعرج إلى ربّها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدُّنيا، ثُمَّ الثانية، ثُمَّ الثالثة، ثُمَّ الرابعة، إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين.

فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيبة نَيِّرةً مشرقة، صعدت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مع الملائكة، وأمَّا الروح المظلمة الخبيثة الكدرة، فإنَّها لا تفتح لها أبواب السماءِ، ولا تصعد إلى الله تعالى، بل ترد من السماء الدُّنيا إلى عالمها وعنصرها؛ لأنَّها أرضية سفلية، والأُولى علوية سماوية، فرجعت كل روح إلى عنصرها، وما هي منه، وهذا مبين في حديث **البراء بن عازب** الطويل[(٢)] الَّذي رواه الإمام أحمد، وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحه والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٦) وفيه: «**وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**» بدل قوله: «**وَخُلِقَتْ الشَّيَاطِينُ مِنْ نَار**».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥برقم ١٨٥٥٧، ١٨٦٣٧) وأبو داود، برقم (٤٧٥٣) والحاكم (١/ ٩٣ - ٩٥ برقم ١٠٧) وينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٢٤) وتحقيق: ابن قائد: (١٤٦) وقد تحدث بتوسع فيه..

والمقصود: أَنَّ الله ﷻ لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال، والأرواح إلَّا ما كان منها نورًا أقربهم إليه وأكرمهم عليه»(١).

الشرح:

هذه الآيات الكريمات، والحديث الشريف في خلق الملائكة من النور، وأنَّ الله جَلَّوَعَلَا إذا أراد بالعبد خيرًا شرح قلبه لذلك، فانفسح وانشرح، وكان من أسباب ذلك الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله.

فالقلوب مشبهة بالماء، ومشبهة بالنُّور، فإنَّ قلب الحي المستقيم مادته الحياة الماء، ومادته النور، والقلب الميت ليس كذلك مادته الخبث والظلمة، فالمؤمن لصفاء قلبه، وصلابة عقيدته هو في نور، وفي حياة؛ لأنَّه يرى بنور الله، ما فيه سعادته ونجاته، وفي قلبه من الحياة والبصيرة ما يجعله يختار الطيب، ويدع الخبيث، ويمشي في النهج الصَّالح الَّذي قام عليه النور.

والله جعل رسوله **نورًا**، وكتابه نورًا، وخلق الملائكة من النور، وهم حملة مشعل الهداية، وخلق الشَّياطين من النَّار، وخلق الإنسان من الطين، فالمادة الَّتي بها الحياة هي مادة الماء، ومادة النُّور. **فينبغي للمؤمن**: أن يحرص على استقامة قلبه باجتماعه على الكتاب، والسُّنَّة، وباكتسابه الحلال الطَّيِّب، وبُعده عمَّا حرم الله من الخبائث الَّتي تكسب قلبه خُبثًا، وقسوة، ومرضًا، فاكتساب الحلال والاستقامة على طاعة الله، كل ذلك يكسب القلب حياةً ونورًا، والمعاصي والكسب الخبيث يكسب القلب قسوةً وظلمة.

فعلى حسب صلاح القلب، واستقامة صاحبه مع الله يكون نوره وتكون حياته، وعلى حسب انحرافه عن الطريق السوي، وقلة علمه باللَّه ودينه،

---

(١) قرئ بتاريخ (٢٢/ ٤/ ١٤١٥هـ) و(٢٩/ ١٠/ ١٤١٧هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١١٢٠ - ١٢٤).

تكون ظلمته، وتكون قسوته، فمن استقام قلبه مع الله بطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، والفقه في دينه استقام أمره من جهة الحياة، ومن جهة النور، ومن غلب عليه الجهل والهوى غلبت عليه مادة الظلمة، ومادة الخبث والقسوة.

فالمؤمن يحاسب نفسه، وهكذا المؤمنة، فالمؤمن صاحب القلب الحي يحاسب نفسه ويجاهدها لله حتَّى تستقيم أحواله، وحتَّى يسير على الطريق السوي، ويكون من جملة الأخيار في جملة أولياء الله الَّذين استناروا بنور الله، وساروا على منهجه الَّذي رسمه لعباده فعاشوا في نور، وفي حياة طيبة، بخلاف الَّذين اعرضوا عن شرع الله ودينه، وعما جاءت به الرُّسل، واتبعوا الهوى، فإن الغالب عليهم بسبب ذلك القسوة والظلمة قسوة القلوب وظلمتها نسأل الله التوفيق والهداية.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**المسند**» من حديث عبد الله بن عمرو عن النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ الله تعالى**»(١).

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سرِّ القدر وحكمته، والله تعالى المُوَفِّقُ.

وهذا النُّور الَّذي ألقاه عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الَّذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظها، ولكن لما لم يستقلّ بتمامه وكماله، أكمله لهم، وأتمَّه بالروح الَّذي ألقاه على رسله **عليهم الصَّلاة والسَّلام**، والنور الَّذي أوحاه إليهم، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الَّذي حصل لها يوم إلقاء

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٧٦، ١٩٧ برقم ٦٦٤٤، ٦٨٥٤) والترمذي، برقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣١ برقم ٨٣).

النور، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة، نور على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعًا واختيارًا، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها.

ثمَّ دلها ذلك النُّور على نور آخر هو أعظم منه وأجلُّ وهو نور الصفات العليا الَّذي يضمحلُّ فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب، كنسبة المرئيات إلى العين ذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتَّى كأنَّها تنظر إلى عرش الرحمن **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بارزًا، وإلى استوائه عليه، كما أخبر به ﷻ في كتابه، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ يدبر أمر الممالك، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعزُّ ويذِّل، ويقلب اللَّيل والنَّهار، ويداول الأيام بين النَّاس، ويقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى.

والرُّسل من الملائكة **عليهم الصَّلاة والسَّلام** بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأوقات، نافذة بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان، كما شاء في الوقت الَّذي يشاءُ على الوجه الَّذي يشاء، من غير زيادة، ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يُقَلِّبُهَا ويصرفها، ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمةً وحكمةً، ووسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه، ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبَّرم ـ بالحاح الملحين ـ ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في اللَّيلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر.

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بقلبه بعد، فيعلم أنَّه سيخطر بقلبه كذا وكذا، في وقت كذا وكذا، له الخلق والأمر وله الملك والحمد، وله الدُّنيا والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، وسعت نعمته إلى كل حي: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩].

يغفرُ ذنبًا، ويفرج همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويعلِّم جاهلًا، ويَهدي ضالًا، ويرشد حيرانَ، ويغيث لهفانًا، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا ويشفي مريضًا، ويعافي مُبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرةً، ويستر عورةً، ويؤمِّن رَوعة، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل اللَّيل قبل النَّهار، وعمل النَّهار قبل اللَّيل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء اللَّيل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنَّه لم يغض ما في يمينه.

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعًا يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة، والأرض باليد الأخرى، ثُمَّ يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الَّذي بدأت الدُّنيا، ولم تكن شيئًا، وَأَنَا الَّذِي أُعِيدُهَا كَمَا بَدَأْتُهَا[(١)].

لا يتعاظمه ذنب أنْ يغفره، ولا حاجة يُسألها أن يعطيها، لو أنَّ أهل سمواته، وأهل أرضه، وأوَّل خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنَّهم، كانوا على

(١) جاء ما يدل على هذا المعنى في حديث قدسي أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «**العظمة**» (٢/ ٤٤٠) وابن بطة في كتاب «**الإبانة الكبرى**» (٧/ ٢٨٥ برقم٢١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن أوَّل خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنَّهم، كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أنَّ أهل سمواته، وأهل أرضه، وإنسهم وجنَّهم، وحيَّهم وميِّتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد، فسألوه، فأعطى كلّاً منهم ما سأله، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

ولو أنَّ أشجار الأرض كلها من حين وُجدت إلى أن تنقضي الدُّنيا أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تَمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكيف تفني كلماتُهُ جَلَّجَلَالُهُ، وهي لا بداية لها، ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحق بالفناء والنفاد، وكيف يفني المخلوق غير المخلوق؟

هو الأول الَّذي ليس قبله شيء، والآخر الَّذي ليس بعده شيء، والظاهر الَّذي ليس فوقه شيء والباطن الَّذي ليس دونه شيء **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، أحق من ذكر، وأحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغي، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حكمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزَّته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِن عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ[(١)]

هو الملك لا شريك له، والفرد فلا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة، والعليُّ فلا شبيه له، ولا سمي له، كل شيء هالك إلَّا وجهه، وكل ملك زائل إلَّا ملكه، وكل ظل قالص[(٢)]

(١) هذان البيتان ذكرهما ابن القيم في كثير من كتبه. ينظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٩).
(٢) ناقص، يقال: ظل قالص: يعني: منكمش منقبض ناقص، ينظر: «**القاموس المحيط**» مادة: [قلص] (ص٥٨٠) و«مختار الصحاح» للرازي، مادة: [قلص] (ص٤٠٢).

إلَّا ظله، وكل فضل منقطع إلَّا فضله، لن يطاع إلَّا بإذنه ورحمته، ولن يعصي إلَّا بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويعصى فيتجاوز، ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل.

أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجَّل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسِّرُ عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلامٌ، وعذابه كلامٌ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢] فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصِّفات اضمحل عندها كلِّ نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال، ولا تناله عبارة.

والمقصود: إنَّ الذِّكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي القيامة»[(١)].

الشرح:

هذه الكلمات الَّتي ساقها المؤلف العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، وبيان الحديث الَّذي ذكره، وهو قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ عِبَادَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِن نُورِهِ، فَمَن أَصَابَهُ مِن ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَن أَخْطَأَهُ ضَلّ**».

فهذه النِّعمة العظيمة، والرحمة العظيمة، الَّتي تفضل بها على من شاء من أوليائه تكون عند خلقهم، كما تقدَّم أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا إذا أراد بعبده الخير ألقى في قلبه النور، فإذا وقع في قلبه نور الحق انفسح وانشرح، وعقد على الحق وَقَبلَهُ، وكره الباطل وتركه، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النُّور: ٣٥].

(١) قرئ بتاريخ (٢٣/ ٤/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٢٤ - ١٢٩).

نور الفطرة الَّتي يجعلها الله في القلب، ثم نور الوحي، فإذا اجتمع هذان النوران سَعِدَ العبدُ غاية السَّعادة، وكل مولود يولد على الفطرة، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِن مَوْلُودٍ إِلَّا ويُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**» أي: فطرة الإسلام: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[(١)].

فمن رزقه الله البقاء على الفطرة، وأرشده الله إلى الحقِّ، بقي على الحقِّ، والفطرة، ومن أراد الله شقاوته جاءته أسباب، إِمَّا من جهة والديه، وإمَّا بسبب جلساء السوء، أو بأسباب غيرهما من دعاة الباطل، ـ فحرفته عن الفطرة ـ.

فالواجب على المؤمن: أن يسأل الله سبحانه وتعالى الهداية، والتَّوفيق، والبصيرة؛ لأنَّ من اجتهد، وأُلقي في قلبه النُّور اهتدى واستقام.

وَاللَّه بعث الرُّسل جميعًا بهذا النور ليوجهوه على العباد، ويرشدوا العباد إليه، فمن أصابه ذلك النور على أيدي الرُّسل عليهم السلام اهتدى، واستقام، وطابق النور الَّذي جاءت به الرُّسل، النور الَّذي سبق أن وقع في قلبه، وفطرته، ومن أخطأه ذلك وتابع الهوى، والشَّيطان ضلَّ.

فعلى كلِّ مؤمن ومؤمنة: أن يتدبر ويتعقل ما خُلق له، وأن يُعنى بالوحي الَّذي هو القرآن الكريم، فإنَّه الحياة سماه الله روحًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ وسماه نورًا ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشّورىٰ: ٥٢].

فالوحي الَّذي جاء به ﷺ، روح ونور، نور تحصل به الإضاءة والهداية، وروح تحصل به الحياة الطيبة، فمن رزقه الله الاستقامة على هدى الله، فقد حصل له الروح الَّتي بها الحياة، وحصل له النور الَّذي هو البصيرة والإشراق، ومن ضلَّ ذلك ولم يهتدي، ولم يتبصر فاتته الحياة، وفاته النور، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

والعبد مأمور: بأن يطلب الهداية، ويسعى إليها، فيتعلم ويتبصر،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٣٥٩) ومسلم، برقم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويتضرع إلى الله في طلبه التوفيق للعلم النافع، والبصيرة النافذة، والهداية إلى الصراط المستقيم، ومتى صدق في ذلك وألح على ربه، فاللَّه هو الجواد الكريم ﷻ القائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] وهو القائل سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النِّسَاء: ٣٢].

فقد جعل الله كتابه روحًا وهدايةً للنَّاس وبصيرة، فعلى المؤمن أن يتدبر ويتعقل ويستفيد من كلام الله ﷿ حتَّى تحصل له الإضاءة والبصيرة بهذا النُّور، وحتَّى تحصل له الحياة بهذه الروح، فيحي قلبه، ويستقيم على محبة الله ورسوله، ويستنير بالعلم النافع والبصيرة النافذة، فيعلم ما أوجب الله فيعمل به، ويعلم ما حرم الله فيجتنبه، ويقف عند الحدود الَّتي حدَّها الله ﷻ.

وبهذا يعلم المؤمن شدَّة حاجته إلى التدبر لكتاب الله ﷻ، وتبصره وشدَّة حاجته إلى ما قاله رسول ﷺ من التوجيه والإرشاد والعلم، حتَّى تحصل له بذلك الحياة الطَّيِّبة، والنُّور، والهداية، والبصيرة، وفَّق الله الجميع.

«فصل

[في أن الأعمال تستمد نورها من نور الإيمان]

[(١) «وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد، تخرج أعماله وأقواله، ولها نور وبرهان، حتى إنَّ من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كنور الشمس، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله ﷻ، وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة، والله تعالى المستعان وعليه التكلان»].

الشرح(٢):

النُّور الحسي الَّذي يكون لعمل العبد، وله بالآخرة بحسب ما يقوم بقلبه منه في الدُّنيا، فإن كانت هدايته واتباعه للسُّنَّة أعظم كان نوره أجل وأسطع، ومن كانت هدايته ضعيفة أو معدومة، فكذلك يكون نور عمله مبهتة يوم القيامة.

فالأعمال تستمد نورها من نور الإيمان، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد، تخرج أقواله وأفعاله، ولها نور وبرهان، في الدُّنيا وفي الآخرة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**السابعة والثلاثون**: أَنَّ الذِّكر رأس الأمور، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فُتح له فيه، فقد فتح له باب الدخول على الله ﷻ، فليتطهر وليدخل على ربه ﷻ يجد عنده كلَّ ما يريد، فإنْ وجد ربَّهُ ﷻ

(١) الأسطر الَّتي بين المعكوفتين [...] لم تقرأ على سماحته، وتم إثباتها من «**الوابل الصيب**» (ص١٣٠).

(٢) هذا الشرح مما أضافه المراجع ووافقه المدقق، وارتضاه المعتني فأثبته وزاد عليه خاتمته.

وجد كل شيءٍ، وإنْ فاته ربُّه ﷻ، فاته كل شيءٍ.

الثامنة والثلاثون: أَنَّ في القلب خلَّةً وفاقةً لا يسدُّها شيءٌ البتة إلَّا ذكر الله ﷻ، فإذا صار الذِّكر شعار القلب، بحيث يكون هو الذَّاكر بطريق الأصالة، واللِّسان تبع له، فهذا هو الذِّكر الَّذي يسد الخلَّة، ويغني الفاقةَ، فيكون صاحبُهُ غنيًا بلا مالٍ، عزيزًا بلا عشيرة، مُهيبًا بلا سلطانٍ، فإذا كان غافلًا عن ذكر الله ﷻ، فهو بضد ذلك، فقير مع كثرة جِدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أَنَّ الذِّكر يجمعُ المتفرِّقَ، ويفرقُ المجتمعَ، ويقرب البعيد، ويبعد القريب، فيجمع ما تفرِّق على العبدِ من قلبه، وإرادته، وهمومه وعزومه، والعذابُ كلُّ العذابِ في تفرقتها وتشتُّتِها عليه، وانفراطها له.

والحياة كل الحياة والنعيم: في اجتماع قلبه وهمه، وعزمه، وإرادته، ويُفرَّق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم والأحزان، والحسراتِ على فوتِ حظوظه ومطالبه، ويُفَرَّق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه، وأوزاره، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحلَّ، ويُفرِّق أَيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشَّيطان، فإنَّ إبليس لا يزالُ يبعث له سريةً بعد سريةٍ، وكلَّما كان أقوى طلبًا لله ﷻ، وأشدَّ تعلقًا به، وإرادة له، كانت السريةُ أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من موادِّ الخير، والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلَّا بدوام الذِّكر.

فإنَّه يقرب إليه الآخرة الَّتي يُبعدها منه الشَّيطان والأمل، فلا يزال يَلهجُ بالذكر حتى كأنَّه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا، وتعظم في قلبه الآخرة.

ويبعد القريب إليه: وهي الدُّنيا الَّتي هي أدنى إليه من الآخرة، فإنَّ الآخرة متى قَرُبَتْ من قلبه بعدت منه الدنيا، كلَّما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلَّا بدوام الذِّكر، والله المستعان»[1].

(١) قرئ بتاريخ (٦/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و(٢٩/ ٤/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٣٠، ١٣١).

الشرح:

هذه الفوائد من الذِّكر الَّتي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كلها صحيحة، فإنَّ الذِّكر: هو قوت القلوب، وغذاؤها، وأساس سلامتها وصحتها، وهو رأس الأمر في إصلاح القلوب واستقامتها، وتثبيتها على الحق، فهو يسد فقرها، وحاجتها، ويقرب القلوب من الآخرة، ويُباعدها من الدُّنيا، ويجمع على الذِّكر قلبه، وشمله، بحب الله ومراقبته، والاستقامة على دينه.

وذكر رحمته وإحسانه، وجوده وكرمه، وما وعد به أولياءه من النعيم المقيم في درا الكرامة، ويبعد عنه الشَّيطان ووساوسه، وأسباب الشر والهلاك الَّتي تُصيبه عند الغفلة وَتَحِل به عند الإعراض.

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجنّ: ١٧] ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦].

فالمؤمن غذاؤه وحياته، وسعادته وجمع قلبه على ذكر الله، من المحبة، والخوف والرجاء، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والدعاء، وغير هذا من أنواع الذِّكر الَّذي يذكر به ربه، فالصَّلاة ذكر، والصَّدقة ذكر، والخوف ذكر، والرجاء ذكر، والاستغفار كله ذكر.

وأعظم الذِّكر وأفضله قول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١) وإذا ضُم معه التسبيح،

(١) سبق تخريجهُ في (ص١٥٨).

والتكبير، والتهليل، والتحميد، كان ذلك أفضل من الكلام قال ﷺ في الحديث الصَّحيح: وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**»[(١)].

هذا فضل عظيم وخير كبير، فينبغي الإكثار من ذكر الله ليلًا ونهارًا، ترجو بذلك ثواب الله، وتخشى عقابه، وتطرد الشَّيطان عنك، فإنَّ الشَّيطان عدو، فعند الغفلة يهجم على قلبك، ويزين لك كل شيء، وعند الذِّكر يتصاغر، ويبعد.

فعليك الإكثار من ذكر الله صدقًا من قلبك أينما كنت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[(٢)] كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يذكر الله في كلِّ أحيانه قائمًا، وقاعدًا، ومضجعًا وماشيًا، ووافقًا.

هكذا ينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذكر الله بقلبه ولسانه وأعماله، ويحرص على أذكار الصباح والمساء، ويبدأ أذكار الصباح من طلوع الفجر إلى الزوال، وأذكار المساء من الزوال إلى اللَّيل، وفَّق الله الجميع.

---

(١) أخرجهُ الإمام أحمد (٣/ ٧٥ برقم ١٧١٣١) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٩٤ برقم ١٨٨٩) كما حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٢ برقم ١٦٨٣).

(٢) ذكره البخاري معلقًا بين رقمي (٣٠٤، و٣٠٥) ورقمي (٦٣٢، و٦٣٣) وأخرجه مسندًا مسلم، برقم (٣٧٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«**الأربعون**: أَنَّ الذِّكر يُنبِّهُ القلبَ من نومِهِ، ويُوقظُهُ من سِنَتِهِ، والقلبُ إذا كان نائمًا فاتَتْهُ الأرباحُ والمتاجر، وكان الغالبُ عليه الخسران، فإذا استيقظ وَعَلِمَ ما فاتَهُ في نومَتِهِ شَدَّ المئزرَ، وأحيا بقيةَ عمره، واستدرك ما فاتَهُ، ولا تحصل يقظته؟ إلَّا بالذِّكر، فإِنَّ الغفلةَ نومٌ ثَقِيلٌ.

الحادية والأربعون: أَنَّ الذِّكر شجرةٌ تُثْمِرُ المعارف والأحوال الَّتي شَمَّر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلَّا من شجرة الذِّكر، وكلَّما عَظُمَتْ تلك الشجرة وَرَسَخَ أصلُها، كان أعظمَ لثمرتها، فالذِّكر يُثْمِرُ المقامات كلَّها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصلُ كلِّ مقام، وقاعدتُهُ الَّتي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبنى الحائط على أُسِّهِ، وكما يقومُ السَّقفُ على حائطه، وذلك أَنَّ العبدَ إن لم يستيقظ لم يمكنه قطعُ منازل السير، ولا يَسْتَيْقِظُ إلَّا بالذِّكر، كما تقدَّم، فالغفلةُ نومُ القلبِ، أو موتَه.

الثَّانية والأربعون: أَنَّ الذَّاكر قريبٌ من مَذْكُورِهِ، ومذكورُهُ معه، وهذه المعيَّة معيَّةٌ خاصةٌ غير معيَّة العلم والإحاطة العامَّة، فهي معيَّة بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وللذَّاكر من هذه المعيَّة نصيبٌ وافرٌ، كما في الحديث الإلهي «**أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[(١)].

وفي أثر آخر: «**أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُقنطُهُمْ مِن رَحْمَتِي، إنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، فَإِنِّي أُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَأُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا**

---

(١) ذكره البخاري معلقًا قبل رقم (٧٥٢٤) ووصله ابن ماجه، برقم (٣٧٩٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (١/ ٤٩٦ برقم ١٨٢٤).

فَأَنَا طَبِيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بِالمَصَائِبِ؛ لأُطَهِّرَهُم مِنَ المعايب»[١].

والمعيَّةُ الحاصلةُ للذَّاكر: معيَّة لا يُشبهها شيء، وهي أخصُّ من المعيَّة الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معيَّة لا تُدْرِكْهَا العبارة، ولا تنالُها الصفة، وإنَّما تعلم بالذوق، وهي مزلة أقدام إنْ لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدَث، بين الرب والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلَّا وقع في حلول يضاهي به النَّصارى، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدةِ الوجودِ، وأَنَّ وجود الربِّ عين وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم ربٌّ وعبدٌ، ولا خلقٌ وحقٌّ، بل الربّ هو العبد، والعبد هو الربّ، والخلق المشبَّه هو الحق المنَّزه، تعالى الله عما يقولُ الظالمون، والجاحدون علوًّا كبيرًا.

والمقصود: أَنَّهُ إنْ لم يكن مع العبد عقيدةٌ صحيحةٌ، وإلَّا، فإذا استولى عليه سلطانُ الذِّكر، وغَابَ بمذكوره عن ذكره، وعن نفسه، وَلَجَ باب الحلول والاتحاد ولا بدَّ»[٢].

الشرح:

هذه الفوائد من فوائد الذِّكر، وكلها واضحة، فإنَّ العبد تعتريه الغفلة، والنسيان، والذهول، والإعراض، فإذا أكثر من ذكر الله انتبه القلب، وعادت إليه حياته وصفاؤه، وصار ذلك من أسباب محاربته لمعاصي الله، ولكل ما يثبطه عن الخير، والحق والهدى.

فالذَّاكر حيُّ القلب، حيُّ الجوارح، حيُّ النَّفس، قريب من الخير بعيد من الشر، ينشط في الحق، ويتقرب إلى الله بالحقِّ، ويتباعد عمَّا يضره، وعمَّا يسبب قسوة قلبه؛ ولهذا يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في «**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ٨٦، و١٤/ ٣١٩) دون أن يعزوه لقائل.

(٢) قرئ بتاريخ (٧/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و (٣٠/ ٤/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٣١ - ١٣٣).

نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

فالإكثار من ذكر الله من التقوى والإحسان، فجدير بالمؤمن أن يجتهد في الإكثار من ذكر الله، ويكون هجراه ذكر الله ﷻ، ففيه حياة قلبه، وسلامة أخلاقه من الدنس، وفيه حث له إلى الحق، ودعوة له إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وإبعادٌ له عن صفات المجرمين، وأخلاقهم المذمومة.

فاللَّه سبحانه وتعالى: هو غاية مقصود العابد الذَّاكر، ورضاه غاية المطلوب، ورضاه ومحبته، والتقرب إليه راحة القلوب، ونعيم الأرواح، وأنس النفوس، واللَّه مع الذَّاكرين، ومع المتقين بتوفيقه وإرشاده لهم، وحبه لهم، وتيسير أمورهم، وإبعادهم عن مزالق الضلالة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨] ويقول لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] ويقول النَّبِيُّ ﷺ لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

المقصود: أَنَّ ذكر الله كما أَنَّه يطهر القلوب، ويرد إليها حياتها ونشاطها، فهُو أيضًا يقرب من الله، ويسبب محبته جَلَّ وَعَلَا، والأنس بطاعته، والتقرب إليه، ويسبب الحذر من معاصيه وما يغضبه سبحانه وتعالى.

هكذا أهل السُّنَّة والجماعة، طلبوا الحقّ بأسمائه وصفاته، فهو ربّهم، وإلههم؛ ولذا عبدوه، وأكثروا من ذكره، واتّبعوا شريعته بخلاف أهل الباطل، والغفلة والإعراض، فإنَّهم تابعوا أهواءهم، وأعطوا نفوسهم شهواتها، فضلوا وأضلوا، نسأل الله العافية.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الثالثة والأربعون**: أنَّ الذِّكر يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقابِ، ونفقةَ الأموالِ، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ، وَيَعْدِلُ الضربَ بالسيفِ في سبيل الله ﷻ، وقد تقدَّم «**أَنَّ مَن قَالَ: فِي يَوْم مِئَةَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِن الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ**»[(١)] الحديث.

وذكر ابن أبي الدُّنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيلَ لأبي الدرداء إنَّ رجلًا أعتقَ مائةَ نسمةٍ، قال: «**إِنَّ مِائَةَ نَسَمَةٍ مِن مَالِ رَجُلٍ كَثِيرٌ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ إِيمَانٌ مَلْزُومٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وأَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُ أَحَدِكُمْ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﷻ**»[(٢)].

وقال ابن مسعود: «**لأَنْ أُسَبِّحَ الله تَعَالَى تَسْبِيحَاتٍ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أُنْفِقَ عَدَدَهُنَّ دَنَانِيرَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ**»[(٣)] **وَجَلَسَ عبد الله بن عمرو**، وعبدالله بن مسعود، فقال عبد الله بن مسعود؛ لأَنْ آخذ في طريق أقولَ فيه: «**سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أُنْفِقَ عَدَدهن دَنَانِيرَ فِي سَبِيل الله ﷻ، فقال عبد الله بن عمرو؛ لأَنْ آخذ في طريق فأقولَهُنَّ أَحَبُّ إِليَّ مِن أَنْ أحمل عَدَدُهُنَّ على الخيلِ في سبيل الله ﷻ**»[(٤)].

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٨).

(٢) أخرجه محمد بن فضل الضبي في كتاب «الدعاء» (١/ ٢٦٨ برقم٩١) وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٢/ ٣٩٥) وعزاه لابن أبي الدُّنيا، وقال: وهو موقوف بإسناد حسن، وأمَّا شطره الأخير: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**» فقد أخرجه مرفوعًا من حديث عبد الله بن بسر، الترمذي، برقم (٣٣٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**» (٦/ ٥٤، برقم٢٩٤٢٢).

(٤) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤٤٧ برقم ٦٦٩).

خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الوَرِقِ وَالذَّهَبِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُول الله، قَالَ: «ذِكْرُ الله» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: الحاكم صحيح الإسناد»[(١)] [(٢)].

الشرح:

هذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها تدل على فضل الذِّكر، فينبغي للمؤمن أن يُكثر من ذكر الله في أيامه ولياليه، وفي جميع ساعاته؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَتَّبَ عليه أجرًا عظيمًا، وخيرًا كثيرًا، وهو من أسباب ثبات القلب، واستقامته وصلاحه، وانقياده للخير، ومن أسباب طرد الشَّياطين، ومن أسباب رقة القلب، فينبغي للمؤمن أن يُكثر من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ولهذا قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**».

فالإكثار من ذكر الله هو دأب الصَّالحين، وفيه خير عظيم، وفي هذا الحديث يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قَالُوا: بَلى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ الله».

فالإكثار من ذكر الله أمر مطلوب أينما كنت مع القيام بالأعمال الأخرى؛ ولهذا قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما ذكر عتق الرقاب وفضله، قال: «**وَإِنَّ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ إِيمَانٌ مَلْزُومٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» وكون الإنسان يُكثر من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، فلزوم الإيمان والاستقامة على طاعة الله ورسوله، حياة طيبة، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] فالإكثار من ذكر الله مع القيام بما أوجب

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٧٧) وابن ماجه، برقم (٣٧٩٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٣ برقم١٨٢٥).

(٢) قرئ بتاريخ: (٦/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٣٣ - ١٣٥).

الله، وترك ما حرم الله، ولزوم الإيمان والاستقامة عليه، فيه الفضل العظيم.

ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِئَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ـ يعني: يعتقها ـ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ» هذا يدل على فضل عظيم؛ لهذه الكلمة، وتكرارها، **لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له**... الحديث.

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لَأَنْ أُسَبِّحَ تَسْبِيحَاتٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُنْفِقَ عَدَدَهُنَّ دَنَانِيرَ فِي سَبِيلِ الله» فذكر الله غنيمة عظيمة أنت قادر عليها أينما كنت، في البر والبحر، في اللَّيل والنَّهار، في البيت والخارج في كلِّ مكان أنت قادر، بخلاف الذهب والفضة، والأموال الأخرى، قد يتعسر عليك فينبغي لكلّ مؤمن أن يكثر من هذا الخير العظيم الميسور من قراءة كتاب الله، والإكثار من ذكر الله بأنواع الذِّكر، وفي الحديث لما قال الصَّحابي يَا رَسُولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِبَابٍ جَامِعٍ أَتَمَسّكُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»[1].

فالمشروع للمؤمن: أينما كان أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والاستغفار، والدعاء، أن يدعو ربه، ويستغيث به، أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ودعوة إلى الله، وإرشاد إلى الخير، لا يزال مشغولًا بالخير أينما كان.

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٦).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[(١) «**الرابعة والأربعون**: أنَّ الذِّكر رَأْسُ الشُّكرِ، فما شَكَرَ اللهَ تعالى من لم يذكرهُ. وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: «رَبِّ قَدْ أَنْعَمْتَ عليَّ كَثِيرًا، فَدُلَّنِي عَلَى أَن أَشْكُرَكَ كَثِيرًا، قال: اذْكُرْنِي كَثِيراً، فَإِذَا ذَكَرْتَنِي كَثِيرًا، فَقَدْ شَكَرْتَنِي كَثِيرًا، وَإِذَا نَسِيتَنِي فَقَدْ كَفَرْتَنِي»(٢).

وقد ذكر البيهقي أيضًا في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن سلام قال: قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**يَا رَبِّ مَا الشُّكْرُ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ؟ فَأَوْحَى الله تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ لَا يَزَالَ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِي» قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَكُونُ عَلَى حَالٍ أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ فِيهَا، قَالَ: «وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَكُونُ جُنُبًا أَوْ عَلَى الغَائِطِ أَوْ إِذَا بُلْتُ، فَقَالَ: وَإِنْ كَانَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَمَا أَقُولُ قَالَ: قُلْ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، وَجَنِّبْنِي الأَذَى، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ قِنِي الأَذَى**»(٣).

قُلتُ: قَالَتْ عَائِشَةَ: **كَانَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **يَذْكُرُ الله تعالى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»(٤) ولم تَسْتَثْنِ حالة من حاله، وهذا يدل على أَنَّه كان يذكرُ رَبَّهُ تعالى في حالِ طهارتهِ وَجَنَابَتِهِ.

وَأَمَّا في حالِ التخلِّي، فلم يكنْ يشاهدُهُ أحدٌ يحكي عنه، ولكن شَرَعَ لأُمتهِ مِن الأَذكارِ قبل التخلِّي وبعده، ما يدل على مزيدِ الاعتناءِ بالذِّكرِ، وأَنَّهُ لا يُخِلُّ به عند قضاءِ الحاجة وبعدها، وكذلك شَرَعَ لأُمتِهِ من الذِّكر عند الجماعِ، أَنْ يقولَ أَحَدُهم: «**بسم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**»(٥).

وَأَمَّا الذِّكر عند نفس قضاءِ الحاجةِ، وَجِمَاعُ الأَهلِ، فَلَا ريب أَنَّهُ لا

---

(١) من هنا بدأ التسجيل الصوتي في الكاسيت رقم (٢) من تسجيلات «البردين».
(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ١٨٣ برقم ٦٩٩) عن زيد بن أسلم.
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٧٠برقم ٦٦٩) و(٦/ ٢٤٥ برقم ٤١١٤).
(٤) سبق تخريجهُ في (ص٢١٢).
(٥) أخرجه البخاري، برقم (١٤١) ومسلم، برقم (١٤٣٤) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

يُكرهُ بالقلب؛ لأَنَّهُ لابد لقلبهِ مِن ذكرٍ، ولا يمكنه صرفُ قلبهِ عِن ذكرِ مَنْ هو أَحبُّ شيءٍ إليه، فلو كُلِّفَ القلبُ نسيانَهُ لكان تكليفه بالمحال، كما قَالَ القَائلُ:

يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسيَانُكُم وَتَأْبَى الطِّباعُ عَلَى النَّاقِلِ[١].

فَأَمَّا الذِّكر باللِّسان على هذه الحالة، فليس مِمَّا شُرِعَ لنا، ولا نَدَبَنَا إليه رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى لَيُحِب أَنْ يُذْكَرَ فِي السُّوقِ، ويُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَّا عَلَى الخَلَاء**»[٢] ويكفي في هذه الحال استشعارُ الحياء، والمراقبة، والنعمة عليه في هذه الحالة، وهي من أجلِّ الذِّكرِ، فذكرُ كلِّ حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال، التَّقَنُّعُ بثوب الحياء من الله تعالى، وإجلاله، وذكر نعمته عليه، وإحسانه إليه في إخراج هذا القذر المؤذي له لو بَقِيَ فيه لَقَتَلَهُ، فالنعمة في تيسيرِ خروجِهِ، كالنعمة في التغذي به.

وكان عليُّ بن أبي طالب إذا خرج من الخلاءِ، مَسَحَ بطنَهُ، وقال: «**يَا لَهَا نِعْمَةٌ، لَو يعلمُ النَّاسُ قَدْرَهَا**»[٣].

وكان بعض السَّلف، يقول: «**الحمدُ للهِ الَّذي أَذَاقني لَذَّتَهُ، وأبقى فِيَّ منفعتَهُ، وأذهبَ عَنِي مضرَّتَهُ**»[٤].

وكذلك ذِكرهُ حال الجماع ذِكرُ هذه النِّعمةِ الَّتي مَنَّ بها عليه، وهي أَجلُّ نِعَمِ الدُّنيا، فإذا ذَكَرَ نعمةَ الله تعالى عليه بها، هَاج من قلبه هائِجُ الشُّكر، فالذِّكر رأس الشُّكر.

---

(١) القائل: المتنبي. ينظر: ديوانه بشرح البرقوق (٣/ ١٥٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٤/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٤/ ١١٣ برقم ٤٤٦٨).

(٤) أخرجه بنحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١١٣ برقم٤٤٦٩) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا أن نوحًا عليه السلام.

وقال النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ: «وَاللَّهِ يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ: دُبُرَ كُلّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[(١)] فجمع بين الذِّكر والشُّكْرِ، كما جمع ﷻ بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فالذِّكرُ والشُّكرُ جِمَاعُ السعادة والفلاح»[(٢)].

الشرح:

هذه الآثار الَّتي ذكرها المؤلف العلامة ابن القيم ﵀ في كتابه «**الوَابِلُ الصَّيِّب**» كلها تدل على عظم شأن الذِّكر، وأنَّهُ عبادةٌ عظيمةٌ، وقد تقدَّم من الآيات والأحاديث ما يدل على فضل الذِّكر، وأنَّهُ من أفضل العبادات، بل هو أفضل العبادات، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

وأفضل ذلك قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أعظم الذِّكر، وهكذا سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»[(٣)] ـ هذه الكلمات الأربع هن ـ «**البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ**» مع قول: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**»[(٤)].

ويقول ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا، قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(٥)] فالذِّكر هو رأس الشُّكر، والله يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فمن استقام على الذِّكرِ، فقد شكر ربّه قولًا وعملًا، فالخوف من الله ذكر، والمحبة، والرجاء، والخشية لله، والإخلاص له، كل هذا ذكر بالقلب، والتسبيح، والتحميد، والتهليل،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٤، ٢٤٧برقم٢٢١٧٢، ٢٢١٧٩) عن معاذ ﵁.
(٢) قرئ بتاريخ (١٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و(٧/ ٥/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٣٥ - ١٣٨).
(٣) سبق تخريجه في (ص١٦١).
(٤) سبق تخريجه في (ص٢١٢).
(٥) أخرجه مسلم، برقم (٣٥) عن أبي هريرة ﵁.

وقول: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**، والدُّعاء، والاستغفار ذكر باللِّسان، والصَّلاة والصَّوم والحج والصدقة والجهاد وأشباه ذلك من العبادات الفعلية هذا ذكر بالعمل.

فالمؤمن مشروع له: أن يذكر الله بقلبه، ولسانه، وعمله جميعًا، وفي جميع الأحوال، قالت: عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**» يعني: في البيت، في الطريق في الحمام في كل مكان؛ لكن في الحمام يكون بالقلب، فلا يتكلم بالذِّكر عند قضاء الحاجة، يكون الذِّكر بقلبه، وفي سائر المواضع بالقلب واللِّسان والعمل.

ويدل على أنَّ حال قضاء الحاجة، لا يذكر باللِّسان أنَّ الرَّسول ﷺ مرَّ عليه إنسان وهو يقضي حاجته، فسلم عليه، فلم يرد عليه السَّلام، وهو يقضي حاجته، فلما فرغ تيمم ثُمَّ ردَّ عليه، وقال: «**إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ عز وجل إِلَّا عَلَى طُهْرٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارِة**»[(١)].

المقصود: أنَّ الإنسان في حال قضاء الحاجة، حال البول والغائط، يكون الذِّكر بالقلب، لا باللِّسان، يقضي حاجته، وقلبه مشغولٌ باللَّه، يذكر نعمه، ويتذكر إحسانه.

وإذا فرغ من الغائط، قال: غفرانك؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا خرج من الغائط قال: «**غُفْرَانَكَ**»[(٢)] يعني: أسألك غفرانك؛ لأنَّ العبد كثير التقصير، وقضاء الحاجة من نِعَم اللهِ، فَاللَّهُ أنعم عليك حتَّى قضيت حاجتك من بول أو غائط هذا من نعم الله عليك.

والعبد في الغالب: لا يخلو من التقصير في الشكر، فيقول: عند الخروج غفرانك يعني: اللهم اغفر لي تقصيري في شكر نعمتك، وإذا

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٧) والنسائي، برقم (٣٨) وابن ماجه، برقم (٣٥٠) عن المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٢٧٢ برقم٥٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٠) عن عائشة رضي الله عنها والترمذي، برقم (٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٢٦١ برقم٥٦٢، ٥٦٣).

أراد دخول الغائط، يقول: «بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ»[(١)].

وعند الخروج يقدم رجله اليمنى ويقول: «غُفْرَانَكَ» وعند الدخول يقدم رجله اليسرى، ويقول: «أَعُوذُ بِكَ مِن الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ».

وإذا دخل السوق يكثر من ذكر الله في الطريق، في المجلس، لقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] فما شرعت جميع العبادات إلَّا لإقامة ذكر الله وشكره، فالمؤمن يجتهد في أن يكون قلبه معمورًا بذكر الله، ولا يتشبَّه بأعداء الله الغافلين، الَّذين قال الله فيهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] الغافلون: هم المعرضون عن ذكر الله، وشكره.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الخامسة والأربعون**: أَنَّ أَكْرَمَ الخلقِ على اللهِ تعالى من المتقين من لا يزالُ لسانُهُ رَطبًا بذكرِهِ، فإنَّه اتقاه في أمره ونهيه، وجعل ذكره شعارَهُ، فالتقوى أوجبت له دخول الجنة، والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر، والذِّكر يُوجِبُ له القُرْبَ مِن الله ﷻ والزُّلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمالُ الآخرة على قسمين: منهم من يَعْمَلُ على الأجرِ والثواب، ومنهم مَنْ يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى، ويسابق إلى القرب منه، وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢) ومسلم، برقم (٣٧٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كلاهما دون قوله: «**بسم الله**».

فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثُمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ [الحديد: ١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب.

ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ [الحديد: ١٩] فقيل: هذا عطف على الخبر عن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أخبر عنهم بخبر آخر، أن لهم أجرًا، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور: أنهم صديقون، وشهداء، فهذه هي المرتبة والمنزلة، قيل: تَمَّ الكلام عند قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حالَ الشهداء، فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رَسَخَ الإيمانُ في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصديقون، وهم أهل العلم والعمل، والأوَّلُون أهل البرِّ والإحسان، ولكن هؤلاء أكمل صدِّيقيَّة منهم.

ثُمَّ ذكر الشهداء، وأنه تعالى يُجري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنَّهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها، أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون، فيجري عليهم رزقهم ونورهم، فهؤلاء السعداء، ثم ذكر الأشقياء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ١٠، ٨٦].

والمقصود: أنَّه ﷻ ذَكَرَ أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللَّذَانِ وَعَدَهما فرعون السَّحَرَةَ إنْ غلبُوا موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾ [الشُّعَرَاء: ٤١-٤٢] أي: أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني، فالعُمَّالُ: عَمِلُوا على الأجور، والعارفون عَمِلُوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمالُ هؤلاء القلبية أكثرُ من أعمال أولئك، وأعمَالُ أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمالِ هؤلاء.

وَذَكَرَ البيهقيُّ عن محمد بن كَعْب القُرظِي رحمه الله تعالى، قال: قال موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**يَا رَبِّ، أيُّ خَلْقِكَ أَكْرَمُ عليك؟ قال: الَّذِي لَا يَزَالُ لِسَانُهُ**

رَطْبًا بِذِكْرِي، قال: قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَلْتَمِسُ إِلَى عِلْمِهِ عِلْمَ غَيْرِهِ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْدَلُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ مثلما يَقْضِي عَلَى النَّاسِ قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْظَمُ ذَنْبًا؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّهِمُنِي قَالَ: يَا رَبِّ، وَهَلْ يَتَّهِمُكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: الَّذِي يَسْتَخِيرُنِي ثُمَّ لَا يَرْضَى بِقَضَائِي»(١).

وذكر أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما وفد موسى عليه السلام إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ قَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُنِي، وَلَا يَنْسَانِي»(٢).

وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يَا رَبِّ أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ فَقَالَ تَعَالَى: يَا مُوسَى، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي أَكُونُ عَلَى حَالٍ أجلُّكَ أ عَنْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: الغَائِطُ وَالجَنَابَةُ، قَالَ: اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ»(٣).

وقال عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: «تَسْبِيحَةٌ بِحَمْدِ الله فِي صَحِيفَةِ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ جِبَالِ الدُّنيا تَسِيرُ تجري مَعَهُ ذَهَبًا»(٤).

وقال الحسن: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: سَيَعْلَمُ الجَمْعُ مَن أَوْلَى بِالكَرَم، أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السَّجدَة: ١٦] قَالَ: فَيَقُومُونَ فَيَتَخَطَّوْنَ رِقَابَ النَّاسِ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ، سَيُعْلَمُ الجَمْعُ مَنْ أَوْلَى بِالكَرَمِ أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: ٣٧] قَالَ: فَيَقُومُونَ فَيَتَخَطَّوْنَ رِقَابَ النَّاسِ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ، سَيُعْلَمُ الجَمْعُ مَنْ أَوْلَى بِالكَرَمِ أَيْنَ الحَمَّادُونَ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ، قَالَ: فَيَقُومُونَ وَهُمْ كَثِيرٌ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٧٢ برقم ٦٧٢).
(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ١٧١ برقم٦٧١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٥) وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٣/ ٢٧٢).
(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١/ ٣٢٧، ٣٩٦ برقم ٩٣١، ١١٢٣).

تَكُونُ التَّبِعَةُ، وَالحِسَابُ فِيمَنْ بَقِيَ»(١).

وأتى رجل أبا مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيِّ، فَقَالَ: أَوْصِنِي يَا أَبَا مُسْلِمٍ، قَالَ: اذْكُرِ اللهَ تَعَالَى تَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ وَمَدرةٍ، فَقَالَ: زِدْنِي، فَقَالَ: اذْكُرِ اللهَ تَعَالَى حَتَّى يَحْسِبَكَ النَّاسُ مِن ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى مَجْنُونًا، وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يُكْثِرُ ذِكْرَ اللهِ فَرَآهُ رَجُلٌ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى، فَقَالَ: أَمَجْنُونٌ صَاحِبُكُمْ هَذَا؟ فَسَمِعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ، فَقَالَ: «**لَيْسَ هَذَا بِالْجُنُونِ يَا ابْنَ أَخِي، وَلَكِنْ هَذَا دَوَاءُ الجُنُونِ**»(٢)»(٣).

الشرح:

هذه الفائدة الخامسة والأربعون: من فوائد الذِّكر، أن صاحبها يكون بمنزلة عالية عند الله ﷻ؛ لأنَّ ذكره لله دائمًا يحفِظ على أداء الفرائض، وترك المحارم؛ ليكون بمنزلة عالية عند الله ﷻ، مع الرسل وأتباعهم من خواص المؤمنين الَّذين شغلوا أنفسهم بطاعة الله، وشغلوا قلوبهم وألسنتهم بذكر الله. فالَّذين شغلوا نفوسهم وألسنتهم بذكر الله، هم أهل المراتب العالية والدرجة. **فينبغي للمؤمن**: أن تكون أوقاته معمورةً بذكر الله، كما قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وإن عمال الآخرة، قسمان:

قسم يعمل للأجر والثواب، وقسم يعمل للمنزلة والقرب من الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨] فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب.

---

(١) أخرجه «معمر بن راشد في جامعه» منشور ملحق مع مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٩٤ برقم ٢٠٥٧٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٧٧ برقم ٦٨٥).

(٣) قرئ بتاريخ (١٥/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و(١٣/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٣٨ - ١٤٢).

ثُــمَّ قــال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب، وأن ذاكر الله من أكرم الخلق على الله، وهو من أهل مجالسته، الَّذين لا ينساهم، ويكرمهم يوم القيامة، لشغل أنفسهم بذكره سبحانه.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥] **فأنت يا عبد الله**: اشغل هذا اللِّسان، والقلب، وهذه الجوارح بذكر الله تعالى.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**السادسة والأربعون**: أَنَّ في القلب قسوةً لا يُذِيبُها إلَّا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أنْ يُدَاوِيَ قسوةَ قلبه بذكرِ الله تعالى.

وَذَكَرَ حَمَّادُ بن زيد، عن المعلى بن زياد، أنَّ رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيدٍ أشكُو إليكَ قسوةَ قَلْبِي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكْرِ[(١)] وهذا لأنَّ القلبَ كلَّما اشتدت به الغفلةُ، اشتدت به القسوةُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تعالى ذابت تلك القسوةُ، كما يَذُوبُ الرصاصُ في النَّار، فما أُذِيبَتْ قسوةُ القلوبِ بمثل ذكر اللهِ تَعَالَى.

السابعة والأربعون: أنَّ الذِّكر شِفَاءُ القلب ودواؤُهُ، والغفلة مَرَضُهُ، فالقلوبُ مريضةٌ، وشفاؤُها ودواؤُها في ذكرِ الله تعالى.

قال مكحول: ذِكْرُ اللهِ تعالى شِفَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاس داءٌ[(٢)].

وَذَكَرَ البيهقي عن مكحولٍ مرفوعًا ومرسلًا، فإذا ذَكَرْتَهُ شفاها

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «الزهد» (٢٦٦) والبيهقي في الشعب (٢/ ١٧٧ برقم ٦٨٥).

(٢) لم أقف عليه عن مكحول، لا موقوفًا عليه ولا مرفوعًا عنه، وذكر المرسل عنه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤٥٩ برقم٧١٧) وقال محقق: «**شعب الإيمان**» أخرجه من قول عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعافاها، فَإِذَا غَفَلَتْ عنه انتكست، كما قيل:

إِذَا مَـرِضْـنَـا تَـدَاوِيـنَـا بِـذِكْـرِكُـمُ فَنَتْرِكُ الذِّكر أَحْيَانًا فَنَنْتَكِس[(١)]

الثامنة والأربعون: أَنَّ الذِّكر أصل موالاة اللهِ تَعَالَى ورأسها، والغفلةُ أصل معاداتِهِ ورأسها، فإِنَّ العبد لا يزالُ يذكرُ ربَّهُ ﷻ حتى يُحِبَّهُ فيواليه، ولا يزال يُغْفُلُ عنه حتَّى يُبْغِضَهُ فيعاديه.

قال الأوزاعيُّ: قال حَسَّانُ بن عَطِيَّةَ: مَا عَادَى عَبدٌ رَبَّهُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيهِ مِن أَنْ يَكْرَهَ ذِكْرَهُ أَوْ مَنْ يَذْكرَهُ»[(٢)] فهذه المعاداة سببُها الغفلةُ، ولا تزال بالعبد حتَّى يَكْرَهَ ذِكرَ اللهِ، ويكره مَنْ يذكره، فحينئذٍ يتخذه عدوًّا، كما اتخذه الذَّاكر وَلِيًا»[(٣)].

الشرح:

من فوائد الذِّكر: أَنَّهُ من أسباب حياة القلب، واستقامته ومسارعته في الخيرات، فذكر الله جَلَّ وَعَلَا باللِّسان، والقلب، والعمل حياة للقلب، ولين له، ورقة، وشفاء من أمراضه، وموالاة لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أمَّا الغفلة: فهي من أسباب القسوةِ، ومن أسباب الموت، ومن أسباب البُعد عن الله، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في الإكثار من ذكر الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦].

وفي الحديث: «**إِنَّ أَبْعَدَ القُلُوبِ عِنْدَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي**»[(٤)].

(١) ذكره ابن القيم أيضًا في «روضة المحبين» (١/ ١٦٧) وفي «**مدارج السالكين**» (٢/ ٤٤٠) **قال ابن قائد**: «لعله له» يعني المصنف. ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيقه (ص١٧٢).

(٢) أخرجه عنه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٦١).

(٣) قرئ بتاريخ (١٦/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و(١٤/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٤٢ - ١٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤١١) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال: حسن غريب.

فالقلب القاسي أبعد شيء عن الله، وعن محبته، والمسارعة إلى مراضيه، والقلب اللين المعمور بذكر الله أقرب شيء إلى طاعة الله، ومولاته ومحبته، والبعد عن مساخطه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجنّ: ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الغافلون: لا ينتفعون بأسماعهم ولا بقلوبهم ولا بأبصارهم، بخلاف الذَّاكر لله المنتبه الَّذي يعالج أمراض قلبه، ويعالج أمراض بدنه، ويعالج أمراض مجتمعه بطاعة الله ورسوله، وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأنت يا عبد الله: عليك ملازمة الذِّكر بالقلب، واللِّسان، والعمل، بالإكثار من العبادة، عليك بملاحظة قلبك حتى لا يستولي عليه الشيطان، فيغفل، ويملي عليه الشرور والسيئات، والأفكار الرديئة حتَّى يقسو بذلك، نسأل الله التَّوفيق والهداية.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**التاسعة والأربعون**: أَنَّهُ ما استُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، واستُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بمثلِ ذِكْرِ اللهِ تعالى، فالذِّكر جلَّابٌ للنعم، دافعٌ للنقم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ﴾ [الحجّ: ٣٨] وفي القراءة الأخرى: ﴿إنَّ الله يدفعُ﴾ فَدفعُهُ ودفاعُهُ عنهم بحسب قوةِ إيمانِهم وكمَالِهِ، ومادَّةِ الإيمان وقوتِهِ بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا، كان دفعُ الله تعالى عنه ودفاعُهُ أعظمَ، ومن نقص، نقص ذكرًا بذكرٍ، ونسيانًا بنسيانٍ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٧] والذِّكر رأس الشكر، كما تقدَّم، والشكر جلَّابُ النِّعمِ، ومُوجبٌ للمزيد.

قال بعض السلف رحمةُ اللهِ عليهم: ما أَقْبَحَ الغَفْلَةَ عن ذِكْرِ مَن

لَا يَغْفُلُ عن ذِكرِكَ[١].

الخمسون: أنَّ الذِّكر يُوجِبُ صلاةَ اللهِ ﷻ وملائكَتِهِ على الذَّاكر، ومَنْ صَلَّى اللهَ تعالى عليه، وملائكتُهُ، فقد أفلح كلَّ الفلاح، وفاز كلَّ الفوز، قــال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فهذه الصَّلاةُ منه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ومن ملائكَتِهِ، إنَّما هي على الذَّاكرين له كثيراً، وهذه الصلاةُ منهُ ومن ملائكته هي سببُ الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حَصَلَتْ لهم الصلاةُ من اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وملائكَتِهِ، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك، وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟ فيا حسرةَ الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرِمُوا من خيرِهِ وفضلِهِ، وباللَّه التوفيق»[٢].

الشرح:

هذان الفائدتان أيضًا، من فوائد الذِّكر، تقدَّم أنَّ الذِّكر يكون باللِّسان بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والدُّعاء من الذِّكر، ويكون بالقلب، بخوف الله، وخشيته، ومراقبته، وتعظيمه، هذا من الذِّكر الإيماني، ويكون بالعمل بأداء ما فرض الله من الصَّلوات والزَّكاة والصِّيام، والحجّ، والجهاد كلها من الذِّكر.

فالذَّاكر لله مشغولُ القلب واللِّسان والجوارح بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فاللَّهُ يدافع عن الَّذين آمنوا، الإيمان الكامل، يدفع عنهم المكاره، ويديم لهم المحَابّ والمطالب العالية، بسبب ذكرهم إياه، بطاعة أوامره،

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصُّوفية (٣١٧) عن ممشاذ الدينوري، وأخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ٥٩٢) عن محمد بن عبدالوهاب البلخي، وعنده «**عن برك**» بدل «**عن ذكرك**».

(٢) قرئ بتاريخ: (٢٠/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٤٤ - ١٤٥).

وترك نواهيه.

والذِّكر هو رأس الشكر، والله يزيدهم من فضله بذكرهم إياه، قلبًا وقالبًا وعملًا، فالذَّاكر لله جَلَّ وَعَلَا شاكرٌ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فَمِنْ شُكْرِ اللهِ العمل الصَّالح بالقلب واللِّسان والجوارح، من الذِّكر.

واللَّه يصلي وملائكته على الذَّاكرين، فأيُّ نعمة، وأيُّ فضل أعظم من هذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] هذا يدل على أن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أسباب صلاة الله وملائكته، ومن أسباب إخراج اللهِ العبد من الظلمات إلى النور.

فينبغي للمؤمن الإكثار من ذكر الله بقلبه ولسانه وعمله، فالذي لا يغفل عنك قد قام برزقك، وأحسن إليك، وأعطاك الصحة ومنَّ عليك بأنواع من الخير إياك أن تغفل عن ذكره، والله يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] يعشُ، يعني: يغفل ويعرض عن ذكر الرحمن، نقيض له شيطانًا، فهو له قرين ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٧].

فالغافل: يُبْتلى بالشَّياطين تستحوذ عليه، وتصده عن ذكر الله، والذَّاكر بقلبه ولسانه وجوارحه، المعظم لحرمات الله، يطرد الشَّيطان، ويصلي عليه الرَّحمن وملائكته.

○ **مسألة:**

ذكر الله وقراءة القرآن من أسباب طرد الشَّياطين، ولهذا في الحديث الصَّحيح: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذي تُقْرَأُ فِيهِ البَقَرَةِ**»(١) والله يقول: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس: ٤] وسواس: عند الغفلة، خناس: عند الذِّكر والطاعة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٤، ٣٣٧، ٣٨٨ برقم ٧٨٠٨، ٨٤٣٤، ٩٠٣٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الحادية والخمسون**: أَنَّ مَن شاء أَنْ يَسكُنَ رياضَ الجنَّةِ في الدُّنيا، فليستوطن مجالس الذِّكرِ، فَإِنَّها رياضُ الجنَّة.

وقد ذَكَرَ **ابن أبي الدُّنيا** وغيره، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خَرَجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاس ارْتِعُوا فِي رِيَاضِ الجَنَّة؟** قُلْنَا يَا رَسُولُ اللهِ: وَمَا رِيَاض الجَنَّة؟ قَالَ: «**مَجَالِسُ الذِّكْرِ**»[(١)] ثُمَّ قال: اغدوا وروحوا واذكروا، فَمَنْ كَانَ يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى، فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده، فإنَّ الله تعالى يُنْزِلُ العبد منه حَيْثُ أَنْزَلَهُ من نفسه»[(٢)].

الثانية والخمسون: أَنَّ مجالسَ الذِّكر مجالسُ الملائكةِ، فليس من مجالس الدُّنيا لهم مجلس إلَّا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في «**الصَّحيحين**» من حديث الأَعْمَشِ عَن أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله مَلَائِكَةً فُضُلًا** [عَن كُتَّاب النَّاس] **يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ.**

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّه مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه، (١/ ٦٧١ برقم ١٨٢٠) وتعقبه الذهبي، فقال: عمرو بن عبد الله مولى غفرة ضعيف، ولشطر الحديث له شواهد صحيحة منها ما أخرجه مسلم، برقم (٢٦٨٩).

(٢) تكملة للحديث، وقرئ بتاريخ (٢٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ) ولم أعثر له على شرح مستقل.

أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَالله مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

فهذا من بركتهم على نفوسهم، وعلى جليسهم، فلهم نصيبٌ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مَريَم: ٣١] فهكذا المؤمن مبارك أين حلَّ، والفاجرُ مشئومٌ أينَ حلَّ.

فمجالس الذِّكر مجالس الملائكة، ومجالسُ الغفلةِ مجالسُ الشَّياطين، وكلٌّ مضافٌ إلى شكله وأشباهه، وكلُّ امرئ يصير إلى ما يناسبه»(٢).

الشرح:

هذه الفوائد كالَّتي قبلها في بيان عظم شأن الذِّكر وفضله، وأنَّ الله جَلَّوَعَلَا رتَّب عليه من الجزاء والحسنات الشيء الكثير، وقد أكثر الله من ذكره في كتابه العظيم ترغيبًا للعباد في الإكثار من ذكره، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزَاب: ٤١-٤٢].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجُمُعَة: ١٠] وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنَافِقون: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٨) واللَّفظ والسند له، ومسلم، برقم (٢٦٨٩).

(٢) قرئ بتاريخ (٢١/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٤٥، ١٤٦).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه في الصفة العاشرة: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] فذكر الله له شأنٌ عظيم.

ويروى عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه، قال: «**قُومُوا إِلَى رِيَاضَ الجَنَّةِ، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ**: «**مَجَالِسِ الذِّكْرِ**» ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»[(١)] وهي مجالس الملائكة.

فإنَّ الملائكة تلتمس مجالس الذِّكر، فمتى وجدتها ينادى بعضها بعضًا، هلموا إلى حاجتكم، تعين على طاعة الله، فأهلها هم أولياء الله الصادقون، فمجالس الذِّكر: هي مجالس الأخيار مجالس الملائكة، مجالس يرضاها الله، تعين على طاعته، وتعين على ذكره، كما تعين على ترك معصيته، فأهلها هم أولياء الله الصَّادقون.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذكر الله، وأن يكون من أصحاب هذه المجالس، مجالس أهل العلم والتبصر، والتفقه في الدِّين، فحلق الذِّكر، حلق العلم، قال الله، وقال الرَّسول، والمؤمن في أشدِّ الحاجة إلى التبصر، والتعلم والتفقه في الدِّين.

والملائكة تحف بأهل الذِّكر، كمجلسنا هذا، وهكذا مجالس الذِّكر، فإذا صعدوا يَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ أَعْلَمُ بِعِبَادِهِ، **يسألهم لإظهار فضل الذَّاكرين**، **فَيَسْأَلُهُمْ مَاذَا يَقُولُ عِبَادِي، فَيَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَذْكُرُونَكَ، فيقول** جَلَّ وَعَلَا: **وَهَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّه يَا رَبَّنَا مَا رَأَوْكَ، وهو سبحانه يعلم ذلك، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ تَعْظِيمًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.**

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٠) عن أنس رضي الله عنه، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ: عَمَّا يَسْأَلُونَ؟ قَالُون: يَسْأَلُونَكَ الجنَّة، قال: يقول: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبّنَا لَا وَاللَّه مَا رَأَوْهَا، قَالَ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا! قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُم رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ، عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لها طَلَبًا، وَأَعْظَمُ فِيهَا رَغْبَةً.

فَيَقُولُ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا!؟ وهو سبحانه يعلم أنَّهم ما رأوها، قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُم رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ، مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قال: فيقول جَلَّ وَعَلَا: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُم مَا طَلَبُوا، وَأَمنتهم مما حذروا، فمجلس الذِّكر يُعينك على طاعة الله، يُذكِّر باللَّه، وبالجنَّة وبالنَّار، وبزوال هذه الدُّنيا، بخلاف مجالس الغفلة، فإنها تعين على الرغبة في الدُّنيا، وتُنسي الآخرة.

فينبغي للمؤمن: أن يكون حريصًا على المجالس الَّتي فيها الذِّكر، فيها الترغيب في الآخرة، **فيها العلم والتفقه في الدِّين حتى يزداد علماً وخيرًا.**

وهؤلاء السَّياحون من الملائكة غير المتعاقبين فينا، ولله ملائكة يتعاقبون في بني آدم، غير الحفظة، وغير السياحين، المتعاقبين يجتمعون في صلاة الفجر، وفي صلاة العصر، فإذا صلوا العصر عرج أهل النَّهار إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وبعد صلاة الصبح يعرج الَّذين باتوا، والله يسألهم، فيقولُ: كيف تركتم عبادي، فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون، فهنيئًا لمن حافظ على الصَّلاة في جميع أوقاتها تشهد له الملائكة عند ربها، وما أعظم حسرة من أضاع هذا الأمر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

○ مسألة: **حضور الجن مجالس الذِّكر:**

المسلمون من الجن قد يحضرون مجال الذِّكر، الظاهر: أن أهل الخير منهم، يحضرون، وأهل الشر يطلبون الشر مثل الإنس سواء.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الثالثة والخمسون**: أنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهي بالذَّاكرين ملائكتَهُ، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ مُعَاوِيَة عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فقال: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جلسْنَا نَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى، قَالَ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجلَسنا إِلَّا ذَاكَ، قال: «**أَمَا أَنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ**، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» **قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ**: «**آلله مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ تبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»[(١)].

فهذه المباهاةُ من الرَّبِّ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** دليلٌ على شرف الذِّكر عنده، ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال[(٢)].

الرابعة والخمسون: أَنَّ مُدْمِنَ الذِّكر يدخلُ الجنَّةَ، وهو يضحك، لما ذكر ابن أبي الدُّنيا عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدَّرداء، قال: «**الَّذِينَ لَا تَزَالُ أَلسِنَتُهُمْ رَطْبَةً مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﷻ، يَدْخُلُ أَحَدُهُمْ الجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ**»[(٣)] [(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠١).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ) كما قيد القارئ ولم أعثر لها لشرح إلا مقرونة بما بعدها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في كتاب «الزهد» (ص١٣٦) وابن أبي شيبة في «**مصنفه**» (٦/ ٥٨ برقم ٢٩٤٥٩، ٧/ ١١١ برقم٣٤٥٨٧، ٧/ ١٧٠ برقم ٣٥٠٥٢).

(٤) قرئ القراءة الثانية: (٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٤٨، ١٤٩).

الشرح:

هذان الحديثان يتعلقان بفوائد الذِّكر، الذِّكر كما تقدَّم له فوائد عظيمة، من أعظم فوائده، يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] من ذكر الله في الأرض، ذكره الله في السماء، بالثناء عليه: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[(١)].

هذا فضل عظيم، ومن ذلك أن الله يُبَاهي بالذَّاكرين الملائكة، يعني: يذكرهم عند الملائكة، مُعظمًا لشأنهم، انظروا إلى عبادي يفعلون كذا وكذا، يرفع قدرهم عند الملائكة بهذا الذِّكر؛ ولهذا لَمَّا خرج النَّبِيّ ﷺ على جماعة من أصحابه جالسين، سألهم لِمَ جلستم؟

قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله، ونذكر نعمته علينا أَنْ هدانا للإسلام، وأخرجنا من دائرة الكفر، فقال لهم ﷺ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟!**» قَالُوا: وَاللَّه مَا أَجْلَسَنَا إلَّا ذاك، قال ﷺ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**» يعني: يذكرهم عند الملائكة رافعًا لشأنهم، ومعظما لأمرهم.

وفي هذا حثٌّ على الذِّكر: من التسبيح، والتهليل، والتحميد، والدُّعاء، والثناء على الله بما مَنَّ به على العبد من الهداية والتوفيق، ومن صلاح النية، وانشراح الصدر للخير، ومن النعم الأخرى، يذكر الله ويتذكر نعمه، وينظر ويحاسب نفسه، ويرضى بنعم الله، ويذكر الله، ويثني عليه ويحمده، ويسأله التوفيق، والإعانة على الخير والطَّاعة.

ويسأله الحماية من معصيته، ويتضرع إليه، ويذكره كثيرًا، هذا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عبده إذا ذكره أن يذكره في الملإ الأعلى، فجدير بالمؤمن أن يكون حريصًا على هذا الخير العظيم، مجتهدًا في ذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طالبًا لمرضاته، محاسبًا نفسه، ومجاهدًا لها حتَّى تلتزم بذكره، وحتَّى تبتعد عن

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧٤٠٥) ومسلم، برقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسباب غضبه.

والعبد في خير عظيم مادام لسانه رطبًا بذكر الله، كما جاء وفي الحديث يقول ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ**»(١).

ويروى عنه ﷺ: «**أَنَّ الذَّاكِرِينَ لله يدخلون الجنَّة ضاحكين**» مستبشرين في غاية من الراحة والطمأنينة، والرضا، والأنس بسبب هذا العمل العظيم، وجميع الأعمال الصَّالحات كلّها من ذكر الله، وفَّق الله الجميع.

○ **مسألة: سماع المحاضرات:**

سماع القرآن والمحاضرة من شريط مسجل يعتبر من الذِّكر، والسامع له تحفه الملائكة، وهذا ما نحن فيه من مجالس الذِّكر، شريط فيه الدَّعوة إلى الله، والتوجيه والتعليم يستمعون إليه، أو قارئ يقرأ القرآن هذا من الذِّكر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«**الخامسة والخمسون**: أَنَّ جميعَ الأعمالِ إِنَّما شرعت إقامة لذكر الله تعالى.

والمقصود بها: تحصيل ذكر الله تعالى، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

قيل: المصدر مضاف إلى الفاعل، أي: لأذكرك بها.

وقيل: مضاف إلى المذكور، أي: لتذكروني بها، واللام على هذا لام التعليل.

وقيل: هي اللام الوقتية، أي: أقم الصَّلاة عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وهذا المعنى يُراد بالآية، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر؛ لأنَّ هذه اللَّام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذِّكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف، أي: عند وقت ذكري، وهذا محتمل.

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٦).

والأظهر: أَنَّها لام التعليل: أي أقم الصَّلاة لأجل ذكري، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذَكَرَ العبدُ ربَّهُ، فذكر الله تعالى سابقٌ على ذكره، فإنَّه لما ذكره أَلْهمَهُ ذِكْرَهُ، فالمعاني الثلاثة حق، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فقيل المعنى: أَنَّكُمْ في الصَّلاة تذكرونَ الله، وهو ذاكرٌ مَن ذكرهُ، ولذكر الله تعالى إيَّاكم أكبر من ذكركم إيَّاه، وهذا يروي عن ابن عباس، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وذكر ابن أبي الدُّنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ قال: وهو قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه. **وقال ابن زيد، وقتادة**: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيءٍ.

وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضلُ فقال: أَمَا تقرأُ القرآن: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدِّم: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ**» الحديث(١).

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدَّس الله روحه، يقول: الصَّحيح: أَنَّ معنى الآيةِ: أَنَّ الصَّلاة فيها مقصودانِ عظيمانِ، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنَّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر(٢).

وذكر ابن أبي الدُّنيا عن ابن عباس: أَنَّهُ سُئِلَ: أي العمل أفضل؟

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٧٧) وابن ماجه، برقم (٣٧٩٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٣ برقم ١٨٢٥) وسيأتي ذكر تصحيح سماحته له في الشرح.

(٢) ذكر بنحوه في «الزهد والورع والعبادة» (ص١٨١) وفي «**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ٧٥٣).

قال: «**ذكر الله أكبر**»[(١)].

وفي «**السنن**» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ الله تعالى**» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح»[(٢)].

الشرح:

هذه الفائدة أيضًا من فوائد الذِّكر، فالذِّكر جامع للخير كلّه، ولهذا شرع الله جميع الأعمال الصَّالحة لإقامة ذكره، فالصَّلاة من إقامة ذكره، والصَّوم من إقامة ذكره، والزَّكاة من إقامة ذكره، والحجُّ من إقامة ذكره، والجهاد من إقامة ذكره، وهكذا بقيت الأعمال الصَّالحة؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

ثُمَّ قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥] لما فيها من ذكر الله وتعظيمه وتقديسه أكبر، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مستحقّ؛ لأن يذكر ويدعا ويعظم أينما كان الإنسان، وفي كل وقت، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزَاب: ٤١-٤٢] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].

ويقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أنْ قال سبحانه في الصفة العاشرة: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٣٥﴾ [الأحزَاب: ٣٥] كلها من صفات المؤمنين.

فالمؤمن لا تجده أبدًا إلَّا ذاكرًا لله بقلبه ولسانه، وعمله؛ لأنَّ

---

(١) أخرجه محمد بن فضل الضبي في كتاب «الدعاء» (ص٢٧٩ برقم ١٠١) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣٧ برقم ٣٥٦٥١).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (١٨٨٨) والترمذي، برقم (٩٠٢). وقرئ بتاريخ (٢٨/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و (٢٨/ ٥/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٤٩ - ١٥٢).

الله سبحانه المحسن المنعم عليه، وعلى آبائه وهو يتقلب في إحسانه ليلًا ونهارًا، فاللَّه سبحانه مستحق لأنْ يذكر ويعظم، والذِّكر من شكره، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].

وفي الحديث يقول ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ**» فاللَّه شرع الحج وما سواه من العبادات لإقامة ذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يذكر ويعظم، ويثنى عليه ويقدس، فهو الأهل لكل ذكر.

وفي الحديث الصَّحيح عن أبي الدَّرداء يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالورِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ»**»[(١)].

فذكر الله بأداء فرائضه، وترك محارمه، وانشغال القلب واللِّسان، والجوارح، بما أوجب، وما شرع هو اللباب، والمقصود من هذه الحياة، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**السادسة والخمسون**: أنَّ أفضل أهلِ كلُ عملٍ أكثرهم فيه ذكرًا للهِ ﷻ، فأفضلُ الصُّوَّام أكثرهم ذكراً لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدِّقين أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ، وأفضلُ الحُجَاجِ أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ، وهكذا سائر الأعمال.

وقد ذكر ابن أبي الدُّنيا حديثًا مرسلًا في ذلك أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ أهل المسجدِ خيرٌ؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ**»، قيلَ: أيُّ أهلِ الجنازةِ خيرٌ؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ**»، قيل: فأيُّ المُجَاهِدِينَ خيرٌ؟ قال: «**أكثرهم ذكراً للهِ ﷻ**»، قيل: فأيُّ الحُجَاجِ خيرٌ؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ**»، قيل: وأَيُّ العوَّاد خَيْرٌ؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للهِ ﷻ**»،

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو بكر: «ذَهَبَ الذَّاكرون بالخيرِ كلِّه»(١).

وقال عبيد بن عمير: «إنَّ أعظمكم هذا الليلُ أن تكابدوه، وَبَخِلْتُمْ بالمال أنْ تُنْفِقُوه، وجبنتم عن العدوِّ أَنْ تقاتلوه، فأكثروا من ذكر اللهِ ﷻ»(٢).

السابعة والخمسون: أنَّ إدامة الذِّكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها سواء كانت بدنية، أو مالية، أو بدنية مالية كحج التطوع.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[مِنَ الأَمْوَالِ] بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، والنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلُ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيتصدَّقُونَ، فقال: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بَهَ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا أَحَدٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ**»؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ...**» الحديث متفق عليه(٣).

فجعل الذِّكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج، والعمرة، والجهاد، وأخبر أنَّهم يَسْبِقُونَهُمْ بهذا الذِّكر، فلما سمع أهل الدُّثُورِ بذلك عَمِلُوا بهِ، فازدادوا إلى صدقاتِهم وعبادتِهم بمالهم التعبُّد بهذا الذِّكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء، وأخبروا رسول الله ﷺ بأَنَّهم قد شاركوهم في ذلك، فانفردُوا عنهم بِمَا لا قدرةَ لهم عليه، فقال: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»(٤).

---

(١) أخرجه مرسلًا ابن المبارك في «**الزهد**» (ص٥٠١) عن أبي سعيد المقبري، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤٠٨ برقم ٥٥٨) وأبو القاسم الأصبهاني في «**الترغيب والترهيب**» (١٣٦٦) من وجه آخر مرسلًا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «**الزهد**» (ص٤٥٤) وابن أبي شيبة في «**مصنفه**» (٧/ ١١٧ برقم٢).

(٣) وتمامه: «**ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**» أخرجه البخاري، برقم (٨٤٣) ومسلم، برقم (٥٩٥).

(٤) إحدى ألفاظ روايات مسلم للحديث السابق، برقم (٥٩٥).

وفي حديث عبد الله بن بُسْرٍ، قال: جاء أعرابي، فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ خلالُ الإسلام وشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني، قال: «**عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى**» قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «**نَّعَمْ، وَيَفْضل عَنْكَ**»(١).

فَدَلَّهُ النَّاصح على شيءٍ يعينه على شرائع الإسلام، والحرص عليها والاستكثار منها، فإنَّه إذا اتخذ ذكرَ اللهِ تعالى شعارَهُ أحبَّهُ، وأحبَّ ما يُحِبُ، فلا شيءَ أحبُّ من التقرُّب بشرائع الإسلام، فدلَّه ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام، وتَسْهل به عليه، وهو ذكر الله ﷻ»(٢).

الشرح:

هذه الآثار كلّها تدل على أنَّ أفضل الأعمال ما كثر فيه ذكرُ اللهِ، وكلما كان ذكرُ الله في العمل أكثر، صار ثوابه أعظم وأجزل، **فأفضل العاملين**: هم أكثرهم فيه ذكرًا لله ﷻ في صلاتهم وفي صومهم، وفي زكواتهم وصدقاتهم، وفي حجهم وفي جهادهم، وفي غير ذلك من الأعمال، فأفضل العاملين الصَّالحين المتقين أفضلهم من كان أكثر ذكرًا لله ﷻ مع عمله القلبي واللِّسَاني والبدني.

فخوف الله ومراقبته والشوق إليه، وحسن الظن به هذا ذكر، من الذِّكر القلبي، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير من أذكار اللِّساني.

والصَّلاة والصَّوم والصَّدقات والجهاد، ذكر من أذكار أعمال الجوارح، فكل ما كان العبد يجمع بين أنواع الذِّكر، فيصلي ويصوم ويتصدق ويحج وهو كثير الذِّكر يكون عمله أكثر ثوابًا، فأفضل المجاهدين أكثرهم ذكرًا لله، وهكذا جميع الأعمال بهذا النسق.

---

(١) هذا اللَّفظ أخرجه ابن عمرو الشيباني في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٥١برقم١٣٥٦). وقد سبق تخريجه عند الترمذي بغير هذا اللَّفظ (ص١٣٥).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٩/ ١٠/ ١٤١٢هـ) و (٥/ ٦/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٥٢ - ١٥٤).

وَلَمَّا صعب الأمر على الفقراء لَمَّا شاهدوا الأغنياء يتصدقون ويحجون، ويعتمرون ويجاهدون من أموالهم، قالوا: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ - يعني: ذهب أهل الأموال بالأجور، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا وَلَيْسَ لَنَا مَالٌ نَتَصَدَّقُ بِهِ ونعتق منه، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفَلَا أُدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله: قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، فَقَالَ: الله أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**».

وفي الحديث الآخر: تمام المائة بـ«**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١).

فأخبرهم أنَّهم بهذا الذِّكر يسبقون من تأخر، ويفضلون على غيرهم، ويشاركون أهل الأموال في ذلك، فكان عوضًا ما عجزوا عنه من الأموال فشاركوا أهل الصَّدقات، وأعمال الخير والعتق بهذا الذِّكر؛ لأنَّهم عجزوا عن المال، فاعتاضوا عن ذلك بأذكار الله بالقلب واللِّسان والعمل، فأدركوا من سبقهم، وسبقوا من تخلف عنهم.

قال الفقراء: فسمع إخواننا أهل الأموال سمعوا بالذكر الَّذي قال لنا رسول الله ﷺ ففعلوا مثلنا، فجعلوا يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة مثلهم، فجاء الفقراء يقولون يا رسول الله: إن إخواننا الأغنياء فعلوا كفعلنا، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**» إِذَا الله أعطى العبد كمال العبادة المالية والقلبية واللسانية، والجوارح هذا فضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى فيكون في الطبقة العليا جمعوا بين هذا، وهذا.

وَجَاء في الحديث: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله: إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِباب جامع أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ**

(١) أخرجه مسلم، برقم (٥٩٧).

رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»[(١)] يعني: عليك بذكر الله، فهو جامع تسبق به النَّاس وتشاركهم في الخير والأعمال الصالحات.

فينبغي للمؤمن: أن يكون كثير الذِّكر، وأن يحذر الغفلة. في جميع أحواله قلبه معلق باللَّه، يذكر فضله، ويذكر إحسانه، ويحمده، ويحسن به الظن، يصلي له يصوم له يتصدق له كل أعماله لله وحده ليس فيها شرك، ولا رياء ولا سمعة، ولا مقاصد أخرى.

فهذا هو أفضل الأعمال وصاحبه قد وُفِقَ، وَدُلَّ على أفضل الأعمال،

فهو يشتغل بذكر الله مع أعماله الَّتي شرعها الله له، ويؤدي الواجب، ويدع المحارم، وقلبه مشغول باللَّه وبذكره ﷻ، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الثامنة والخمسون**: أنَّ ذكرَ اللهِ ﷻ مِنْ أَكْبَرِ العَوْنِ عَلَى طاعته، فَإِنَّهُ يُحَبِّبُهَا إلى العبد، ويسهِّلُهَا عليه، ويلذِّذُهَا له، ويجعلهَا قُرَّةَ عينِهِ فيها، ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها مِن الكُلْفَةِ والمشقَّةِ والثِّقلِ ما يجد الغافل، والتجربةُ شاهدةٌ بذلك، توضحه.

التاسعة والخمسون: أَنَّ ذِكْرَ اللهِ ﷻ يُسَهِّلُ الصَّعبَ، ويُيَسِّرُ العسيرَ، ويُخَفِّفُ المَشَاقّ، فما ذُكِرَ اللهُ ﷻ على صَعْب، إلَّا هَانَ، ولَا على عسيرٍ إلَّا تَيَسَّرَ، ولا مشقَّةٍ إلَّا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلَّا زَالَتْ، ولا كُرْبةٍ إلَّا انفرجتْ، فَذِكْرُ اللهِ تعالى هو الفَرَجُ بعدَ الشِّدَّةِ، واليسر بعدَ العُسْرِ، والفَرَجُ بعدَ الغَمِّ والْهَمِّ، تُوضحه.

الستون: أَنَّ ذِكرَ اللهِ ﷻ يُذْهِبُ عنِ القلب مخاوفَهُ كلّها، وله تأْثيرٌ عجيبٌ في حصول الأَمنِ، فليس للخائف الَّذي قد اشتدَّ خوفُهُ أنفعُ من ذكرِ اللهِ ﷻ؛ إذْ بِحَسبِ ذِكْرِهِ يجدُ الأَمنَ ويزولُ خوفُهُ، حتَىَ كأَنَّ المخاوفَ الَّتي يجدُها أمانًا له، والغافلُ خائفٌ مع أمنهِ حَتَى كأَنَّ ما هو

(١) سبق تخريجهُ في (ص١٣٦).

فيه من الأمنِ كلّه مخاوفٌ، وَمَنْ لهُ أَدْنَى حسٍ قد جَرَّبَ هذا وهذا، والله المستعانُ»(١).

الشرح:

هذه الفوائد أيضًا من فوائد الذِّكر، فالذِّكر كله خير، يُعِينُ على العبادة، ويُسهلها على المؤمن، ويحببها إليه، ويشجعه عليها ويذكره بربه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فالإتيان بذكر الله في أثناء العبادة، وفي أوقاته كلها، يُعينهُ على طاعة اللهِ، ويذكره بحقِّ اللهِ، وَيُسهل عليه جميع التكاليف الَّتي أمره الله بها، ويجعله في غاية الراحة، والطمأنينة، والسرور، والغبطة والأمن، بخلاف الغافل فإنَّهُ في وحشة من نفسه، ومن سائر أحواله.

فعليك يا عبد الله أن تجتهد في أن يكون لسانك رطبًا بذكر الله، وقلبك أيضًا مشغولًا بذكر الله، وهكذا أعمالك، فذكر الله بالقلب يكون بالخوف والمحبة والرجاء والشوق إليه، وتذكر إنعامه وإحسانه، والمصير إليه.

والذِّكر باللِّسان بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء، إلى غير هذا مما يتكلم به الإنسان من الذِّكر، ويكون بالأعمال بالجوارح من الصَّلاة والصَّوم والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى غير هذا من أعمال الخير.

ـ **وذكر الله مع ما فيه** من العون على العبادة، وتسهيلها، وتيسير الصعبات، فما يُذكر الله في صعب إلَّا هان، ولا كربة إلَّا فرجت، ولا همٍّ إلَّا زال، فهو قوة في الخير ـ وكل هذا من أسباب التفريج والتيسير، وقضاء الحاجات، ومن أسباب رضا الله ﷻ.

فجميع أعمال الخير كلها قوة لك، ولقلبك، وتشجيع لك على طاعة

---

(١) قرئ بتاريخ (١/ ١١/ ١٤١٢هـ) و(٦/ ٦/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٥٤ - ١٥٥).

الله ورسوله، وإزالة للمخاوف من نفسك؛ لأنَّ من ذكر الله اطمأن وزالت عنه المخاوف، ويحل محلها الأمن والراحة؛ لأنَّ الذَّاكر يعلم أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يَذكر من ذَكره، ويحب من ذكره: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].

وقال ﷺ: «**سَبَقَ المُفَرِدُون .. الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**» سبقوا إلى كل خير؛ لأَنَّ ذكرهم لله، وشغلهم به جَلَّ وَعَلَا يُعِينُهُمْ على أداء حقِّه، وعلى الكفِّ عن معصيته، وكل ما يغضبه سبحانه، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ الله:

«**الحادية والستون**: أَنَّ الذِّكر يُعْطِي الذَّاكِرَ قوةً حتى إِنَّهُ ليفعل مع الذِّكر ما لم يُطق فعلَهُ بدونه، وقد شاهدتُ مِنْ قوةِ شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيتهِ وكلامهِ وإقدامه وكتابتِهِ أَمرًا عجيبًا فكان يَكْتُبُ في اليوم من التصنيف ما يكتِبُهُ النَّاسِخُ في جمعةٍ وأكثر، وقد شاهدَ العسكر من قوتهِ في الحرب أَمرًا عظيمًا.

وقد عَلَّمَ النَّبيّ ﷺ ابنتَهُ فاطمةَ وعليًا **رضي الله تعالى عنهما** أَن يُسبحا كل ليلة إِذَا أَخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أَربعًا وثلاثين، لَمَّا سألتُهُ الخَادِمَ، وشَكَتْ إِليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ، والسَّعْي، والخِدْمة، فَعَلَّمها ذلك، وقال: «**إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(١).

فقيل: إِنَّ مَن دَاوَمَ على ذلك وَجَدَ قوةً في بدنِهِ مُغنيةً عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله تعالى** يذكر أثرًا في هذا الباب، ويقول: «إِنَّ الملائكة لما أُمِرُوا بِحَمْلِ العرش، قالوا: يَا رَبَّنَا كيف نحملُ عَرْشَكَ، وعليه عظمتُكَ وجلالُكَ؟ فقال: قولوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، فَلَمَّا قالوا: حَمَلُوه»(٢) حتَّى رأيت ابن أبي الدُّنيا قد ذكر

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٧٠٥) ومسلم، برقم (٢٧٢٧).

(٢) ينظر: «**مجموع الفتاوى**» لشيخ الإسلام، ذكره بدون إسناد (١٠/ ٣٣).

هذا الأثر بعينه عن اللَّيث بن سعد عن معاوية بن صالح، قال: حدثنا مشيختنا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ: «أنَّ أولَ ما خَلَقَ اللهُ ﷻ، حين كان عرشُهُ على الماء حملة العرش، قالوا: رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا؟ قال: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي؟ قَالُوا: رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَى على حَمْلِ عَرْشِكَ، وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ؟ قال: لِذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَالَ لَهُمْ، قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، فَحَمَلُوهُ»(١).

وهذه الكلمةُ لها تأثير عجيبٌ في معاناةِ الأشغال الصعبة، وتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، والدخولِ على الملوك ومن يُخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضًا تأثيرٌ عجيبٌ في دفع الفقرِ، كما رَوَى ابن أبي الدُّنيا عن اللَّيث بن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رَحِمَهُ اللهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه مئة مرة في كلِّ يوم، لم يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَدًا**»(٢).

وكان حبيبُ بن مسلمة يَسْتَحِبُّ إذا لَقِيَ عدُوًّا أو نَاهضَ حِصْنًا، قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، وإنَّهُ نَاهَضَ يومًا حِصْنًا للرُّوم فانهزم، فقالَهَا المسلمون وكبَّروا، فانهدم الحصنُ»(٣) (٤).

الشرح:

هذه الآثار كلها تدل على أنَّ الذِّكر له شأن عظيم في تقوية العبد على طاعة الله، وفي جهاد أعداء الله، وفي الأعمال البيتية، فالذِّكر له تأثير عظيم في تقوية القلوب ونشاطها، في الخيرات والأعمال الصَّالحات.

---

(١) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي» (ص٤٥٩) وقد ضعفه سماحته.

(٢) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٥) بصيغة التضعيف: روي، وينظر: «**ضعيف الترغيب**» (١/ ٤٨٦) وقد ضعفه سماحة الشيخ كما سيأتي في الشرح.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١١٣).

(٤) قرئ بتاريخ (٥/ ١١/ ١٤١٢هـ) و(١٢/ ٦/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٥٥ - ١٥٨).

فينبغي للعبد الإكثار من ذكر الله، من التسبيح، والتهليل، والتحميد، وقراءة القرآن، والاستغفار، والدُّعاء كل هذا له من الآثار العظيمة في قوة العبد وصلابته، ونشاطه في الحق، مالا يخفى على من تأمل ذلك.

وَلَمَّا اشتكت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى النَّبِيِّ ﷺ تعب الرحى وتعب البيت، وطلبت منه خادمًا، ولم يكن عنده خادمٌ في ذلك الوقت، فقال لها ولزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**تسبحون، وتحمدون، وتكبرون، عند النوم ثلاثًا وثلاثين مرة**»، وقال: «**هَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**» سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة، الجميع تسعة وتسعون، ويختم المئة باللَّه أكبر.

فيكون التكبير أربعًا وثلاثين، والتسبيح ثلاثًا وثلاثين، والحمد ثلاثًا وثلاثين، الجميع مئة عند النّوم سُنَّة مستحبة، قال: «**فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ**» قالت: فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاستعملت ذلك، فما وجدت تعبًا بعد ذلك في حاجات البيت.

وهكذا كلمةُ «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**» كلمة عظيمة كنز من كنوز الجنَّةِ، كما في الصَّحيحين في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال له: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟** قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**»[(١)] فعلى جميع المسلمين أنْ يستعينوا بها في كلِّ وقت، وعند الشدائد في جهاد الأعداء، وفي فتح الحصون، وفي دفع الشر، وفي جلب الخير.

والمعنى: لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، أي: لا تحول لي من حال إلى حال، ولا قوَّة لي على ذلك إلَّا باللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أمَّا تحديد (الحوقلة) لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه مئة مرَّة، هو حديث ضعيف، وكذلك الأثر الَّذي في حملة العرش أنَّهم، قالوها فحملوا العرش: أثر ضعيف، لكن يكثر منها الذَّاكر، ولو ألف مرَّة، ليس فيه حد محدود، بل يكثر منها، والحمد لله.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٢٠٥) ومسلم، برقم (٢٧٠٤).

○ مسألة: **الزِّيادة في الذِّكر المقيَّد:**

الزِّيادة على عدد التَّسبيح، والتحميد، والتكبير المحدد مثلًا بـ (٣٣) ينبغي لمن رغب في الزِّيادة أن يأتي بالسُّنَّة الَّتي يحصل الامتثال والفضل أولًا، ثُمَّ يزيد زيادة مستقلة دون تحديد الزيادة بعدد محدد، ولا أجر معين، لا بأس بذلك.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الثانية والستون**: أَنَّ عُمَّال الآخرة كلُّهم في مضمار السباق، والذَّاكرون هم أسبقُهُم في ذلك المِضْمَارِ، ولكن القَتَرَةَ والغبار يمنَعُ من رؤيةِ سَبْقِهِم، فَإِذَا انجلى الغُبارُ وانكشف، رآهم النَّاس وقد حازوا قصب السبق.

قَالَ الوليدُ بن مسلم: حدثنا محمد بن عجلان: سمعت عمر[(١)] مولى غفرة، يقول: «إِذَا انكشفَ الغطاءُ للنَّاس يوم القيامةِ عن ثواب أعمالِهم، لم يروا عملًا أفضل ثوابًا من الذِّكرِ، فَيَتَحَسَّرُ عند ذلك أقوامٌ فيقولون: «**مَا كَانَ شَيْء أَيْسَر عَلَيْنَا مِنِ الذِّكْرِ**».

وقالَ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِيرُوا سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا المُفْرِدُونَ؟ قَالَ: «**الذِّينَ أُهْتِرُوا فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى يَضَعُ الذِّكر عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ**»[(٢)]. **أُهتروا بالشيء، وفيه**: أُولعوا به، ولزموه، وجعلوه دأبهم.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «**المُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللهِ**» ومعناه الَّذين

---

(١) هو: عمر بن عبد الله المدني أبو حفص، وهو ضعيف، وكان كثير الإرسال من الطبقة الخامسة، مات سنة٢٤٥، ٢٤٦هـ أخرج له أبو داود، والترمذي. ينظر: تقريب التهذيب (ص٤١٤ برقم ٤٩٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٩٦) وقال: هذا حديث حسن غريب، ولفظه: «**المُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ الله يَضَعُ الذِّكر عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ، فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافًا**».

أُولعوا به، يقال: استهتر فلان بكذا: إذا ولع به. وفيه تفسير آخر: أن «**أُهْتِرُوا فِي ذكر الله**» أي: كبروا وهلك أقرانهم، وهم في ذكر الله تعالى.

يقال: أُهتر الرجل، فهو مُهْتَر: إذا سقط في كلامه من الكِبَرِ.

والهتر: السقط من الكلام، كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتَّى خَرِفَ أنكر عقله، والهتر: الباطل أيضاً، ورجلٌ مُسْتَهْتَر: إذا كان كثير الأباطيل.

وفي حديث ابن عمر: «**أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْتَهْتِرِينَ**»(١) وحقيقة اللَّفظ أن الاستهتار: الإكثار من الشيء، والولوع به، حقًّا كان أو باطلاً، وغلب في عُرفِ النَّاسِ استعماله على المبطل حتى إذا قيل: فلان مستهتر: لا يفهم منه إلَّا الباطل، وإنَّما إذا قيد بشيء تقيد به، نحو هو مَستهتر، أو قد أُهتر في ذكر الله تعالى، أي: أُولع به، وَأُغْرِيَ به.

ويقال: استهتر في ذكر الله تعالى، أي: أُولع به، وَأُغْرِيَ به، ويقال: استهتر فيه وبه، وتفسير هذا في الأثر الآخر: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يُقَالُ: مَجْنُونٌ**»(٢).

الثالثة والستون: أَنَّ الذِّكر سببٌ لتصديق الربِّ ﷻ عبده، فإنَّه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بِهَا العبد صدَّقه رَبُّهُ، ومن صدَّقهُ الله تعالى، لم يُحْشَر مع الكاذبين، ورُجي له أن يُحْشَرَ مع الصادقين.

وروى أَبُو إِسْحَاق عَنِ الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِم أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا قَالَ العَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ العَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي.**

وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» موقوفًا (٧/ ٨٦ برقم١).

(٢) سبق تخريجه في (ص١٤٥).

أَنَا، وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِيَ المُلْكُ، وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي».

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»[(١)].

الشرح:

هذه الآثار مع الحديث كلّها تدل على فضل الذِّكر، وأنَّ أهله هم السابقون إلى كل خير، وهم أولياء الله، وهم أرفع النَّاس درجة يوم القيامة بكثرة ذكرهم لله، والذِّكر يحمل على تصحيح الأوضاع والاستقامة على الحقِّ.

والذَّاكِرُ الصَّادق: يؤدي الواجبات، ويبتعد عن المحرمات، ويستكثر من أنواع الذِّكر بالقلب واللِّسان، مع الإكثار من جميع العبادات الَّتي فيها ذكر الله، حتَّى يوصف بأنَّه مجنون، كما تقدَّم في فصل فوائد الذِكر[(٢)]. وهذا الأثر الرَّاجح: أنَّه ضعيف؛ لكن الإكثار من ذكر الله ليس فيه شيء.

والاستهتار: هو لزوم الشيء في الحقِّ أو الباطل، استهتر بهذا، يعني: لزم هذا، لكن كثر استعماله في الباطل، مستهتر بالغيبة، مستهتر بالخمر، الغالب في الباطل، لا يطلق على الحق مستهتر به على من أكثر من ذ كر الله.

ومن هذا الباب يقول ﷺ: في بعض أسفاره: «سَبَقَ المُفَرِدُونَ» قيل يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «الذَّاكِرُونَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ» سبقوا إلى

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٣٠) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه، برقم (٣٧٩٤) واللَّفظ له. قرئ بتاريخ (٦/١١/١٤١٢هـ) و(١٣/٦/١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٥٨ - ١٦٠).

(٢) ينظر: (ص١٤٤) من هذا الكتاب.

كل خير، فالإكثار من ذكر الله يحرك القلوب إلى طاعة الله، ويلذذ لها طاعة الله، ويباعدها عن أسباب غضب الله.

وتقدَّم قوله ﷺ في الحديث: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**ذِكْرُ اللهِ**»(١).

المقصود: أنَّ ذِكْرَ اللهِ يتضمن أداء فرائضه وترك محارمه، والوقوف عند حدوده وتعظيم أمره ونهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير هذا من وجوه الخير، فالذِّكر يحمل على كل خير، ذكر الله بالقلب واللِّسان والجوارح يحمل العبد على كل خير، نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم من الذَّاكرين.

قال المصنف رحمه الله:

«**الرابعة والستون**: أَنَّ دورَ الجنَّةِ تُبنَى بالذِّكرِ، فَإِذَا أمسك الذَّاكرُ عَنِ الذِّكر أَمْسكتِ الملائكةُ عَنِ البناءِ، فإذا أخذ في الذِّكر أخذوا في البناءِ.

وذكر ابن أبي الدُّنيا في كتابه(٢) عن حكيم بن محمَّد الأخنسي، قال: «بلغني أن دور الجنة تبنى بالذِّكر، فإذا أمسك عن الذِّكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتَّى تأتينا نفقة»(٣).

وذكر ابن أبي الدُّنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم ـ سبع مرات ـ بني له برج في الجنَّة**»(٤).

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٩).
(٢) لم يطبع فيما يظهر «الذكر» كما قال محقق «**الوابل الصيب**» عبد الرحمن بن قائد (ص١٩١ح ٣).
(٣) لم أقف له على تخريج فيما اطَّلعت عليه من نسخ «**الوابل الصيب**» وغيرها كالمكتبة الشاملة.
(٤) أورده البخاري في كتاب «التاريخ الكبير» موقوفًا (٣/ ٥٢٢).

وكما أنَّ بناءَها بالذِّكرِ، فَغِرَاسُ بساتينِهَا بالذِّكر، كما تقدَّم في حديث النَّبيِّ ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللَّه أَكْبَرُ**»[(١)] فالذِّكر غراسها وبناؤها.

وذكر ابن أبي الدُّنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا من غراس الجنة**» قالوا: يا رسول الله وما غراسها؟ قال: «**مَا شَاءَ اللهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»[(٢)].

الخامسة والستون: أنَّ الذِّكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال، كان الذِّكر سدًا في تلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملًا كان سدًّا مُحْكَمًا لا مَنْفَذَ فيهِ وإلا فبحسبه.

قال عبد العزيز بن أبي روَّاد: كان رجلٌ بالباديةِ قد اتَّخذ مسجدًا، فجعلَ في قِبلتِهِ سبعةَ أحجارٍ، كان إذا قضى صلاتَهُ قال: يا أحجارُ! أُشهدُكم: أنْ لا إله إلَّا الله، قال: فَمَرِضَ الرجلُ، فَعُرِجَ بروحهِ، قال: فرأيتُ في منامي أنَّه أمر بي إلى النَّار، قال: فرأيت حجرًا من تلك الأحجارِ أعرِفُهُ قد عَظُمَ فسدَّ عني باباً من أبواب جهنم، ثم أمر بي إلى الباب الآخر، وإذا حجرٌ من تلك الأحجار أعرِفُهُ قد عَظُمَ فسدَّ عني بابًا من أبواب جهنَّم، حتَّى سَدَّتْ عني بقيةُ الأحجار أبوابَ جهنَّم»[(٣)] [(٤)].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢٧٩ برقم١٣٣٥٤) دون قوله: «ما شاء الله» وأورده المنذري في «**الترغيب والترهيب**» وعزاه لابن أبي الدنيا (٢/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «كتاب المنامات» (برقم٢٣٩) وقد ضعفه سماحته كما في سيأتي الشرح.

(٤) قرئ بتاريخ (٧/ ١١/ ١٤١٢هـ) و(٢٠/ ٦/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٦١، ١٦٢).

الشرح:

هذه الآثار كلها تتعلق بفضل الذِّكر، والذِّكر فضله عظيم، وفوائده كبيرة، فينبغي للعبد الإكثار من ذكر الله، قد ورد أنَّه بناء دور الجنَّة، فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله جَلَّوَعَلَا في صباحه وفي مساءه وفي سائر أوقاته؛ لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا أمر بذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وأمَّا هذا الأثر في إشهاد الأحجار السبعة، هذا لا دليل عليه، ولا وجه له من الشرع، وأبواب جهنَّم تُسدُّ بالتوحيد والإيمان، وليس بالأحجار هذه، أبواب جهنَّم مفتوحة لأهلها يدخلها أهلها من الأبواب السبعة.

فهذا الأثر ما كان ينبغي للمؤلف أن يذكره، وليس له قيمة، ينبغي عدم الالتفات إلى مثل هذه الأشياء الَّتي يفعلها بعض العُبَّاد، فالنَّبِيُّ ﷺ وأصحابه لم يفعلوا هذه الأشياء! بل أكثروا من ذكر الله وجّدُّوا في ذلك.

وجاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ، وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ مَلائِكَتَكَ، وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ**»(١) وليس بإشهاد الأحجار؛ لكن الأحجار تشهد، لمن ذكر الله فيها من دون طلب إشهاد، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا سَمِعَ صَوت المُؤَذِنِ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْم القِيَامَة**»(٢) من دون حاجة إلى إشهاد أحد، فالأذكار الَّتي يقولها الإنسان، ويأتي بها المؤذن وغيره يشهد له بها ما سمعه، من غير حاجة إلى أن يقول: اشهد يا حجر.

بل المشروع أن يكثر من ذكر الله دائمًا من التسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار، والدُّعاء، في اللَّيل والنَّهار في بيته في كلِّ مكان على الوجه الَّذي وردت به السُّنَّة.

أمَّا حديث من قال: «مَن قَالَ: سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٦٩) عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسنه سماحته.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/٦برقم ١١٠٤٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»[(١)] لا بأس به حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فيه الخير العظيم.

أمَّا من قال: «سبحان الله، والحمد لله سبع مرات بني له برج في الجنَّة» هذا الأثر ليس عليه الاعتماد، فهو ليس عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن الإنسان يكثر من ذكر الله، ويبشر بالخير، فمن أكثر من ذكر الله، له خير عظيم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«**السادسة والستون**: أنَّ الملائكةَ تستغفرُ للذَّاكرِ، كما تستغفرُ للتائبِ، كما روى حسين المعلِّم عن عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «**أَجِدُ في كتابِ الله المُنزَّلِ أنَّ العبدَ إذا قال**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قالت الملائكة: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، **وإذا قال**: «**سبحان الله**» قالت الملائكة: وبحمده، وإذا قال: «**سبحان الله وبحمده**» قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، وإذا قال: «**لا إله إلا الله**» قالت الملائكة: والله أكبر، وإذا قال: «**لا إله إلا الله والله أكبر**» قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك»[(٢)].

السابعة والستون: إِنَّ الجبالَ والقِفَارَ تتباهى، وتستبشر بِمَنْ يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عليها.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ الجبلَ لينادي الجبلَ باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحدٌ يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فإذا قال: نعم، استبشر»[(٣)].

قال عونُ بنُ عبد اللهِ: «إِنَّ البقاعَ لينادي بعضُها بعضًا: يا جارتاه، أمرَّ بك اليومَ أحدٌ يذكرُ اللهَ؟ فقائلةٌ: نعم، وقائلة: لا»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٦٤) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) لم أقف على من خرَّجه سوى ذكر ابن القيم له هنا.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٢، ١١٣) وابن أبي شيبة في «**مصنفه**» (**٨/ ١٦٧ برقم ٦٤**) والطبراني في «**الكبير**» (٩/ ١٠٣ برقم ٨٥٤٢) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» رواه الطبراني: ورجاله رجال الصحيح (١٠/ ٢٠، ٢١ برقم ١٦٧٨٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «**التفسير**»، كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٦).

فقال الأعمش عن مجاهد: «إنَّ الجبلَ لينادي الجبلَ باسمه، يا فلانُ هل مرَّ بك اليومَ ذاكرٌ للهِ ﷻ؟ فَمِنْ قائلٍ: لا، ومن قائلٍ: نعم»[(١)].

الثامنة والستون: أنَّ كثرةَ ذكر الله ﷻ أمانٌ مِن النِّفاق، فإنَّ المنافقين قليلو الذِّكر للهِ ﷻ، قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٢].

وقال كعب: مَنْ أَكْثَرَ ذِكرَ الله ﷻ بَرِئَ من النفاق[(٢)].

ولهذا ـ والله أعلم ـ خَتَمَ اللهُ تعالى سورةَ المنافقين، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنَافِقون: ٩] فإنَّ في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الَّذين غَفِلُوا عن ذكر الله ﷻ، فوقعوا في النفاق.

وَسُئِلَ بعضُ الصَّحابةِ ﷺ عن الخوارج مُنَافِقُونَ هم؟ قال: لا، المنافقون: لا يذكرون الله إلَّا قليلًا[(٣)].

فهذا من علامةِ النِّفاق قِلَّةَ ذكر الله ﷻ، وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله ﷻ أكرمُ من أنْ يَبْتَلِيَ قلباً ذاكرًا بالنفاق، وإنَّما ذلك لقلوبٍ غَفَلَتْ عن ذكر اللهِ ﷻ»[(٤)].

الشرح:

فوائد الذِّكر كلها تدعو المؤمن إلى أن يشتغل بذكر الله، وأن يكون لسانه رطبًا من ذكر الله، كما أمره الله، ورغبه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) أخرج بعضه ابن أبي شيبة في «**مصنفه**» (٧/ ١١٠ برقم ٣٤٥٧٩) والطبراني في «**الأوسط**» (٩/ ١٠٣ برقم ٨٥٤٢) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ٩٨ برقم٥٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعًا.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥٣٥).

(٤) قرئ بتاريخ (١٢/ ١١/ ١٤١٢هـ) و (٢٦/ ٦/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٦٢ - ١٦٥).

ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وفي هذه الآثار: أنَّ الملائكة تستبشر بالذَّاكرين، وتدعوا لهم، بالمغفرة، وكذلك البقاع يبشر بعضها البعض إذا مرَّ عليها من يذكر الله جَلَّوَعَلَا، فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

أمَّا قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجبال يسأل بعضهم بعضًا إذا مر عليهم الذَّاكر، ويستبشرون بذلك؟ هذا إنْ صح عنه قد يكون تلقاه من بني إسرائيل، وقد يكون سمعه من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يرفعه، ومثل هذا يحتاج إلى دليل عن المعصوم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو مما يروى للتشجيع على الخير، أمَّا الجزم به، فلا.

وفي ذلك أيضًا مخالفة؛ لأهل النفاق، والبُعد عن صفاتهم، فإنَّ أهل النفاق أهل غفلة، وقلة ذكر، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّساء: ١٤٢] فمن صفاتهم الذميمة قلة ذكرهم لله، وكثرة غفلتهم.

فالمؤمن يخالفهم، ويكون كثير الذِّكر لله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يقرأ القرآن، ويكثر من الاستغفار، يكون لسانه رطبًا من ذكر الله، ولكن لا يتجاوز الحد المشروع كالخوارج، فهم عصاة عند الجمهور، كفرة عند الآخرين، لأنَّهم كفروا المسلمين واستحلوا دمائهم، فصاروا كفارًا.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ**»(١). لا، لقلة ذكرهم، بل لفعلهم القبيح وأعمالهم المنكرة.

فالمشروع لك أيُّها المؤمن: أن تكون متأسيًا بإخوانك المؤمنين المسابقين للخيرات، والمسارعين إلى أنواع الفضائل، تأسى بهم في طريقك، في مسجدك في بيتك، على فراشك **في** كل مكان، وفَّق الله الجميع.

---

(١) أخرجه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٧٥٦٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«**التاسعة والستون**: أنَّ للذِّكر مِن بين الأعمال لذَّة لا يُشْبِهُهَا شيءٌ، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلَّا اللَّذَّةُ الحاصلةُ للذَّاكرِ، والنَّعيم الَّذي يحصل لقلبه، لكفى به؛ ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذِّكر رياضَ الجَنَّةِ.

قال مالكُ بنُ دينار: ما تلذَّذَ الْمُتلذِّذُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ ﷻ(١).

فليس شيءٌ من الأعمال أخفُ مؤونةً منه، ولا أعظم لذَّةً، ولا أكثرَ فرحةً وابتهاجًا للقلب.

السبعون: أَنَّهُ يكسو الوجه نضرةً في الدُّنيا، ونورًا في الآخرة، فالذَّاكرون أنضرُ النَّاسِ وجوهًا في الدُّنيا، وأنورهم في الآخرة.

ومن المراسيل عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**مَن قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بيده الخير، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ أَتَى اللهَ تعالَى يومَ القيامةِ، وَوَجْهُهُ أشدُّ بَيَاضًا مِنْ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْر**»(٢).

الحادية والسبعون: أَنَّ في دوام الذِّكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع، تكثيرًا لشهودِ العبدِ يومَ القيامةِ، فَإِنَّ البقعة، والدار، والجبلَ، والأرض، تشهدُ للذَّاكرِ يومَ القيامةَ.

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ١-٥].

فَرَوَى التِّرمذيُّ في «جامعه» من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا،**

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٨١ برقم ٦٩٢).

(٢) أخرجه بنحوه مرفوعًا الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ١-٣) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَقُولَ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، وَكَذَا»(١) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

والذَّاكرُ للهِ ﷻ في سائر البقاع يكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يومَ القيامةِ يومَ قِيامِ الأشهاد، وأداء الشَّهادات، فيفرح ويَغتبط بشهادتهم»(٢).

الشرح:

هذه بعض الفوائد، من فوائد الذِّكر، وقد تقدَّم الكثير منها، فيما تقدم، فذكر الله جَلَّوَعَلَا من أهم العبادات، وأفضلها، ويكون باللِّسان والقلب، ويكون بالعمل بالجوارح، وله من الآثار العظيمة والمصالح الكبيرة مالا يُحصى، تقدَّم أنَّ من ذكر الله ذكره الله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] فذكر الله جَلَّوَعَلَا من أسباب ذكر الله للعبد، فيمن عنده في الملأ الأعلى من الملائكة، ومن أسباب توفيق الله للعبد.

والذِّكر لذَّةٌ للقلوب: لا يشبهها شيء، تسبيح الله، وتحميده، وذكره، واستغفاره ودعاؤه، واستحضار عظمته، والتلذذ بمناجاته، وهكذا بقية العبادات البدنية من صلاة وغيرها كلها لها آثار عظيمة على القلب إذا أخلصها العبد لله، وصدرت عن صدق، وعن رغبة فلها آثار عظيمة مثل اللَّذة والسرور، والبهجة، كما لها آثار تظهر على أعضاء البدن كنور ونضرة وضياء على وجه الذَّاكر لله سبحانه.

وأمَّا قوله: «**ومن المراسيل**» المرسل: هو قول التابعي: قال رسول ﷺ، وهو من قسم الضعيف(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٢٩) وكرره، برقم (٣٣٥٣) وصححه الحاكم (٢/ ٢٨١، ٥٨١ برقم٣٠١٢، ٣٩٦٥) ووفقه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثَّاني، قائلًا: يحيى بن أبي سليمان منكر الحديث، قاله البخاري «التلخيص مع المستدرك» (٢/ ٥٨٠).

(٢) قرئ بتاريخ (١٥/ ١١/ ١٤١٢هـ) و(٢٧/ ٦/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٦٥، ١٦٦).

(٣) ينظر: «**معرفة علوم الحديث**» لأبي عبد الله الحاكم (ص٦٧).

ثمَّ للعبد في الإكثار من ذكر الله، أن تشهد له البقاع بما قال عليها، كما في قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزّلزلة: ٤-٥] «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

هذه عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: حسن صحيح، ولعل مراده، حسن من جهة، وصحيح من جهة، أو حسن من طريق، وصحيح من طريق، أو شك بمعنى حسن أو صحيح، هي اصطلاحات الترمذي خاصة به رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الثانية والسبعون**: أَنَّ في الاشتغال بالذِّكرِ اشتغالًا عن الكلام الباطل من الغيبةِ، والنميمةِ، واللغوِ، ومدح النَّاس، وذمِّهم، وغير ذلك، فإنَّ اللِّسان لا يسكت البتة.

فَإِمَّا لسانٌ ذاكر، وإمَّا لسانٌ لاغ، ولا بدَّ من أحدِهما، فهي النفس إنْ لم تُشغلْهَا بالحقِّ، شَغَلَتْكَ بالباطلِ، وهو القلبُ: إن لم تُسْكِنْهُ محبةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، سَكَنَتْهُ محبةُ المخلوقينَ ولا بدَّ، وهو اللسان: إنْ لم تُشْغِلْهُ بالذِّكر، شغلكَ باللغوِ، وهو عليك ولا بدَّ، فاختر لنفسكَ إحدى الخطتينِ، وأنزلها في إحدى المنزلتينِ[1].

الثالثة والسبعون: وهي الَّتي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارةً، فنذكرها هاهنا، مبسوطة لعظيم الفائدةِ بِهَا، وحاجَةِ كُلِّ أحدٍ، بل ضرورته إليها، وهي أَنَّ الشَّياطينَ قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنّكَ برجلٍ قد احتوشه أعداؤه الْمُحنقونَ عليه غيظًا، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلَّا بذكرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(١) قرئ بتاريخ (١٥/٤/١٤١٣هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٦٥) كما قيَّد القارئ في نسخته.

وفي هذا الحديث العظيم، الشريف القدر، الَّذي ينبغي لكلِّ مسلمٍ أَنْ يحفظه، فنذكره بطولِهِ لِعُمُوم فَائدتِهِ وَحَاجَةِ الخلق إليه، وهو حديث سعيد ابن المسيب، عن عبد الرَّحمن بن سمرة بن حبيب، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، يومًا وَكُنَّا في صُفَّةٍ بالمدينةِ، فَقَامَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ البَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِن أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرَّهُ بِوَالِدَيْهِ، فَرَدَّ مَلَكَ المَوْتِ عَنْهُ.**

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ، فَجَاءَهُ وضوؤهُ فاستنقذهُ من ذلك، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احتَوَشَتْهُ الشَّياطينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ ﷻ، فَطَرَدَ الشَّيطَانَ عنهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احتَوَشَتْهُ مَلائكةُ العذابِ، فَجاءَتْهُ صلاتُهُ فاستنقذتهُ من أيديهم، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهِبُ وفي رواية يَلْهَثُ ـ عَطَشًا، كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطُرِدَ، فَجَاءَهُ صِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَسْقَاهُ وَأَرْوَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي، وَرَأَيْتُ النَّبِيِّينَ جُلوسًا حِلقًا حِلقًا، كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنْ الجَنَابَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَقْعَدَهُ إِلَى جنبي.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بين يديْهِ ظُلْمَةٌ، ومن خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وعن يمينهِ ظُلْمَةٌ، وعن يسارهِ ظُلْمَةٌ، ومن فوقهِ ظُلْمَةٌ، ومن تحتهِ ظُلْمَةٌ، وهو متحيرٌ فِيهَا، فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعُمرتُهُ، فَاستخرَجَاهُ مِن الظُّلمةِ، وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِيَدِهِ وَهْجَ النَّارِ وَشَرَرَهَا، فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ، فَصَارَتْ سُتْرَةً بَينَهُ وبينَ النَّارِ، وظلَّلَتْ عَلَى رَأسِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤمِنِينَ وَلَا يُكَلِّمُونَهُ، فَجَاءَتْهُ صِلَتُهُ لِرَحِمِهِ، فَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ المسلمينَ، إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرَحِمِهِ فَكَلِّمُوهُ، فَكَلَّمَهُ المؤمنونَ وَصَافَحُوهُ وصافَحَهُمْ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احتَوَشَتْهُ الزَّبَانِيَةُ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالمَعْرُوفِ ونَهْيَهُ عن المنكرِ، فاستنقذهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وأدخلَهُ في مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاثِيًا عَلَى رُكْبتيهِ وَبينَهُ وبينَ اللهِ ﷻ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلقِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللهِ ﷻ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ، فَجاءَهُ خَوْفُهُ مِن اللهِ ﷻ، فَأَخذَ

صَحِيفَتَهُ فَوَضعهَا في يَمِينِهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجاءَهُ أَفْرَاطَهُ فَثَقَّلُوا مِيزَانَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قائماً على شَفِيرِ جَهَنَّم، فجاءَهُ رَجَاؤُهُ مِن الله ﷻ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِن ذَلكَ وَمَضَى، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أهوِيَ في النَّارِ، فَجَاءَتْهُ دمعتُهُ الَّتي بَكَى مِن خَشْيَةِ اللهِ ﷻ، فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ يَرْعُدُ، كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ في رِيح عَاصِفٍ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ ﷻ، فَسَكَّنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَيَحْبُو أَحْيَانًا، وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَأَنْقَذَتْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَغُلِقَتْ الأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَفَتَحَتْ لَهُ الأَبْوَابَ، وَأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ»[١] رواه الحافظ أبو موسى المديني[٢] في كتاب «**الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية**».

وبنى كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًا رواه عن سعيد بن المسيب، عمرو بن أزر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية: قدَّس الله روحه، يُعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أَنَّهُ كان يقول: شَواهدُ الصِّحة عليه.

والمقصود منه قَولُهُ ﷺ: «**وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احتَوَشَتْهُ الشَّياطينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ ﷻ، فَطَرَدَ الشَّيطَانَ عنهُ**» فهذا مطابق لحديث الحارثِ الأَشْعَرِيِّ الَّذي شرحناه في هذه الرِّسالة[٣].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «**نوادر الأصول**» (٣/ ٢٣١) والطبراني في «**المعجم الكبير**» كما قال الهيثمي: في «**مجمع الزوائد**» (٧/ ٢٦٥برقم١١٧٤٦).

(٢) هو: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المديني الأصبهاني الشافعي. ينظر ترجمته: في «**الأعلام**» للزركلي (٦/ ٣١٣) و«**معجم المؤلفين**» لعمر كحالة (١١/ ٧٦).

(٣) والَّتي نحن في ذكر فوائد الذِّكر فيها، وقد بدأ شرحها من (ص٧٢ وحتَّى٢٧٩).

وقوله فيه: «وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ ﷻ، وإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العُدُّو، فانطلقُوا في طَلَبِهِ سِرَاعًا، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ» فكذلك الشَّيطانُ لا يحرز العباد أنفسهم منه إلَّا بذكر الله ﷻ».

وفي «الترمذي» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: يعني: إِذَا خَرَجَ مِن بَيْتِهِ بِسْمِ اللهِ تَوكَّلْتُ عَلَى اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»[(١)] رواه أبو داود والنَّسائي والترمذي، وقال حديث حسن»[(٢)].

الشرح:

هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث الدَّالة على فضل ذكر الله، كلّها توجب للمؤمن العناية بهذا الأمر، وأن يعلم أن كل طاعة لله، وكل قُربة لله، تُبْعِدُهُ مِن النَّارِ، وَمِن الشَّيَاطِين، وتقربه من الجنَّة، ومن الرَّحمن ﷻ.

ومن أعظم فوائد الذِّكر: أَنَّهَا تشغل لسانك وجوارحك عما يضرك، فإنَّ اللِّسان كثير الحركة، فَإِذَا لم تشغله بذكر الله، والاستغفار، والدعاء، شغلك في الباطل من الغيبة أو النميمة أو السب أو غير هذا من الباطل.

فمن فوائد الذِّكر: أنَّك تشغل هذا اللِّسان عما لا ينبغي، فتكسب حسنات وتُكفى سيئات، أمَّا إذا غفلت وتركت ولم تتكلم، فلا لك ولا عليك، لكن في الغالب أنَّ هذا اللِّسان لا يسكت، بل يتكلم ويتحرك، فاشتغل بذكر الله حتى تمنعه من الكلام الَّذي يضرك، فمن شغله ذكر الله عن بقية الأشياء الضارة، أفلح كل الفلاح.

ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٥) والترمذي، برقم (٣٤٢٦) والنسائي الكبرى، برقم (٩٩١٧).

(٢) قرئ بتاريخ: (١٨/ ٧/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٦٦ - ١٧٠).

كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**»[1] رواه مسلم في الصَّحيح.

ومن فوائد الذِّكر: أنَّه يطرد الشَّياطين، والشَّياطين تحتوش ابن آدم، ومحيطة به، ومعه شيطانه أيضًا قرينٌ له، فهذا الذِّكر يطرد عنك الشَّياطين، ويكفيك شره، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦] فدل على أن من لم يغفل يُكفى هذا الشَّيطان، ويحال بينه وبينه، ومن غفل هجم عليه عدو الله.

فالعناية بذكر الله: يطرد عنك الشَّياطين، كما في هذا الحديث الطويل العظيم، في أن العبد احتوشته الشَّياطين، وتحرص على إضلاله، ومن أعظم أسباب نجاته إكثاره من ذكر الله؛ ولهذا رأى النَّبِيّ ﷺ في النوم هذا الرجل الَّذي احتوشته الشَّياطين، فجاءه ذكر اللهِ، فطردها عنه، فذكر الله يطرد الشَّياطين.

وهكذا الأعمال الصَّالحات، الصَّلاة، والصَّوم، والصَّدقات من أسباب العافية، فالصَّدقة لها شأن، والصَّوم له شأن، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والوضوء الشرعي، والغسل من الجنابة، وصيام رمضان، والإكثار من الصَّلاة، والدَّعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير هذا من وجوه الخير، كلها من أسباب وقاية عذاب الله، ومن أسباب السَّلامة من شر شياطين الإنس والجن.

وبر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم أسباب طول العمر في خير وعافية، وكل عمل صالح من أسباب الفسح في الأجل على خير عمل، والآجال قسمان: آجال معلقة على الأسباب، وآجل إلى حين الوفاة.

فالمعلقة إذا جاءت أسبابها كـ(بر الوالدين، وصلة الرحم، انتهى أمرها هي آجال معلقة على أسبابها والحديث فيها في الآجال المعلقة،

---

(١) سبق تخريجهُ في (ص١٣٥).

أما الآجال التي إلى حين الوفاة، كما في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

فالجدير بالمؤمن: أن تكون أوقاته مشغولة بذكر الله، والأعمال الصَّالحات، والحرص على ووجوه أسباب الخير، حتى يصون جوارحه، ولسانه عما يضره، وحتَّى يبعد شياطين الإنس والجن عنه، وكلما غفل عن ذكر الله سُلط عليه أولئك الأعداء، بحسب غفلته وإعراضه وتساهله.

□ فائدة: **تتعلق بسند الحديث:**

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سند حديث عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ليعلم: أن هناك ضعفًا فيه، لكن أبو موسى المديني قوَّاه في كتابه «**الترغيب والترهيب**» وقوَّاه الشيخ تقي الدِّين ابن تيمية، وقال: شواهد الصِّحة عليه، كما نقل عنه المصنف، وشواهده كثيرة.

وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو مختلف فيه[(١)] لكن مع علي واهٍ عمر بن ذر، وهو ثقة[(٢)] كما ذكر المؤلف هنا أنَّه رواه عمر بن ذر، وعلي بن زيد، وهو ضعيف، لكن الشاهد فيمن دونهم.

كما ذكر أنَّه من رواية فرج بن فضالة عن هلال أبي جبلة عن سعيد.. هذا أحسن طرقه[(٣)] على كل حال شواهده كثيرة في استعمال الأعمال الصَّالحات القولية والفعلية، وأنَّها من أسباب حفظ الله للعبد من جميع الآفات، وحفظه من الشَّياطين كلّها.

---

(١) ضعيف من الطبقة الرابعة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، مات سنة (٢٣١هـ وقيل قبلها . ينظر: ترجمته في «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٤٠١ برقم ٤٧٣٤) ينظر: «**حاشية الوابل الصيب**» (ص١٦٩) وبتحقيق: حسن أحمد إسبر (ص١٣٤) مختصرًا وبتحقيق: عبد الرحمن بن حسن قايد (٢٠١ - ٢٠٥) مطولًا على رواية طرق الحديث وتفاصيلها.

(٢) أخرج له البخاري وأصحاب السنن، مات سنة (٢٥٣ وقيل: غير ذلك. ينظر: ترجمته في «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٤١٢ برقم ٤٨٩٣).

(٣) ينظر: حواشي «**الوابل الصيب**» الصفحات السابقة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد تقدَّم قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِن الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ**»(١).

وذكر سفيانُ عن أبي الزبير عن عبد الله بن ضُمرة، عن كعبٍ، قال: إذا خَرَجَ الرجلُ من بيته، فقال: «بِسْم اللهِ، قال الملك: هُدِيتَ، وإذا قال: تَوكَّلتُ على الله، قال الملك: كُفِيتَ، وإذا قال: لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، قال الملك: حُفِظتَ، فيقولُ الشَّياطينُ بعضُهم لبعضٍ: ارجِعُوا ليس لكم عليه سبيلٌ كيف لكم بِمَن كُفِيَ وَهُدِيَ وَحُفِظَ»(٢).

وقال أبو خلاد المصري من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فيها فقد دخل في ثلاثة حصون.

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**إِذَا وَضَعَ العَبْدَ جنبَه عَلَى فِرَاشِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ وَقَرَأَ فَاتِحَةِ الكِتَابِ، أَمِنَ مِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَمِن شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ**»(٣).

وفي «**صحيح البخاري**» عَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**وَلَانِي رَسُولُ الله ﷺ زَكَاةِ رَمَضَانَ، أَن أَحْتَفِظَ بِهَا فَأَتَانِي آتٍ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٨) وقرئ بتاريخ (١٩/ ٤/ ١٤١٢هـ).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٣٢ برقم١٩٨٢٧) وابن أبي شيبة «**مصنفه**» (٧/ ٢٩ برقم٤) وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٥/ ٣٨٩) بإسناد صحيح. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٠٦) تحقيق: ابن قائد.

(٣) قرأ القارئ: قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٧٨ برقم ١٧٠٣٠): رواه البزار، وفيه غسان بن عبيد، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح ينظر: «**حاشية الوابل الصيب**» (ص١٧١).

فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي لَا أَعُودُ...» فذكر الحديث.

وَقَالَ: فَقَالَ لَهُ فِي الثَّالِثَة: أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِن أَولِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحَ فَأَخْبَرَ النَّبِيّ ﷺ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ: **«صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»**[(١)].

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا أَوى الإِنْسَان إلى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ، وَشَيْطانٌ، فَيَقُولُ المَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطانُ: اخْتِمْ بِشَرّ، فإذَا ذَكَرَ اللهَ تَعالى حَتَّى يَغْلِبه** ـ يعني: النَّوم ـ **طَرَد المَلَكُ الشَّيْطانُ وَبَاتَ يَكْلَؤهُ.**

فَإِذا اسْتَيْقَظَ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ، وَشَيْطانٌ، فَيَقُولُ الملك: افْتَحْ بِخَير، وَيَقُولُ الشَّيْطان: افْتَحْ بشر، فَإِن قَالَ: الحَمد لله الَّذِي أَحيَا نَفسِي بَعْد مَوْتِهَا وَلم يمتها فِي منامها الحَمد لله الَّذِي يمسك الَّتِي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. الحَمد لله الَّذِي يمسك السَّمَوَات وَالأَرْض أَن تَزُولَا، وَلَئِن زَالَتَا إِن أَمْسَكَهُمَا مِن أَحَدٍ مِن بَعْده، الحَمد لله الَّذِي يمسك السَّمَاء أَن تقع على الأَرْض إِلَّا بِإِذْنِهِ، طَرَد المَلَكُ الشَّيْطانُ وَظَلَّ يَكْلَؤهُ»[(٢)].

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، قال: عثمان بن الهيثم، برقم (٢٣١١) وبرقم (٣٢٧٥، ٥٠١٠) ووصله النسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٢٣٨ برقم ١٠٧٩٥) وفي «**عمل اليوم والليلة**» (١/ ٢٣٥ برقم ٩٥٩) وفيهما لفظ: «**وَكَلَنِي**» بدل لفظ: «**وَلَانِّي**» وستأتي القصة مع ذكر ما يستفاد منها.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «**مسنده**» (ص٤١٦ برقم ١٧٩١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٣ برقم ٢٠١١) وقال المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٢٣٥) إسناده صحيح، وقال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٢٠ برقم ١٧٠٢٨) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصَّحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي، وهو ثقة.

وفي «الصَّحيحين» من حديث سَالِم بنِ أَبِي الجَعْدِ عَن كُرَيْبٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ قَالَ: «**أَمَا لَو أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَيُولَدُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَا يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا**»[1][2].

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار فيما يتعلق بفضل الذِّكر، والتعوذ باللَّه، وأنَّ ذلك من أسباب السَّلامة من الشَّيطان، ذكرُ الله جَلَّ وَعَلَا يطرد الله به الشَّيطان، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٦] فدلَّ على أنَّ العبدَ إذا غفل عن ذكر الله هجم عليه عدوّ الله، ومادام يشتغل بذكر الله، فإنَّ الله يحميه من مكائد عدوه.

والأحاديث الصَّحيحة في هذا كافية، والمؤلف قد يذكر بعض الأحاديث الضعيفة، وكان الأولى به رَحِمَهُ اللَّهُ أن يقتصر على الأحاديث الصَّحيحة، ففيها الكفاية.

فالسُّنَّة للمؤمن: إذا أوى إلى فراشة أن يقول: «**بِاسْمِكِ اللَّهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِن أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ**»[3] يقول: كما كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ويسبح الله ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ويكبر الله أربعًا وثلاثين، كما علم النَّبِيّ ﷺ عليًا وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النُّوم[4] ويقرأ آية

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤١) ومسلم، برقم (١٤٣٤) ولفظهما: «**فَإِن يُقَدَّر بَيْنَهُمَا ولَدٌ لَمْ يَضُرُه**».

(٢) قرئ بتاريخ: (٢٠/ ٤/ ١٤١٣) و(١٩/ ٧/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٧٠ - ١٧٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٣، ٢٩٥برقم ٧٧٩٨، ٧٩٢٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سبق تخريجه في (ص٢٤٧).

الكرسي، كما في هذا الحديث، وأنَّه لا يزال معه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

ويستحب له، مع هذا أن يقرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين ثلاث مرَّات عند النّوم كل هذه أمور ثابتة كافية عن الآثار الضعيفة، وكذلك قراءة الحمد لله، عند النوم، لم يثبت فيها شيء عن النَّبِيِّ، بل الوارد في ذلك هو حديث ضعيف.

وعند استيقاظه يذكر الله، ويقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[1] و«**الحَمْدُ للهِ الَّذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**»[2].

والمقصود: أنَّ الأحاديث الصَّحيحة كافية في هذا.

وفي قصة أبي هريرة مع الشَّيطان دلالة على أنَّ الشَّياطين قد يظهرون، ويتمثلون بالإنس، فالشَّيطان جاء إلى أبي هريرة، وهو موكل على ما تجمع من زكاة الفطر، وكانت تأتي للنَّبِيّ ﷺ فتجمع، ثم يوزعها ﷺ على الفقراء، فوكل في حراستها عند جمعها أبا هريرة رضي الله عنه.

فجاءه الشَّيطان يحثو منها، فأمسكه أبو هريرة وكأنه جاء بصورة إنسان؛ لأن أبا هريرة أمسكه على أنه إنسان، الَّذي يسرق من الطعام، فقال: دعني أنا ذو عيال، ذو حاجة دعني فرحمه أبو هريرة وتركه، فلما أصبح وأتى النَّبِيّ ﷺ أخبره بذلك، فقال: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قال: زعم أن له عيالًا، وأنه ذو حاجة فرحمته وأطلقته، قال: «**كَذَبَ وَسَيَعُودُ**».

فلما جاءت الثانية عرف أبو هريرة أنه سيعود، فجعل يرصده، فجاءه ليأخذ من الطعام، فأمسكه، فقال: دعني إني ذو عيال أنا فقير أنا كذا لا

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٣١٢، و٦٣١٤، ٦٣٢٤) عن حذيفة رضي الله عنه وعن برقم (٦٣٢٥) أبي ذر رضي الله عنه، ومسلم، برقم (٢٧١١) عن البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حسن.

أعود، فرحمه أبو هريرة وأطلقه، فلما أصبح أتى النَّبِيّ ﷺ فقال: فكرر له قال: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**» قال: كذا وكذا، قال: «**كَذَبَ وَسَيَعُودُ**».

فعاد الثالثة، فأمسكه، فقال: دعني أعلمك كلمات إذا قلتها يحفظك الله تقرأ آية الكرسي عند النَّوم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ إلى آخرها يقول له الشَّيطان، يعلمه إياها إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]. فإنك إذا قلتها لا يزال معك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح، فلما قال: ما قال لأبي هريرة هكذا أطلقه.

فلما أصبح أخبر النَّبِيّ ﷺ، فقال النَّبِيُّ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**» يعني: صدقك في هذا الكلام، هو صحيح، لكن ليس هو من طبيعة الشَّيطان، من طبيعته الكذب، لكن لمصلحته أتى بهذا الحق، فهذا يعني: أن الشَّيطان قد يقول الحق لمصلحة يريدها، فينطق بالحق، وهو كذاب داع للباطل، كما فعل هذا الشَّيطان؛ لأبي هريرة أخبره بآية الكرسي.

وفي قصة هذا الحديث من الفوائد:

الفائدة الأولى: أنَّ الإنسان يحرص على الفائدة، ممن جاء بها، فأبو هريرة حرص على الفائدة، وكانت من الشَّيطان.

الفائدة الثانية: **فيه**: أنَّ الحقَّ يقبل ممن جاء به، وإن كان الَّذي جاء به ليس صاحب حقّ.

الفائدة الثالثة: **فيه**: أنَّ الجني قد يتمثل بالإنسي، ويراه الإنسي، وقول جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧] هذا هو الغالب، لكن قد يتراءى الجني، وقد يتصور بصورة الإنسان، كما تصور في عهد النَّبِيّ ﷺ لما أتى قريشًا، وقال لهم: افعلوا كذا في قتل النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١).

---

(١) ينظر: «**السيرة النبوية**» لابن كثير (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨) و«**زاد المعاد**» لابن القيم (٣/ ٤٥) و«**مختصر سيرة الرسول** ﷺ» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٨١).

وكما جرى يوم بدر جاء بصورة سراقة بن جعشم[١]، فقال: افعلوا وافعلوا وأوصاهم، **فالشَّاهد**: أن الشَّياطين قد تتمثل للإنسان وتبرز، ويراها النَّاس على أنَّها من الإنس؛ ليضل النَّاس، إمَّا بدعوتهم إلى الباطل، وإمَّا بتثبيطهم عن الحقِّ، وهذا يقع كثيرًا في كل زمان، وفي كل مكان.

فينبغي للعبد: التعوذ من شر شياطين الإنس والجن، فشياطين الإنس قد يضرون ويؤذون بمشورتهم وبما يدلون به، وبما يتكلمون به، وهكذا شياطين الجن كذلك.

ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]. **المقصود**: أنَّ الإنسان يحذر من شياطين الإنس، وشياطين الجن.

□ فائدة: **الشَّيطان هو المتمرد**:

الشَّيطان: هو المتمرد، شيطان كل قوم، وكل جنس هو المتمرد منهم، الخبيث، يقال له: شيطان إذا تعدى طوره، وصار يؤذي يُسمى شيطانًا، فشياطين الإنس مردتهم، وشياطين الجن مردتهم، وشياطين الكلاب خبثاؤها وأسودها وهكذا.

○ مسألة: **تمثل الشَّيطان**:

قد يتمثل بالكلاب والذِّئاب والقطط والنسور، والحيات، هذا الَّذي أعرفه؛ لكن هل يتمثل بجميع الحيوانات الله أعلم، ولا يقتل من الحيوانات إلَّا الكلب الأسود الَّذي جاء به النَّص[٢] أمَّا القط الأسود فلا يقتل.

وسئل سماحته هل يسلم القرين؟

فقال: الله أعلم، لكنه قد يأمره بالخير، كما هاهنا في قصة الملك يأمره بالخير، أمَّا هل يسلم الله أعلم.

---

(١) ينظر: «**السيرة النبوية**» لابن هشام (١/ ٦١١) و«**السيرة النبوية**» لابن كثير (٢/ ٣٨٦، ٤٨٨).

(٢) ينظر: «**السيرة النبوية**» لابن هشام (١/ ٦١١).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن علي، قال: **أنا ضامن لمن قرأ هذه** العشرين آية، أن يعصمه الله تعالى من كلِّ شيطان ظالم، ومن كلِّ شيطان مريد، ومن كلِّ سبع ضار، ومن كلِّ لصٍّ عاد، آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٧] وعشرًا من [الصَّافات: ١-١٠] وثلاث آيات من الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣-٣٥] وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحَشر: ٢١-٢٤]»[1].

وقال محمَّد بن أبان: بينما رجل يصلِّي في المسجد إذا هو بشيء إلى جنبه، فجفل منه، فقال ليس عليك مني بأس، إنَّما جئتك في الله تعالى ائت عروة فسله ما الَّذي يتعوذ به؟ ـ يعني: من إبليس الأباليس ـ قال: «قل آمنت باللَّه العظيم وحده، وكفرت بالجبت والطاغوت، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، واللَّه سميع عليم، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى»[2].

وقال بشر بن منصور، عن وهيب ابن الورد، قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من اللَّيل، قال: فسمعت حسًا أو صوتًا شديدًا وجيء بسرير حتى وضع وجاء شيء حتى جلس عليه، قال: واجتمعت إليه جنوده، ثُمَّ صرخ، فقال: من لي بعروة بن الزبير، فلم يجبه أحد حتَّى تتابع ما شاء الله عَزَّ وَجَلَّ من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه، قال: فتوجه نحو المدينة، وأنا ناظر، ثُمَّ أوشك الرجعة، فقال: لا سبيل إلى عروة، وقال: ويلك ولم؟ قال: وجدته، يقول: كلمات إذا أصبح وإذا أمسى، فلا نخلص إليه معهن.

قال الرجل: فلما أصبحت، قلت: لأهلي جهزوني فأتيت المدنية،

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٧).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٧).

فسألت عنه حتَّى دللت عليه، فإذا بشيخ كبير، فقلت: أشيئًا تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وما سمعت، فقال: ما أدري غير أني أقول إذا أصبحت آمنت باللَّه العظيم، وكفرت بالجبت والطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى الَّتي لا انفصام لها، واللَّه سميع عليم، إذا أصبحت قلت ثلاث مرات، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرَّات[(١)].

وذكر أبو موسى: عن مسلم البطين، قال: قال جبريل للنَّبيِّ ﷺ، إنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ يَكِيدُكَ، فَإِذَا أَوَيتَ إِلَى فِرَاشِكَ، **فَقُل**: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِن شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَفِتَنِ النَّهَارِ، وَمِن شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**»[(٢)].

وقد ثبت في الصَّحيح: أنَّ الشَّيطان يهرب من الأذان.

قَالَ سُهَيْل بن أَبِي صَالِحٍ، أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، وَمَعِيَ غُلَامٌ أَوْ صَاحِبٌ لَنَا، فَنَادَى مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ، فَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَى الحَائِطِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي، فَقَالَ لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ**»[(٣)] وفي رواية: «**إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَّى وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ**» الحديث[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الهواتف» (ص ٩٨، ٩٩) وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**» (٤٠/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤١٩ برقم١٥٤٩٩) عن عبد الرحمن بن خنبش.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٨) ومسلم برقم (٣٨٩) واللَّفظ له.

(٤) قرئ بتاريخ: (٢٥/ ٤/ ١٤١٣هـ) و(٢٥/ ٧/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٧٣ - ١٧٥)

الشرح:

هذه الآثار الَّتي جاءت عن بعض السلف في بعض الدَّعوات وبعض الأذكار مع الَّتي جاءت عن النَّبِيِّ ﷺ، كلّها تدلّ على أنَّها تطرد الشَّيطان، وأنَّ العبد إذا شغل نفسه بذكر الله كان هذا من أسباب إبعاد الله له من الشَّيطان وعصمة الله له من الشَّيطان وفيما صح عن النَّبِيِّ ﷺ ودلَّ عليه القرآن كفاية، فكلام السلف ليس بحجة في هذه المسائل، وإنَّما الحجَّة قال الله وقال رسوله.

فالمؤمن يتحرى ما قاله الله وقاله رسوله، ويستمسك بذلك، ففيه الخير العميم والنفع العظيم في الأذكار وغيرها، فالمؤمن يحرص على شغل قلبه ولسانه وجوارحه بذكر الله، وهذا هو طريق النجاة، فمن اتبع هدي الله نجا وسلم، ومن تمسك بسنة الرَّسول ﷺ أفلح.

فينبغي للمؤمن: أن يكون دائمًا مشغولًا بذكر الله وطاعته، والاستقامة على أمر الله، والبعد عن محارم الله، هذا هو طريق النجاة، وطريق السعادة في الدُّنيا والآخرة.

فالذِّكر: هو طريق العافية من شر الشَّياطين، وهكذا التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، تكفي عما يذكر عن عروة، وعن غير عروة، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[(١)].

وأمر من خاف من الشَّياطين: أن يتعوذ **بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِن شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِن شَرِّ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمِن شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِن شَرِّ كُل طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ**».

والمقصود: أنَّ التَّعوذ بكلمات الله التَّامات كافٍ شافٍ مع الإكثار من قراءة القرآن في ليلك ونهارك، في السفر والإقامة، وفي المنزل

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وفي الطريق، وفي البر وفي البحر، وفي أي مكان، فالإكثار من ذكر الله، هو طريق النجاة في الدُّنيا والآخرة، وطريق العافية من شر شياطين الإنس والجن، ومن ذلك قراءة آية الكرسي، بعد كل فريضة، وعند النوم، كذلك قراءة قل هو الله أحد، والمعوذ تين، كما صح عن النَّبِيِّ ﷺ يقرأها ثلاث مرات عند النوم، وصباحًا ومساءًا بعد الفجر وبعد المغرب، كل هذا من أسباب العافية من كل سوء، أعاذنا الله وإيَّاكم من شرِّ الشَّياطين، شياطين الإنس والجن جميعًا، ورزق الله الجميع التَّوفيق والهداية.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«وذكر **الحافظ أبو موسى** من حديث أَبِي رَجَاءٍ، عَن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيق، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَكْثِرُوا مِن قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: قَدْ أَهْلَكْتُهُم بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِقَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُم أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ حَتَّى يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، فَلَا يَسْتَغْفِرُونَ**»(١).

وذكر أيضًا عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة، قال: **بينا رجل مسافر إذ** مرَّ برجل نائم، ورأى عنده شياطين، فسمع المسافر أحد الشَّياطين، يقول لصاحبه: اذهب فافسد على هذا النائم قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه، فقال: لقد نام على آية مالنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم، فلما دنا منه رجع، قال: صدقت فذهب، ثُمَّ إنَّ المسافر أيقظه، وأخبره بما رأى من الشَّياطين، فقال: أخبرني على أي آية نمت، قال على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «**مسنده**» (ص٦٤ برقم ١٣٦) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٢٥٠ برقم ١٧٥٧٥): فيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف.

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى[(١)] في داري، فقيل يا أبا النضر تحول عن جوارنا قال: فاشتد عليَّ فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي، وأبي أسامة فكتب إلي المحاربي: إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم فدعوا بدلو من ماء، ثم تكلموا بهذا الكلام، فصبوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت تورًا من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ثُمَّ تتبعت به زوايا الدار فرششته فصاحوا بي أحرقتنا نحن نتحول عنك، وهو بسم الله أمسينا باللَّه الَّذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله الَّتي لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر مُعلنٍ أو مسر، ومن شر ما يخرج باللَّيل ويكمن بالنَّهار، ويكمن باللَّيل ويخرج بالنَّهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت اخذ بناصيتها: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هُود: ٥٦] أعوذ باللَّه بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الَّذي وفَّى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغي: أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصَّافات: ١-١٠].

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ: لذلك العبد: «**لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ الله**»[(٢)][(٣)].

---

(١) في نسخة (أرمي) وفي أخرى (أوي) ينظر: الوابل الصيب (ص١٧٦) وإسبر (ص١٤٠) وتحقيق: ابن قايد (ص٢١٤).

(٢) سبق تخريجه في (ص٧٤) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه.

(٣) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٤/ ١٤١٣هـ) و (٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (١٧٦ - ١٧٧).

الشرح:

قد سبق أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا بين على لسان رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما ينبغي التحرز به ومنه، وما ينبغي اعتياده من التعوذات والأذكار، وهي كافية عما ينقل عن بعض السَّلف ـ مما لا سنَّة فيه ـ فالتَّمسك بما جاء عن الرَّسول ﷺ، وما ثبت عنه هو الطَّريق السَّوي.

وعدوُّ الله الشَّيطان يلتمس لابن آدم كل عثرة وكل شر وهو حريص يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فَاطِر: ٦] فهو عدو بلا شك.

ولهذا يروى عنه ﷺ أنَّه قال عن الشَّيطان أنه قال: «**أَهْلَكُونِي بـ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُم أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ حَتَّى يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، فَلَا يَسْتَغْفِرُونَ**» أي: ابتليتهم بالبدع، وزينتها لهم، فالشَّيطان يزين للنَّاس البدع؛ لأنهم يظنون أنهم على هدى، فلا يتوبون منها ويصرون عليها.

فالواجب على المؤمن: الإكثار من ذكر الله، والتعوذ باللَّه من الشَّيطان، والاستغفار هذا هو طريق النجاة، والتعوذات الشرعية تكفي «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ**»(١) التَّعوذات الصَّحيحة عن النَّبيِّ ﷺ تكفي.

والتَّعوذ بالآيات عند النّوم الَّتي نقلها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض السَّلف، وإن كانت الآيات كلّها عظيمة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعرَاف: ٥٤] وغيرها من الآيات كلها آيات عظيم، تحرز من الشَّيطان لمن تمسك بها واستقام عليها.

لكن الشيء الَّذي خصه الرَّسول ﷺ يخص مثل آية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين عند النوم ثلاث مرات، وسبحان الله ثلاثًا وثلاثين

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٣٧١) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

مرة، والحمد لله كذلك ثلاثًا وثلاثين مرة، والتكبير أربعًا وثلاثين مرَّة، والأحاديث المرفوعة الصحيحة، أولى بالعناية وأولى بالحرص عليها مما يؤثر عن التابعين أو غير التابعين أو عن العلماء، ما جاء عن الرَّسول ﷺ هو العمدة؛ لأنه هو الَّذي يوحى إليه لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ٣-٤].

ولأنَّ الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالمؤمن يتحرز بالتَّعوذات والأذكار الشَّرعية، وبالاستغفار، والعناية بالطاعة، والحذر من المعصية، هذا هو طريق النَّجاة والسَّلامة في الدُّنيا والآخرة، نسأل الله للجميع التَّوفيق والهداية.

□ **فائدة: حول ذكر بعض الآثار دون بيان:**

إيراد الآثار والسُّكوت عليها، لا شك فيه نوع من التساهل، كان ينبغي عليه رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرشد بالشيء الثابت عن النَّبِيِّ ﷺ ففيه الكفاية والغنية، الله يغفر للجميع.

وهذه الآثار في قراءة الآيات لو عمل بها الإنسان لا حرج فيها إن شاء الله، فالقرآن كله هدى وشفاء؛ لكن التَّمسك والتحرز بالشيء الوارد الثابت عن النَّبِيِّ ﷺ أولى، ولا أعلم شيئًا في الطريقة الَّتي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن الوارد عن النَّبِيِّ ﷺ أولى من هذه الآثار.

❍ **مسألة: في حكم حديث:**

سُئل عن حديث «اسْتَكْثِرُوا مِن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالاسْتِغْفَارِ»؟

فقال: لا أعرف حال سنده، لكن معناه صحيح بالنُّصوص الأخرى كقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البَقَرَة: ١٩٩] وغيرها.

«ولنذكر فصولًا نافعة تتعلق بالذِّكر تكميلًا للفائدة الفصل الأول

[أنواع الذِّكر]

الذِّكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرَّبّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذَّاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو: «**سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**»[1] وَ«**سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ**»[2] وَ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[3]. ونحو ذلك.

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقولك: الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك: الحمد لله.

وهذا في حديث جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال لها: «**لَقَدْ قُلْتُ: بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْم لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ الله [وَبِحَمْدِهِ] عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[4] رواه مسلم.

وفي «الترمذي وسنن أبي داود» عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه دخل مع رسول الله ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ بَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهَا،

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٧).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٥٧).
(٣) سبق تخريجه في (ص١٥٨).
(٤) سبق تخريجه في (ص١٧٢).

فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ» فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّه أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالحَمْدُ لله مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله مِثْلُ ذَلِكَ»(١).

النوع الثاني: الخبر عن الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفي عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته والوجد، ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع، حمد، وثناء، ومجد.

فالحمد لله الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضاء به فلا يكون المُحِبُّ الساكتُ حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا حتَّى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد الشيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا.

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٢-٤] قال: مجدني عبدي.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٠٠) والترمذي، برقم (٣٥٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان، برقم (٢٣٣٠) **وقال سماحته عنه**: «هنا لا أعلم حال سنده». ينظر: ما قاله عنه: في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» (٢٦/ ٧٦) قال: محقق «**الوابل الصيب**» وهو حديث حسن بشواهده (ص١٨٠) وسيأتي ذكره في الفصل السبعون.

النوع الثاني: من الذِّكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا، وأحب كذا وسخط كذا ورضي كذا.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذَّاكر، فذكره أفضل الذِّكر وأجله وأعظمه فائدة.

فهذا الذِّكر من الفقه الأكبر، وما دونه أفضل الذِّكر إذا صحت فيه النية.

ومن ذكره ﷻ: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضًا من أجل أنواع الذِّكر.

فهذه خمسة أنواع:

وهي تكون بالقلب واللِّسان تارةً وذلك أفضل الذِّكر.

وبالقلب وحده تارةً، وهي الدرجة الثانية.

وباللِّسان وحده تارةً، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذِّكر: ما تواطأ عليه القلب واللِّسان، وإنَّما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللِّسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسَّيئات، وذكر اللِّسان وحده لا يوجب شيئًا منها من هذه الآثار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرة ضعيفة»[1].

الشرح:

في هذا البحث الحث على ذكر الله بالقلب، واللِّسان، وبالعمل، وبالثناء على الله بأمره ونهيه مع محبته وتعظيمه وتقديسه، ومع الحذر مما نهى عنه، والاستقامة على ما أمر به، فهذا أعظم الذِّكر، أن يذكر الله باللِّسان مع محبته بالقلب، والشوق إلى الله وخوفه وتعظيمه، مع تعظيم

(١) قرئ بتاريخ (٣/ ٥/ ١٤١٣هـ) و(٢/ ٨/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٧٨ - ١٨١).

أمره ونهيه، بطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو أعظم الذِّكر.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذلك، يكثر من حمده والثناء عليه، وتسبيحه وتهليله وتكبيره، مع الإيمان بهذه الأسماء والصفات، وأن الله جَلَّ وَعَلَا هو المحمود على كل حال، وهو المستحق لأن يحمد، وكلما كرر العبد صار ذلك أكمل.

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١﴾﴾ يقول الله: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ يقول الله جَلَّ وَعَلَا: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٢-٤] يقول الله: مجدني عبدي، فتكرار الحمد من باب الثناء، وتكراره أكثر من مرتين، يقال له: تمجيدًا.

فينبغي للعبد: أن يعتني بالكلمات الجامعة، مثل: سبحان الله العظيم وبحمده، كما في حديث جورية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَدْ قُلْتُ: «بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ الله [وَبِحَمْدِهِ] عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ» أربع كلمات قالها ثلاث مرَّات يكررها ثلاث، من أعظم الذِّكر.

كذلك «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَوات، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَالحَمْدُ لِله مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه مِثْلُ ذَلِكَ» «مِثْلُ ذَلِكَ» يعني: يقول: «الحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَوات» هذا المراد. وهكذا يستغفر الله، ويكثر من التسبيح، والتهليل، والدُّعاء، والاستغفار.

هكذا المؤمن: تكون أوقاته معمورة بذكر الله قلبًا ولسانًا، مع المحبة والتعظيم والتقديس، والمسارعة إلى فعل أوامره وترك نواهيه، **فقلب الذَّاكر** مشغول بمحبة الله والثناء عليه، ومشغول اللِّسان كذلك بالثناء عليه بالقول، وبالاجتهاد في طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا هو أعظم الذِّكر، أمَّا الذِّكر باللِّسان بقلب غافل هذا ليس بشيء.

فينبغي: أن يجتهد في أن تكون جوارحه مجتمعة، في ذكر الله، فينطق باللِّسان ليحصل له الأجر، ويكون بقلبه محبًا ومثنيًا ومقدسًا، يعلم أن ربه هو المستحق لأنه يحمد ويثنى عليه، هو المستحق لكل ثناء، ولكل تمجيد، فأساس الذِّكر القلب، ثم ينبعث من القلب إلى الجوارح واللِّسان، والأعمال الَّتي يعملها المؤمن طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كلها تنبثق عن محبته وتعظيمه، وإقراره واعترافه.

ومن أجمع الذِّكر: ما قاله ﷺ لجويرية، لما مرَّ عليها، وهي في مصلاها من بعد الفجر إلى الضحى، قال لها: مازالت على حالك منذ فارقتك؟ قالت: نعم. قال: «لَقَدْ قُلْتُ: بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ» يكرر هذه الكلمات ثلاث مرَّات، من أعظم الذِّكر.

كذلك «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

فأنت يا عبد الله: عندك كنوز، عندك خير عظيم، فاجتهد في العمل بهذه الأذكار الخيرية، تحصل لك خيرات عظيمة، وحسنات مضاعفة، فإن هذه الأذكار تُغذي في القلب المحبة، والخوف، والإنابة، رزق الله الجميع التَّوفيق والهداية.

□ فائدة: **في الحمد المكرر**:

الحمد المكرر يُسمى ثناء، يصدق عليه الثناء مع الحمد، وإذا كرر ذلك ثلاث مرَّات أو أكثر يسمى تمجيدًا، يقول الله جَلَّ وَعَلَا في الفاتحة إذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يقول الله: مجدني عبدي(١).

(١) ينظر: «**جامع البيان في تأويل القرآن**» لابن جرير الطبري (١/ ٢٠٠ برقم ٢٢١) و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (١/ ١٣٥و ٦/ ٤٣٣) و«**معالم التنزيل**» للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود (١/ ٥٧).

الفصل الثَّاني
[الذِّكر أفضل من الدُّعاء]

لأنَّ الذِّكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدُّعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»[(١)].

ولهذا كان المستحب في الدُّعاء أن يبدأ الدَّاعي بحمد الله تعالى، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثُمَّ يسأل حاجته، كما في حديث فضالة بن عبيد أنَّ رسول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ عَجِلَ هَذَا**» ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ** ﷻ، **وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ** ﷺ **ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[(٢)] رواه الإمام أحمد، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في صحيحه[(٣)].

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام الَّذي قال فيه النَّبيّ ﷺ دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلَّا فرج الله كربته: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفي «**الترمذي**» «**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا، وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٨ برقم ٢٣٩٨٢) وأبو داود، برقم (١٤٨١) والترمذي، برقم (٣٤٧٧) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣٥٤، ٤٠١ برقم ٩٨٩، ٨٤٠).

(٣) **قال ابن قائد**: إطلاق لفظ الصحيح على «**مستدرك**» أبي عبد الله الحاكم كثيرٌ في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ينظر: «**مجموع الفتاوى**» (١/ ٢٥٥، و٢٢/ ٤٢٦) و«**الوابل الصيب**» **(٢٢٣)**.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»(١).

وهكذا عامَّة الأدعية النَّبويَّة على قائلها أفضل الصَّلاة والسَّلام، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»(٢).

ومنه حديث بريدة الأسلمي الَّذي رواه أهل السنن، وابن حبان في صحيحه، أَنَّ رَسُولَ الله سَمِعَ رَجُلًا يدعو، وهو يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(٣).

وروى «**أبو داود والنَّسائي**» من حديث أنس رضي الله عنه أنَّه كان مع النَّبيّ ﷺ: جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(٤).

فأخبر النَّبيّ ﷺ أنَّ الدُّعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذِّكر، وأنَّه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله ﷻ، والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

---

(١) أخرجه عن سعد رضي الله عنه الترمذي، برقم (٣٥٠٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٤، ٦٨٥برقم ١٨٦٢، ١٨٦٣).

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري، برقم (٦٣٤٦) ومسلم، برقم (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٩٣) والترمذي، برقم (٣٤٧٥) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٩٤ برقم٧٦٦٦) وابن ماجه، برقم (٣٨٥٧) وابن حبَّان، برقم (٨٩١، ٨٩٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٣ برقم ١٨٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٩٥) والترمذي، برقم (٣٥٤٤) والنسائي، برقم (١٣٠٠).

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذِّكر والثناء، أنَّه يجعل الدُّعاء مُستجابًا، فالدُّعاء الَّذي يقدمه الذِّكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدُّعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنَّه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضي منه، وأوصاف المسئول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضي من السائل، والمقتضى من المسئول في الدُّعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتم معرفة وعبودية.

وأنت ترى في المشاهد ـ ولله المثل الأعلى ـ أنَّ الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه، وجوده وبره، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشَّمس لا تنكر، ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداءً: أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفت هذا، فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] وقول ذي النون ﷺ في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقول أبينا آدم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

في «**الصَّحيحين**» أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، قَالَ يَا رَسُولِ الله ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، فقَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١).

فجمع في هذا الدُّعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربَّه عز وجل بفضله وجوده، وأنَّه المنفرد بغفران الذُّنوب، ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري، برقم (٨٣٤) ومسلم، برقم (٢٧٠٥).

سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدُّعاء وآداب العبودية»[(١)].

الشرح:

هذه الأحاديث والآيات الكريمات كلها في هذا الباب، تدل على عظيم فضل الذِّكر، وهو الثناء على الله بأسمائه وصفاته، وتوحيده جَلَّ وَعَلَا، وأنَّه أفضل من الدُّعاء، فالدُّعاء طلب الحاجات، وفيه فضل وانكسار إلى الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولكن الذِّكر فيه بيان أسماء الله وصفاته، والثناء عليه بما هو أهله، فصار بذلك توسل إليه بما يحب، وبما هو أهله جَلَّ وَعَلَا في طلب حاجته، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الذِّكر والدُّعاء جميعًا.

الذِّكر ثناء على الله، وتمجيد له، والدُّعاء طلب للحاجة مع الانكسار والذِّل والاعتراف بظلم النفس، وقد جاءت النصوص دالة على ذلك، فإن الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يحب من عباده أن يثنوا عليه، وأن يحمدوه، ولهذا علمهم أنواع الذِّكر وشرع لهم أنوع الذِّكر عقب الصَّلوات، وعند الأكل والشرب، وعند الفراغ منهما، وفي سائر الأوقات والأحوال، علمهم ليثنوا عليه، وليحمدوه على ما هو أهله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويروى أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «**مَن شَغَلَهُ ذِكْرِي عَن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**» وإن كان في سنده مقال، لكن يُستشهد به في هذا المقام؛ لأنَّ الأدلَّة الكثيرة تدل على فضل الذِّكر، وفضل الثناء، وأن الله يحب ذلك، ويرشد إليه، فالرَّبّ عَزَّ وَجَلَّ يحب من عباده أن يثنوا عليه، وأن يشكروه ويذكروه؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهو سبحانه يحبُّ أن يحمد يحب أن يثنى عليه بأسمائه، وشرع الفاتحة الَّتي أولها ثناء على الله، ثُمَّ فيها الدُّعاء، وهكذا الأذكار بعد

(١) قرئ بتاريخ: (٤/٥/١٤١٣) و(٣/٨/١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٨٢ - ١٨٦).

الانصراف من الصَّلاة، يستغفر ربه، ويَذكره ويُثني عليه بما هو أهله ﷻ، فالدُّعاء فيه ثناء على الله، وفيه وصف له بما هو أهله من غفران الذُّنوب، وقضاء حاجات المضطرين، ورحمتهم والإحسان إليهم، فيتوسل العبد إلى ربِّه بالأمرين، بالثناء على الله، وذكر أسمائه وصفاته، وبالانكسار والتذلل، وإظهار الحاجة، والظلم للنَّفس، حتَّى يكون ذلك أقرب إلى الإجابة.

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: في دعاء ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] وجاء في دعاء الكرب يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكريم**».

ولما دعا رجل ولم يصل على النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**عَجِلَ هَذَا**» ثُمَّ علمه، فقال: ابدأ بحمد ربِّك، والثناء عليه، ثُمَّ صل على النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ادع بما شاءت، فالثناء وحمده وذكره، والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ في مقدمات الدُّعاء من أسباب إجابة الدُّعاء.

ويحرص في الدُّعاء: أن يسأل ربَّه باسمه الأعظم، بمعنى العظيم اسم تفضيل، وأسماء الله هي كلّها عظيمة منها: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّوم**» فإنَّه عند الأكثر اسم الله الأعظم، وورد بأنَّه «**يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**».

والدُّعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا**» هذا يقوله آخر الصَّلاة قبل أن يسلم، وإن قاله بعد السَّلام لا بأس بعد الذِّكر؛ لكن في الدُّعاء قبل السَّلام أجود وأفضل؛ لأنَّه محل الدُّعاء، ويمكنه في كلِّ وقت أن يدعو به، ولكن جاء في الحديث عن الصِّديق: «**ادْعُو بِهِ فِي صَلَاتِكَ، وَفِي بَيْتِكَ**» كما رواية مسلم، فيدعو به في صلاته، في بيته، في الطريق في أي مكان؛ لأنَّه دعاء عظيم.

❍ مسألة: **في التفاضل بين الثناء والدُّعاء**

الثناء أفضل لأنَّه ذكر، والدُّعاء سؤال حاجة؛ لكن إذا دعت الحاجة للدُّعاء يكون الدُّعاء أفضل، كدعاء الاستخارة، ودعاء قول: اللَّهم اغفر

لي بين السجدتين، وهكذا الدُّعاء في السجود أفضل من الثناء والقراءة، فكلّ له موضعه ومكانه.

□ **فائدة: في معنى المثل الأعلى:**

سئل عن التفسير الصَّحيح للمثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: ٦٠]

فقال: هو الوصف الأعلى له سبحانه وتعالى[1] يعني: لا يماثله شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورى: ١١] فله المثل الأعلى، أي: الوصف الأعلى والأكمل في ذاته وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى رزق الله الجميع التَّوفيق والهداية.

(١) ينظر: «**تفسير القرطبي**» (١٠/ ١١٩ و١٤/ ٢٢).

الفصل الثَّالث
قراءة القرآن أفضل من الذِّكر

قراءة القرآن أفضل من الذِّكر، والذِّكر أفضل من الدُّعاء، هذا من حيث النظر إلى كلّ منهما مجردًا، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل؛ بل يُعَيِّنهُ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنَّه أفضل من قراءة القرآن فيهما؛ بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة.

وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك ربِّ اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذِّكر عقيب السَّلام من الصَّلاة، ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة.

وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه؛ لكن لكل مقام مقال متى فات مقاله فيه، وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة، وفاتت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المقيَّدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللَّهم إلَّا أن يعرض للعبد ما يجعل الذِّكر أو الدُّعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله: أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة واستغفارًا، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدَّعوات الَّتي تحصنه وتحوطه.

وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدُّعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالًا؛

فهذا يكون اشتغاله بالدُّعاء والحالة هذه أنفع، وإن كان كل من القراءة والذِّكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه، وبين فضيلته العارضة، فيعطى كلّ ذي حقٍّ حقَّه، ويوضع كلّ شيء موضعه، فللعين موضع، وللرجل موضع وللماء موضع، وللَّحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة الَّتي هي نظام الأمر والنَّهي، والله تعالى الموفق.

وهكذا الصَّابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد وكيه أنفع له في وقت، وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا: سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصَّابون والماء الحار أنفع له، فقال لي رحمه الله تعالى فكيف والثياب لا تزال دنسة.

ومن هذا الباب: أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث، والطلاق والخلع والعدد ونحوها؛ بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص.

ولما كانت الصَّلاة مشتملة على القراءة والذِّكر والدُّعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كلٍ من القراءة والذِّكر والدُّعاء بمفرده لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدًا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها؛ لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها، فيربح إبليس الفضل الَّذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها، وإن كان ذلك في وقته، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.

وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال، وتفاوتها ومقاصدها، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه، وتنزله في مرتبته، وتفويته لما هو أهم

منه، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل؛ لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى، وهذا كترك القراءة لرد السَّلام، وتشميت العاطس، وإن كان القرآن أفضل لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السَّلام، وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت، والله تعالى الموفِّق»[١].

الشرح:

هذا بحث عظيم مفيد، يتعلق بالتفاضل بين الأعمال، وبين الأذكار والدُّعاء والقرآن، فالقرآن أفضل الذِّكر، هو كلام الله، ثُمَّ يليه بقية الأذكار من توحيد الله وتسبيحه، وتهليله، وتحميده، وتكبيره وغير ذلك، ثم الدُّعاء، هذه مراتب الفضل.

لكن هذا الأفضل ـ القرآن ـ قد يعرض له أشياء تجعل غيره أولى منه كحال الركوع والسجود، ولا بين السجدتين، ولا في التشهد.

فالقرآن له وقته، وله محله، **أمَّا في** حال الركوع، والسجود، لا يقرأ، ولهذا في الحديث الصحيح، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** ﷻ، **وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ**»[٢] فالقرآن له محل والعبادات الأخرى لها محلها، فإذا دعت الحاجة إلى صلاة الاستخارة يقرأ بدعاء الاستخارة أفضل من كونه يقرأ القرآن؛ لأن هذه عبادة مستقلة لها شأنها وها وقتها.

هكذا إذا دعت الحاجة إلى أمر آخر يسأله، أو يستعيذ باللَّه منه صار هذا الدُّعاء، وهذه الاستعاذة في محلها أولى من القراءة، فكل شيء له وقته، فالقراءة أفضل في نفسها، في جميع الأوقات، لكن في بعض

---

(١) قرئ بتاريخ: (١٠/ ٥/ ١٤١٣هـ) و(٩/ ٨/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٨٧ - ١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٤٧٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأوقات، وبعض الأعمال قد يعرض ما يجعل غيره أولى منه، كالأذكار الشرعية في الصباح والمساء، والدَّعوات الواردة أولى من كونه يشتغل بالقرآن فقط، فلو اشتغل بالأوراد الشرعية، والأذكار الواردات وتلاها والدَّعوات كان أفضل؛ لأنه في تحقيق ما جاءت به السنة، وجمع بين الفضائل.

وهكذا صلاة النوافل، والتهجد باللَّيل أولى من كونه يشتغل بالقرآن، فكل شيء في وقته، كل عبادة لها وقتها، فهي في وقتها أولى وأفضل.

ثُمَّ هو فيما يتعلق بالدُّعاء ينظر ما هو أجمع لقلبه، وأقرب إلى خضوعه لله، فإذا كانت القراءة أكثر خضوعًا اشتغل بها ليخضع قلبه، وإن كان هناك دعاء تفرغ للدِّعاء لحاجته للدِّعاء، وهكذا التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، يشتغل بها في وقتها، صباحًا ومساءًا، وفي سائر الأوقات الَّتي شرع الله فيها هذا الذِّكر.

فالقرآن له وقته وله محله، وهذه الأذكار لها وقتها، والدَّعوات لها وقتها، كل شيء له وقته، وهذا مقام عظيم يحتاج إلى فقه، وعلم وتبصر، حتَّى يضع كلّ شيء في موضعه، حتَّى يضع كلّ عبادة في محلها، أو في وقتها المناسب، وفَّق الله الجميع.

□ فوائد تتعلق بالقرآن:

المستمع شريك للقارئ: في الأجر، إذا استمع واستفاد، والقارئ يعمل بما هو أصلح له ولقلبه، إن رأى القراءة قرأ، وإن رأى الاستماع استمع، يعمل بما هو أخشع له، وأقرب إلى التأثير، فبعض الناس يتأثر بالسماع، ولا يتأثر بقراءة نفسه، قد تكون قراءة غيره أنفع له، إذا سمعها خشع واطمئن لها، إذا استمع لها يستفيد منها.

وكذلك إن رأى القراءة من المصحف أنفع لقلبه قرأ من المصحف، وإن رأى قراءته من غيبه أنفع له قرأ من غيبه، ينظر ما هو أصلح وأنفع له فيعمل به.

ومثل ذلك في الجهر والإسرار: يعمل بالأصلح، وبما هو أكثر خشوعًا، فإن كان الجهر أكثر خشوعًا جهر، وإن كان إسراره أكثر خشوعًا أسر، تقول عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في تهجد النَّبِيِّ ﷺ، من اللَّيل «**رُبَّمَا جَهَرَ وَرُبَّمَا أَسَرَّ**»[1] عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن لا تكون القراءة، قراءة إلَّا بشيء يسمعه، لابدَّ من حركة اللِّسان، أما القراءة دون تلفظ تأمل وتفكير، وليس بقراءة.

وقد يحسن الجهر بالقراءة: إن كان هناك من يسمع له فيجهر حتَّى يستفيدوا، وإن كان لا يوجد يعمل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٣٧) والترمذي، برقم (٤٤٩) وقال: حسن صحيح غريب.

[الفصل الرابع
في الأذكار الموظفة الَّتي لا ينبغي للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها وفيه فصول][1].

(١) ما بين المعكوفتين [...] لم يقرأ على سماحته، في التسجيل الصَّوتي الَّذي عثرت عليه، وتم إثباته لوجوده في جميع نسخ المتن. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٩١) وتحقيق: الأرناؤوط (ص١٢٠) وتحقيق: الأنصاري(ص١٦٧) وتحقيق: القيسي(ص١٧٢) وتحقيق: ابن قائد (ص٣٣٧) وتحقيق: حسن أحمد إسبر (ص١٥٣) وغيرها من نسخ.

‹‹الفصل الأول
في ذكر طرفي النَّهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشَّمس، وما بين العصر والغروب.

قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] والأصيل قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل وآصال وأصائل كأنَّه أصيله، قال الشاعر[(١)]:

لَعَمْري لأنتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وأَقْعُدُ في أَفْيائِهِ بالأصائِلِ

ويجمع أيضًا على أُصْلان، مثل بعير وبعران ثُمَّ صغروا الجمع، فقالوا: أصيلان، ثُمَّ أبدلوا من النون لامًا، فقالوا: أُصيلال، قال الشَّاعر[(٢)]:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالًا أُسائِلُها أَعْيَتْ جوابًا وما بالرَبْعِ من أحدِ[(٣)]

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۝٥٥﴾ [غافر: ٥٥].

فالإبكار: أول النهار، والعشي: آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [قٓ: ٣٩] وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أنَّ المراد به قبل طلوع الشَّمس، وقبل غروبها، وأنَّ محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**مَنْ قَالَ:**

---

(١) هو: **أبو ذؤيب الهذلي**: خويلد بن خالد بن محرث، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ينظر: للبيت: «**شرح أشعار الهذليين**» (١/ ١٤٢) ولترجمته. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٩٢ ح ١).

(٢) هو: **النابغة الذبياني**: زياد بن معاوية بن ضباب أبو أمامة، شاعر جاهلي. ينظر: للبيت (ص ١٤) في «**ديوانه**» ولترجمته المصدر السابق (ص١٩٣ح ١).

(٣) ينظر: «الصحاح في اللغة» للجوهري، مادة: [أصل] وفيه «**عيَّت**» بدل «**أعيت**».

حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ: مِثْلَ مَا قَالَ: أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[(١)].

وفي «صحيحه أيضًا» عَن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لله، وَالْحَمْدُ لله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لله...»[(٢)].

وفي «السنن» عن عبد الله بن خبيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قُلْ» قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ» ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(٣)] قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي «الترمذي» أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ، يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قال الترمذي حديث حسن صحيح»[(٤)][(٥)].

الشرح:

هذه الأحاديث مع الآيات الكريمات كلُّها تدلُّ على شرعية الأذكار، في أول النَّهار وآخره، فيستحب للمؤمن أن يبدأ نهاره بالذِّكر، ويختمه

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٩٢).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢٣).
(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٨٢) والترمذي، برقم (٣٥٧٥).
(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٢٩١).
(٥) وقرئ بتاريخ: (١١/ ٥/ ١٤١٣هـ) و(١٠/ ٨/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٩٢ - ١٩٥).

بالذِّكر، فيمسي ذاكرًا ويصبح ذاكرًا؛ لقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [قٓ: ٣٩] وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

فالمؤمن يشتغل بذكر الله بكرةً وأصيلًا، بعد الصبح حتَّى تطلع الشَّمس، وبعد طلوعها كلُّ هذا يُسمَّى الصباح ووقت الضحى، والعشي: آخر النَّهار بعد العصر قبل الغروب، وأول اللَّيل كلها أوقات ذكر، ودعاء، وتسبيح، وتقديس لله عَزَّوَجَلَّ.

ويقول النَّبيُّ ﷺ: «مَن قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ» وفي رواية أبي داود: «سُبْحَانَ الله العَظِيم وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أحَدٌ عَمِلَ مِثْلَ عَمَلِهِ أَوْ أَكْثَر» سبحان الله وبحمده مئة مرَّة، أو سبحان الله العظيم وبحمده مئة مرَّة.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العَظِيمِ**»(١).

وكَانَ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ عند الصباح والمساء أن يَقُولُوا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لله، وَالحَمْدُ لله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ هَذَا اليَوْمِ وَخَيْرِ مَا فِيه، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهِ هَذَا اليَوْمِ، وَشَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنيا وَعَذَابِ القَبْرِ».

وإذا أمسوا أن يقولوا مثل ذلك: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ لِله، وَالحَمْدُ لِله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ...»(٢).

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٦) ومسلم، برقم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه ابن حبان، برقم (٩٦٣) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصححه شعيب الأرناؤوط (٣/ ٢٤٣).

وكان يقول: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، وَعند المساء أن يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ المَصِير» هذه أذكار يعمل بها المؤمن كما علَّمه إيَّاها نَبِيّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن يُكثر منها، وأن يحافظ عليها.

وهكذا قراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين، حين يصبح، وحين يمسي، وبعد صلاة الفجر، وبعد صلاة المغرب ثلاث مرَّات، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعبد الله بن خبيب: «قُلْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِن كُلِّ شَيْءٍ».

فقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تكون بعد كل صلاة مرَّةً واحدة، بعد الظهر، والعصر، والعشاء، وثلاث مرَّات بعد الفجر، والمغرب، أول النَّهار وأول اللَّيل، وتكرارها ثلاث مرَّات سُنَّة، وهي من أذكار الصَّباح والمساء، ومن الأذكار الَّتي عقب الصَّلاة، إن قالها بعد الصَّلاة كفته عنهما، وإن قالها قبل الصَّلاة كفته أيضًا عن أذكار الصَّباح، والمساء، وأذكار الصَّلاة جميعًا.

وهكذا آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة مرَّة واحدة، وثلاث مرَّات بعد المغرب والفجر، كلّ هذه أذكار مستحبة، فيحرص المؤمن أن يحافظ عليها.

وإذا أكثر من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، في اللَّيل والنَّهار، هذا خير عظيم؛ لأنَّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ [الأحزاب: ٤١].

□ **فائدة: في تحديد وقت أذكار الصَّباح والمساء:**

دعاء اللَّهم بك أصبحنا، يقال بعد الصُّبح، أو بعد طلوع الشَّمس، وأذكار المساء تقال: بعد العصر أو بعد المغرب كلّه طيِّب؛ لكن قبل الغروب أحسن، وأذكار الصباح قبل طلوع الشَّمس أحسن، يختم نهاره بالخير، ويبدأ نهاره بالخير.

التَّسبيح بالآصال: المقصود به سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وإن فسره بعضهم بصلاة العصر والفجر، أو بكل الصَّلوات المفروضة[(١)] ولكن حمله على العموم يكون أكمل، كونه يأتي بالتَّسبيح والأذكار، والصَّلاة كله خير إلى خير.

وسئل سماحته عن حديث: «**اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ. سَبْعَ مَرَّات**»[(٢)] متى يقال: هذا الدُّعاء.

فقال: يقال: بعد المغرب والفجر، وهو حديث لا بأس به، وإن كان فيه بعض الجهالة؛ لكنه مقارب إذا قاله الإنسان بعد الفجر، وبعد المغرب فحسن إن شاء الله.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «صحيح البخاري» عن شَدَّاد بن أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَن قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، فَمَاتَ من ليلته دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن قَالَهَا حِينَ يُصْبِح، فَمَاتَ مِن يَوْمِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٣)].

وفي «الترمذي» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ: إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ**

---

(١) ينظر: «**تفسير ابن جرير**» (١٣/ ٣٥٧) و«**تفسير ابن كثير**» (٦/ ٦٧) و«**تفسير البغوي**» (٦/ ٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٧٩) والإمام أحمد (٤/ ٢٣٤ برقم ١٨٠٨٣) عن مسلم بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٥).

وَشِرْكِهِ [«وَأَن نَقْتَرِفَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُوءًا، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم»][1] قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[2] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «الترمذي أيضًا» عَن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِن عَبْدٍ يَقُولُ: فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْم، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ الله الَّذي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ»[3] وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

«وفيه أيضًا» عَن ثَوْبَانَ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَن قَالَ: حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ، رَضِيتُ بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلَام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَن يُرْضِيَهُ» وقال: حديث حسن صحيح[4]»[5].

الشرح:

هذه الأحاديث الأربعة فيما يتعلق بأذكار الصباح والمساء، وقد جاء في ذلك أذكار كثيرة، ودلَّ كتاب الله على شرعية ذلك، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [قٓ: ٣٩-٤٠].

---

(١) جملة: «وَأَنْ نَقْتَرِفَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُوءًا، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ» من رواية أخرى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عند الترمذي أخرجها، برقم (٣٥٢٩) وعند أبي داود عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، برقم (٥٠٨٣) وهي رواية صحيحة كما قال المحقق. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٩٧ ح ١).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٨٨).

(٤) سبق تخريجه في (ص١٥٨) في الفائدة الثالثة والثلاثون.

(٥) وقرئ بتاريخ: (١٧/ ٥/ ١٤١٣هـ) و(١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص١٩٥ - ١٩٩).

فالذِّكر مشروع للمؤمن في جميع الأوقات، ولكن في أول النَّهار وأول اللَّيل يتأكد ذلك حتى يختم نهاره بالذِّكر، ويبدأ ليله بالذِّكر، ويبدأ نهاره بالذكر، ومن ذلك سيِّد الاستغفار، يعني: أفضل الاستغفار، أن يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أبوء: يعني: أعترف وأقر، هذا الدُّعاء العظيم سيِّد الاستغفار، إذا قاله العبد صباحًا صدقًا من قلبه، ومات دخل الجنة، وإن قاله مساءً صدقًا من قلبه، ومات دخل الجنة، وهذا فضل عظيم، فينبغي للمؤمن أن يحافظ على هذا الذِّكر العظيم، وهذا الاستغفار.

وكذلك ما عَلَّمَهُ النَّبيّ ﷺ للصِّديق رضي الله عنه «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَن أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِنَا سُوءًا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ» يقوله صباحًا ومساءً وعند النوم، وكلُّها أحاديث صحيحة، يستحب للمؤمن أن يقول: هذا حين يصبح، وحين يمسي، وعند النّوم.

وهكذا حديث عثمان رضي الله عنه «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» صباحًا ومساءً تكفيه من كل شيء الحصن الحصين، فينبغي للمؤمن أن يأتي به، والحديث قد رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح(١) كما رواه الترمذي رحمه الله.

وكذلك: «رَضِيتُ بِاللَّه رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا» يقولها صباحًا ومساءً، ويقولها عند الشَّهادتين في الأذان عند «أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهُ»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٢، ٦٦، ٧٢ برقم ٤٤٦، ٤٧٤، ٥٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح غريب.

وفي الحديث الآخر: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّه رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[(١)] وفي الحديث الآخر: «**مَن قَالَهَا: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)] فينبغي للمؤمن: أن يحافظ على هذا الذِّكر أيضًا وفَّق الله الجميع.

○ **مسألة: في تحديد وقت الصباح والمساء**

أذكار الصَّباح وقتها قبل طلوع الشَّمس، وبعد طلوعها كلّه يطلق عليه صباح، وبعد الزوال يُسمى آصال ويسمى عشي وكلّه مساء، كما تقدَّم في الآيات، لكن قبل الطلوع وقبل الغروب يكون آكد، في بدء النَّهار وبدء اللَّيل.

□ **فائدة: في خطاب المفرد والجماعي:**

سئل سماحته عن قوله: «وَأَن نَقْتَرِفَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُوءًا، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»[(٣)] ما يدل على الجمع؟

قال: جاء في رواية أخرى: «**وَأَن أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ**»[(٤)] يقولها الإنسان المتكلم: على نفسي تكون ألصق، وإن قالها بالجمع لا بأس به فمراده هو والمسلمين، ومعنى: «أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ» لا يجر له أذى لا غيبة ولا نميمة، ولا ضرب ولا أخذ مال ولا غير ذلك.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه في (ص١٥٨).
(٣) هذا لفظ حديث أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٢٩) عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
(٤) هذا لفظ حديث أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٨٣) أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «الترمذي» أيضًا عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ الله رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَن قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ الله نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَن قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ الله ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَن قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

وفي «سنن أبي داود» عَن عَبْدِ الله بنِ غَنَّام أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِن نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَن قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ**»(٢).

وفي «السنن» و«صحيح الحاكم» عن عَبد الله بن عُمَرَ، قالَ لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَن شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٣). قَالَ وكيع: يَعْنِي: الخَسْفَ.

وَعَن طَلْقِ بن حبيب، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَدْ احْتَرَقَ بَيْتُكَ؟ فَقَالَ: مَا احْتَرَقَ، لَمْ يَكُنْ اللهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَن قَالَهَا أَوَّل النَّهَارِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَن قَالَهَا آخِرَ النَّهَارِ: لَمْ تُصِيبَهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبِح: «**اللَّهُمَّ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٧٣) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥ برقم٩٨٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٧٩) وابن ماجه، برقم (٣٨٧١) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٩٨ برقم ١٩٠١).

أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه العَلِيِّ العَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسِي، وَمِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(١)](٢).

الشرح:

هذه الأحاديث الأربعة كلُّها تتعلق بالثناء على الله، واللَّجوء إليه، والثناء عليه ﷻ، بما هو أهله، والله يحب من عباده أن يثنوا عليه ويحمدوه ويشكروه، ولهذا قال ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**»(٤).

وقال ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»(٥).

كلُّ هذا يبيِّن لنا أنَّهُ سبحانه يحبّ الثناء، ويحبّ الحمد، ومن ذلك هذه الأحاديث، حديث: «مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم واللَّيلة» (ص ٣٠/ ٣١ برقم ٥٧، ٥٨) والبيهقي في «**الأسماء والصِّفات**» (١/ ٤٢٣ برقم ٣٤٤) والطبراني في «**الدُّعاء**» (١/ ١٢٨برقم ٤٣٤).

(٢) قرئ بتاريخ: (١٨/ ٥/ ١٤١٣) و(١٧/ ٨/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ١٩٩، ٢٠١).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٦١).

(٤) سبق تخريجه في (ص٢١٢).

(٥) سبق تخريجه في (ص٢٩٩).

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ» وإذا كررها مرتين أعتق الله نصفه من النَّار، وإذا قالها ثلاثًا، أعتق ثلاثة أرباعه، وإذا كررها أربعًا أعتقه الله، يعني: ذلك اليوم، كما في الرواية الأخرى، «ذَلِكَ اليَوْم».

وهو حديث لا بأس به، إسناده جيِّد، يدلّ على أنَّهُ لا بأس بهذا الثناء، وأنَّه حسن مطلوب «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ﷺ» هذا فيه ثناء عظيم على الله جَلَّ وَعَلَا، ومن أسباب العتق من النَّار.

كذلك: «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِن خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ» فهذا أيضًا من أسباب أداء الشكر، من قالها في الصباح، فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها مساءً أدى شكر تلك اللَّيلة، فينبغي للمؤمن أن يُكثر من هذه الأذكار الَّتي فيها الثناء على الله جَلَّ وَعَلَا.

وهكذا حديث أبي الدرداء، وإن كان في سنده ضعف؛ لكنه فيه ثناء على الله «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم».

هذا الذِّكر من أسباب الحفظ والسَّلامة والوقاية، وفي سنده ضعف؛ لكن هو ثناء على الله، وتمجيد له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصاحبه حري بالخير، حري بالأجر العظيم، حري بكلِّ توفيق.

هكذا الحديث الرابع: حديث ابن عمر أنَّهُ كان يقول صباحًا ومساءً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِن

رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِن خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغْتَالَ مِن تَحْتِي».

هذا تعوذ عظيم، ينبغي العناية به صباحًا ومساءً، كله لجوءٌ إلى الله، وتعوذ به ﷻ، وطلب العافية من كل شر، وهو سبحانه القادر على كل شيء، والمالك لكلِّ شيء ﷻ، وفَّق الله الجميع.

❍ **مسألة: حول الفاتحة:**

سئل سماحته هل الفاتحة من أذكار الصَّباح أو المساء؟

فقال: هي من أفضل القرآن، وهي أعظم سورة في القرآن، لكن لا أعلم شيئًا صحيحًا في أنَّها من أذكار الصَّباح أو المساء، ولا أنَّها من أذكار النُّوم.

«الفصل الثَّاني
في أذكار النّوم

«وفي «الصَّحيحين» عَن حُذَيْفَةَ[(١)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَن يَنَامَ، قَالَ: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» **وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِن مَنَامِهِ، قَالَ:** «**الحَمْدُ لله الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[(٢)].

وفي «الصَّحيحين» أيضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، يَقرأُ فِيهِمَا: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِن جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[(٣)].

وفي «صحيح البخاري» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ يَحْثُو مِنَ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَهُ النَّبِيّ ﷺ عَلَيْهَا لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، قَالَ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِنَّ، وَكَانَ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْت إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] حَتَّى خَتمها، فَإِنَّهُ لَا يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى

---

(١) حديث حذيفة هو عند البخاري فقط، برقم (٦٣١٢، ٦٣١٤، ٦٣٢٤، ٦٣٢٥، ٧٣٩٤، ٧٣٩٥) وقد تابع ابن القيم في عزوه للصَّحيحين شيخه ابن تيمية، كما في «الكلم الطيب» (ص٧٥ برقم٢٩) حيث قال: متفق عليه.

(٢) بنصه أخرجه البخاري، برقم (٦٣٢٤) وأخرجه عن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مسلم، برقم (٢٧١١).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٥٠١٧، و٥٧٤٨، و٦٣١٩) ولفظ مسلم عنها «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ**» برقم (٢١٩٢) هكذا مختصرًا.

تُصْبِح، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»(١).

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنَّها جرت لأبي الدَّرداء(٢) ورواها الطبراني في معجمه أنَّها جرت لأبي بن كعب(٣).

وفي «الصَّحيحين» عَن أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَن قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِن آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٤).

الصَّحيح: أنَّ معناها كفتاه من شر ما يؤذيه.

وقيل: كفتاه من قيام اللَّيل وليس بشيء.

وقال علي بن أبي طالب: ما كنت أرى أحدًا يعقل وينام قبل: أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة»(٥) (٦).

الشرح:

هذه الأحاديث الأربعة كلُّها تتعلق بالآداب الشرعية عند النوم واليقظة؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ بعثه الله بالآداب الشرعية، في نومه وفي يقظته، وفي صومه وفطره، وفي سفره وإقامته، وفي جميع أحواله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الله جَلَّ وَعَلَا علمه الآداب الشَّرعيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: ٤] وهو أرشد إليها الأمَّة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٨) وبالنَّص المذكور هنا، ذكره البخاري، معلقًا، برقم (٣٢٧٥).

(٢) ما أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٣ برقم ٢٣٥٩٢) وأن القصة جرت لأبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ما أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥١ برقم ٨٩) وأن القصة جرت لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٥٠٠٩) ومسلم، برقم (٨٠٧).

(٥) أخرجه الدارمي، برقم (٥٠٠٩) وصححه النووي في «**الأذكار**» (١/ ١٣٦ برقم٢٤٦).

(٦) قرئ بتاريخ: (٢٤/ ٥/ ١٤١٣هـ) و(١٣/ ١٠/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٠٢ - ٢٠٥).

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

كان النَّبيُّ ﷺ إذا أوى إلى فراشه، قال: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا» يعني: باسم الله موت الإنسان وحياته، بيد الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولهذا يقول: اللَّهُمَّ باسمك نموت ونحيا، والنَّوم: نوع من الموت، واليقظة حياة؛ لأنَّ الحياة حياتان: حياة اليقظة من النوم، وحياة الآخرة، والموت كذلك، الموت: الَّذي ينقل من هذه الدار، الَّذي كتبه الله على بني آدم، والموت الثَّاني: موت النَّوم، فاللَّه جَلَّ وَعَلَا بيده هذا وهذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] يتوفاكم باللَّيل، أي: بالنَّوم.

فالسُّنَّة للمؤمن عندما يأوي إلى فراشه أن يقول: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ» مثل ما كان النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول، وإذا استيقظ يقول: «الحَمْدُ لِله الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» كان النَّبيُّ ﷺ يقول: هذا الذِّكر إذا استيقظ.

وكان عند النَّوم أيضًا يبدأ فيضطجع على جنبه الأيمن، هذه السُّنَّة، الاضطجاع على جنبه الأيمن، أو مستلقي، ولا ينام على بطنه، ويقول: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ» هذا مستحب عندما يأوي إلى فراشه أن يكون على جنبه الأيمن ويقول الدُّعاء.

وكان ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه، ويقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ والمعوذتين ثلاث مرَّات، وينفث فيهما، ثُمَّ يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وصدره، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرَّاتٍ، كما كان النَّبيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يفعل ذلك.

وأرشد الأمَّة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنَّ من قرأ آية الكرسي لا يزال معه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتَّى يصبح، إذا قرأها عند النُّوم، وكان

أصل ذلك، القصة الَّتي جرت لأبي هريرة رضي الله عنه مع الجني الشَّيطان، وقد تقدَّم ذكرها[١] حينما كان يحرس ما تجمع من صدقة الفطر، فجاءه الشَّيطان في صورة إنسان ليأخذ من تمر الصَّدقة، يعني: يسرق منها، فأمسكه أبو هريرة، فقال: دعني أنا فقير، وعندي عيال، أريد أخذ بعض الشيء، فرحمه أبو هريرة وتركه يأخذ، وقال: لا أعود، فلما أصبح أبو هريرة وأتى النَّبي ﷺ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» يعني: الرَّجل الَّذي جاءك البارحة، قال: يا رسول الله، زعم أَنَّهُ فقير، وأنَّه ذو حاجة وعيال، فرحمته، قال: «**كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**».

قال أبو هريرة: فعلمت أَنَّهُ سيعود، فرصدته، فلما جاء اللَّيلة الثَّانية يحثو، أمسكته، فقال مثل قوله الأول، فرحمته وتركته يأخذ بعض التمر، فلما أصبحت أتيت النَّبِيَّ ﷺ، فقال: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَة؟**» قال: زعم أَنَّهُ فقير، وأنَّه ذو عيال، فرحمته، قال: «**قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**».

قال: فرصده فجاء يحثو، فأمسكته، وقلت: هذه اللَّيلة الثَّالثة وأنت تقول: دعني، ولا أعود، وتعود؛ لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهنَّ، إذا قلتهن عند النّوم، قال: ماهنَّ؟ قال: تقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ إلى آخرها إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] قال: فإنَّه لا يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتَّى تصبح، وهذه أعظم آية في القرآن، كما أنَّ الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وأفضل سورة.

وفي قصة هذا السارق، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**» يعني: صدقك في قوله: أنَّ من قرأ آية الكرسي لا يزال معه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان، وهو كذوب في شؤونه كلّها، وهذا يفيد أن الشَّيطان قد يصدق لمصلحته، قد يحدث بحديث صدق لمصلحته.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٨) وسبق ذكر القصة في (ص٢٧٠) وهنا أيضًا.

وفيه فضل هذه الآية، وأنَّه يستحب قراءتها عند النَّوم، وأنَّها من أسباب الحفظ والسَّلامة إذا قالها عند النَّوم حتَّى يصبح.

وهكذا الآيتان من آخر سورة البقرة، من قالها في ليلة كفتاه، يعني: يحفظه الله بهما من كلِّ سوء، وهما: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥-٢٨٦] إلى آخر السورة، يستحب قراءتهما في كلِّ ليلة، لما في قراءتهما من الفائدة الَّتي بيَّنها النَّبِيّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمن قرأهما في ليلة كفتاه، من الشر، وهذا فضل عظيم مع عمل يسير، الإنسان يأتي بهذا مخلصًا لله، مصدقًا نبيِّه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يرجو من الله أن يحقق له ما أخبر به النَّبِيّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❍ **مسألة: في الرُّقية والنفث:**

إذا مرض الأب أو الأم فللابن أن يقرأ وينفث عليهما، هذا شيء طيِّب، أو الأبوان أن يقرآ وينفثا على ولدهما، شيء طيِّب أيضًا ليس فيه شيء.

□ **فائدة: في تصرف الحارس:**

الحارس المستأمن على أموال المسلمين له حقّ بعض التصرف؛ كأن يعطي بعض الشيء اليسير، ما داموا فقراء له أن يفعل مثلما ما فعل أبو هريرة مجتهدًا، ما دام الشيء للفقراء، وهو يسير، النَّبِيُّ ﷺ ما أنكر على أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❍ **مسألة: في التعامل مع الجن:**

وسئل: عن الانتفاع بالجن.

فقال: لا، أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان لا يدري عنه أنَّهُ شيطان من الجان، وما علم حقيقته إلَّا بإخبار النَّبِيّ ﷺ له، فلا يقاس عليه غيره.

❍ **مسألة: في قراءة سورة الكافرون**

وسئل: هل يشرع عند النّوم قراءة سورة الكافرون؟

فقال: لا أعلم شيئًا صحيحًا في ذلك، الثابت عند النّوم قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، كما كان النَّبِيّ ﷺ يفعل ذلك.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «الصَّحيحين» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَن فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، وَإِذَا اضْطَجَعَ، فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِن أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»(١).

وفي «الصَّحيحين» عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ عَن نَوْمِهِ، فَلْيَقُل: «**الحَمْدُ لله الَّذي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**»(٢).

وقد تقدَّم حديث عليٍّ ووصية النَّبيِّ ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالى عنهما أَنْ يُسَبِحا إِذَا أَخَذا مَضَاجِعهُمَا لِلنَوْم ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَقَال: «**هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه: بلغنا أنَّهُ من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره(٤).

وفي «سنن أبي داود» عَن حَفْصَةَ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**» ثَلَاثَ مَرَاتٍ(٥) قال الترمذي: حديث حسن.

وفي «صحيح مسلم» عَن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**الحَمْدُ لله الَّذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّن لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٣٢٠) ومسلم دون قوله: «**ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**» برقم (٢٧١٤).

(٢) هو تكملة عند الترمذي للحديث السابق تخريجه من الصَّحيحين، برقم (٣٤٠١).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٥٢).

(٤) هذا البلاغ ورد ذكره في «**الكلم الطيب**» (٧٨ برقم ٣٥).

(٥) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٤٥) والترمذي عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٣٣٩٨).

(٦) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٥).

وفي «صحيحه» أيضًا عَن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَن يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إن أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِن أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ» قَالَ ابن عُمَرَ سَمِعْتُهُنَّ مِن رَسُولِ الله ﷺ**»[1][2].

الشرح:

هذه الأحاديث كالَّتي قبلها في أذكار النوم واليقظة، المؤمن يتحرى الآداب الشرعية في جميع شؤونه، ومن ذلك التحري عند النوم، تقدَّم أنَّهُ يضطجع على جنبه الأيمن، وهذا هو الأفضل، ويكون على طهارة، وأن يقول: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِن أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**» ويقول: «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» ويقول: «**الحَمْدُ لله الَّذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**».

كثيرٌ من النَّاس ليس له كافٍ ولا مؤوٍ له، لكن المسلم كفاه الله وآواه، ويقول ذلك كله عند النوم، ويقول أيضًا: «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**» كما في حديث حفصة، يقوله: ثلاث مرَّات عند النوم، ويضطجع على شقه الأيمن، ويتوسد يده اليمنى، وفي حديث ابن عمر: «**اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَحْيَاهَا وَمَمَاتُهَا، إن أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِن أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ**» كلُّ هذا من الآداب الشرعية.

وهذه الأرواح كلُّها بيد الله جَلَّ وَعَلَا، بيده قبضها وإرسالها ومحياها ومماتها، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢] هذا معنى الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا،**

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٢).

(٢) قرئ بتاريخ: (١/٦/١٤١٣هـ) و(١٤/١٠/١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٠٥ - ٢٠٧).

لَكَ مَحْيَاهَا وَمَمَاتُهَا، فَإِن قَبَضْتَهَا فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِن أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ».

وهكذا يلاحظ فراشه إذا قام عنه، ثُمَّ عاد إليه ينفضه بطرف ثوبه، أو بغيره من الأشياء؛ لأنَّه لا يدري ما خلفه، يفعل ذلك ثلاث مرَّات هذا من باب الحيطة الشرعية، كذلك إذا استيقظ، يقول: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ» هذا من الأذكار الشَّرعية.

ويستحب له أيضًا: أن يقول ما أوصى به النَّبِيّ عليًّا وفاطمة، عند النوم أن يقولا سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر أربعًا وثلاثين، الجميع مِئَة، قالت فاطمة: فاستعملت هذا فلم أجد تعبًا بعد ذلك، ولم ينسهن علي رضي الله عنه حتَّى يوم صفين رضي الله عنه وأرضاه.

فالتَّسبيح والتحميد، والتكبير، والتهليل من أسباب القوة والنشاط في الأعمال، فالعامل في بنائه والمزارع في مزرعته وفي غير ذلك، إذا استعمل ذلك كان عونًا له على أعماله، يجد لهذا نشاطًا وقوة في عمله، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رحمه الله:

وفي «الترمذي» عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَالَ: حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَإِن كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِن كَانَت عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِن كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه، قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٩٧) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ»(١).

وفي «الصَّحيحين» عن البراء بن عازب ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِن مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»(٢)(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بأذكار النوم، وتقدَّم من ذلك جملة، يستحب أن يقولها العبد عندما يضطجع منها: أنَّهُ يستحب عند منامه أن يقول: «أَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» وإن كان في سنده بعض الضعف؛ لكنه استغفار معروف، فيه التَّوسل بالتَّوحيد، وهو من أنفع الاستغفار، ومن أنفع الدُّعاء، وفيه وعد بالمغفرة، وهو من أسبابها.

والحديث الضعيف: إذا ورد في الأذكار، كأذكار الصباح والمساء، لا ينكر على الإنسان الَّذي يداوم عليه، إن كان ضعيفًا، وليس بموضوع، العلماء يتساهلون في الترغيب والترهيب، فلا بأس أن يستعمله، حتَّى لو ما ورد إذا استعمل دعوات أو أذكار طيِّبة، وليس فيها محظور شرعي،

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٣١٣) ومسلم (٢٧١٠).

(٣) وقرئ بتاريخ: (٢/٦/١٤١٣هـ) و(٢٠/١٠/١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٠٧ - ٢٠٩).

فللذَّاكر أن يذكر الله ويسبحه ويهلله صباحًا ومساءً، وفي اللَّيل، وفي النَّهار، وفي كلِّ وقت وحين.

وجميع الأحاديث الَّتي فيها ذكر المغفرة مقيَّدة باجتناب الكبائر، وأنَّ الواجب على المؤمن أن يحذر كبائر الذُّنوب؛ لأنَّ الكبائر والإصرار على الذُّنوب من أسباب حرمان المغفرة، ومن أسباب ردِّ الدُّعاء؛ ولهذا يقول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**» وفي اللَّفظ الآخرِ: «**إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»(١).

والله سبحانه يقول في كتابه العظيم: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النِّساء: ٣١] فتكفير السَّيِّئات بهذه الأذكار وبالصَّلوات، وبالجمعة وبالصوم وغير ذلك مقيد باجتناب الكبائر.

فأمَّا إذا لم يجتنبها فهو تحت مشيئة الله، أمره معلق تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه على قدر المعاصي الَّتي يموت عليها ولم يتب منها، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ ثُمَّ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨] والشِّرك: من المعاصي، يعني: لمن لم يتب، أمَّا من تاب فاللَّه يعفو عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيستحب للمؤمن: أن يكون دائمًا متحريًّا الأذكار الشَّرعية عند نومه وفي يقظته، يجتهد في الإتيان بالأذكار الشرعية؛ لأنَّها من أسباب المغفرة، مع التوبة، والحذر من المعاصي، والإقلاع منها، والندم على ما مضى منها يلزم التوبة يجب عليه لزوم التوبة، والله يقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النُّور: ٣١] ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التَّحريم: ٨].

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «**التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا**»(٢) أي: تزيل ما قبلها وتقضي

(١) سبق تخريجه في (ص٤٩).

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» برقم (١٢١) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عليه من الذُّنوب، ويقول ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[(١)] فالمؤمن يجتهد في التوبة إلى الله، والحذر من الذُّنوب والمعاصي، ويحاسب نفسه، فكلما زلت قدمه بادر بالتوبة، كلما فعل خطيئة بادر بالتوبة والإصلاح.

ومن الدُّعاء المشروع عند النوم، أنَّهُ إذا أوى إلى فراشه، يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، ـ القرآن ـ أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ: فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ: فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ: فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، ـ هو العلي فوق خلقه ـ وَأَنْتَ البَاطِنُ: فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، يعني: يعلم كل شيء ليس دونه شيء ﷻ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ».

هذا دعاء عظيم يقال عند النوم، ولو دعا به في أي وقت، فهو دعاء عظيم، في الصباح وفي المساء، وفي جميع الأوقات، هو دعاء عظيم؛ ولكن يستحب أن يأتي به عند النوم، فينبغي للمؤمن أن يتحرى هذا الدُّعاء العظيم.

ومعنى الظاهر: أي: العالي فوق جميع خلقه، له العلو المطلق سبحانه، فوق العرش، وفوق جميع خلقه ﷻ، وهو الباطن: الَّذي لا يخفى عليه شيء، بل يعلم كل شيء، ولا تخفى عليه خافية ﷻ.

قوله: «اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ» يشرع للإنسان أن يسأل الله قضاء الدَّين والغنى، أن يغنيه عن الحاجة إلى النَّاس، ويغنيه بالحلال عن الحرام هذا هو معناه والمقصود يستغني عمَّا في أيدي النَّاس، هذا المقصود يسأل الله الغنى، وليس الكفاف فقط، الغنى الَّذي لا يطغيه، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذا الدُّعاء العظيم، الَّذي هو من أنفع الدُّعاء، فيدعو به.

(١) أخرجه ابن ماجه، برقم (٤٢٥٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وهكذا ما جاء في حديث البراء من شرعية الوضوء استحبابًا عند النوم، وأن ينام على جنبه الأيمن أول ما يضطجع، والأفضل إن تيسر أن يستقبل القبلة، ويقول: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

وخص النَّبِيّ بالرِّسالة: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد يكون رسولًا، وقد لا يكون رسولًا، فالتوسل بالأنبياء المرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام هو الأفضل، النَّبِيّ المرسل أفضل من النَّبِيِّ غير المرسل، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، هذا هو المقصود.

○ مسائل: **مهمة تتعلق بالأذكار:**

أذكار النّوم كآية الكرسي، وآخر الآيتين من سورة البقرة، والأحاديث الصَّحيحة في أدعية النّوم كلّها جائزة، فلا يتكلف الإنسان الترتيب بينها، فلو قدم وأخر الأمر فيه واسع والحمد لله، لكن فقط يُفضل أن يكون يختمها بـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ...» هذا هو الأفضل، ويستحب: أن يكون هذا آخر شيء يختم به أذكاره ودعواته، عند النوم.

كذلك يُفضَّل التقيد بكل ذكر في وقته، فأذكار الصباح بالصبح، والمساء بالمساء؛ لكن لو قال أذكار الصباح في المساء، أو أذكار المساء في الصباح جائز، إذا قرأ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] الأذكار الواردة في النوم، لو قرأها في الصباح أو المساء، أو في أي وقت لا بأس في ذلك والحمد لله.

وكذلك الأحاديث الواردة في الصباح فقط، لو قالها في المساء طيِّب؛ وإن كان الغالب في أذكار الصباح كلُّها تقال في المساء، كـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧﴾ [الرُّوم: ١٧] ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [قٓ: ٣٩] يأتي بالأذكار الَّتي يستطيعها، حتَّى لو ما وردت، يكثر من ذكر الله في الصباح والمساء.

الفصل الثَّالث
في أذكار الانتباه من النُّوم

«روى البخاري في «صحيحه» عن عُبَادَة بن الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَن تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ له، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[(١)].

وفي «الترمذي» عَن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَن أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا وَذَكَرَ الله تَعَالَى حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ الله تَعَالَى فِيهَا خَيْرًا مِن خَيْرِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ» حديث حسن[(٢)].

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ»[(٣)]»[(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بأذكار الاستيقاظ من النوم، يستحب

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١١٥٤). (٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٦١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٢٤ برقم ١٩٨١).

(٤) قرئ بتاريخ: (٨/ ٦/ ١٤١٣هـ) و(٢١/ ١٠/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٠٩ - ٢١١).

للمؤمن الإتيان بالأذكار الشرعية، في سائر أحواله، المؤمن يتحرى الآداب الشرعية في مجالسه وعند قيامه وقعوده، وعند نومه وعند يقظته، وفي غير ذلك؛ لأنَّها كلها خير له في الدُّنيا والآخرة، وهو مأمور بالتأسي بنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومشروع له أن يتحرى كل عمل صالح، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١] ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ومن ذلك أنَّهُ يستحب للعبدِ إذا تعار من النوم، أي: استيقظ من نومه، سواء كان قائمًا أو ليس هو بقائم من النوم، إذا استيقظ، أن يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه» وهو ذكر عظيم، وهي الباقيات الصَّالحات، وهي أحب الكلام إلى الله، كما قال النَّبِيُّ ﷺ.

فإذا أتى بهذا الذِّكر: ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِن تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» هذا خير عظيم، ووعد عظيم ينبغي للمؤمن أن يتحراه، كلما استيقظ من نومه، يقولها إذا قام من نوم اللَّيل، ولو لم يكن نائمًا، يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه».

وهكذا الحديث الثاني: «مَن أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا وَذَكَرَ الله تَعَالَى» كان هذا من أسباب إجابة الدُّعاء في أي ساعة استيقظ ودعا، المقصود أن ينام الإنسان على ذكر، وإذا استيقظ أن يأتي بالأذكار الشرعية، فهو على خير عظيم، يرجى له إجابة الدُّعاء.

كذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إذا استيقظ قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحدك لَا شَرِيك لك، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وأتوب إليك، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا» يأتي بهذا الذِّكر الَّذي ذكرته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

هذا كلّه مما يستحب للمؤمن عند يقظته أن يتحراه، فإنه سبحانه قال:

﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غَافِر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

فيتحرى الأذكار الشرعية والدَّعوات النَّبويَّة، يتحرى ما تيسر من الأذكار الواردة عند نومه وعند يقظته، وهذه من الآداب الشرعية، ومن أسباب إجابة الدُّعاء، ومن أسباب المغفرة، وفَّق الله الجميع.

❍ **مسألة: في قول الأذكار بالمعنى:**

للعامي أن يأتي بالأذكار والأدعية بالمعنى، إذا حصل المقصود، وهو ذكر الله والإكثار منه، ومن الدُّعاء لا بأس به، كأن يقول: لا إله الله وحده لا شريك له، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، هذه كافية إذا نسي الأذكار الأخرى، أفضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، مثلما قال ﷺ أحبُّ الكلام إلى الله أربع كلمات.

على الذَّاكر أن يعتمد على الصَّحيح من الأذكار، وأن يكرر الصَّحيحة خير له، من الضعيفة، ومن تعار في النوم يقول: مثلما قال النَّبيُّ ﷺ: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّه أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه»** هذا أفضل، لفظ النَّبِيّ أولى.

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع
في أذكار الفزع في النوم والقلق

روى «الترمذي» عَن بُرَيْدَةَ، قَالَ: شَكَا خَالِدُ بن الوَلِيدِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الأَرَقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَن يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ أَن يَبْغِيَ عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(١).

وفي «سنن أبي داود والترمذي» عَن عَبْد الله بن عَمْرو أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الفَزَعِ كَلِمَاتٍ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِن غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَن يَحْضُرُونِ**»(٢). وَكَانَ عَبْدُ الله بن عَمْرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَن عَقَلَ مِن بَنِيهِ، وَمَن لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْه»(٣)»(٤).

الشرح:

هذه الأذكار يقولهما الإنسان عند الفزع والقلق في أثناء النوم أو عند عدم النوم، وهما حديثان في أسانيدهما ضعف، لكن معناهما صحيح، فإذا حصل للنائم القلق، والأرق، وعدم الرَّاحة في النوم يذكر الله،

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٢٣).
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٩٣) والترمذي، برقم (٣٥٢٨) قال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٣ برقم٢٠١٠).
(٣) ورد فعل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في تكملة الحديث السابق.
(٤) قرئ بتاريخ: (٢٧/ ١٠/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢١١، ٢١٢).

ويسمي الله جَلَّوَعَلَا، ويأتي بالأحاديث الصَّحيحة: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَق**»[(١)] و«**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِن كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِن كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[(٢)].

وهذا النوع أيضًا من طريق خالد بن الوليد: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَن يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ أَن يَبْغِيَ عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» هذا كله كلام صحيح طيِّب[(٣)].

لكن أصح منه ما ثبت في الحديث الصَّحيح: «**مَن نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ**»[(٤)].

وَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا لَقِيتُ مِن عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ، قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ: حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ**»[(٥)].

وهكذا ما جاء في الحديث الثاني: وهو عَن عَبْد الله بن عَمْرٍو «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن غَضَبِهِ وَعِقَابِه، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَن يَحْضُرُونِ**» تعوذ طيِّب، وكلام صحيح، وإن كان في سنده ضعف[(٦)] لكن معناه صحيح.

كذلك أصح منها: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).
(٢) سبق تخريجه في (ص٢٧٨).
(٣) فيه الحكم بن ظهير، وقد ترك حديثه بعض أهل العلم، وجاء من وجه آخر صحيح مرسلًا عن خالد.
(٤) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).
(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٦) في سنده محمَّد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق ابن قايد (ص٢٥٧ح ٢).

وَلَا فَاجِرٌ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِن شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِن شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِن شَرِّ جميع خلق جميعًا، وَمِن شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»[(١)] كلّ هذا دعاء طيِّب.

فهذه التعوذات كُلّها طيِّبة وشرعية، وأصحها «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ» وكآية الكرسي عند النوم، وبعد كلّ صلاة، كل هذا من أسباب العافية من كلِّ سوء، وإجارة من كلِّ بلاء لمن فعلها صادقًا مخلصًا، واثقًا من ربّه مطمئنًا إليه حسن الظن به، ﷻ.

أمَّا فعل عبد الله بن عمرو: كتابة الآيات وتعليقها على الأطفال وغيرهم، فلا ينبغي يعتبر من التمائم؛ ولأنَّ الحديث ضعيف ليس بثابت، ولو ثبت لكان المعنى مثلما قال بعض أهل العلم: أنَّهُ يكتب لهم في الألواح حتَّى يحفظوها، وليس معناه أنَّها تميمة، أمَّا التعليق فلا يجوز؛ لأنَّه يجر إلى المحرم، وهو تعليق الشركيات.

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).

الفصل الخامس
في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في «الصَّحيحين» عن أبي قتادة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرُّؤْيَا مِنَ الله، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الشَيْءَ يَكْرَهُه، فَلْيَنْفُثْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاث مَرَّاتٍ، إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَلِيَتَعَوَّذْ بِالله مِن شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ إِنْ شَاءَ الله**»[(١)].

قال أبو قتادة: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الله، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَن يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ، وَلْيَتْفلْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلِيَتَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَى، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ**»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَن جَنْبِهِ الَّذي كَانَ عَلَيْهِ**»[(٣)].

ويُذكر عن النَّبِيِّ ﷺ: أنَّ رجلًا قص عليه رؤيا، فقال: «**خَيْرًا رَأَيْتَ، وَخَيْرًا يَكُونُ**»[(٤)].

وفي رواية:[(٥)] «**خَيْرًا تَلْقَاهُ وَشَرًّا تَوَقَّاهُ، خَيْرًا لَنَا وَشَرًّا عَلَى أَعْدَائِنَا،**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٤٧) ومسلم، برقم (٢٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٦٢).

(٤) أخرجه، ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ٣٦٢ برقم (٧٧٣) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) هذه الرواية جزء من حديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٠٢ برقم ٢٢٦١) والبيهقي في «**الدلائل**» (٧/ ٣٦ - ٣٨) عن عبد الله بن زمل مرفوعًا. ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: ابن قايد (ص ٢٥٩ ح١) وأن المصنف في قوله: وفي رواية تبع شيخه، وشيخه تبع النووي في ذلك.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالرؤيا الطَّيِّبة والمكروهة، بين النَّبِيّ ﷺ أنَّ المؤمن إذا رأى رؤيا تُعجبه، فليحمد الله وليحدث بها من يحب؛ لأنَّها من فضل الله، ومن البشارات للمؤمن، وفي الأحاديث الصَّحيحة: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»**[(٣)] فهي بُشرى المؤمن في هذه الدُّنيا، فإذا رأى ما يحب كأن رأى أنَّهُ دخل الجنَّة، أو رأى أنَّهُ مع أناس أخيار طيِّبين، أو رأى أنَّهُ يقرأ القرآن، أو أنَّهُ يصلِّي، أو رأى أنَّهُ يطلب العلم، أو رأى أنَّهُ يعود مريضًا، أو ما أشبه ذلك من الأشياء الطَّيِّبة، فليحمد الله وليحدث بها من يحب، فإنَّها من الله رؤيا صالحة، ولا حرج في التحديث بها.

أمَّا إذا رأى ما يكره؛ كأن يرى أنَّهُ مسجون أو مربوط، أو يراد قتله، أو ضائع أو ما أشبه ذلك، فهذه من الشَّيطان، فلينفث، أي: يتفل بالريق الخفيفة عن يساره ثلاث مرَّات، ويقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان، ومن شر ما رأيت ثلاث مرَّات، فإنَّها لا تضره.

ثُمَّ ينقلب على جنبه الآخر، فإنَّها لا تضره، ولا يُخبر بها أحدًا، هكذا السُّنَّة، الشَّيطان قد يأتي إلى الإنسان يؤذيه بالمرائي المكروهة، فإذا رأى ما يكره واستيقظ، يفعل هذا الَّذي قاله النَّبِيُّ ﷺ.

---

(١) **قال القارئ**: رواه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص ٣٦١ برقم ٧٧٢) من حديث ابن الزمل: واسمه عبد الله، وعزاه الحافظ ابن حجر: في «**الفتح**» إلى الطبراني والبيهقي، وقال: سنده ضعيف جدًا. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢١٤ ح ٢) و«**فتح الباري**» (١٢/ ٤٣٢) وقد ضعفه سماحته كما سيأتي في شرحه له.

(٢) قرئ بتاريخ: (٩/ ٦/ ١٤١٣هـ) و(٢٨/ ١٠/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢١٣، ٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٩٨٧) ومسلم، برقم (٢٢٦٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما أخرجاه البخاري، برقم (٦٩٨٨) ومسلم برقم (٢٢٦٣). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويروى عنه ﷺ بإسناد ضعيف[١] أن رجلًا قص عليه رؤيا، فقال له: خيرًا نلقاه وشرًا نوقَّاه، خيرٌ لنا وشر على أعدائنا، لكن الحديث ضعيف، والعمدة على ما تقدَّم، من الأحاديث الصَّحيحة، وأنت أعلم برؤياك، فإن رأيت أن نفسك تكرهها، وقد اقشعرت منها وكرهتها، فتعوذ باللَّه من شرها، ومن الشَّيطان ثلاث مرات مع النفث، وانقلب على الجنب الآخر.

وأمَّا إن كانت رؤيا تسرك فاحمد ربك عليها، وأخبر بها من تحب وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **في حكم الأذكار**:

الأمر بالأذكار من السُّنيَّات، يقولون: يسن عند النوم كذا، ويسن كذا، وكذا، فهي سنَّة، وإن كان القول بالوجوب له وجه؛ لأنَّ الأصل في الأمر هو الوجوب؛ لكن المعروف عند العلماء أنَّ الأذكار من المسنونات.

○ مسألة: **في تعبير الرؤيا**:

تعبير الرؤيا له علم خاص، إن كان له معرفة علم ذلك من الأدلَّة الشَّرعيَّة الدَّالة على تفسير الرؤيا، مثلما أعطى الله نبي الله يوسف عليه السلام بصيرة بها، إذا كان عنده علم بها من القرآن والسُّنَّة والتجارب لا بأس أن يعبر الرؤيا.

قوله: «**الرُّؤْيَا عَلَى جنَاحِ طَائِرٍ**»[٢] هذا حديث ضعيف، في الَّذي يعبر تعبيرًا غير شرعيٍّ غير صحيح لا ينفعه ذلك التعبير هذا ليس بصحيح.

---

(١) أخرجه ابن السني كما تقدَّم في المتن عن أبي موسى، وعبد الله بن زمل، والحديث ضعيف، ففي حديث أبي موسى، محمد بن عبيد العزرمي ضعيف حتَّى قال الحاكم أبو أحمد: أنهم أجمعوا على تركه، ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق ابن قايد (ص٢٥٨ح ٢) وحديث ابن زمل رضي الله عنه هو الآخر: ضعيف جدًّا مسلسل بالعلل، ينظر: المصدر السابق (ص٢٥٩ح١).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٢٠) وابن ماجه، برقم (٣٩١٤) عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه بلفظ: «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ**». **قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ**: «**وَلَا يَقُصُّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ**».

○ **مسألة: في رؤية الله تعالى:**

رؤية الله ﷻ في المنام قد تقع؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد رأى ربَّه في النوم[(١)] أمَّا في اليقظة فلا يراه أحد لا النَّبِيّ ولا غيره في الدُّنيا، يراه المؤمنون في الآخرة، وفي الموقف وفي الجنَّة وهو أفضل نعيمهم، أمَّا في الدُّنيا فلا يراه أحد، ولما طلب نبي الله موسى عليه السلام الرؤية قص الله علينا قصته وما أصابه: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فرؤيا الله مثل الَّذي يسمع صوتًا، أو يرى نورًا؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى: لا مثل له.

أمَّا ما ينسب للإمام أحمد رحمه الله، من رؤية الله ﷻ ووقوعها له ما أدري عنه[(٢)] لكن قد تقع، كما وقعت للنَّبِيِّ ﷺ[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الإمام أحمد، (١/ ٢٨٥ برقم٢٥٨٠). عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**رَأَيْتُ رَبِّي** تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

(٢) ينظر: «**مناقب الإمام أحمد**» لابن الجوزي (١/ ٥٨٣) الباب (٩١) في ذكر المنامات الَّتي رآها الإمام أحمد رحمه الله.

(٣) ينظر: (ص٢٦٢) من هذا الكتاب الفائدة الثالثة والسبعون، وفي ص (ص٥٠١) الفصل الثامن والخمسون .

الفصل السادس
في أذكار الخروج من المنزل

في «السنن» عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: يعني: إِذَا خَرَجَ مِن بَيْتِهِ بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ، فَيَقُولُ لِشَيْطَان آخَر: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**»[١].

وفي «مسند الإمام أحمد»: «**بِسْمِ الله آمَنْتُ بِاللَّه، وَاعْتَصَمْتُ بِاللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا الله**» حديث حسن[٢].

وفي «السنن الأربع» عَن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: مَا خَرَجَ رَسُول اللهِ ﷺ مِن بَيْتِي إِلَّا رَفَعَ طَرفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٣].

الفصل السابع
في أذكار دخول المنزل

في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله تَعالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله تعالى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٥) والترمذي ﷲ/ (٣٤٢٦) وقال: حسن صحيح.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٥ برقم ٤٧١) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٤) والترمذي (٣٤٢٧) والنسائي (٥٤٨٦) وابن ماجه، برقم (٣٨٣٤).
(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٠١٨).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتِهِ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لْيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ»[١].

وفي «الترمذي» عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ يَكُن بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢]»[٣].

الشرح:

الحديثان الأولان: يدلان على شرعية هذا الذِّكر عند الخروج من المنزل: «بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» يستحب هذا الذِّكر عند الخروج من المنزل للصَّلاة أو غيرها، هذا أحسن مما ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الباب.

وروي: «بِسْمِ اللهِ آمَنْتُ بِاللَّه، وَاعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه» ولكن اللَّفظ الأول أثبت «بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» هذا من السنن عند الخروج لأي حاجة.

وإن كان الخروج للمسجد زاد: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نورًا، وَفِي سَمْعِي نورًا، وَفِي بَصَرِي نورًا، وَفِي لِسَانِي نورًا، وَفِي شَعَرِي نورًا، وَفِي بَشَرِي نورًا، وَفِي عَظْمِي نورًا، وَفِي لَحْمِي نورًا، وَفِي عَصَبِي نورًا، وَفِي**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٩٨).

(٣) قرئ بتاريخ: (١٥/٦/١٤١٣هـ) و(١/١١/١٤١٥هـ) .ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢١٤ - ٢١٧).

دَمِي نورًا، وَأَمَامِي نوراً، وَخَلْفِي نورًا، وَعَن يَمِينِي نورًا، وَعَن شِمَالِي نورًا، وَفَوْقِي نورًا، وَتَحْتِي نورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نورًا، وزدني نورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»[١].

وإذا دخل المنزل، يقول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَوْلِجِ، وَخَيْرَ المَخْرَجِ، بِسْمِ الله وَلَجْنَا، وَبِسْمِ الله خَرَجْنَا، وَعَلَى الله رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا»** ويذكر الله ويسمي عند دخوله، وعند طعامه، حتَّى يسلم من أذى الشَّياطين، بسم الله عند الدُّخول، بسم الله عند الأكل، بسم الله عند الشرب هكذا السُّنَّة.

ولما كان مع النَّبِيّ ﷺ غلام، وهو: عمر بن أبي سلمة، وكانت يَدَهُ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ: **«يَا غُلَامُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**[٢] يعني: يُعلم الصبي، وتُعلم الجارية، ويُعلم الجاهل ما ينبغي له أن يقوله عند الأكل والشُّرب، ودخول المنزل، والخروج منه حتَّى يتعلم الجميع؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا شرع لعباده أذكارًا في مناسبات كثيرة.

فعند دخول المنزل بسم الله، وعند أكله بسم الله، وعند إتيانه أهله بسم الله، ويقول عند الدخول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَوْلِجِ، وَخَيْرَ المَخْرَجِ، بِسْمِ الله وَلَجنَا، وَبِسْمِ الله خَرَجْنَا، وَعَلَى الله رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا»** ويسلم على أهله.

كما قال النَّبِيُّ ﷺ لأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«سَلِّمْ عَلَى أَهْلِكَ، فَإِنَّه بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»** يسلم عليهم إذا دخل، ويسألهم كيف حالكم، يكون طيِّب الكلام، طيِّب التحية مع أهله متواضعًا.

يقول ﷺ في حديث جابر: **«فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ»** المراد بالذِّكر بِسْم الله عند دخوله، وبسم الله إذا أكل، وإذا قال: لا إله إلَّا الله ذكر اللهَ حصل المقصود، وإن كان الغالب في كلام النَّبِيّ إذا قال: يسم الله،

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٣٧٦) ومسلم، برقم (٢٠٢٢) عن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن يقول: بسم الله.

ويقول عند الجماع: «**بِسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**»(١).

وعند الخروج من المنزل يرفع بصره مثلما قالت أم سلمة رضي الله عنها، ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»(٢) ولعل الحكمة فيه لتعظيم المسؤول وهو الله، وأنَّه فوق العرش، فوق جميع الخلق، كأنَّه يقول: اللَّهم وهو يستحضر عظمة ربّه سبحانه وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢١٩) وسيأتي ذكره في الفصل الرابع والأربعون في النكاح (ص٤٦٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٣١).

الفصل الثامن
في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في «**صحيح مسلم**» عَن أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ ع أَبِي أُسَيْدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم إِلَى المَسْجِدِ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ**»[(١)].

وفي «**سنن أبي داود**» عَن عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّه العَظِيم، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَسُلْطَانِهِ القَدِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْمِ»[(٢)] [(٣)].

الفصل التاسع
في أذكار الأذان

في «**الصَّحيحين**» عَن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا: مِثْلَ ما يَقُولُ: المُؤَذِّنُ**»[(٤)].

وفي «صحيح مسلم» عَن عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُم المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ: ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَن أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٧١٣) وأبو داود، برقم (٤٦٥) واللَّفظ له.
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٦٦).
(٣) قرئ بتاريخ: (٢٧/ ٦/ ١٤١٣هـ) ولم أجد للفصل على شرح مستقل للقراءة في التاريخ المذكور.
(٤) أخرجه البخاري، برقم (٦١١) ومسلم، برقم (٣٨٣).
(٥) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٤).

وفي «**صحيح مسلم**» عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مِن قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١)(٢).

الشرح:

الحديثان الأولان: يدلان على شرعية الذِّكر عند دخول المسجد، والخروج منه، فمن السنة **عند** الدخول، أن يقدم رجله اليمنى، ويقول: بسم الله، اللهم صلى وسلم على رسول الله «**أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**».

وعند الخروج يقدم رجله اليسرى، ويقول: بسم الله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ**» اللهم أجرني من الشَّيطان اللهم اعصمني من الشَّيطان، هذه السُّنَّة عند الدخول والخروج.

ويقول الشَّيطان: إذا سمع ذلك قال لشيطان آخر: إذا سمع هذا الذِّكر: قد حفظ مني سائر اليوم، يعني: هذا التعوذ من أسباب السَّلامة من عدو الله ذلك اليوم، فالمؤمن يتضرع إلى الله، ويدعو بهذه الأذكار بقلب صادق، مخلص لله، مقبل على الله جَلَّ وَعَلَا، طالبًا ما عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإذا سمع الأذان يقول مثل قول المؤذن، سواء بسواء، يقول ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ** إذا كبر يكبر، وإذا تشهد، تشهد

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٥).

(٢) قرئ بتاريخ: (٥/ ١١/ ١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢١٧ - ٢٢٠).

وإذا قال المؤذن: حي على الصَّلاة، يقول السامع: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، وإذا قال: حي على الفلاح، يقول: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، هكذا شرع الله، أن نقول مثلما يقول المؤذن إلَّا في الحيعلة، يقول: لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

ثُمَّ يقول بعدها: الله أكبر الله أكبر مع المؤذن، لا إله إلَّا الله، فإذا قال: هذه الأذكار من قلبه صادقًا مخلصًا دخل الجنة، وهذا فضل كبير ووعد عظيم، ينبغي للمؤمن أن يحافظ على ذلك، وأن يحرص على أسباب الخير، وكذلك يردد مع الإقامة مثلما يقول المقيم للصَّلاة.

وفي الحديث الآخر: يقول عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ: ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَن أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

وروى البخاري في الصَّحيح عن النَّبِيِّ ﷺ، أنَّهُ قال: «**مَن قَالَ: حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ**»(١).

زاد البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ المِيعَادَ**»(٢) فلا بأس بها، إذا قالها؛ لأنَّها موافقة للقرآن أيضًا(٣).

كلُّ هذا مستحب عند الأذان، أن يقول مثل قول المؤذن، ويأتي بهذا

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦١٤) عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي في كلام الحافظ ابن القيم مع زيادة: «**حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**» بعد نهاية هذا الشرح في بداية المتن الآتي في (ص٣٣٩).

(٢) أخرجها البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠ برقم ١٧٩٠) عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عِمران: ٩، والرعد: ٣١] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٤] وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزُّمَر: ٢٠].

الذِّكر، وهذا الدُّعاء، وهو حري بالإجابة، ولكن يصلِّي على النَّبِيِّ ليس مع أذان المؤذن، بل بعد أن ينتهي المؤذن، ويقفل المكبر «**الميكرفون**» والمؤذن يصلي على النَّبِيِّ مثل النَّاس صلاة خفيفة ليست كالأذان، بل صلاة يسمعها من حوله.

وهكذا الإنسان الَّذي يسمع يصلِّي على النَّبِيِّ صلاة ليس فيها جهرًا زائدًا صلاة يسمعها من حوله، ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذي وَعَدْتَهُ**» كما روي عن النَّبِيّ وأرشد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والمراد بـ «**الوَسِيلَةَ**»: منزلة في الجنَّة، أمَّا «**مَقَامًا مَحْمُودًا**»: هي الشَّفاعة الكبرى، شفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الموقف يوم القيامة، هذا هو المقام المحمود.

وفي الإقامة كذلك يقول مثل ما يقول المقيم، كما في الأذان تمامًا.

ويستحب عند الشَّهادتين، عند قوله: «**أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**» أن يقول: «**رَضِيتُ بِاللَّه رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» كما في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] فيأتي بالشَّهادتين مثل المؤذن، ثُمَّ يقول ما ذكر، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: حول سماع الأذان:

من سمع أول الأذان من مسجد، ثُمَّ مرَّ بمسجد آخر، فأدرك جزءًا آخر من الأذان، ثُمَّ مرَّ بمسجد ثالث فسمع آخر الأذان، عليه أن يجيب الجميع كلّ من سمعه يجيبه؛ لأنَّها كلُّها أذان شرعيَّة.

كذلك إذا كان الراديو يؤذن في نفس الوقت، يجاب إذا كان في وقته، فيردد السامع ما يقوله المؤذن، ولو كان تسجيلًا إذا كان في وقت الأذان الظاهر أنَّه يجيبه، ويقول: مثله.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٦) عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

□ فائدة: **في مسألة عقدية:**

سئل سماحته هل يوص الله بالقديم؟

فقال: يوصف سلطان الله بالقدم مثلما وصفه النَّبِيّ ﷺ «**أَعُوذُ بِاللَّه الْعَظِيم، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَسُلْطَانِهِ القَدِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم**»[(١)] لم يزل سلطانه قديمًا ﷻ أبد الآباد، هو قديم لكن لم يرد في الأسماء الحسنى، وإلَّا هو قديم، فهو الأول والآخر؛ ولا ينفى عنه القدم، هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء لم يسبقه شيء، هو لم يزل فاعلًا موجودًا ﷻ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي «**صحيح البخاري**» عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن قَالَ: حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

وفي «**سنن أبي داود**» عَن عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو رضي الله عنه قَالَ يَا رَسُولَ الله: إِنَّ المُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلْ كَمَا يَقُولُونَ: فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ**»[(٣)] [(٤)].

وفي «**الترمذي**» عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**» قَالُوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**سَلُوا الله العَافِيَةَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ**»[(٥)] قال الترمذي: حديث حسن

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٣٥).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦١٤، ٤٧١٩).
(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٢٤).
(٤) قرئ بتاريخ: (٢٢/٦/١٤١٣هـ) توقف القارئ قليلًا، ثُمَّ وصله بما بعده.
(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٩٤) وسيأتي حكم سماحته عليه أثناء شرحه للحديث.

صحيح[(١)].

وفي «**سنن أبي داود**» عَن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعاء عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ البَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[(٢)][(٣)].

الشرح:

هذه الأذكار كلُّها تتعلق بالأذان، وبالدُّعاء بعده، تقدَّم أنَّ السُّنَّة لمن سمع الأذان، أن يجيب المؤذن، والأذان من أفضل القربات والأعمال، كما قال ﷺ: «**المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٤)].

ويقول ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ، وَلَا حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٥)] لأنَّه نداء بتوحيد الله، والإخلاص له، والدَّعوة إلى هذه العبادة العظيمة الَّتي هي أعظم العبادات بعد التَّوحيد.

فقد أمر ﷺ أن نقول: كما يقول المؤذن، ثُمَّ نسأل الله، فقال: قولوا مثلما يقول ثم سلوا الله، وفي لفظ: «**ثُمَّ سَلْ تُعْطَه**».

وفي حديث جابر: «**مَن قَالَ: حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**».

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: نقل المصنف تصحيح الترمذي، ولم أر ذلك في شيء من نسخ الترمذي الَّتي وقفت عليها. ينظر: «نتائج الأفكار» (١/ ٣٦٤) وقال ابن قائد في تحقيقه «**الوابل الصيب**» (ص٢٦٦) نقل المصنف قول الترمذي تبعًا لشيخه، يعني: شيخ الإسلام، وشيخه تبعًا النووي في ذلك.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٢٥٤٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ١٢٤ برقم ٢٥٢٤).

(٣) قرئ بتاريخ: (١١/ ١١/ ١٤١٥هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) سبق تخريجه في الشرح في (ص٢٥٥).

فجدير بالمؤمن: أن يحافظ على هذا الذِّكر العظيم، وهذه العبادة العظيمة، يرجو ما وعد الله به أهله من الخير العظيم، وذلك بأن يدخل في شفاعته ﷺ.

وأنَّ الدُّعاء بين الأذان والإقامة فيه فضل عظيم؛ ولهذا قال: «**الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ**» فهو من أوقات الإجابة، وإن ضعف حديث أنس[1] إلَّا أنَّ له طرقًا أخرى يتقوى بها، منها ما رواه الإمام أحمد في المسند: عنه بلفظ: «**الدَّعْوَةُ لَا تُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ فَادْعُوا**»[2] وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة.

فينبغي أن يتحرى الإنسان ما بين الأذان والإقامة، بالدَّعوات الطَّيِّبة الجامعة، والدُّعاء بعد الأذان يكون بعد صلاة تحية المسجد، وقبل الصَّلاة المشروعة يكون في حال الجلوس.

وفي الحديث الآخر: «**ثِنْتَانِ لَا يُرَدّ الدُّعاء فِيهمَا: أَوْ قَلَّ أَن يُرَدّ الدُّعَاء فِيهمُا عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ التِحَام صُفُوفِ القِتَالِ**» فالمؤمن يتحرى في دعائه الأوقات المناسبة الَّتي يرجى فيها الإجابة، كآخر اللَّيل، بين الأذان والإقامة، بعد صلاة عصر يوم الجمعة، عند جلوس الإمام على المنبر يوم الجمعة، كل هذه الأوقات يتحرى فيها الإجابة.

ثُمَّ المؤمن يحاسب نفسه أيضًا فإنه قد يمنع من الخير، أو من الإجابة أو من دخول الجنَّة بسبب إصراره على المعاصي، فليكن مع دعائه واجتهاده بعيدًا عن المعاصي، يحذر الإصرار عليها، بل يكن عنده توبة جازمة، حتَّى يكون حريًّا بالإجابة، والنجاة والسَّلامة، وفَّق الله الجميع.

---

(١) أمَّا سبب تضعيفه فالزيادة الَّتي في آخره، تفرد بها يحيى بن سليمان، وفي حفظه ضعف، وانفرد الترمذي بإخراجها، وأخرجه بدونها برقم (٢١٢، ٣٥٩٥) وقال أنَّهُ أصح (٣٥٩٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق ابن قائد (ص٢٦٦ ح٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٢٥ برقم ١٣٣٨١) وإسناده حسن. ينظر: المسند (٢٨/ ٢٣٦ برقم ١٣٧٠١) وصحيح ابن خزيمة (١/ ٢٢٢ برقم ٤٢٧) وقال المحقق الأعظمي: إسناده صحيح.

○ مسألة: **في التفاضل بين المؤذن والإمام:**

من العلماء من فضل المؤذن، ومنهم من فضل الإمام وكلاهما له فضل؛ لكن ظاهر النصوص أن المؤذن له فضل خاص؛ لأنَّه ينادي النَّاس ويدعوهم إلى توحيد الله، وطاعة الله وإقامة هذه الصَّلاة، فله فضل خاص من هذه الحيثية لم يثبت للإمام.

والإمام له فضل خاص؛ لأنَّه يعلم النَّاس صلاة النَّبِيّ ﷺ ويعظهم ويذكِّرهم، فالإمام إذا كان له علم وعنده بصيرة، له خير عظيم، إذا ذكَّر النَّاس واجتهد في إيصال الحقّ إليهم، وقد ورد في النصوص أن: «**الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ**»[(١)].

فالإمام يختلف حاله قد يكون صاحب علم وصاحب هُدى، وتعليم فيكون له فضل عظيم، لا يكون ذلك للمؤذن لما عنده من العلم والتوجيه والإرشاد، وقد يكون الإمام ليس عنده علم، فيكون المؤذن أفضل منه، وعلى العموم هذا يختلف بحسب أحوال الأئمة والمؤذنين من جهة علومهم وأعمالهم، فتغليب هذا على هذا وتفضيله فيه صعوبة.

○ مسألة: **في رفع الصَّوت بالأذان:**

رفع الصوت بالأذان هذا هو الأصل، مثلما قال أبو سعيد: «**إِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ**»[(٢)] هذا يشمل حتَّى الأذان بالمكبرات يجهد المؤذن في رفع صوته، بل قد يؤذن بصوت منخفض، ويكون الصَّوت مرتفعًا بواسطة المكبر، فذلك فضل الله وتيسيره سخر له ما يعينه وفضل الله واسع، وإن كان الشخص في البرية يؤذن متى ما أراد الصَّلاة، ويؤذن في السفر والحضر.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٧) والترمذي، برقم (٢٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٥).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي «سنن أبي داود» عَن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَن أَقُولَ عِنْدَ المَغْرِبِ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ، وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ، فَاغْفِرْ لِي»(١).

وفي «سنن أبي داود» عَن بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بِلالًا أَخَذَ فِي الإِقَامَةِ، فَلَمَّا أَنْ قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقَامَهَا الله وَأَدَامَهَا»(٢).

فهذه خمس سنن في الأذان: إجابته، وقول: «رَضِيتُ بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا» وسؤال الله تعالى لرسوله الوسيلة والفضيلة ﷺ، والدُّعاء لنفسه ما شاء.

وعَن سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص عَن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَن قَالَ: حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّه رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غَفَرَ الله ذُنُوبَهُ»(٣)»(٤).

الشرح:

هذه الأحاديث والَّتي قبلها فيما يتعلق بأذكار الأذان والإقامة، يستحب للمؤمن إذا سمع المؤذن أن يقول: مثلما يقول، كما تقدَّم لقوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ» متفق عليه.

وفي حديث سعد أنَّهُ قال: «قولوا: مثل قول المؤذن: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣١٤ برقم ٧١٤).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥٢٨) وضعفه سماحته، كما يأتي في الشرح، وفي: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٣٦٥ و٢٩/ ١٤١).

(٣) أخرجه، مسلم، برقم (٣٨٦).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٣/ ٦/ ١٤١٣هـ) و(١٢/ ١١/ ١٤١٥هـ). ينظر: «الوابل الصيب» (ص٢٢٢ - ٢٢٣).

إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّه رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، فمن قال ذلك ـ غَفَرَ الله ذَنْبَهُ» فهذا كلّه يدل على شرعية هذه الأذكار واستحبابها.

أمَّا حديث أنَّهُ كان يقول عند قول بلال: قد قامت الصَّلاة: «أَقَامَهَا الله وَأَدَامَهَا» هذا حديث ضعيف[1] وإنَّما يستكمل الإقامة، ثُمَّ بعد الاستكمال، يقول للنَّاس: سووا صفوفكم، تراصوا استقيموا، هكذا جاءت السُّنَّة الثابتة، بعد الإقامة، ثم يكبر، وهذا خبر ضعيف، فإنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كأنَّه غاب عنه هذا الشيء.

المقصود: أنَّ المؤذن يكمل الإقامة، ثُمَّ الإمام ينظر الصفوف، ويأمرهم بالاستواء وسد الخلل، وإكمال الصف الأول فالأول، ثُمَّ بعد هذا يكبر، هذا هو السُّنَّة الثابتة عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

□ **فائدة: في خروج المؤذن من المسجد:**

سئل سماحته عن خروج المؤذن من المسجد بعد ما يؤذن؟

فقال: ليس على المؤذن حرج، أن يخرج من المسجد، ليصلي في مسجد آخر فيه دروس بعد الصَّلاة، إذا سمح له الإمام وأقام بدله، ليس عليه شيء في ذلك يؤذن ويخرج.

وهكذا عند إقبال اللَّيل يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ، وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ، فَاغْفِرْ لِي» وفي سنده بعض الضعف[2] لكن هذا دعاء حسن، إن قاله الإنسان فلا حرج؛ لأنَّه

(١) وقد ضعفه النووي في «**المجموع**» (٣/ ١٣٠) وابن حجر في «**تلخيص الحبير**» (١/ ٢٢٢/ ١٤١٥هـ).

(٢) في سنده: أبو كثير مولى أم سلمة، وهو مقبول من الرابعة أخرج له الترمذي، ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٦٦٨برقم٨٣٢٥) سبق تخريجه في المتن، وقد أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٨٩) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحفصة بنت أبي كثير لا نعرفها، ولا أباها. ينظر: «**سنن الترمذي**» (ص٨١٥).

كلام صحيح؛ لكن استحبابه يحتاج إلى دليل ثابت، وإلَّا فهو كلام طيِّبٌ.

والمؤمن يأتي بالتسبيح والتهليل؛ لأنَّ الله شرع لعباد عند إقبال اللَّيل وإدبار النَّهار، وإقبال النَّهار وإدبار اللَّيل، الإكثار من التسبيح: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [قٓ: ٣٩] ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الرُّوم: ١٧].

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من التسبيح في أول اللَّيل وفي آخر النَّهار، وفي أول النَّهار، وآخر اللَّيل يجتهد فيما أوصى الله به، ويكثر من ذلك.

ويستحب من ذلك أن يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، مئة مرَّة صباحًا ومساءً، حين يصبح وحين يمسي، كما تقدَّم ذلك مرارًا[(١)].

فينبغي للمؤمن أن يحافظ على هذه الأذكار يكررها ويكثر منها دائمًا، ففيها فضل عظيم، وفَّق الله الجميع.

□ **فائدة: حديثية:**

سئل سماحته عن قول: «اللهم ارحم وقوفي بين يديك»[(٢)] عند إقامة الصَّلاة؟

فقال: هذا حديث ضعيف؛ لكن يقول: مثلما يقول المؤذن: **قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة**، أمَّا عند الحيعلة، فيقول: لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

❍ **مسألة: حول الإتيان بأذكار بعد الصَّلاة مباشرة إلا من عذر:**

قال سماحته على المصلِّي: أن يأتي بالأذكار مباشرة بعد السَّلام من الصَّلاة، فإذا لم يستطع مثلًا بعض الأحيان لوجود كلمة أو درس أو محاضرة يأتي بها ولو بعد ما يخرج من المسجد، في أي وقت، وهو يمشي أو وهو راكب بالسَّيارة الحمد لله، الأمر واسع.

---

(١) ينظر: ما سبق ذكره وتخريجه.

(٢) لم أقف له على ذكر غير هنا فضلا عن تخريج.

الفصل العاشر
في أذكار الاستفتاح

«وفي «**الصَّحيحين**» أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول في استفتاحه: «**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِن خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِن خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ**»(١).

وفي «**سنن أبي داود**» عَنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم أنَّهُ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّه كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا**» ثَلَاثًا: «**أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم مِن نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ**» قال: نفثه: الشعر، ونفخه: الكِبْرُ، وهمزه: الموتة(٢).

وفي «**السنن الأربعة**» عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا استفتح الصَّلَاة، قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(٣) وهو في «صحيح مسلم» عن عمر موقوف عليه(٤).

وفي «**صحيح مسلم**» عَن عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ**

---

(١) البخاري، برقم (٧٤٤) ومسلم، برقم (٥٩٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) أبو داود، برقم (٥٣٠) وابن ماجه، برقم (٨٠٧).
(٣) أبو داود، برقم (٧٧٦، و٧٧٥) والترمذي، برقم (٢٤٣، و٢٤٢) وابن خزيمة (١/ ٢٣٩ برقم..) وعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والنسائي، برقم (٩٠٠) وابن ماجه، برقم (٨٠٤) وحسنه الحافظ ابن حجر في «**نتائج الأفكار**» (١/ ٤٠٢).
(٤) مسلم، برقم (٣٩٩).

وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(١).

وفي «**صحيح مسلم**» عن عَائِشَةَ ﵂ كَانَ رَسُول الله ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**(٢).

وفي «**الصَّحِيحين**» عَنِ ابنِ عَبَّاس ﵄ قال: كان رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ من جَوْفِ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**(٣)(٤).

---

(١) مسلم، برقم (٧٧١).

(٢) مسلم، برقم (٧٧٠).

(٣) البخاري، برقم (١١٢٠) ومسلم، برقم (٧٦١).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٨/٦/١٤١٣هـ) و(١٨/١١/١٤١٥هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٢٣ - ٢٢٦).

الشرح:

هذه الأحاديث الستة كلُّها تتعلق بأذكار الاستفتاح، أول ما يبتدئ الصَّلاة، حين يكبر التكبيرة الأولى، إذا قال: الله أكبر في الفرض أو النفل، يأتي بواحد من هذه الأذكار الَّتي جاءت عن النَّبيِّ ﷺ وأخصرها وأسهلها على كل أحد: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» هذا أخصرها، كلها ذكر لله، **الجد**: العظمة، وَجَدُّكَ، يعني: عظمتك، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، أي: لا معبود بحقٍّ سواك.

هذا جاء في عدة أحاديث عن أبي سعيد، وعائشة، وعمر رضي الله عنهم.

وكان عمر رضي الله عنه يعلمه النَّاس لاختصاره، وأنَّه كله توحيد وتنزيه لله عز وجل.

وثبت عنه ﷺ أنَّهُ كان يستفتح أيضًا في الفرائض، يقول: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِن خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِن خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالمَاءِ وَالبَرَدِ».

قال أبو هريرة: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ يعني: في أول الصَّلاة، قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ ...» فذكره، وهذا من أصح الأحاديث وأثبتها عن النَّبِيِّ ﷺ، فإذا استفتح بهذا أو بهذا فكله طيِّب.

واستفتاح ثالث: جاء في حديث جبير بن مطعم: «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَالحَمْدُ لِله كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ثَلَاثًا: «أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ مِن نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ» يكبر ثلاثًا، ويحمد الله ثلاثًا، ويسبح ثلاثًا، يكررها، وهذا أيضًا استفتاح مختصر.

واستفتاح رابع: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم» يستفتح بهذا في آخر اللَّيل إذا قام يتهجد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا بأس أن يستفتح به في جميع الصَّلوات، وهذا من أجمع الاستفتاحات أيضًا.

ومنها الاستفتاح الخامس: قوله «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ» يقول النَّبيُّ ﷺ وأنا أول المسلمين **وأمَّا الإنسان يقول**: وأنا من المسلمين، واحد من الأمة، يقول: أنا من المسلمين «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

استفتاح سادس: كان يأتي به إذا قام يصلِّي في جوف اللَّيل استفتاح طويل: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» هذا استفتاح عظيم طويل.

والمؤمن يأتي: بما تيسَّر له من هذه الاستفتاحات، وأشهرها وأخصرها، وأيسرها على كل أحد: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثُمَّ يقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ثُمَّ يقرأ الحمد لله، وإن قرأ: أعوذ

باللَّه السميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم، من همزه ونفخه ونفثه، فلا بأس، همزه: الصرع الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه الشعر[(١)].

فهذه استفتاحات كان يقولها النَّبِيُّ ﷺ فمرة يأتي بهذا ومرة يأتي بهذا، وكلها توجه إلى الله وتعظيم له، وضراعة بين يديه، وتقديس له سبحانه وتعالى، ثُمَّ يقرأ الفاتحة، في الصَّلوات المفروضة وفي صلاته النافلة، وفي تهجده باللَّيل.

وهذه الاستفتاحات كلَّها مشروعة سنة مستحبة وليس بواجب، يستفتح بما شاء منها بحسب ما يتيسر له حفظه منها، وليس هناك تخصيص استفتاح بصلاة وقت معين، وإن كان الاستفتاح الطويل يليق بالتهجد من اللَّيل؛ لأنَّ الصَّلاة الَّتي يؤم فيها النَّاس، قد يشق عليهم بعض الشيء الاستفتاح بالتطويل، فيقرأ استفتاح مختصر.

كذلك المأموم والمسبق يقرأ استفتاحًا مختصرًا، حتَّى ينصت لقراءة الإمام، وإن لم يتسر له ذلك ترك الاستفتاح وأنصت للقراءة، ولا شيء عليه.

❍ **مسألة:**

سئل عن كتاب «مدارج السالكين» لم يؤلفه ابن القيم، فيه تصوف؟

فقال: «مدارج السالكين» كلُّه ردٌّ على المتصوفة؛ لكن قد يتساهل فيه بعض الشيء رحمه الله.

(١) ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير، مادة: [همز] (ص١٠١١) مادة: [نفخ] (ص٩٣٠) مادة: [نفث] (ص٩٢٩).

«الفصل الحادي عشر
في ذكر الركوع والسجود، والفصل بينهما، وبين السجدتين

«في «**السنن الأربعة**» عن حذيفة **رضي الله تعالى عنه** أنَّه سمع رسول الله ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

وفي حديث علي رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول فِي رُكُوعِهِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي**» وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، يَقُولُ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**» وَإِذَا سَجَدَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**»[(٢)].

وفي «**الصَّحيحين**» عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: يُكْثِرُ أَن يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[(٣)].

وفي «**صحيح مسلم**» عنها رضي الله عنها **كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ، وَسُجُودِهِ**: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»[(٤)].

وفي «**سنن أبي داود**» عَن عَوْفِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٨٧١) والترمذي، برقم (٢٦٢) والنسائي، برقم (١٠٤٦) وابن ماجه، برقم (٨٨٨) وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٤٧) في الفصل العاشر.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٩٤) ومسلم، برقم (٤٨٤).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٧).

وَالعَظَمَةِ»[١]»[٢].

الشرح:

هذه الأحاديث في بيان هدي النَّبِيّ ﷺ في الركوع والسجود، وبين السجدتين، وعند الرفع من الركوع، ثبتت عنه الأحاديث أنَّه ﷺ كان يقول في الركوع: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**» وفي السجود: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» في الفرض والنفل هكذا يجب أن يقول: في الركوع والسجود، والواجب مرة واحدة وما زاد فهو تطوع؛ لقوله ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[٣].

وكان يقول بين السجدتين «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» كما جاء في حديث حذيفة وغيره، ويقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي**»[٤] كل هذا بين السجدتين؛ لأنَّ بين السجدتين محل دعاء. وإذا رفع من الركوع، قال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

وجاء في حديث آخر أنَّه سمع رجلًا يقول: «**حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**» فقال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ المَلَائِكَةِ كُلُّهُمْ يُرِيدُ أَن يَكْتُبَهَا**»[٥].

هذا هو الكمال: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

وفي رواية أبي سعيد عند مسلم زيادة: «**أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ،**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٨٧٣).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٠/ ٦/ ١٤١٣هـ) و(٢٤/ ٤/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٢٧، ٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٣١) عن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٨٥٠) والترمذي، برقم (٢٨٤).

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٢). وسيأتي ذكر المؤلف له بنصه كاملًا في (ص٣٥٤).

وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[(١)] هذا كله بعد الركوع، هذا هو الكمال.

والواجب: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، أو «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» هذه الكلمة والبقية سنَّة يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» سواء كان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا، ويكمل «**حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِن شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**» هذا من كمال الصَّلاة.

وفي السجود يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ رَبِّ اغْفِرْ لِي**» زيادة مع «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» وفي الركوع كذلك مع «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ رَبِّ اغْفِرْ لِي**» و«**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ**» مستحبة هذه الأذكار في الركوع والسجود، وكان يقول: في سجوده مع «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**» هذا أيضًا مستحب في السجود.

وإن اقتصر على: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**» في الركوع والسجود، لا حرج على المصلِّي إذا كان جاهلًا أو ناسيًا، أمَّا أن يتعمد ذلك فلا يجوز له ذلك، لا بدَّ أن يذكر: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» في الركوع، و«**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» في السجود؛ لأنَّه واجب من واجبات الصَّلاة على الصَّحيح.

وإن كان الأكثرون: يرون أنَّها تجزئ، وتصح الصَّلاة؛ لأنَّها مستحبة؛ لكن الصَّحيح أن «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» في الركوع واجبٌ، و«**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» في السجود واجبٌ، من واجبات الصَّلاة[(٢)] لأنَّ الرَّسول ﷺ أمر

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٤٧٧). وسيأتي ذكر المؤلف له بنصه في (ص٣٥٦).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحة الشيخ ابن باز (٣/ ٢٩١ و١١/ ١٠، ١١ و١٢/ ٢٥٠).

بذلك، وواظب عليها، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

وإذا ترك الإمام أو المنفرد ذلك سهوًا، يسجد للسهو، أمَّا المأموم لا شيء عليه إذا كان داخلًا مع الإمام من أول الصَّلاة، فليس عليه سجود، فهو تابع لإمامه، أمَّا إن كان مسبوقًا يكمل ويسجد للسهو.

وكذلك بقية التسبيحات الأخرى: لا تجزئ عن «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**» و«**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» لا بدَّ من الإتيان بذلك، ـ في الركوع والسجود ـ وفَّق الله الجميع.

□ فائدة: **فيم يقوله الإمام والمأموم عند الركوع:**

المأموم يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» كما قال النَّبِيُّ ﷺ إذا قال الإمام «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» فقولوا: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» أو «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» لا يجمع بين «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» و«**وَرَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**».

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي «**صحيح مسلم**» عَن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِن شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»(٢).

وفي «**صحيح البخاري**» عَن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: «**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ**» فَقَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ المُتَكَلِّمُ؟**» قَالَ: أَنَا يَا رَسُول الله، قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٥٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٩٩)

وفي «**صحيح مسلم**» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعاء**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَّتَهُ وَسِرَّهُ**»(٢).

وقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَة فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣) روى مسلم هذه الأحاديث.

وفي «**سنن أبي داود**» عن ابن عباس **رضي الله تعالى عنهما** قال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**»(٤).

وفي «**السنن**» أيضًا عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»(٥)»(٦).

الشرح:

هذه الأحاديث كلُّها تبيِّن ما يشرع للمؤمن بعد رفعه من الركوع، وما يشرع له أن يقول: في السجود، وهكذا في الركوع، كان النَّبِيّ ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» وربَّما يقول بعض الأحيان: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ**

(١) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٢).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٣).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٦).
(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٨٥٠) والترمذي، برقم (٢٨٤).
(٥) أخرجه أبو داود، برقم (٨٧٤) والنسائي، برقم (١١٤٥) وابن ماجه، برقم (٨٩٧).
(٦) قرئ بتاريخ (٥/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٢٥/ ٤/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٢٩ - ٢٣١).

وَالمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» وربَّما اقتصر على قوله: «**مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

وسمع رجلًا بعد ما رفع رأسه من الركوع، يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**، فقال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**» دلَّ على أفضلية هذا الحمد بعد الرفع من الركوع، فالأمام يقول: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» والمنفرد كذلك: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**».

ثُمَّ يقول الإمام والمنفرد بعد ذلك: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» وهكذا المأموم إذا رفع يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، أو اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**» هذا كله سنَّة مؤكدة مستحب.

يقول: يجوز: «**أهلَه**» يعني: أخص أهله اسم مفعول والفعل محذوف، ويجوز الرفع «**أهلُه**» يعني: أنت أهل السموات والأرض «**أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ**» يعني: جميع الثقلين كلهم عبيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل جميع الخلائق كلهم عبيده: «**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**» فما أعطاه الله لا أحد يمنعه، وما منعه الله لا يمكن لأحد أن يأتي به، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَى**»(١) كما في الرواية الأخرى، فهو سبحانه كلمته نافذة، فما قدره، فهو نافذ، فما أعطاه الله لأحد لا يستطيع أحد إبطاله، وما منعه لا يستطيع أحد جلبه، كل شيء بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكان يقول: في الركوع، كما تقدَّم: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**» **أو** «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» **وفي**

---

(١) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحة الشيخ ابن باز (٧/ ٨١).

السجود يقول: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» فالسُّنَّة أن يقول المؤمن مثل ما قال ﷺ في الركوع والسجود ويكرر ذلك.

ويُكثر من الدُّعاء في السجود، يقول ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعاء**» وفي اللَّفظ الآخر: «**وَأَمَّا السُّجُود فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُم**»(١).

فالسُّنَّة العناية والاجتهاد بالدُّعاء في السجود؛ لأنَّه من محال الإجابة، فيكثر من الدُّعاء، والثناء على الله بعد حمد الله والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ يكثر من الدُّعاء، ويلح في الدُّعاء.

من دعاء النَّبِيّ ﷺ في السجود: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**» ويكرر في السجود «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» وبين السجدتين كذلك «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» فيكثر من الدُّعاء في السجود وبين السجدتين، بأنواع الدُّعاء، ولا سيما الوارد.

وبين السجدتين يكثر: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**» يتحرى ما قاله النَّبِيّ وما فعله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- معنى قوله: «**وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدّ مِنْكَ الجَدُّ**» ذا الجد الغنى، والحظ، والمال، يعني: لا ينفعه المال والغنى إذا لم يتق الله.

- جاء في حديث أنس عند البخاري: «**وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَامَ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ نَسِيَ**»(٢) هذا يدلّ على **شرعية إطالة** الوقفتين الوقفة بعد الركوع، والجلسة بين السجدتين.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٤٧٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٨٠٠، ٨٢١) ومسلم، برقم (٤٧٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«الفصل: الثاني عشر
في أدعية الصَّلاة بعد التشهد

في «**الصَّحيحين**» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّد [الآخِرِ] فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِن أَرْبَعٍ: مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَمِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِن شَر فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

«**وفيهما**» أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَم وَالمَغْرَم**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ؟! فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»(٢).

وقد تقدَّم في «**الصَّحيحين**» أنَّ أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، فَقَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٣).

وفي «**صحيح مسلم**» من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٤)»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٣٧٧) ومسلم، برقم (٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٨٣٢) ومسلم، برقم (٥٨٩).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢٨٧).

(٤) سبق تخريجه في (ص٣٤٧).

(٥) قرئ بتاريخ: (٢/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٣٢، ٢٣٣).

الشرح:

هذه الأحاديث فيها بيان بعض الأدعية الَّتي كان يدعو بها ﷺ في آخر الصَّلاة، وقد ثبت في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين أنَّ النَّبِيَّ ﷺ علمهم التشهد، ثُمَّ قال: «**ثُمَّ لِيَخْتر مِنَ الدُّعاء مَا شَاءَ**» وفي اللَّفظ الآخر: «**ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعاء أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو بِهِ**»[(١)] يعني: بعد الصَّلاة على **النَّبِيِّ** ﷺ، **وقد علمهم كيف يصلون عليه** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

بعد التشهد يأتي بالصَّلاة على النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ يدعو؛ ولهذا قال ﷺ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّد الأخِير، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّه مِن أَرْبَع**» فدل على الدَّعوات تكون في التشهد الأخير قبل أن يسلم، يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَمِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِن شَر فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

وكان يتعوذ باللَّه «**مِنَ المَأْثَم وَالمَغْرَم**» فَقِيلَ يَا رَسُولَ الله: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَم؟! قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» يعني: إذا لَحقه الدَّين يُبتلى بالكذب، يُوعِد النَّاس ويخلفهم إن شاء الله أُوفيكم غدًا أو بعده، أو بعد غدٍ، وهو ليس عنده شيء يكذب فيخلف لعدم المال، والغارم: هو الَّذي عليه الدُّيون.

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعو أيضًا بقوله: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».

المقصود: أنَّه يستحب للمؤمن في آخر الصَّلاة، بعد ما يأتي بالتحيات

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٨٣٥) ومسلم، برقم (٤٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٣٥٧) ومسلم، برقم (٤٠٦) عن كعب رضي الله عنه.

وبعد ما يصلي على النَّبِيِّ ﷺ يستحب له الدُّعاء، ومن آكد الدُّعاء «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِن عَذَابِ القَبْرِ، وَمِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، ومِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**» «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(١)] كما علم النَّبِيّ ﷺ ذلك معاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهكذا في حديث دعاء الصِّدِّيق لما سأله دعاءً يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِه، فَقَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**» هذا دعاء عظيم يدعى به في السجود، وفي آخر الصَّلاة، كذلك في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ يدعو في آخر صلاته قبل أن يسلم «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن أن أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ القَبْرِ**»[(٢)] هذا من الدُّعاء العظيم الوارد الثابت عن النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والمؤمن يدعو: الله بما يتيسر له، ولو من غير المأثور، مثل أن يقول: اللَّهُمَّ ارحمني، اللَّهم أصلح قلبي وعملي، اللَّهم توفني مسلمًا، اللَّهم ارزقني الثبات على الحقِّ، اللَّهم أحسن خاتمتي، يدعو بالدَّعوات الَّتي يراها مناسبة إذا لم يحفظ الدَّعوات المأثورة، يدعو بالدَّعوات الطَّيِّبة الَّتي يحفظها.

وإذا احتاج إلى أمر الدُّنيا يدعو على قدر حاجته هو أعلم بحاله، إذا احتاج إلى زوجة، يسأل الله أن ييسر له الزوجة الصَّالحة، فقير ما عند مال يسأل الله، اللَّهم ارزقني مالًا يكفيني، اللهم يسر لي من الأسباب ما يقوم بحالي، وإن كان يطلب الولد يدعو وهكذا، لكن طلب التوسع لا ينبغي، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٦٦).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٨٢٢).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

حديث: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ**» له لفظان عند مسلم في التشهد، وبعد الصَّلاة، والمحفوظ قبل السَّلام في آخر الصَّلاة، فهو محل الدُّعاء الَّذي شرع وندب إليه، وإن قاله بينه وبين نفسه بعد الصَّلاة بعد أن يأتي بأذكار الصَّلاة ما يضر ذلك؛ لكن الأفضل أن يكون قبل السَّلام ما دام في العبادة قبل أن ينصرف منها.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**سنن أبي داود**» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِرَجُلٍ: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ**» قَالَ أَتَشَهَّدُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(١).

وفي «**المسند والسنن**» عَن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**»(٢).

وفي «**سنن النسائي**» أَنَّ عَمَّار بن يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صَلَّى صَلَاةً وَدَعَا فيها بِدَعَوَاتٍ، وَقَالَ: سَمِعْتُهُنَّ مِن رَسُولِ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي إِذَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٧٩٢) عن بعض أصحاب النَّبِيّ ﷺ، وابن ماجه، برقم (٩١٠، (٣٨٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيح رجاله ثقات. ينظر: «**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**» (١/ ١١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٥برقم١٧١٧٣) والنسائي، برقم (١٣٠٤) **وقال سماحته**: لا بأس به، ولا أعلم له علة، وقال. له طرق.

وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ.

وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ القَضَاء، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ [الكَرِيم] وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه جملة من الأدعية الَّتي كان يدعو بها النَّبيّ ﷺ، والنَّبِيُّ كان يدعو بدعوات كثيرة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تقول عائشة «**كَانَ** ﷺ **يَسْتَحِبُّ جَوَامِعَ الدُّعاء**»[(٣)] يعني: الدَّعَوَاتِ الجَامِعَة.

وَمِن ذلك، لما سأل رجلًا، كيف تَدْعُو قال: «إِنِّي أَسْأَلُ الله الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَإِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ» الدندنة، يعني: كثرة دعواتكم، ما أحسنها، دندنتك ولا دندنة معاذ، لكني أسأل الله الجنَّةَ، وأعوذ به من النَّارِ، فَقَالَ الرَّسُول ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ» حول هذه المسألة ندندن، وحولها الاجتهاد والجدُّ في الطلب، سؤال الله الجنَّة والتعوذ به من النَّار.

وكان من دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ - يعني الدِّين - وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ».

وفي الرواية الأخرى يقول: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا**

---

(١) أخرجه النسائي، برقم (١٣٠٥، ١٣٠٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٥ برقم ١٩٢٣).

(٢) قرئ بتاريخ (٦/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٣/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٣٣ - ٢٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (١١٤٥).

هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِوَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ» والحديث أعلَّ بأن فيه رجل مبهم، لكن له طرق لا بأس به.

وكان من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الوَفَاة خَيْرًا لِي،** ـ ليس فيه تمني الموت وإنما هو معلق جعله معلقًا على الله **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ** ـ سؤال الله النّعيم، المقصود نعيم الجنة هو الَّذي لا ينفد ـ **وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ.**

وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ القَضَاء، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيم وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ».

وكان من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن غلبة الدَّين وغلبة العدو، أعوذ بالله من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء**»، وله دعوات كثيرة.

منها: «**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرّ**»[١].

ومنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى**»[٢] «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ**»[٣].

فالمؤمن يجتهد: في تحري الدَّعوات الطَّيِّبة في السجود، في آخر

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢١) عن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢٥) عن علي رضي الله عنه.

الصَّلاة، يستحب له أن يدعو بما ورد من دعائه ﷺ، وبما علَّمه الصِّديق: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١) وغيرها من الأدعية الَّتي بعد التشهد فإذا دعا في سجوده أو في آخر الصَّلاة لنفسه أو لوالديه أو المسلمين فلا بأس لعموم هذه الأحاديث وغيرها(٢) هذا هو الدُّعاء المشروع في آخر الصَّلاة(٣).

○ **مسألة: تمني الموت:**

في حديث عمَّار: «**اللَّهُمَّ... أَحْيِنِي إِذَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِي**» ألا يعدُّ هذا من تمني الموت؟

فقال: لا، هذا معلق جعله إلى الله «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ**» مثل ما جاء في رواية حديث أنس في الصحيحين: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»(٤) وفَّق الله الجميع.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٨٧) وينظر للمزيد: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١٩٧ حديث رقم ١٤٧٥).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» سماحته (١١/ ٤٥، و١٧٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١١/ ١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٥٦٧١) ومسلم، برقم (٢٦٨٠).

«الفصل الثالث عشر
في الأذكار المشروعة بعد السَّلام وهو أدبار السجود

في «**صحيح مسلم**» عَن ثَوْبَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا انْصَرفَ مِن صَلَاتِهِ، قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله ثَلَاثًا، وَقَال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام**»(١).

وفي «**الصَّحيحين**» عن المُغِيرَة بن شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»(٢).

وفي «**صحيح مسلم**» عَن عَبْد الله بن الزُّبَيْرِ **رضي الله تعالى عنهما** أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُهَلِّلُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَات: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**»(٣).

وفي «**صحيح مسلم**» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «**مَن سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ الله ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَقَالَ تَمَامَ المِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٨٤٤) ومسلم، برقم (٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٥٩٤).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٥٩٧).

وفي «السنن» عَن عَبْدِ الله بنِ عَمْرو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَن يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي المِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ**».

قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ، وَمَن يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، قَالَ: «**يَأْتِي أَحَدَكُمْ**، يَعْنِي: **الشَّيْطَانَ فِي مَنَامِهِ، فَيُنَوِّمُهُ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ، فَيُذَكِّرُهُ حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا**»(١).

وفي «السنن» عَن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، قَالَ: «**أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ**»(٢).

وفي «النَّسائي الكبير» عن أبي أُمَامَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ عُقْبَ كُلِّ صَلَاةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِن دُخُولِ الجَنَّةِ، إِلَّا المَوْتُ**»(٣) يعني: لم يكن بينه وبين دخول الجنَّة إلَّا الموت.

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: ما تركته عقيب كل صلاة إلَّا نسيانًا أو نحوه(٤).

قلتُ: وقد بالغ أبو الفرج ابن الجوزي في إدخاله هذا الحديث في

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٦٥) والترمذي، برقم (٣٤١٠) والنسائي، برقم (١٣٤٨) وابن ماجه، برقم (٩٢٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٢٣) والترمذي، برقم (٢٩٠٣) والنسائي، برقم (١٣٣٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣٦٦، ٧٥٦ برقم ٨٧٣، ٢٠٨٣).

(٣) أخرجه (٦/ ٣٠ برقم ٩٩٢٨) في الفصل الثالث عشر.

(٤) ذكره المصنف في «**زاد المعاد**» (١/ ٣٠٤) وابن قائد أحد المحققين لـ«**الوابل الصيب**» **له توقف فيه**(ص٢٨٦).

الموضوعات وقال شيخنا: أبو الحجاج المزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إسناده على شرط البخاري»[(١)].

الشرح:

هذه الأذكار بعد الصَّلوات الفرائض، يستحب للمؤمن أن يأتي بهذه الأذكار تقدَّم حديث ثوبان إذا سلم يقول: «أَسْتَغْفِرُ الله ثَلَاثًا» أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» من كل فريضة هذا أول شيء يقوله بعدما يُسلم، الإمام والمأموم والمنفرد، يقوله كل واحد، ثُمَّ ينصرف الإمام إلى النَّاس، بعد هذا، ويقول الجميع: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٢)].

كما في الصَّحيح من حديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه سمع النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من صلاته، يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ» وفي حديث المغيرة بن شعبة يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع «لَا إِلَهَ إِلَّا الله، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ».

هذا ذكر مختصر بعد كل صلاة، كما في حديث المغيرة، وابن الزبير، وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يستحب لكل مصلِّي من ذكر وأنثى بعد كل فريضة أن يقول: «**أَسْتَغْفِرُ الله ثَلَاثًا، أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله ...**» يأتي بالأذكار الَّتي بعد السَّلام، كما دل عليه حديث ثوبان، وحديث المغيرة، وحديث ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) قرئ بتاريخ (٧/ ٧/ ١٤١٣هـ) و (٩/ ٥/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص ٢٣٥ - ٢٣٩).

(٢) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١٣٧).

ثُمَّ يسبح الله بعد هذا، ويقول: سبحان الله ثَلَاثًا وثلاثين مرة، والحمد لله ثَلَاثًا وثلاثين مرة، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة، وَيَقُولَ تَمَامَ المِائَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» يعني: غفرت خطاياه التي اقترفها إذا أتى بهذه الأذكار عن صدق وعن إخلاص وعن توبة، وندم وإقلاع غفر الله بها خطاياه.

وفي رواية: أن التكبير أربعًا وثلاثين، يسبح ثَلَاثًا وثلاثين، ويحمد ثَلَاثًا وثلاثين ويكبر أربعًا وثلاثين، وهكذا عند النوم يسبح ثَلَاثًا وثلاثين، ويحمد ثَلَاثًا وثلاثين ويكبر أربعًا وثلاثين.

ومن أنواع الذِّكر: عشر تسبيحات، وعشر تحميدات، وعشر تكبيرات، بعد كل صلاة هذا نوع، لكن الأفضل من ذلك، يسبح ثَلَاثًا وثلاثين، ويحمد ثَلَاثًا وثلاثين، ويكبر ثلاثين وثلاثين الجميع تسعة وتسعون هذا الأكمل، ثُمَّ يقول تَمَامَ المِائَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» هذه الكلمة العظيمة كلمة التَّوحيد.

ثُمَّ يأتي بعد هذا بآية الكرسي، فيها فضل عظيم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] هذه سنَّة بعد كل صلاة.

وهذا مما كان يفعله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله يقول: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزَاب: ٢١] ويستحب أن يقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ والمعوذتين مرة واحدة بعد الظهر والعصر والعشاء، وثلاث مرات بعد المغرب والفجر، هكذا السنة في أعقاب الصَّلوات الخمس.

[**أمَّا حديث**: «مَن قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِن دُخُولِ الجَنَّةِ، إِلَّا المَوْتُ» هو حديث لا بأس به، له طرق بعضها جيِّد،

فيستحب بعد الصَّلاة بعد الذِّكر أن يقرأ آية الكرسيِّ، وهي من أسباب دخول الجنَّة لمن مات على غير الكبائر.

أمَّا من مات على بعض كبائر الذُّنوب، فهو مُعرض للوعيد مطلقًا، فشرط الوعد بتكفير الذُّنوب، ودخول الجنة، عند أهل العلم من أهل السنة والجماعة مقيد باجتناب الكبائر، يقول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّسَاء: ٣١].

وهو مقيد لأحاديث الفضائل مثل ما قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»(١) **فالواجب الحذر** من المعاصي، وألَّا يموت مصرًا على شيء منها(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه، مسلم، برقم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ما بين المعكوفتين [....] ملحق من كلام سماحته لتكملة شرح الحديث، وشرط تكفير الذُّنوب ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (١١/٤٨ - ٥٠ و١٨٨ - ١٨٩ و٢٥/١٥٨، ١٥٩، و٢٦/٧٤، ٧٥) و«شـرح ريـاض الصالحين» لسماحته (٤/١٣٣، ١٣٧ - ١٤٠ برقم ١٤١٥ - ١٤١٧، ١٤١٩).

الفصل الرابع عشر
في ذكر التشهد

ثبت في «**الصَّحيحين**» عَن عَبْد الله بن مَسْعُودٍ، قَالَ: «**عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ التَّشَهُّدَ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، كَمَا يُعَلِّمُنِي سُورَةً مِنَ القُرْآنِ التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

وفي «**صحيح مسلم**» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**التَّحِيَّاتُ المُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ لله، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**»(٢).

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي موسى أنَّ النَّبِيَّ ﷺ علمهم التشهد «**التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ وَالصَّلَوَاتُ لله، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**»(٣).

و«**روى أبو داود**» عَن ابن عَمَرَ بن الخَطَّابِ عَن رَسُول الله ﷺ فِي التَّشَهُّدِ: «**التَّحِيَّاتُ لله، وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: زِدْتُ فِيهَا: وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، **وَأَشْهَدُ**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٦٥) ومسلم، برقم (٤٠٢).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٤٠٣).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٤٠٤).

أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[١].

«**وروى أبو داود**» عَن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ، أَمَّا بعد: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَانَ فِي وَسَطِ الصَّلَاةِ، أَوْ حِينَ انْقِضَائِهَا فَابْدَؤُوا قَبْلَ السَّلَام، فَقُولُوا: «**التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ وَالصَّلَوَاتُ وَالمُلْكُ لِله، ثُمَّ سَلِّمُوا عَلَى اليَمِينِ، ثُمَّ عَلَى قَارِئِكُمْ، وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ**»[٢].

وذكر مالك في «**الموطأ**» أنَّ عمر كان يُعلم النَّاس التشهد، وهو على المنبر، يقول: قولوا: «**التَّحِيَّاتُ لله، الزَّاكِيَاتُ لله الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لله، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[٣].

فأي تشهد أتي به من هذه التشهدات أجزأه، وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه[٤] والكل كاف يجزئ»[٥].

الشرح:

هذه الأحاديث الأربعة وما جاء في معناها كلُّها تتعلق بالتشهد وأصحها وأثبتها حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصَّحيحين أنَّ النَّبِيَّ علمهم التشهد، وهذا التشهد يقال بعد الاثنتين من الرباعية والثلاثية، ويقال بعد التشهد الأخيرة من المغرب والعشاء والظهر والعصر، ويقال بعد الركعة الثانية من الفجر والجمعة والنوافل.

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٩٧١). (٢) أخرجه أبو داود، برقم (٩٧٥).

(٣) أخرجه مالك (١/ ٧٧ برقم ٥٣، ٥٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣٩٨ برقم٩٧٩، ٩٨٠).

(٤) ينظر: «مسائل الإمام أحمد (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩) «رواية عبد الله» و«الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (١/ ١٣٠) و«الأم» (١/ ٢٩٦) و«المدونة» (١/ ١٤٣).

(٥) قرئ بتاريخ (١٢/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(١٠/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٤٠ – ٢٤٢).

«التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» هذا هو الثابت من حديث ابن مسعود في الصَّحيحين.

وحديث ابن عباس فيه زيادة «المُبَارَكَاتُ» وسماها مباركات لما فيها من الخير العظيم، وحديث عمر فيه زيادة «**الزَّاكِيَاتُ**» والمعنى صحيح، لكن أصحها رواية ابن مسعود في الصحيحين علمهم هذا التشهد.

ومعنى «التَّحِيَّاتُ» التعظيمات لله، التحية التعظيم لله، والتقديس له في الركوع والسجود وبالدُّعاء وبالخوف والرجاء كلها لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«وَالصَّلَوَاتُ» جميع الصَّلوات نافلة وفريضة، وجميع الدَّعاء كله لله وحده.

«وَالطَّيِّبَاتُ» الطَّيِّب من أقوال العبد وأعماله التي شرعها من صلاة وغيرها كلها لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومعنى «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ» الدُّعاء له بالسَّلامة، تدعو للنَّبِيِّ بالسَّلامة من كلِّ سوء، وتدعو له، أن الله يعطيه الله الرَّحمة والبركة في جميع ما يتولاه من أعمال، وفي الآخر يعطيه البركة بدخوله الجنَّة والنَّجاة من النَّار، وفي رفع منزلته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال ابن مسعود: كنا نقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ» وهو بين ظهرانينا، فلمَّا قبض قلنا: «السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ» وهو جائز، والأفضل أن يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ» لأن هذا هو المحفوظ في الأحاديث الصَّحيحة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

«السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ» هذا دعاء لنفسك ولعباد الله الصَّالحين بالسَّلامة، فهو دعاء يعم عباد الله الصَّالحين من أهل السَّماء والأرض، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قلت ذلك عمت أهل السماء والأرض من الملائكة والإنس والجن وكل عباد الله الصَّالحين.

(١) ينظر: كتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (٨/ ٣٤٤، ٣٤٥).

ثُمَّ تقول: **بعد هذا كله**: «أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» أي: أقر وأعترف أنَّه لا معبود حقٌّ إلَّا الله، هذا معنى: لا إله إلَّا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فتشهد يقينًا أن الله سبحانه هو المعبود بالحق، لا إله غيره، وأن جميع الآلهة الَّتي يعبدها النَّاس من دون الله كلها باطلة من أصنام وأشجار وأحجار وغير ذلك، وهكذا عُبَّاد الملائكة عُبَّاد الرُّسل عُبَّاد الجن كل هذه عبادة باطلة، والملائكة والرسل هم برآء من ممن عبدهم، وهكذا كل صالح برئ ممن عبده، فالعبادة حق الله وحده لا تجوز لغيره[١].

[ثُمَّ تقول: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله» أي: تشهد له أنَّه رسول الله وأنَّه صادق، وقد بعثه الله إلى جميع الثقلين، وأنَّه خاتم الأنبياء، وأنزل عليه شريعة كاملة من تمسك بها فله الجنَّة، ومن ضيعها وتركها فله النَّار.

فإنَّ هذه الشهادة توجب على العبد الإيمان بأنَّ محمَّدًا ﷺ هو رسول الله حقًّا، والتمسك بما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وألَّا يعبد الله سبحانه إلَّا بما شرع][٢] كان عمر رضي الله عنه يعلم الناس التشهد، وهو على المنبر.

فجميع هذه الأنواع من التحيات الَّتِي ذكرها المؤلف صحيحة ثابتة عن النَّبِيِّ وعن أصحابه، فبأي نوع تشهد المصلي يجزئه، والأمر فيه واسع والحمد لله.

وبعد هذا التشهد تصلي على النَّبِيِّ وتتعوذ، بالتعوذات الَّتِي أمر بها النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ تختار من الدُّعاء أحبه وأعجبه إليك، فتدعو به، وقد تقدَّمت بعض الأدعية الَّتي بعد التشهد الأخير[٣] وسيأتي ذكر المؤلف صيغ أنواع الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ وفَّق الله الجميع.

---

(١) ينظر: لمزيد العلم والمعرفة كتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (٤٩/١، ٣٤٥).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالا متنوعة**» لسماحته (١٤٩/٢) و«**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (٢٩٦/١).

(٣) ينظر: (ص٣٥٨) من هذا الكتاب في الفصل الثاني عشر.

«الفصل الخامس عشر
في ذكر الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ

في «**الصَّحيحين**» عن كَعْب بن عُجْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ، فَقُلْنَا قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

وفي «**الصَّحيحين**» أيضًا عَن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٢).

وفي «**صحيح مسلم**» عَن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْن سَعْدٍ أَمَرَنَا الله أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى** آلِ إِبْرَاهِيمَ **فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»(٣).

وذكر «**ابن ماجه في سننه**» عَن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٣٦٠) ومسلم (٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٤٠٥).

يُعْرَضُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: فَعَلِّمْنَا، قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١)(٢).

الشرح:

هذه الأحاديث الَّتي تتعلق بالصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ قد تقدم ذكرها في «**رياض الصَّالحين**» أيضًا(٣) والنَّبِيُّ ﷺ **علمها الأمة لما سألوه كيف يصلون عليه؟ علمهم؛ لأن** جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صلِّ عليه وسلِّم.

فسأله الصَّحابة كيف الصَّلاة عليك؟ فذكر لهم أنواعًا إذا أتى الإنسان بواحد منها فقد فعل المطلوب، وفسَّر لهم تارة بقوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وفي حديث آخر عن أبي حميد فسَّرها لهم بقوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» والأزواج والذرية من الآل، فقوله في الحديث الأول وآل محمد

---

(١) أخرجه ابن ماجه، برقم (٩٠٦).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٣/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(١٦/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٤٣ - ٢٤٥).

(٣) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١١٨ - ١٢٩ برقم ١٣٩٧ - ١٤٠٧).

هم أزواجه وذريته وأتباعه، فلا منافاة بين الحديثين، فآله هم أتباعه على دينه ومنهم أزواجه ومنهم ذريته المتبعون له.

وفي حديث أبي مسعود فسَّرها لهم بقوله: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِى العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» فالمؤمن يصلي عليه بنوع من هذه الصلوات تارة كذا وتارة كذا حسب ما صح عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والآل: هم الأتباع، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٤٦] يعني: أتباع فرعون، فآل النَّبِيِّ هم أتباعه على دينه، ومنهم زوجاته ومنهم ذريته، ومن تحرم عليهم الصدقة من بني هاشم... وهكذا جميع أتباعه على دينه من آله جعلنا وإيَّاكم من أتباعه بإحسان وهكذا آل إبراهيم: هم أتباع إبراهيم على دينه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

[**والصَّلاة من الله على العبد** تشمل الثناء عليه، والإحسان إليه ورحمته، وإدخاله الجنَّة، فأنت تسأل ربَّك أن يصلِّي على نبيّك، يعني: يثني عليه ويكرم منزلته، ويرفع درجاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتدعو لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وآل إبراهيم أن الله يثني عليهم ويكرمهم ويرحمهم، ويحسن إليهم](١).

وجاء في بعض الروايات: حذف إبراهيم وبقاء آل إبراهيم، ـ كما في حديث أبي حميد ـ وفي بعضها حذف آل إبراهيم، وبقاء إبراهيم، والأكمل ذكر النَّبيّ وآله، وإبراهيم وآله في الصَّلاة والتبريك(٢)، وما ذكرها المؤلف من الصَّلوات كلها صلوات ثابتة عن النَّبِيِّ ﷺ، وهي كافية عما أحدثه النَّاس من أنواع الصَّلاة والسَّلام عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(٣).

لكن لو أتى الإنسان بصلاة من عنده، من غير إطراء أو نقصان،

---

(١) ما بين المعكوفتين [...] ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١٢٨).
(٢) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١٢٧).
(٣) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٨/ ٣١٣، ٣١٤).

كاللَّهم صلّ على محمَّد، اللَّهم صلِّ وسلِّم على رسول الله صلاة مختصرة لا بأس به، لكن الكمال لفظه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

اختلف أهل العلم في الصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، في التشهد الأخير منهم من يراها واجبة، ومنهم من يراها سنة فقط، ومنهم من يراها ركن، فالمؤمن يحتاط ويأتي بها في التشهد الأخير، وإذا أتى بها في التشهد الأول أيضًا أفضل لعموم الأحاديث فالإتيان بها في التشهد والأول والأخير كان هذا هو الأكمل والأفضل.

ولكن في التشهد الأخير آكد؛ لأنَّه محل الدُّعاء، كما تتأكد في مواضع كثيرة: منها: ما بعد الأذان؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا: مِثْلَ مَا يَقُولُ: ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ**»[(١)].

وعند ذكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ينبغي أن يصلي عليه؛ لقوله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»[(٢)] رغم أنف هذا دعاء عليه إن الله يرغم أنفه، هذا يظهر منه الوجوب أنَّه متى ذكر عندك تصلي عليه، متى سمعت ذكره في خطبة أو في المجلس أو في التحدث بينكم تصلي عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

أمَّا السَّلام فقد بينه، بقوله ﷺ، قولوا: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ**»[(٣)]. ولهذا لما علمهم الصَّلاة عليه، قال: «**أَمَّا السَّلَامُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ**».

والمقصود: أنَّه علمنا كيف نصلي عليه، وكيف نسلم عليه، ﷺ، فيشرع لنا الإكثار من الصَّلاة عليه دائمًا بالصَّلوات الطَّيِّبة، فأي لفظ أتى به المؤمن مما ذكره المؤلف حصل به المطلوب[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: حسن غريب.

(٣) كما تقدَّم في الفصل السابق في التشهد.

(٤) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ١٢٥، ١٢٦) شرح حديث رقم (١٤٠٥).

○ **مسألة: في الحكم على الحديث:**

وسئل سماحته: عن حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)].

فقال: لم أراجع سنده، فقرأ القارئ سنده من طريقين، قال: هذا سند ضعيف بقية مدلس، وقد عنعن، والسند الآخر، وإن صرح فيه بالسماع؛ إلَّا أنَّ خالد بن معدان لم يدرك أبي الدرداء ففيه انقطاع.

قال سماحته: على كلِّ حال يستحب الإكثار من الصَّلَاةِ عليه ليس عشرة مرَّات فقط، بل مئات المرات؛ لأنَّ الصَّلاة عليه عمل صالح؛ ولقول ﷺ: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**»[(٢)] فتشرع في كل وقت في اللَّيل والنَّهار ولا سيما في يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة[(٣)] فالإكثار منها ذكر لله، والصَّلاة على النَّبِيِّ من أسباب صلاح القلب وانشراح الصدر.

○ **مسألة: في قول سيِّدنا:**

وسئل سماحته: عن قول: «سَيِّدْنَا مَحَمَّد»؟

فقال: لا بأس بقول: «**سَيِّدْنَا مَحَمَّد**» يأتي بها حتَّى في الصَّلاة، لكن السُّنَّة عدمها؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يعلمها أصحابه، بل قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**» وليس هناك بأس في التذكير بالصَّلاة على النَّبِيِّ أمر طيِّب، ولا بأس أن يلفت انتباههم بقوله: صلوا على النَّبِيِّ لا نعلم فيه شيء فهو من باب التعاون على البر والخير.

---

(١) ذكره عنه رضي الله عنه الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٧٦ برقم ١٧٠٢٢) وقال: رواه الطبراني، بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٤٨٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١/ ٢٢٩) و«**شرح رياض الصالحين**» له (٤/ ١٢٢).

الفصل السادس عشر
في الاستخارة

في «**صحيح البخاري**» عَن جَابِرٍ، قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأَمْرِ، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيم، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ ـ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ـ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي به**»[(١)].

وفي «**مسند الإمام أحمد**» من حديث سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مِن سَعَادَةِ ابنِ آدَمَ اسْتِخَارَةُ الله، وَمِن سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى الله، وَمِن شِقْوَةِ ابنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهَ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى الله**»[(٢)].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩][(٣)].

وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلَّا هدوا إلى

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١١٦٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٦٨ برقم١٤٤٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٩٩ برقم١٩٠٣).

(٣) ينظر: «**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ٦٦١) و«**الكلم الطيب**» (ص١١٦ برقم ١١٧).

أرشد أمرهم»[(١)]»[(٢)].

الشرح:

هذان الحديثان: حديث جابر، وحديث سعد فيما يتعلق بالاستخارة، الاستخارة قربى وسنَّة في الأمور الَّتي يشتبه على المسلم أمرها، ولا يطمئن إلى فعلها فإنَّه يستخير، أما الأمور التي يعلم أنها صواب وأنَّها حقّ فلا حاجة إلى الاستخارة، فلا يستخير هل يصلي أو هل يزكي أو هل يصوم رمضان، أو يحج هذا العام هذه أمور معلومة ليس له أن يستخير فيها، إلَّا إذا استخار في طريق الحج هل يسلك الطريق الفلاني، أو الطريق الفلاني، أو يحج هذا العام أو لا يحج؛ لأنَّ هناك خوف، إذا صار لها أسباب لا بأس.

المقصود: أنَّ الاستخارة في الأمر الَّذي فيه اشتباه فيستخير، أمَّا الشيء الَّذي يعلم أنه صواب وأنه الحق، وأنه ليس فيه اشتباه، فإنه يُقدم عليه، ولا يحتاج إلى استخارة، لقوله ﷺ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ**» يعني: الأمر الَّذي قد أشكل عليه غايته أو الطريق إليه أو نحو ذلك «**فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ**» يعني: نافلة، ثُمَّ بعد صلاة الركعتين يدعو، رافعًا يديه، ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ**» ـ وَيُسَمِّيه باسمه، يعني: زواجي بفلانة بنت فلان، أو سفري إلى البلد الفلانية، أو شرائي المحل الفلاني أو المزرعة الفلانية أو صحبتي لفلان أو ما أشبه ذلك ـ «**خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ،**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣، ٣٤٤) وأخرج نحوه عن الحسن، البخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٨).

(٢) قرئ بتاريخ (٢٤/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(١٧/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٤٦، ٢٤٧).

وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ» ويسميه «شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي به» هكذا يقول المستخير.

وإذا كان لا يفهم هذا الدُّعاء يتكلم بالكلمات الَّتي يفهمها ويعقلها، ويدعو بما تيسر الله له اللَّهم إن كان هذا الأمر خير لي، وفيه مصلحة لي فيسره لي، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه، اللَّهم يسر لي زوجة صالحة، اللهم ارزقني ذرية طيبة ونحو ذلك.

المقصود: يستخير بالدُّعاء الَّذي يعرفه ويعقله، لكن إذا حفظ كلام النَّبِيّ ﷺ يكون أفضل، كونه يستخير بالألفاظ الَّتي قالها النَّبِيّ يكون أكمل.

وفي حديث سعد: «مِن سَعَادَةِ العبد اسْتِخَارَةُ الله، ورِضَاهُ بِمَا قَسَمَهُ الله، وَمِن شِقْوَتُهُ عَدَم اسْتِخَارَةَ اللهَ، وَعَدَم رِضَاهُ بِمَا قَسَمَهُ الله» له ويستحب المشاورة إذا استخار الله، يشاور أصحابه وأحبابه الَّذين يثق بهم حتَّى يطمئن قلبه، يقول الله: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشّورىٰ: ٣٨] ويقول لنبيِّه ﷺ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وفَّق الله الجميع

فمن توفيق الله للعبد: أن يستخير الله، ويشاور أهل الخير، وأهل الصِّدق والصفاء والمحبة هذا من أسباب التَّوفيق، فالعبد إذا استخار الله، وشاور إخوانه الخواص المحبين هذا من علامات التَّوفيق.

ويَعرفُ استخارة الله له، بانشراح صدره لأحد الأمرين، وإن لم يكن له ذلك يعيد الاستخارة والتشاور حتَّى ينشرح صدره لأحد الأمرين، وإلَّا أعاد الصَّلاة وأعاد الاستشارة أكثر من مرة حتى يحصل الطمأنينة والانشراح في الزواج أو في شراء بيت أو في سفر إلى بلد أو في إقامة شركة أو ما أشبهها من الأمور الَّتي تشتبه عليه، فيستخير الله فيها، ويستشير إخوانه الطَّيِّبين ولواحدًا، ثُمَّ يعمل بما يطمئن إليه قلبه، وينشرح له صدره.

وصلاة الاستخارة أن يصلي ركعتين خاصة بنية الاستخارة في غير

أوقات النَّهي، فالغالب أن وقت الاستخارة واسع يصليها في الضحى في الظهر في الليل، وهي ليست من ذوات الأسباب، حتَّى يضطر ليصليها في وقت النَّهي، ودعاء الاستخارة يكون بعد السلام من صلاة الركعتين ثم يستخير ويستشير.

ولو استخار في الصَّلاة قبل أن يسلم أو استخار من دون صلاة لا حرج لكن كونه يصلي ركعتين، ثُمَّ يأتي بدعاء الاستخارة، هذا أفضل، كما أمر النَّبِيّ ﷺ.

فالأصل: أن يصلي ركعتين، ثُمَّ يسأل ربَّه ويستخيره، وإذا كان الأمر مستعجلًا واستخار بدون صلاة، فلا بأس يسأل ربه والحمد لله، يقول الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] والاستخارة دعاء، توجه إلى الله، كما جاء في حديث جابر، وهو موجود في رياض الصَّالحين وغيره[(١)] ثُمَّ يستشير بعد الاستخارة، وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٦١ - ٦٣ حديث رقم ٧١٨) و«**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١١/ ٤٢١ - ٤٢٥) وكتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (١١/ ٦١ - ٨٥).

الفصل السابع عشر
في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

في «الصَّحيحين» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»(١).

وفي «**الترمذي**» عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٢).

و«**فيه أيضًا**» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الأَمْرُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ** «**سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعاءِ، قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»(٣).

وفي «**سنن أبي داود**» عَن أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ، اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٤).

وفي «**السنن**» أيضًا عَن أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ، أَوْ فِي الكَرْبِ: أَللهُ، أَللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٥) **وفي رواية**: «**أَنَّهَا تُقَالُ: سَبْعَ مَرَّاتٍ**»(٦).

وفي «**الترمذي**» عَن سَعْدِ بن أَبِي وَقَاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٨٦).
(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٢٤).
(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٣٦).
(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٠).
(٥) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٢٥) والنسائي في الكبرى (٦/١٦٦برقم١٠٤٨٣) وابن ماجه، برقم (٣٨٨٢).
(٦) أخرجها النسائي «**في عمل اليوم والليلة**» (٦٥٠) والطبراني في «**الدعاء**» (٣٨٨٢).

«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ؛ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»(١) وفي رواية: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ عليه السلام».

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن مسعود عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابنُ عَبْدِكَ ابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَن تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»(٢)(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث العديدة كلُّها تدل على فضل الذِّكر واللَّجأ إلى الله عند الشدائد، وأنه سبحانه مُفرج الكروبات وميسر الأمور، فالواجب على المؤمن أن يفزع إليه سبحانه عند كل كربة، ففروا إليه، الفرار إليه، والملجأ إليه سبحانه وتعالى في كل شيء عند الشدائد، عند الحروب عند المرض عند الهم والحزن، عند المصائب في كل شيء.

المشروع الفرار إلى الله، باللَّجأ إلى ذكره واستغفاره ودعائه سبحانه وتعالى، ومن ذلك دعاء المكروب: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ

(١) سبق تخريجه في (ص٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١ برقم٣٧١٢) وابن حبان، برقم (٢٣٧٢) وصححه الحاكم، وقال الذهبي: فيه أبو سلمة لا يدرى من هو، وليس له رواية في الكتب السبة. (١/ ٦٩٠ برقم ١٨٧٧).

(٣) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٢٣/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٤٧ - ٢٥٠).

العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» هذا دعاء الكرب، يلهج به المؤمن ويدعو ربه، وهذا من أثبت الأحاديث، كما جاء في الصَّحيحين، كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقوله عند الكرب.

فالإنسان عند الشدائد والكروب، يفزع إلى تعظيم الله وتسبيحه وتكبيره ودعاءه والضراعة إليه، منها: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ - يَا ذَا الجَلَالِ والإكرام - بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» «سُبْحَانَ الله العَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»(١) و«أَللهُ، أَللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وهكذا يجتهد في أنواع الذِّكر، وأهمها وأعظمها: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٢).

فاللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل ذكره فرجًا للكروب، وتيسرًا للأمور، وهكذا الضَّراعة إليه ودعاؤه، ولا سيما بدعوة ذي النون، وهو يونس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لما كان فِي بَطْنِ الحُوتِ، قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] هذه دعوة عظيمة ما دعا بها مكروب إلَّا أجاب الله دعوته وفرج كربته.

والإنسان لا ييأس يقول: دعوتُ فلم يستجب لي، يدعو بما جاء، ويلهج بالدَّعوات ويذكر الله، ويعمل الصالحات ويرجو فضل ربِّه، فإنَّ هناك أسبابًا للمنع قد لا يحس بها العبد، قد لا يفطن لها من ذنوب وسيِّئاته، ومن غير ذلك، فاللَّه سبحانه هو العليم الحكيم، فلا ينبغي للمؤمن أن يَضعُف عن الدُّعاء، بل ينبغي أن يلزم الدُّعاء والعمل الصَّالح والذِّكر، وإن لم يحصل مطلوبه الَّذي طلب؛ ولهذا جاء في الحديث يقول ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٦) ومسلم، برقم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه هذا الجزء المستشهد به في عدَّة أحاديث.

إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ تُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا يَا رَسُول الله: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[(١)].

الله عليم حكيم، قد لا يعجل دعوتك، قد يكون عندك ذنوب ومعاص تمنع الإجابة، كسب حرام يمنع الإجابة، قد يكون دعاؤك فيه إثم أو قطيعة رحم، قد يصرف الله عند ما طلبت، ويعطيك خير منه ﷻ أو يدخره لك في الآخرة أنت عليك بالجد والدُّعاء والذِّكر، والعمل الصالح، وأعرف أن ربك حكيم عليم، وأنَّه جواد كريم، وأنَّه له الحكمة البالغة في تعجيل الدَّعوة، أو إعطاءك خيرًا منها، أو تأجيلها لوقت آخر.

ومن هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الكرب أيضًا والهم والحزن «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَن تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**».

هكذا الإنسان يدعو ربّه، ويرجو ربّه الإجابة، والذِّكر، ويكرر الدُّعاء في كلِّ شيء، فالإنسان يكثر من الدُّعاء، والاستغفار، والعمل الصَّالح، ولا يقول: هذا ما حصل، أو هذا ما حصل، هو عند ربّ كريم جواد لا يضيع عليك شيء؛ لكن له الحكمة البالغة في تعجيل طلبك، أو تأخيره، أو تأجيله.

قول: «**اللهُ أَكْثَرُ**» ذكر في اللَّفظ، ودعاء في المعنى، فالَّذي يذكر الله في المعنى، يطلب الثَّواب، فاللَّه أكثر جودًا وكرمًا في كل وقت، فينبغي لك الإكثار من الذِّكر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨/٣ برقم١١١٤٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٠ برقم ١٨١٦).

الفصل الثامن عشر
في الأذكار الجالبة للرِّزق الدَّفعة للضيق والأذى

قال الله ﷻ عن نبيه نوح ﵇: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢﴾ [نُوح: ١٠-١٢].

وفي «**بعض المسانيد**» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَن لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»(١).

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد» له حديثًا مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ: «**مَن قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ يَوْمٍ لَم تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا**»(٢).

الفصل التاسع عشر
في الذِّكر عند لقاء العدوِّ، ومن يخاف سلطانًا وغيره

في «**سنن أبي داود، والنسائي**» عن أبي موسى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شُرُورِهِمْ**»(٣).

ويذكر عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه كان يقول عند لقاء العدو: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَاصِرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٥١٨) وابن ماجه، برقم (٣٨١٩) وقد ضعفه سماحته من جهة الإسناد، وصحح معناه كما سيأتي في الشرح.

(٢) التمهيد لا بن عبد البر (٥/ ٢٦٩) والبيهقي فى الشعب (٢/ ٤٩٢ برقم٢٥٠٠) وضعفه سماحته كما سيأتي في الشرح.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٣٧) والنسائي في الكبرى (٥/ ١٨٨ برقم٨٦٣١ و٦/ ١٥٤ برقم١٠٤٣٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي(١/ ١٥٤ برقم٢٦٢٩).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٢٦٣٢) والترمذي، برقم (٣٥٨٤) والنسائي، في الكبرى (٥/ ١٨٨ برقم٨٦٣٠ و٦/ ١٥٥ برقم١٠٤٤٠) والإمام أحمد (٣/ ١٨٤ برقم١٢٩٣٢) عن أنس ﵁.

وعنه ﷺ أنَّه كان في غزوة، فقال: «**يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينَ إِيَّاكَ أَعْبُدُ وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ**» قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها»[(١)].

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غيره، فقل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ، رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»[(٢)].

وفي «**صحيح البخاري**» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣]»[(٣)] [(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار فيما يتعلق بجلب الرِّزق ودفع الشر والضرر، ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما دعا به نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وما علمه قومه من أمره لهم بالاستغفار، وأن الله جَلَّ وَعَلَا يجعل ذلك سببًا لرزقهم، وإنزال المطر عليهم وإخراج الجنات والأنهار: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ١٢﴾ [نُوح: ١٠-١٢].

الله جَلَّ وَعَلَا جعل طاعته، والاستقامة على أمره من أسباب الرِّزق، ومن أسباب السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلَاق: ٢-٣] **فالتقوى**: وهي طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله، سبب لكلِّ خير في الدُّنيا والآخرة.

(١) أخرجه ابن السني في «**كتاب عمل اليوم والليلة**» (ص١٦٢ برقم٣٣٤).

(٢) أخرجه عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابن السني في «**كتاب عمل اليوم والليلة**» (ص١٦٧ برقم٣٤٥) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٤٥٦٣).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٢٤/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٥١ - ٢٥٣).

فالتقوى: هي من أسباب تفريج الكروب، وتيسير الأمور، ودفع الشَّر والظُّلم عن الإنسان، وأن الله يقيه بها شر الظلمة والأذى، فاللَّجأ إلى الله مع الاستقامة على دينه والاتكال عليه مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله لعباده.

فالمؤمن: مأمور بالأسباب، ومأمور بالتقوى، فعليه أن يتقي الله، ويستقيم على دين الله، ويحافظ على ما شرعه الله له، وعليه مع ذلك أن يأخذ بالأسباب الَّتي جعلها الله سببًا للوقاية، فيأخذ بالأسباب مع سؤال الله الإعانة والتوفيق والتسديد، ويلجأ إلى الله ويضرع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العليم الحكيم، القادر على كلِّ شيء، من ذلك الدُّعاء عندما يخاف شيئًا يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ، رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» يأخذ بالأسباب المتنوعة يرجو ثواب ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحرص على ما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا.

كذلك لزوم الاستغفار من أسباب تفريج الكروب وتيسير الأمور، فـ«**مَن لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**» مصداقه في كلام الله جَلَّ وَعَلَا.

فأنت يا عبد الله: عليك أن تجتهد في طاعة الله ورسوله، والاستقامة على دين الله، وأبشر بالخير، عليك بالثقة باللَّه، والأخذ بالأسباب، أسباب الدِّين وأسباب الدُّنيا ـ فالأسباب الدِّينية تقوى الله والضراعة إليه، وسؤاله، والأسباب الدُّنيوية تعاطي الأسباب الَّتي شرعها لطلب الرِّزق من بيع وشراء وزراعة، وسائر الأعمال الَّتي يترتب عليها طلب الرِّزق.

حديث: «**مَن لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ**» رواه أبو داود، وابن ماجه، وهو ضعيف؛ لأنَّ في إسناده الحكم بن مصعب[(١)] وهو مجهول؛ ولكن الأدلَّة

(١) قال الحافظ ابن حجر: الحكم بن مصعب المخزومي، الدمشقي مجهول من السابعة روى له أبو داود والنسائي، وابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص١٧٦ برقم١٤٦١).

الكثيرة من الآيات والأحاديث تدل على فضل الاستغفار، والترغيب فيه، وعلى كل حال الحديث يصلح ذكره في الترغيب والترهيب؛ لكثرة شواهد الدَّالة على فضل الاستغفار؛ ولأنَّ أكثر أئمة الحديث قد سهلوا في رواية الضعيف في باب الترغيب والترهيب؛ لكن يروى بصيغة التمريض كـ«يروى» و«يذكر» ونحوهما كما قال الحافظ العراقي في ألفيته[(١)] [(٢)].

وكذلك حديث: «مَن قَرَأَ سُورَةُ الوَاقِعَةِ كُلَّ يَوْمٍ» فهو ضعيف أيضًا ليس بصحيح «**حديث الواقعة**» وابن عبد البر يذكر الضعيف وغيره مما تيسر دون تمييز.

أمَّا حديث أبي موسى: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ» هذا حديث مشهور، وهو في العدو مطلقًا وكلّ من يخاف منه، وكذلك كان يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَاصِرِي، وَبِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ» والمقصود شيء واحد: وهو اللجأ إلى الله والاعتصام به والاستقامة على دينه، والضراعة إليه والافتقار إليه.

الصيغة المناسبة للاستغفار: رب اغفر لي، استغفر الله وأتوب إليه، اللَّهُمَّ اغفر لي، رب اغفر لي وارحمني، استغفر الله العلي العظيم الَّذي لا إله إلَّا هو الحي القيوم وأتوب إليه أنواع الاستغفار كلها طيبة المقصود طلب المغفرة بأي نوع.

وفي حديث ابن عباس: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] فيه الحث بالتوكل على الله ﷻ، وحسبنا الله، يعني: كافينا الله، ونعم الوكيل قالها المسلمون يوم أحد حين قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ

---

(١) ينظر: «**ألفية الحافظ العراقي**» (ص١١٦).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٢٦/ ٩٠، ٩١) ضمن أجوبة أسئلة موجهة لسماحته بتاريخ (٢٠/ ٦/ ١٤١٩هـ) أي قبل وفاته ؒ، بسبعة أشهر، فيعتبر هذا آخر حكم له في الحديث المذكور.

لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فماذا صار: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] جازاهم الله على هذا التوكل العظيم والانقياد لله بأن انقلبوا رابحين ناجحين بنعمة من الله وفضل، وأذل الله عدوهم.

وهكذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لما أُلقي في النار الَّتي جمع لها النمرود وأصحابه، قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠] أطفأها الله عليه وكفاه شرها مع عظمها؛ لإيمانه بربه وتوكله عليه وقيامه بحقه، ودعوته إلى سبيله، وإخلاصه له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهكذا ينبغي للمؤمن: أن يكون دائمًا حريصًا على طاعة الله ورسوله، كافًا عن محارم الله، متوكلًا عليه جَلَّ وَعَلَا، منقادًا لأمره، مُعظمًا لحرماته أينما كان، هكذا المؤمن دائمًا، لا سيما عند الشدائد والملمات العظائم أن يقول العبد: حسبنا الله ونعم الوكيل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقولها العبد مع الإيمان الصَّادق، والثِّقة باللَّه، ومع الامتثال لأوامره، والبُعد عن محارم الله، والوقوف عند حدود الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(١)]. مع الإكثار من الاستغفار في جميع الأوقات هو أمر مطلوب.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (١/ ١٨٧ - ١٩٠ حديث برقم ٧٦) و«**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١١/ ٢١٠، ٢١١) وكتاب «**فتاوى نور على الدرب**» (١١/ ٨٨).

الفصل العشرون
في الأذكار الَّتي تطرد الشَّيطان

قد تقدَّم «أَنَّ مَن قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ عِنْدَ النَّوْمِ لَم يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ»[(١)].

و«أنَّ مَن قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِن آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ كَفَتَاهُ»[(٢)].

و«مَن قَالَ: فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ كُلَّهُ»[(٣)].

وقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] وكان النَّبيُّ ﷺ يقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِن هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»[(٤)].

وقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصّلت: ٣٦] والأذان يطرد الشَّيطان، كما تقدَّم[(٥)].

وعن زيد بن أسلم أَنَّهُ وَلِيَ مَعَادِنَ، فَذَكَرُوا كَثْرَةَ الجِنِّ بِهَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُؤَذِّنُوا كُل وَقْتٍ، وَيُكْثِرُوا مِن ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا»[(٦)].

وفي «**صحيح مسلم**» عن عُثْمَانَ بن أَبِي العَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُول

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٨).
(٢) سبق تخريجه في (ص٣١٠).
(٣) سبق تخريجه في (ص١٥٨).
(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٧٧٥) والترمذي، برقم (٢٤٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال: حديث أبي سعيد وهو أشهر حديث في الباب. سنن الترمذي (ص٧٠).
(٥) سبق تخريجه في (ص٢٦٤) في آخر الفائدة الثالثة والسبعون.
(٦) هذا الأثر ذكره الذهبي في «**السير**» (٥/ ٣١٧) وشيخ الإسلام في «**الكلم الطيب**» (ص١٢٣ برقم١٣٣).

الله إِنَّ الشَّيْطَانَ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي، وَبَيْنَ قِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّه مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا**» فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ الله ﷻ عَنِّي[(١)].

وأمر ابن عباس رَجلًا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الوَسْوَسَةِ وَالشَّكِّ أَن يَقْرَأَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣][(٢)].

ومن أعظم ما يندفع به شره بقراءة المعوذتين، وأول الصافات، وآخر الحشر»[(٣)] [(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار فيما يتعلق بطرد الشَّيطان، والسَّلامة من مكائده وشره، الله جَلَّ وَعَلَا سبحانه أرشد إلى هذا في كتابه العظيم فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فُصِّلَت: ٣٦] قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزُّخرُف: ٣٦].

فالسُّنَّة للمؤمن: أن يلزم ذكر الله ﷻ وأن يجتهد في ذلك فإن هذا حرز له من عدو الله، كثرة الذِّكر والتعوذ باللَّه من الشَّيطان من أسباب السَّلامة، ولا سيما مع الصِّدق والإخلاص لله ﷻ.

وآية الكرسي من أعظم الحرز، قال ﷺ؛ لأبي هريرة لما جاءه أحد

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٠٣).
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥١١٠).
(٣) قراءة المعوذتين قد ورد فيهما أحاديث صحاح، ينظر: ما سبق وأمَّا قراءة أوَّل الصَّافات، وآخر الحشر فقد جاء عن ابن أبي ليلى، أخرجه ابن ماجه برقم (٣٥٤٩) وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (٢/ ٣٩٨، ٢٩٩) وأعله بأبي جناب وضعفه آخرون. ينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق: قايد (٣٠٤، ٣٠٥).
(٤) قرئ بتاريخ (٢٧/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٣٠/ ٥/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصَّيب**» (ص٢٥٣ - ٢٥٥).

الشَّياطين يأخذ من تمر الصَّدقة، فقال له: في المرة الثالثة لما جاء يحثو فأمسكه، وكان أبو هريرة يحرس ما تجمع من تمر صدقة الفطر، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قال: وما هي؟ قال: آية الكرسي، إذا قرأتها عند النوم لا يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوب**»[(١)] يعني: صدقك في هذا الكلام فآية الكرسي من أسباب الحرز من الشَّيطان عند النوم.

كذلك قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين عند النوم ثلاث مرَّات، يقول النَّبِيِّ ﷺ: **في المعوذتين**: «**لَم يَتَعَوَّذْ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»[(٢)].

المقصود: أنَّهما عُوذة من شر الشَّيطان، ومن شر ما ذكر فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ كذلك الآيتان من آخر سورة البقرة: «**مَن قَرَأْ هُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**» كما قال الرَّسول ﷺ هما: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ إلى آخر السورة [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦] كذلك أعوذ بكلمات الله التَّامة من شر ما خلق تقرأها ثلاثًا من أعظم أسباب السَّلامة، وهكذا «بسم الله الَّذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم» ثلاث مرات أيضًا حرز من الشَّيطان، وهكذا قراءة: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِئَةَ مَرَّةٍ، كُلُّ يَوْمٍ تَكُونُ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي**».

وثبت عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنَّه قال يا رسول الله: إنَّ الشَّيطان قد لبَّس علي صلاتي، بالوسوسة، وأفسد علي قراءتي، فقال له النَّبيّ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّه ثَلَاث مَرَّاتٍ، وَانْفُث عَن يَسَارِكَ ثَلَاث مَرَّات** قَالَ عُثْمَانُ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ الله عَنِّي مَا أَجِدُ.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٦٣) عن عقبة رضي الله عنه.

فعند الوساوس، المشروع التعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم ثلاث مرَّات، ولو في الصَّلاة، وينفث عن يساره ثلاث مرَّات، كما أمر بذلك النَّبيّ ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه[(١)].

وكان النَّبيُّ ﷺ: يتعوذ باللَّه من الشَّيطان في صلاته وغيرها، بقوله: «**أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم**»[(٢)] وربما قال: «**أَعُوذُ بِاللَّه السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِن هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**» فسر **همزه**: بالصرع، **ونفخه**: بالكبر، **ونفثه**: بالشعر المذموم.

فالمقصود: أنَّ العناية بذكر الله، والتعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، والتعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، كل هذه حرز من الشَّيطان، فالمؤمن يعتني بها ولا ييأس ويُكثر من ذلك، ويخلص لله عز وجل وله البشرى بالسَّلامة.

والأذان من أسباب السَّلامة من وساوس الشَّيطان وطرده؛ ولهذا كان كثير من السلف إذا أحسوا بوحشة أذنوا في البراري وفي المحلات القافرة والمحلات الموحشة، فالأذان يطرد الشَّيطان؛ ولهذا إذا سمع الأذان «**أَدْبَرَ، وَلَهُ ضُرَاطٌ**»[(٣)] ولو في غير الوقت إذا مر بطريق فيه وحشة يكبر، الله أكبر، الله أكبر إذا استوحش يطرد الشَّيطان لأنَّه من الذِّكر.

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (٢٦/ ١٣٠) و(١١/ ٣١٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٤٦) في الفصل العاشر، ويأتي في (ص٤٨٣) في الفصل التاسع والأربعون.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٨) ومسلم، برقم (٣٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«الفصل الحادي والعشرون
في الذِّكر الَّذي تحفظ به النِّعم، وما يقال عند تجددها

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قصة الرَّجلين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فينبغي لمن دخل بستانه، أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة، فإنَّه لا يرى فيه سوء.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ وَمَالٍ وَوَلَدٍ، فَقَالَ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فَيَرَى فِيهِ آفَة دُونَ المَوْت**»[(١)].

وعنه ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى مَا يُسره، قَالَ: «**الحَمْدُ لله الَّذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**» وَإِذَا رَأَى مَا يَسُوؤُهُ، قَالَ: «**الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ**»[(٢)]»[(٣)].

الشرح:

هذه الآية الكريمة والأحاديث فيها الدَّلالة على شرعية الثناء على الله عند وجود النِّعم، وهذا بنص القرآن الله جَلَّ وَعَلَا حث عباده على حمده والثناء عليه، والإكثار من ذلك فالحمد لله تسبيحه وتعظيمه من أفضل القربات.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ١٤٣ برقم٤٢٧٣) وفي الصغير (١/ ٢١٢ برقم ٥٨٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٩ برقم١٧١٥١) رواه الطبراني، وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابن ماجه، بر قم (٣٨٠٣) وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي (١/ ٦٧٧، ٦٧٨برقم١٨٤٠) وتعقب المناوي نقل تصحيح الحاكم له، في «**فيض القدير**» وقال: فيه زهير بن محمد له مناكير، وقال ابن معين: ضعيف، فأنى له بالصَّحة؟! ذكره مصطفى عبد القادر عطا في تحقيقه المستدرك في حاشية الصفحة المذكورة (١/ ٦٧٧).

(٣) قرئ بتاريخ (١/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٥٥ - ٢٥٦).

واللَّه جَلَّ وَعَلَا أنزل على عبده أعظم سورة وأفضل سورة، وهي الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

فالمؤمن: يُكثر من حمد الله، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(١).

وفي حديث أبي مالك الأشعري: «**الحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلَآَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**»(٢).

فالسُّنَّة: إذا رأى ما يسره في أهله أو ماله أو ولده أن يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا عن صاحب الجنتين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] أي: هلَّا إذْ دخلت جنتك قلت: ما شاء الله لا قوَّة إلَّا بالله.

فالإنسان: إذا رأى ما يسره، في أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ، يقول: الحمد لله، يحمد ربه الَّذي أنعم عليه، ويقول: ما شاء الله لا قوة إلَّا باللَّه، هذه من أسباب البركة والحماية من السوء، كذلك يقول: «**الحَمْدُ لله الَّذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**» «**الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ**» يُكثر من الثناء على ربِّه جَلَّ وَعَلَا هذه من أسباب حفظ النِّعم، ومن أسباب المزيد.

والله جَلَّ وَعَلَا يحبُّ من عباده أن يثنوا عليه وأن يحمدوه، وأن يكثروا من ذكره وتسبيحه، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

والحمد من الذِّكر والتسبيح من الذِّكر، فقيد النِّعم شكرها بالقول والعمل، فإذا وفق الله العبد لشكرها قولًا وعملًا صار من أسباب ثباتها وزيادتها، وإذا غفل عنها أو قابل نعم الله بالمعاصي كان من أسباب

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٣٧) عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٣) عن أبي مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

زوالها ونزع بركتها، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه[(١)].

○ **مسألة: في كتابة الآيات للتذكير:**

سئل سماحته عن كتابة ما شاء الله في المحل التجاري للتذكير؟

فقال: ما أعلم فيها بشيء لو كتب ما شاء الله لا قوَّة إلَّا باللَّه للتذكير، يذكر بها من دخل، من باب التذكير، وليس من باب الحرز، مثل ما يكتب في الجدار بعض الآيات، ما فيه شيء.

(١) ينظر: للمزيد من التعرف على شكر نعم الله، وعدم الكفر بها. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (٤/ ٣٧) و(٥/ ١٦ - ١٦) و(١٨/ ٤٠٢) (٢١/ ٩٨) وشرح سماحته لكتاب «**التوحيد**» باب قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النّحل: ٨٣] (ص٣٥٨ - ٣٦٢).

الفصل الثاني والعشرون
في الذِّكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧].

ويُذكر عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِيَسْتَرْجِعْ أحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حتَّى فِي شِسْعِ نَعْلِهِ، فإنَّها مِنَ المَصَائِبِ**»(١).

وَقَالَتْ: أُم سَلَمَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِن عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَأَخْلَفَ الله لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ الله ﷺ(٢).

وروي أيضًا عنها رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ**» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٣)(٤).

---

(١) أخرجه بنحوه البزار في مسنده: «البحر الزخار» (٨/ ٤٠٠ برقم ٣٤٧٥) وابن السني في كتاب «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٧١برقم٣٥٢) وشيخ الإسلام في «**الكلم الطيب**» (ص١٢٧برقم١٤١).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٩١٨).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٩٢٠).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٩/ ٧/ ١٤١٣هـ) و(٧/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٥٦، ٢٥٧).

الشرح:

هذا فيه بيان المشروع عند المصيبة، فالمشروع للمؤمن عند المصيبة صغرت أو كبرت الصبر والاحتساب، والصبر واجب ومتعين، والجزع ممنوع ومحرم؛ ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧] **المصيبة**: الشيء الَّذي يكرهه الإنسان، أو يؤذي الإنسان، من ضرب أو أخذ مال أو موت أو مرض أو غير ذلك.

فالمشروع له عند ذلك: أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأن يصبر فلا يشق ثوبًا، ولا يلطم خدًّا، ولا يحث على رأسه ترابًا، ولا يتكلم بما لا ينبغي؛ ولهذا قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَيْسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[١] عند المصيبة كلّ هذا من الجزع المحرم، والواجب الصبر، وكف النفس عن أسباب الجزع وعن آثار الجزع.

وليسترجع، يعني: **يقول**: إنا لله وإنا إليه راجعون، في كل مصيبة حتَّى في شسع النعل ويذكر عن النَّبِيِّ ﷺ: «**لِيَسْتَرْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حتَّى فِي شِسْعِ نَعْلِهِ**» وهو أحد سيور الزمام الَّذي تشد به[٢].

ويُذكر تستعمل في الأحاديث الَّتي لا تعرف صحتها كيروى، وهي صيغة تمريض، وشسع النعل إذا انقطع يؤذي الإنسان، وهو بحاجة إلى نعله، فإذا استرجع فهذا طيِّب أو عثرة سقط منها أو أصابه شيءٌ آذاه من الأمراض، أو سقط عليه شيء من فوق، أو أصابه شيء من الأذى من سائر أنواعه، فعليه بالصَّبر والاحتساب، وعدم الجزع.

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر: ١٠]

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٢٩٤) ومسلم، برقم (١٠٣) عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: (ص٤٣٩) باب الشين مع العين، مادة: [شسع].

والصبر: معناه ترك الكلام السيئ والفعل السيئ، هذا الصبر مع ثبات القلب، يكف جوارحه عن كلِّ فعل سيئ من شق ثوب ولطم خد، ويكف لسانه عن الصِّياح والنِّياح **يقول**: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهكذا في حديث أُم سَلَمَةَ: الَّذي رواه مسلم في الصحيح أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**مَا مِن عَبْدٍ يُصَابُ بِمُصِيبَة**» هي عامة مصيبة في سياق النفي «**مَا مِن عَبْدٍ يُصَابُ**» نكرة في سياق النفي يعم أي مصيبة، فَيَقُولُ: «**إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي**» وَيُقَال: «**اللَّهُمَّ أْأجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

وَلَمَّا مَات أَبُو سَلَمَةَ بن عبد الأسد، زوج أم سلمة قَالَتْ هذا الكلام رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فأَخلف الله عليها أبا سلمة بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتزوجها أجاب الله دعوتها وخلف عليها بأحسن خلف.

وفي الصَّحيح: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل على أبي سلمة، وقد شق بصره، يعني: أشرفت روحه للخروج، فقَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ**» إذا قبضت الروح، انشق البصر تبعها البصر، ينظر أين توجهت الروح، ثم قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ**» خرَّجه مسلم في الصَّحيح، فهذا هو السُّنَّة للمؤمن عند المصائب.

وجاء في قصة أبي سلمة «**إِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، فَلَا تَدْعُوا إِلَّا بِخَيْرٍ**» من حضر الموت يتكلم بالكلام الطَّيِّب، دعاء للميت مثل اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه، ودعاء لذريته، والدُّعاء لأقاربه والدعاء للمسلمين بالخلف الجزيل.

المقصود: أنَّ من حضر الموت يستحب له أن يتحرى الكلام الطَّيِّب والدُّعاء الطَّيِّب للميت ولأقاربه وللمسلمين «**فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» الظاهر أنَّه موضع يرجى فيه الإجابة لمشاركة الملائكة، على ما يقولون، والله يوفِّق الجميع لما يرضه.

«الفصل الثالث والعشرون
في الذِّكر الَّذي يدفع به الدَّين ويرجى قضاؤه

وفي «**الترمذي**» عن علي رضي الله عنه أَنَّ مُكَاتبًا جاءهُ، فَقَالَ: إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي، فَأَعِنِّي، فقَالَ: أَلَا أُعلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَل أُحُدٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ**»[(١)] قال الترمذي: حديث حسن.

الفصل الرابع والعشرون
في الذِّكر الَّذي يُرقى به من اللَّسعة واللدغة وغيرهما

في «**صحيح البخاري**» عَنِ عَبد الله بنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ الله تعالى عَنْهُمَا**، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ رضي الله عنهما، وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[(٢)].

وفي «**الصَّحيحين**» عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجلًا مِن أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ رَقَى لَدِيغًا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَجعَل يَتْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفَاتِحَة] فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ»[(٣)]. الحديث.

وفي «**الصَّحيحين**» عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ، أَوْ كَانَتْ قَرْحَةٌ بِهِ أَوْ جَرْحٌ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٦٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٢١ برقم ١٩٧١).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣٣٧١).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٢٢٧٦) ومسلم، برقم (٢٢٠١).

ـ وَوَضَعَ سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا ـ وقال: «**بِسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالدُّعاء لقضاء الدَّين، وفي رقية من يصاب بلسعة من حيَّة أو عقرب، وهكذا ما يصاب به من الأمراض الأخرى، الله جَلَّ وَعَلَا جعل كتابه شفاء ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤] شفاء للقلوب وشفاء للأبدان، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسرَاء: ٨٢] ولكنه لشفاء القلوب وتطهيرها من الشرك أعظم وهو المقصود الأول.

وفي حديث علي أنَّ من أسباب قضاء الدَّين أن يقول: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ**» ويرويه عن النَّبِيِّ ﷺ، وهذا دعاء عظيم «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ**».

وفي الحديث الَّذي في صحيح مسلم: «**اللَّهُمَّ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ، اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[(٣)] هذا من أجمع الدُّعاء.

وهكذا الدُّعاء: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ**[(٤)] **مِن كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٤٥، ٥٧٤٦) ومسلم، برقم (٢٢٩٤) واللَّفظ لمسلم.

(٢) قرئ بتاريخ: (٨/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٥٨ – ٢٦٠).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) **كلمات الله**: يعني: القرآن، وقيل: كلام الله كله القرآن وغيره، وكلام الله كله تام لا يدخله نقص من أي وجه، وذكر العدد كلمات للمبالغة في الكثرة؛ إذ كلام الله لا ينحصر بعدد ولا غيره، ويحتمل: أن يريد العدد، عدد الأذكار، وعدد الأجور على ذلك، ينظر: «**مشارق الأنوار**» للقاضي عياض (٢/ ١٧١) و«المنهاج شرح النووي لصحيح مسلم» (١٧/ ٤٤) و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مادة: [كلم].

وَمِن كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» هذا من أسباب العافية من كلِّ سوء من الحيات والعقارب والجنّ والإنس **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ»** كان ﷺ: **«يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ** رضي الله عنهما **عند النوم، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام **كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»** أخرجه البخاري في الصَّحيح **«أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ..»** وهذا يعم شرَّ الإنس والجن جميعًا.

وهكذا في الصَّحيحين عن أبي سعيد أن ركبًا من الصَّحابة مرَّ على جماعة من العرب قد لدغ سيِّدهم ففعلوا كل شيء فلم يغنِ عنه شيئًا، يعني: فعلوا الأسباب الَّتي يقدرونها ما نجحوا، فلما رأوا الرَّكب الَّذي مرَّ بهم جاءوا إليهم، وقالوا: هل فيكم من راقٍ، فقالوا: نعم، ولكنكم لم تقرون، لم تضيفون، فلا بدَّ من أجرة فاتفقوا على قطيع من الغنم، فرقاه أبو سعيد بفاتحة الكتاب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جعل يتفل عليه ويقرأ فعافاه الله، وقام كأنَّه نشط من عقال، فأوفوا لهم بجعلهم.

المقصود من هذا: أن المؤمن يلجأ إلى الله، ويضرع إليه في كشف البلاء بالدَّعوات الَّتي يحفظها، ولو كانت غير منقولة، وإذا كانت منقولة كان أكمل وأفضل، لكن إذا لم يحفظ شيئًا منقولًا، يدعو بالمعنى **اللَّهم عافني اللَّهم اشفني** من كذا اللَّهم نجني من كذا ربك يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فالإنسان يحفظ دعوات نبويَّة يدعو بها، والَّذي لا يحفظ يدعو بما تيسَّر من الدَّعوات النافعة، فهو سبحانه وتعالى يجيب المضطر إذا دعاه، وهو جعل النَّاس أجناس، فلهم ألسنة كلٌّ يدعو بلسانه كلٌّ يدعو بما يحفظ كلٌّ يضرع إلى ربّه يسأله بلغته الَّتي يفهمها، وبالدُّعاء الَّذي يفهمه الَّذي ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم.

وهذا هو المشروع لأهل الإيمان في كل مكان وفي كل زمان، أن يضرعوا إلى الله ويسألوه حاجاتهم الدِّينية والدُّنيوية، فإن حفظوا شيئًا من منقولًا دعوا به، وهو أفضل وإذا لم يحفظوا شيئًا منقولًا دعوا بما يفهمون ويعقلون فيما يكشف عنهم الضرر ويجلب لهم النفع واللَّه المستعان.

كذلك حديث: «بِسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» هذا أيضًا من الرقية كونه يضع يده هكذا، ثُمَّ يضعها على الجرح، أو على القرحة، ويقول: «بِسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا..» هذا أيضًا من الرُّقية الشَّرعية في أي مكان «أَرْضِنَا» في كل أرض وليست خاصة بالمدينة أو غيرها والمراد بالريق ريق الراقي.

□ فائدة: **حول تعويذ الأطفال:**

يجوز تعويذ الأطفال عند النُّوم، وعند خروجهم للمناسبات، وفي أي وقت، إن كان واحدًا يقول: أعيذك، وإن كانوا جماعة أعوذكم، وكلّه طيِّب، والتعويذات تشرع من كلِّ شيء، من كلِّ شر، كما جاء ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾ [الفَلَق: ٢].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«وفي «الصَّحيحين» أيضًا عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَأسَ، وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عَن عُثْمَانَ بن أَبِي العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذي يَأْلَمُ مِن جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ الله - ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله، وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[(٢)] [(٣)].

وفي «السنن» عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَن عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ: عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٤٣) ومسلم، برقم (٢١٩١).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٠٢).
(٣) وقرئ (١/٧/١٤١٣هـ) كما قيده القارئ في نسخة كتابه في (ص ٢٦٠).

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَن يَشْفِيَكَ إِلَّا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَى»(١).

وفي **«سنن أبي داود، والنسائي»** عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ اشْتَكَى مِنْكُمْ، أَوِ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ، فَلْيَقُلْ: رَبُّنَا اللهُ الَّذي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجِعِ فَيَبْرَأُ**»(٢)»(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث في جملة من الدَّعوات يُدعا بها للمريض، يستشفى بها منها ما ثبت في الصَّحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يرقي المريض، بقوله: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَأسَ، وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» لا يغادر: يعني: لا يترك، سقمًا، يعني مرضًا، هذا من الدُّعاء الجامع الثابت عنه ﷺ يكرر هذا الدُّعاء ما تيسر.

كذلك ما رقى به جبرائيل النَّبِيّ ﷺ «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»(٤) يكرر ذلك ثلاثًا «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ..**».

هكذا ما جاء في حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنَّه اشتكى إلى

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣١٠٦) والترمذي، برقم (٢٠٨٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٤٩٣ و٤/ ٤٦١ برقم ١٢٦٨، ٨٢٨٢) وضعفه سماحته كما سيرد في الشرح.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٩٢) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٥٧ برقم ١٠٨٧٦) وضعفه سماحته.

(٣) قرئ بتاريخ: (١٥/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٥٨-٢٦٠).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢١٨٦).

النَّبِيِّ ﷺ مرض يجده في جسده منذ أسلم، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى محل الأَلَمُ مِن جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ الله ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِالله، وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» وهذا نوع من الدُّعاء يضع يده على محل الألم ويقول: «بِسْمِ الله، بِسْمِ الله، بِسْمِ الله» يقول: «سبع مرَّات، أَعُوذُ بِاللَّه، وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» سبع مرَّات هذا من أسباب الشفاء[1].

كذلك إذا دخل على أخيه المريض يدعو له بقوله: «أَسْأَلُ الله العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيم، أَن يَشْفِيَكَ وَيُعَافِيَكَ...» هذا من أسباب الشفاء، وفي الحديث الآخر: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِن شَاءَ الله»[2] فالمؤمن أخو المؤمن يأتي بالكلمات الطَّيِّبة المناسبة عند دخوله على أخيه المريض طهور إن شاء الله، شفاك الله عافاك الله، أسأل الله العظيم أن يشفيك.

[وحديث «مَن عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فقال: أَسْأَلُ الله العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ..» وإن صححه الحاكم ففي سنده ضعف، وليس كما قال الحاكم؛ ولكن هذا من باب الدُّعاء، إذا دعا لأخيه بهذا الدُّعاء، وغيره من الدَّعوات الطَّيِّبة، فهو مناسب، إذا لم يحضره الأجل نفع الله بالأسباب، وإذا تم الأجل انتهت الأسباب][3].

ويدعو بما جاء في حديث أبي الدرداء: «رَبُّنَا اللهُ الَّذي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» وهو حديث ضعيف، في سنده زياد بن محمَّد الأنصاري[4]، لكنه دعاء طيِّب حسن ولو لم يرد بالنَّص، والمعني صحيح وليس من شرط الدُّعاء أن يكون واردًا، له أن يدعو

---

(١) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٢٤٨ رقم٩٠٥).
(٢) أخرجه عن ابن عباس البخاري، برقم (٣٦١٦).
(٣) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٢٤٨، ٢٤٩ رقم٩٠٦).
(٤) ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (٢٢١ رقم٢١١٣) قال عنه: منكر الحديث.

بالدَّعوات الطَّيِّبة إن كان لا يحفظ شيئًا من الأحاديث، يدعو بما أحبَّ من خير الدُّنيا والآخرة، اللَّهم أزل عني مرضي، اللَّهم ارفع عني مرضي، اللَّهم اشفني اللَّهم طهرني من ذنوبي، يسأل ربَّه بالكلمات الَّتي يحفظها، وهي الطيِّبة، وإذا حفظ النص الوارد كان أكمل وأفضل، وفَّق الله الجمع.

□ **فائدة: حول الرُّقية:**

الرُّقيَّة من جملة الأسباب الَّتي يشرع استعمالها في طلب الشفاء، فإذا اشتكى الإنسان من شيء في جسده وضع يده في موضع الألم ويدعو: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَأْسَ، وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي**» ويمكن أن يرقيه أخوه قال ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَن يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»(١).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٩٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

«الفصل الخامس والعشرون
في ذكر دخول المقابر

في «**صحيح مسلم**» عَن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أَن يَقُول قَائِلُهُمْ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**»[(١)].

وفي «**سنن ابن ماجه**» عَن عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ، **فَإِذَا هُوَ بِالبَقِيعِ، فَقَالَ**: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ**»[(٢)][(٣)].

الشرح:

هذان الحديثان: فيما يتعلق بزيارة القبور، وزيارة القبور سنَّة، يسن للمسلمين زيارة القبور؛ لأنَّها تذكر بالموت تذكر بالآخرة، تسبب الرجوع إلى الله والإنابة إليه والعمل الصَّالح؛ ولهذا كان النَّبِيُّ ﷺ يزور القبور، ويحرض على زيارة القبور للذكرى، يقول ﷺ: «**زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**»[(٤)].

فالسُّنَّة للمؤمنين زيارة القبور، وكان يُعلم أصحابه إذا زاروها أن يقولوا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**».

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٩٧٥).
(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم (١٥٤٦).
(٣) قرئ بتاريخ: (٣/ ٨/ ١٤١٣هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٦١، ٢٦٢).
(٤) أخرجه مسلم، برقم (٩٧٦) وابن ماجه برقم (١٥٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظ: «**الآخرة**» له.

وفي اللَّفظ الآخر: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ**» هكذا كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور.

وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ مرَّ على قبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، وقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ**»(١) فالسُّنَّة زيارة القبور، والدُّعاء لهم بهذه الدَّعوات، والسَّلام عليهم وترقيق القلوب وتذكيرها بالبعث والنشور، وليس لها حد محدود متى تيسر يزورها ويسلم عليهم؛ ولهذا قال ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**» حتَّى قبور الكفرة تذكر بالآخرة، لكن قبور الكفرة لا يسلم عليهم وإنما للاعتبار، وقبور المسلمين للاعتبار والذِّكرى والسلام عليهم والدُّعاء لهم جميعًا، فهذه هي الزيارة الشَّرعيَّة(٢).

○ **مسألة: في تحديد زمن زيارة القبور:**

سئل سماحته: إذا اتفقوا مجموعة من النَّاس على زيارة المقابر كلّ أسبوع فما الحكم؟

فقال: لا أعلم فيه شيء، كل أسبوع ولا كل شهر، الحمد لله، يسلموا على أهل القبور ويدعوا لهم، ولا يلزم عند الدُّعاء لهم استقبل القبلة؛ لأنَّ ليس المقصود محل دعاء، حتَّى لا يظن موضع يرجى فيه الإجابة، يسلم عليهم وبمناسبتها يدعو لهم مستقبلًا القبلة أو غير مستقبل لها.

وليس هناك ما يمنع أن بخص قريب له السلام عليك يا فلان...

وسئل عن وضع الجريد في القبر، كما فعل النَّبيّ ﷺ؟

فقال: لا، ليس بمشروع لك ودع الجريد، إلَّ إذا علمت أن من في القبر يعذب، ما وضع النَّبيّ ﷺ إلى في قبرين يعذيان.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (١٠٥٣).

(٢) للمزيد من ضوابط زيارة القبور، وشروطها. ينظر: كتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته، جمع، د. حمد الطيار، والشيخ موسى الموسى (١/ ١٤٨ س٧٠و٢٥٣ س١١٢و٢٧٩ س١٢٦ و«**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ٣١٨ و٥/ ٢٨٦، ٣٣٣ و١٣/ ٣٢٧، ٣٢٨).

«الفصل السادس والعشرون
في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح: ١٠-١١].

عَن جَابِرِ بن عَبْدِ الله، قَالَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بَوَاكٍ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ**» فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ[(١)].

وَعَن عَائِشَةَ، قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قُحُوطَ المَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي المُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ الله ﷻ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ عَن إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**».

ثُمَّ قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤] **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الغَنِيُّ، وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ**».

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ عَلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللهُ ﷻ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ الله تَعَالَى.

فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الكِنِّ[(٢)]

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١١٦٩) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (١/ ٤٧٥ برقم ١٢٢٢).

(٢) **الكِن**: هو ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن، كما في «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير(ص٨١٥) مادة: [كنن].

ضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

وفي «**سنن أبي داود**» عن عبد الله بن عمرو، كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتَ**»(٢).

وَقَالَ الشَّعْبِيِّ: خَرَجَ عُمَرُ يَسْتَسْقِي، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ، فَقَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الغَيْثَ بِمَجَادِيحِ(٣) السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا المَطَرُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح: ١٠-١١] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية [هود: ٣]»(٤) (٥).

الشرح:

هذه الأحاديث في الحث على الاستسقاء عند الجدب، وأنَّ النَّاس إذا أجدبوا وقحطوا يشرع لهم الاستسقاء، كما فعله النَّبيّ ﷺ.

والاستسقاء: طلب السقيا، يسألون ربَّهم الله أن يغيثهم، والسُّنَّة أن يكون هناك خطيب يخطب فيهم، إمام راتب أو غيره يخطب بهم في الاستسقاء، يتلو عليهم آيات الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] وما أشبه ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١١٧٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٤٧٦ برقم١٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (١١٧٦).

(٣) **مجادح**: جمع مجدح وهو: نجم من النجوم، وهو من الأنواء الدالة على المطر عند العرب. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير(ص١٤٠) مادة: [جدح] باب الجيم مع الدال.

(٤) أخرجه عبد الرَّزاق في (٣/ ٨٧ برقم ٤٩٠٢) وسعيد بن منصور (٥/ ٣٥٣ برقم ١٠٩٥).

(٥) قرئ بتاريخ (٤/ ٨/ ١٤١٣هـ) و(١٧/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٦٢ - ٢٦٤).

يكثر من الدُّعاء، ويرفع يديه في الدُّعاء، ويسأل ربَّه الغيث، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا هَنِيئًا مَرِيئًا غدقًا مجللًا، سحًا عامًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ» اللَّهُمَّ اسق عبادك وبهائمك وأحيي بلدك الميت.

يجتهد في الدُّعاء، ويكرر الدُّعاء، وهو رافع اليدين، ثُمَّ ينزل فإن كان قد صلَّى، يستقبل القبلة، ويدعو، وإن لم يكن قد صلَّى ينزل ويصلِّي ركعتين، وإن شاء قدم الصَّلاة، كصلاة العيد، ثُمَّ دعا بهذا الدُّعاء، وإن شاء آخر الصَّلاة فعل هذا، وفعل هذا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففي بعض الأحيان يبدأ بالصَّلاة، ثُمَّ يستسقي، وفي بعض الأحيان يستسقي أولًا ثُمَّ يصلِّي.

والمقصود: من الاستسقاء طلب السقيا عند الجدب والحاجة، يرفع يديه في الدُّعاء، ولو في الجمعة في صلاة الجمعة، إذا كان يستسقي في صلاة الجمعة في الخطبة، كما فعل النَّبِيُّ ﷺ في بعض السنوات الَّتي أجدبوا فيها، ثُمَّ بعد أخرج إلى المصلى وصلى بهم ركعتين.

وجاء في الأحاديث: أنَّه رُبَّما خرج وصلى قبل الخطبة، ورُبَّما خطب بعد أن صلي، فالسُّنَّة لكلِّ بلد إذا أجدبوا وقحطوا أن يفعلوا كما فعله النَّبِيّ ﷺ.

وفي حديث أنس وعائشة وغيرهما أنه لما خطب ﷺ أنشأ الله سحابة، وجاءه المطر في الحال، وهذا من آيات الله، ومن الدلائل على قدرته العظيمة، وصدق رسوله ﷺ وأنَّه رسول الله حقًّا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] فسار الصَّحابة تهمهم أنفسهم أن يسيروا إلى بيوتهم من شدة المطر.

ثُمَّ استمر المطر عليهم إلى الجمعة الأخرى فجاءوا إليه، فقالوا: هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع يديه ودعا: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ**[(١)]، **وَبُطُونِ**

---

(١) **الآكام**: جمع أكمة، وهي الرابية دون الجبل، يعني: المرتفع. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير(ص١٤٢) مادة: [أكم].

الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»[(١)] فأقلعت عن المدينة، كل هذا من دلائل صدقه، وأنه رسول الله حقًّا، دعا فاستجيب له في نزول المطر وفي إقلاع السحاب كله استجاب الله له حالًا ﷻ.

والمؤمن التابع للرسول ﷺ إذا صدق واتقى الله وتحرى الخير تجاب دعوته، كما أجاب الله دعوة الأنبياء والصَّالحين، لكن الشاهد في الأشياء أن يستقيم، فقد ترد دعوته لمعاصيه، وقد ترد دعوته لأكل الحرام، وقد ترد لأسباب ذلك... بأسباب أخرى، لكن متى صدق واجتهد في طاعة الله، واجتنب الحرام، فإنَّه حري بأن تجاب دعوته، وفَّق الله الجميع.

□ **فائدة: في سبب تأخر المطر:**

قد يكون تأخر نزول المطر، بسبب الذُّنوب والمعاصي، والأغلب قد يكون بأسباب أخرى، الله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشّورىٰ: ٣٠] هذا هو الأصح قد يؤخرها لحكمة بالغة ليتضرعوا إليه، ولينيبوا إليه، وليجتهدوا في الطاعة، كما في عهد النَّبِيّ ﷺ.

❍ **مسألة: في تعدد الاستسقاء:**

سئل سماحته عن سبب تعدد الاستسقاء في عهد عمر رضي الله عنه؟

فقال: سبب تعدد الاستسقاء في زمن عمر رضي الله عنه، تبعًا لتعدد الظواهر في عهده رضي الله عنه لطول مدة خلافته، عشر سنوات ونصف تقريبًا؛ لهذا كثر الاستسقاء.

أمَّا قول الشعبي: خرج عمر يستسقي، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ، والاسْتِغْفَارِ يحتاج إلى التَّوبة، المقصود: أنَّ فعل الرَّسول ﷺ كافٍ، استسقى ودعا ربَّه رفعًا يديه حتَّى أسقاهم الله.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠١٤) ومسلم، برقم (٨٩٧) أنس رضي الله عنه، وسيأتي في الفصل الثلاثون (ص٤٢٤).

الفصل السابع والعشرون
في أذكار الرِّياح إذا هاجت

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**الرِّيحُ مِن رَوْحِ الله تَعَالَى، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا الله خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِن شَرِّهَا**»[(١)] رواه أبو داود.

وفي «**صحيح مسلم**» عَن عَائِشَة قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»[(٢)].

وفي «**سنن أبي داود**» عَن عَائِشَةَ أيضًا رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ تَرَكَ العَمَلَ، وَإِن كَانَ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا**» فَإِنْ أَمْطَرَتْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا**»[(٣)»(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالرِّيح والغيم، فيها حديث أبي هريرة وحديث عائشة، وهكذا ما جاء في معناهما من حديث أبي بن كعب[(٥)] وغيرهم الدَّلالة على أنَّ الرّيح تأتي بالخير وبالشَّر، تكون لقوم رحمة وتكون لقوم عذابًا، فلا يجوز سبُّها، الرَّسول نهى عن سب الريح، ولكن يسأل الله

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٣١٨ برقم ٧٧٦٩).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٨٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٩).

(٤) قرئ بتاريخ: (٢٢/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٦٤، ٢٦٥).

(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٢٢٥٢) وقال: حديث حسن صحيح.

خيرها، ويتعوذ باللَّه من شرها: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِن خَيْرَ هَذِه الرِّيح، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ أُرْسِلَتْ بِهِ**» هكذا لأنَّها مأمورة، فالإنسان يسأل الله من خيرها، ويستعيذ باللَّه من شرها ولا يسبها.

وكان ﷺ إذا رأى الغيم دخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت سُرِيَ عنه، فسئل عن ذلك، فقال: إن قومًا رأوا غيمًا فظنوه خيرًا لهم فصار لهم فيه عذابهم، يعني: قوم هود، قال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذّاريَات: ٤١].

وقالت عائشة: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحاً عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَن يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيح، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤]»[(١)].

فالحاصل: أنَّ النَّاس قد يعذبون بالرِّياح كما حصل لقوم هود، قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ وقوم نوح عُذبوا بالغرق نبع الماء من تحتهم، ونزل المطر من فوقهم حتى عمهم الغرق، فتعذيب العباد أهون عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا عصوه أمره وخالفوه، هم على خطر عظيم.

فالواجب على المؤمن أن يسأل الله جَلَّ وَعَلَا الخير، ويستعيذ به من الشَّر، وأن يستقيم على الحق، ويثبت عليه، ويحذر الباطل، فمن يستقيم على الحقِّ، فله السَّعادة والعاقبة الحميدة، ومن حاد عن السبيل فهو على خطر عظيم، إلَّا أن يتداركه الله بفضل منه، ورحمة، وتوبة، فمن تداركه الله بذلك، فهو بخير عظيم.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٨٢٨) ومسلم، برقم (٨٩٩).

فالواجب على كلّ مؤمن التقيد بالشرع والتمسك به في أوامره ونواهيه، هذا هو طريق النَّجاة وسبيل السَّعادة[(١)].

○ مسألة: **في منع سب الشِّتاء:**

لا يجوز سب الشِّتاء، فسب المخلوق، لا يجوز إلَّا من أذن الله بسبه ولعنه، كاليهود والنَّصارى، والكُفَّار على العموم.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: للمزيد: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٤/ ٤٧٣، ٤٧٤ حديث رقم ١٧٢٨، ١٧٢٩).

«الفصل الثامن والعشرون
في الذِّكر عند الرَّعد

كَانَ عَبْد الله بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الحَدِيثَ، وَقَالَ: «**سُبْحَانَ الَّذي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالمَلَائِكَةُ مِن خِيفَتِهِ**»(١).

وعن كعب أنَّه، قال: «**مَن قَالَ: ذَلِكَ ثَلَاثًا عُوفِيَ مِن ذَلِكَ الرَّعْد**»(٢).

وفي «**الترمذي**» عَن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ **رضي الله تعالى عنهما** أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ**»(٣)»(٤).

الشرح:

هذان الأثران والحديث فيما يتعلق بما يقال عند سماع الرَّعد، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: ١٣] كان عبد الله بن الزبير الصَّحابي الجليل إذا سمع الرَّعد يقول: «**سُبْحَانَ الَّذي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**».

وفي الحديث يقول ﷺ عند سماع الرَّعد: «**اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ،**

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٥٣برقم٢٦) ومن طريقه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢٥٢ برقم ٧٢٣) وصححه النووي في «الأذكار» (ص١٩٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده على فضائل الصَّحابة» (٢/ ١٢٥١) والطبراني في «**الدُّعاء**» (٢/ ١٢٦١) وأورده النووي في «**الأذكار**» (ص١٩٣) وشيخ الإسلام في «**الكلم الطيب**» (ص١٣٦ برقم ١٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٥٠) وقال: هذا حديث غريب، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٠ برقم ١٠٧٦٤) **قال سماحته**: لعله حسن لغيره لطرقه، كما سيأتي في الشرح.

(٤) قرئ بتاريخ: (١٤١٦/٦/٢٣هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٦٥، ٢٦٦).

وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ» فالمؤمن عند سماع الرَّعد يتذكر أن الله جَلَّ وَعَلَا حكيم عليم، وأنَّه مدبر الأمور، ومسير الأمور، ومغيث العباد وبيده تصريف كل شيء.

فإذا قال مثل ما قال ابن الزبير فحسن: **«سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ»** كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: ١٣] وإذا قال: **«اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ»** هذا أيضًا كذلك مستحب، لفعل النَّبِيِّ ﷺ.

سأل سماحته القارئ: عن تخريجه، فقرأ عليه: رواه الترمذي وأحمد، وفي سنده ضعف، وضعفه النووي في الأذكار، وتعقبه الحافظ في تخريج الأذكار، فقال: رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي والنسائي والحاكم(١) من طرق متعددة(٢) **فقال سماحته:** لعله يكون من باب الحسن لغيره، لطرقه.

والمؤمن يتحرى: ما جاء في الشَّريعة وما ورد فيها في كل شيء، والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أعلم النَّاس بسنَّته ﷺ، فإذا تأسى بهم فيما يفعلون هم قدوة في الخير، يقول ﷺ: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»**(٣) فهم أعلم النَّاس بسنَّته.

□ **فائدة: في الفرق بين الرعد والبرق:**

الرَّعد: هو ما يسمع من الصَّوت المعروف، والبرق شيء يأتي ثُمَّ ينصرف، وما يقوله العامَّة إذا رأوا البرق من الأدعية، لا أعرف له أصلًا، ولا أذكر شيئًا من السُّنَّة، يقال عند رؤية البرق في وقت هذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٠٠ برقم٥٧٦٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٥١برقم٧٢١) وتقدَّم تخريجه الترمذي، والنسائي في الكبرى، والنووي في الأذكار، في المتن، والحاكم (٤/ ٣١٨ برقم ٧٧٧٢) ينظر: «**شرح الأذكار**» لابن علان (٢/ ٢٨٣، ٢٨٤).

(٢) ينظر: «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» (ص٢٦٦ حاشية ٢).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٢٦٥٢) ومسلم، برقم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«الفصل التاسع والعشرون
في الذِّكر عند نزول الغيث

في «**الصَّحيحين**» عَن زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: **أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَن قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالكَوَاكَبِ، وَأَمَّا مَن قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بالكَوَاكِبِ**»(١).

وقد قيل: «**إِنَّ الدُّعاء عِنْدَ نُزُولِ الغَيْثِ مُسْتَجَابٌ**»(٢).

وفي «**صحيح البخاري**» عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: «صَيِّبًا نَافِعًا»**(٣).

وفي «صحيح مسلم» عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَطَرٌ فَحَسَرَ رَسُولُ الله ﷺ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ المَطَرِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ**»(٤)»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٨٤٦) ومسلم، برقم (٧١).

(٢) أخرجه عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٦٩، ١٧١برقم٧٧١٣، ٧٧١٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١/ ١٩ برقم ١٧٢٥٣): رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان، وهو مجمع على ضعفه، وضعفه سماحته كما سيأتي في الشرح.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (١٠٣٢).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٨٩٨).

(٥) قرئ بتاريخ: (٢٣/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٦٧، ٢٦٨).

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يقال: عند نزول الغيث، يقول: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ** كما كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول ذلك، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما صلَّى بالنَّاس الفجر على إثر مطر، قال لهم في موعظته: «**إِنَّ الله** جَلَّ وَعَلَا، **قال: أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَن قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ**» يعني: معترف بأن الله هو مُنزل المطر، وهو المتفضل على عباده، فإذا قال: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله**» فهذا قد اعترف بما يسر الله للعباد؛ ولهذا قال: «**فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي**» حين قال: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ**» كافر بالكوكب، منكر لتأثير الكوكب، والكفر: هو الجحود والإنكار، يعني: منكر وجاحد لكون الكواكب لها تأثير في نزول المطر وغيره، الكواكب مخلوقات مسيرة مدبرة تسير بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ ليس لها تصرف، هي مسيرة بأمر الله.

أمَّا من قال: «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا**» يعني: بنجم كذا «**فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**» فهذا يبين لنا أن السُّنَّة، أن يقول عند المطر: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ**» ويقول: «**اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**» كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وكذلك عند نزول المطر، إذا حسر ثوبه عن رأسه أو عن جسده حتى يصيبه المطر تأسيًا بالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا حسن؛ لأنه ماء طهور ومبارك، فإذا حسر عن رأسه حتى يصيبه المطر هذا حسن، كما فعله النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وقال**: «**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ**» يعني: قريب عهد بربِّه، يعني: كل ما نزل من فوق فهو أعلى، والله جَلَّ وَعَلَا في العلو، وكل ما كان أعلى فهو أقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمطر أنزله برحمته، رحمة للعباد، وقد يكون عذابًا لبعضهم، فإذا نزل فيما ينفعهم، وفيما يسرهم «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ**».

وإذا نزل مطر واستمر وخشوا أن يغرقهم، سألوا الله أن يرفعه عنهم، وأن يكفيهم شره، كما في الحديث «**يَا رَسُول الله! هَلَكَتِ الأَمْوَالُ،**

وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا»(١) وهذا لا ينافي: أن يقول: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ» فهو خير من الله ورحمة؛ لكن قد يكون عذابًا لقوم آخرين، كما جرى لقوم نوح أهلكهم الله بالطوفان، السماء من فوقهم، والأرض تنبع من تحتهم، نسأل الله العافية.

والمؤمن يتحرى السُّنَّة في كلّ شيء، في أقواله، وفي أفعاله، وفي كل ما يقع في الوجود، يتحرى فيه السُّنَّة، فيعمل بها فاللَّه جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

بيان معنى:

قوله: «حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ» يحتمل قرب خلقه إيَّاه، وإنزاله إيَّاه، وهو أقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن ليس كل قريب منه يتبرك به، التبرك خاص، بأشياء توقيفية، وإن قرب عهده من الله هذه علة، ولكن مع العلة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر بالتبرك بكل شيء حديث عهد، فالتبرك خاص بما جاءت به السُّنَّة فقط، فعند نزول المطر يتبرك به، ومثل الشيء الَّذي جاءت به السُّنَّة في أنَّه مبارك مستعمل على أنَّه مبارك حسب ما جاءت به السُّنَّة، أما مجرد كونه حديث وجود، جديد لا يجيز التبرك به.

قوله: «بِنَوْءِ كَذَا» المحذور بالباء، لو قال «فِي نَوْءِ كَذَا» لا بأس به، أمَّا **بنوء كذا** لا يجوز؛ لأنَّ الباء سببية كأنَّ لها أثر، وإذا اعتقد أنَّ المطر من النُّجوم صار كفرًا أكبر، نسأل الله العافية.

والأنواء يتعلمها المسلم لمعرفة الأوقات، وطرق البلاد، وطرق المياه، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال سبحانه: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦] بأن جعلها الله علامات يُهتدى بها، أمَّا أن يحتج بها على

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠١٣) ومسلم، برقم (٨٩٧) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

التأثير في الوجود هذا هو الباطل؛ ولهذا قال: «مُطِرْنَا بِنَوْءٍ» الباء تقتضي السببية والتأثير.

ما ذكره المؤلف: بأنَّ وقت نزول المطر وقت إجابة الدُّعاء، قد جاء في بعض الأحاديث(١)، وكذلك الدُّعاء بين الأذان والإقامة(٢) فإذا دعا إن شاء الله يستجاب له.

(١) سبق تخريجه في (ص٤٢٠) وتضعيف الهيثمي له.

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٣٧) وتضعيف سماحته في (ص٣٣٨).

«الفصل الثلاثون
في الذِّكر والدُّعاء عند زيادة المطر، وكثرة المياه والخوف منها

في «**الصَّحيحين**» عَن أَنَس قَال: دَخَلَ رَجُل المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِثْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**».

قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّه مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِن سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْع مِن بَيْتٍ وَلَا دَار، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا.

ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِن ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا عَنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ[(١)] [(٢)].

الفصل الحادي والثلاثون
في الذِّكر عند رؤية الهلال

عَن عبد الله بن عُمَرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَأَى الهِلَالَ قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ الله**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤١٤).

(٢) قرئ بتاريخ (٧/ ٨/ ١٤١٣هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٢٦٩).

(٣) أخرجه الدارمي، برقم (١٦٨٧) وابن حبان، برقم (٨٨٩) والحديث له شواهد قد حسن بها.

وفي «سنن أبي داود» عَن قَتَادَةُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ نَبِيَّ الله كَانَ إِذَا رَأَى الهِلَالَ، قَالَ: «هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «الحَمْدُ لله الَّذي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا»[1][2].

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالدُّعاء في طلب الغيث، أو الدُّعاء عند كثرة الأمطار، والدُّعاء عند رؤية الهلال، فالسُّنَّة إذا أجدب النَّاس أن يستغيث ولي الأمر والمسلمون، كما فعل النَّبِيّ ﷺ فإنَّ النَّاس أجدبوا في زمانه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وطلبوا منه أن يستغيث لهم فاستغاث لهم، مرة استغاث لهم في خطبة الجمعة، ومرة خرج بهم إلى الصحراء وصلى بهم ركعتين، واستغاث، والاستغاثة سنة، وليس من شرطها إذن الإمام، كل بلد يحصل لهم الجدب، مستحب لهم أن يستغيثوا.

وفيه دلالة: على أنَّه يشرع رفع اليدين في دعاء الاستغاثة؛ لأنَّه لما قال الرجل: «يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ» يعني: بقلة الماء لقلة المطر «وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ» ـ بالجدب ـ «فَادْعُ الله يُغِثْنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ» وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، فَأَنْشَأَ الله تَعَالَى سَحَابَةً مِثْلَ التُّرْسِ» الترس: هو الَّذي يتقى به السلاح[3] «وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ» وسلع: جبل في المدينة[4] ما بينهم شيء هم يرونه «مِن بُنْيَانٍ، وَلَا دَارٍ، وَلَا سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةٍ[5]».

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٩٢).

(٢) قرئ بتاري (٢٤/٦/١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٦٨ - ٢٧٠).

(٣) ينظر: «**النهاية في غريب الحديث**»؛ لابن الأثير(ص١٧٠) مادة: [جنن] وفي (ص٨٥٨) مادة: [مجن].

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٧٦٦) مادة: [قفا] باب القاف مع الفاء.

(٥) **القزعة**: قطعة من السحاب، أي: الغيم المتفرق. ينظر: النهاية في غريب الحديث (ص٧٥٠) مادة: [قزع].

فأنشأ الله سحابة مثل الترس، انبسطت في السماء، ثم أرعدت وأبرقت، ونزل المطر على النَّاس وهو في مسجدهم، فخرجوا يمشون في المطر، واستمر معهم المطر سبتًا، يعني: أسبوعًا إلى الجمعة الأخرى، فَدَخَلَ رجلٌ مِن ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ الآتِية، وَقَالَ: «**يَا رَسُولُ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا عَنَّا**» يعني: بسبب الأمطار، وكثرة المياه، ابن آدم ضعيف.

وفي رواية: فتبسم النَّبِيُّ ﷺ متعجبًا من ضعف ابن آدم، ففي الجمعة الأولى يطلبونه منه أن يسأل الله لهم الغيث، وفي الجمعة الأخرى يطلبونه أن يسأل الله أن يمسكها عنهم «**فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ، وَالظِّرَابِ**(١)**، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» فأقلعت السحب فأجاب الله دعاءه في الحال، وخرج النَّاس يمشون في الشَّمس.

هذه من آيات علامات النُّبوة، ومن المعجزات الدَّالة على صدقه، وأنَّه رسول الله ﷺ، لو كان كذابًا ـ وحاشاه ـ فلا يؤيد من الله له بالآيات الَّتي تقع على يديه، من نبع الماء من بين أصابعه، من بركة الطَّعام بين يديه، ومن إجابة دعائه في الحال إلى غير هذا مما أجرى على يديه؛ ليعلم النَّاس صدقه، وأنه رسول الله حقًّا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكذا لو دعا الإنسان وهو جالس، اللَّهم أغثنا، أو دعا وهو يمشي اللَّهم أغثنا، اللهم أغث المسلمين، اللهم ارحم حالهم، اللَّهم أنزل عليهم الغيث، فكل هذا لا بأس به، وهكذا لو خرج إلى الصحراء وصلى ركعتين وخطب النَّاس وذكَّرهم، واستغاث كما فعله النَّبِيّ ﷺ

---

(١) **الآكام**: جَمْع أكمة، وهي الرابِيةَ. ينظر: النهاية؛ لابن الأثير(ص٤٣) مادة: [أكم]. **والظراب**: الجِبَالُ الصِّغار واحدُها: ظَرِبٌ بوزْن كَتِف، وقد يُجْمَع في القِلَّة على أظْرُب، ويجمع أيضًا على ظُرُب مثل: كتاب وكُتُب المصدر السابق نفسه (ص٥٧٩، ٥٨٠) مادة: [ظرب] باب الظاء مع الراء.

كله سنة[١].

أمَّا عند رؤية الهلال: فقد جاء في هذا الحديث: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ» وهكذا أثر قَتَادَةُ وهو أثر ليس بمرفوع، وقتادة تابعي يذكر أَنَّهُ بَلَغَهُ وبلاغات قتادة وأشباهه ليس بحجة، وإنَّما يستحب أن يقول: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ» ويقول: إذا رآه الله أكبر.

وهذه آيات الله يخرج شهر ويأتي بشهر، تذهب ليلة ويأتي نهار، يذهب النهار ويأتي الليل هذه من آيات الله ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فُصّلَت: ٣٧] فهو ﷻ خلق هذه الآيات للدَّلالة على قدرته العظيمة، وأنَّه ربُّ العالمين، وأنَّه الخلاق العليم، وأنَّه المستحقُّ لأن يُعبد، ليل ونهار، وشمس وقمر ونجوم، جبال وأشجار وأنهار وأبحار إلى غير ذلك.

سأل سماحته القارئ ماذا قال: في حديث: «هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ» يَقُولُ الحافز: «**في تخريج الأذكار**» وجدت له شاهدًا مرسلًا أيضًا أخرجه مسدد في «**مسنده الكبير**» ورجاله ثقات. ووجدت له شاهدًا موصولًا من حديث أنس[٢].

قال سماحته: يحتاج إلى مراجعة إذا وجد له سند صحيح لا بأس به، أقول: لا أعلم له أسانيد صحيحة إلَّا حديث «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ» هذاك إذا وجد له سند لا بأس به[٣].

---

(١) ينظر: للمزيد: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٥/ ٣١٥ - ٣١٨ و١٣/ ٥٩ - ٦٠ و١٦/ ٤٦).

(٢) وقد ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» برقم (٤٤١٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٧٠ حاشية١).

(٣) ينظر: للمزيد: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٥٧١ حديث برقم ١٢٢٨).

«الفصل الثاني والثلاثون
في الذِّكر للصَّائم وعند فطره

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ**»(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وروى «**ابن ماجه**» عن ابنَ أَبِى مُلَيْكَةَ، عَن عَبْد الله بن عَمْرو بن العَاص، قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**».

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْد الله بن عَمْرو **رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُمَا**، يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»(٢).

وَيُذكر عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ**»(٣).

ومن وجه آخر: «**اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّل مِنَّا**

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٩٨) وابن ماجه، برقم (١٧٥٢) وصححه ابن خزيمة برقم (١٩٠١) وابن حبان برقم (٣٤٢٨) وحسنه الحافظ ابن حجر: كما في «**الفتوحات الربَّانية**» (٤/ ٣٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم (١٧٥٣) وصححه الحاكم (١/ ٥٨٣ برقم ١٥٣٥) وتعقبه الذهبي.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٢٣٥٨) عن معاذ بن أبي زهرة بلاغًا عنه، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٢٩٨ برقم٧٥٤٩) وفي «**الصغير**» (٢/ ١٣٣ برقم ٩١٢) عن أنس، قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣/ ٢٠٤ برقم٤٨٩٢) فيه: داود بن الزبرقان وهو ضعيف، وقد أورده المؤلف بصيغة التمريض، ليدل على ضعفه.

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه الأحاديث والآثار فيما يتعلق بدعاء الصَّائم، الصَّوم له فضل عظيم والصَّائم له دعوة مستجابة حال صومه، وعند إفطاره، فيستحب له الإكثار من الدُّعاء، والحرص على الأسباب من الخشوع لله والخضوع وإحضار القلب، والحذر من الغفلة عن الله، والحذر من تعاطي الحرام، فإنَّ أكل الحرام من أسباب الحرمان، ومن أسباب المنع من إجابة الدُّعاء.

فالمشروع للمؤمن: أن يحذر ما حرَّم الله عليه، وأن يجتهد في إخلاص الدُّعاء لله، وأن يكون الدُّعاء عن قلب حاضر خاشع مُقبل على الله راغب فيما عنده يرجو رحمته ويخشى عقابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي الحديث الصَّحيح يقول ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، يَقُولُ اللهُ: إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»[(٣)].

الصِّيام له شأن، فستجب للصَّائم أن يُكثر فيه الدُّعاء رجاء أن تجاب دعوته، وفي الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ عِنْدَ فِطْرِهِ» وفي

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ١٨٥ برقم٢٦) وابن السني في كتاب «عمل اليوم والليلة» (ص ٢٢٦ برقم ٤٨٠) عن ابن عباس قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٤ برقم ٤٨٩٣): رواه الطبراني في «**المعجم الكبير**» وفيه: عبد الملك بن هارون، وهو ضعيف.

(٢) قرئ بتاريخ (٨/ ٨/ ١٤١٣هـ) و(٢٩/ ٦/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٧٠، ٢٧١).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٠٧).

لفظ: «الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ[(١)] وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ» وفي لفظ: «**وَدَعْوَتُ الوَالِد عَلَى وَلَدِهِ**»[(٢)] كلّ هذه دعوات جاء فيها نصوص متعددة يشدّ بعضها بعضًا.

دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان كافرًا، واتق دعوة المظلوم عام، كافر مظلوم إنسان معاهد أخذ منه زيادة أو ضرب بغير حقٍّ، أو أخذ ماله بغير حقٍّ، أو مستأمن أو عامل عنده ظلمه في أجرته، المظالم كثيرة[(٣)].

فالحاصل: أنَّ هؤلاء الَّذين ذُكر أن دعوتهم مستجابة من جهة سند الحديث، الحديث ضعيف[(٤)] وإن كان لمعنى الحديث شواهد كثيرة يقوي بعضها بعضًا.

فينبغي للمؤمن: أن ينتهز الفرص ويتحرى لعله تجاب دعوته، فيدعوا بأهم ما يهمه اللَّهم اغفر لي، اللَّهم ارحمني، اللَّهم أصلح قلبي وعملي، اللَّهم ثبتني على دينك، اللَّهم إني أسألك الهدى والسداد، ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ كان يقول عند الفطر: «**اللَّهُمَّ يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ اغْفِرْ لِي**»[(٥)] وهنا يقول عبد الله بن عمرو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ

---

(١) ينظر: للمزيد عن الإمام العادل. «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٢٦/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٤٨) وفيه: «**وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ**» وقال: حديث حسن.

(٣) للمزيد من مواضع إجابة دعوة المظلوم، ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٣٢٤).

(٤) وأُعِلَّ بجهالة أبي مُدلة، مداره عليه، قال الحافظ ابن حجر: «مولى عائشة لا يعرف اسمه مجهول، لم يرو عنه غير أبي مجاهد» ينظر: «**تهذيب التهذيب**» (١٢/ ٢٤٨ ترجمة رقم١٠٣٣).

(٥) أخرجه موقوفًا على ابن عمر، ابن الأعرابي في «**معجمه**» (١/ ١٩٨ برقم٣٤١) والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٥/ ٤٠٧ برقم ٣٦٢٠) وأخرجه عنه مرفوعًا أبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ٤٤).

التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي».

فالمقصود: أنَّه يدعو بالدَّعوات الجامعة المهمة كسؤال الله المغفرة، ودخول الجنَّة والنَّجاة من النَّار، وقبول الصِّيام وقبول الأعمال، وصلاح القلب، اللَّهم تقبل مني صيامي، وأعمالي.

واللَّهم أصلح ولاة أمرنا، اللَّهم وفقهم لكلِّ خير، واللَّهم أصلح أحوال المسلمين، اللَّهم فقههم في الدِّين.

ويروى عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّه كان يقول عند الإفطار: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، رَبِّ تَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» وفي سنده ضعف[١].

وجاء أيضًا في رواية عند أبي داود بسند جيِّد كان يقول: ﷺ إِذَا أَفْطَرَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ الله**»[٢].

فالمؤمن يتحرى: هذه الدَّعوات وغيرها من الدَّعوات الطَّيِّبة يرجو من الله أن يجيبها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) فيه: داود بن الزبرقان، وهو ضعيف كم قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣/ ٢٠٤ برقم ٤٨٩٢).

(٢) أخرجه عن ابن عمر، أبو داود، برقم (٢٣٥٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٥٨٤ برقم ١٥٣٦).

«الفصل الثالث والثلاثون
في أذكار السفر

روى «**الطبراني**» عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا خَلَّفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ أَفْضَلَ مِن رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعْهُمَا عِنْدَهم حِينَ يُرِيدُ سَفَرًا**»(١).

وفي «**مسند الإمام أحمد**» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ** عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَن أَرَادَ سَفَرًا، فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ، أَسْتَوْدِعُكُم الله الَّذي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ**»(٢).

وفي «**المسند**» أيضًا عَن ابن عُمَر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»(٣).

وَقَالَ سَالِم كَانَ ابن عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: أُوَدِّعْكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»(٤).

---

(١) أخرجه مرسلًا، ابن أبي شيبة (١/ ٥٢٩ برقم١) عن المطعم بن المقدام، ومن طريقه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤٦٦) وقد عزاه السيوطي للطبراني في «**مناسكه**» ينظر: جامع الأحاديث (١٩/ ١٤ برقم٢٠٠٤٨) وهو ضعيف؛ لأنه مرسل، فالمطعم من أتباع التابعين وقد أرسل هذا الحديث، كما نقل ذلك ابن حجر في الإصابة عن ابن رجب (٦/ ٣٧٣) والمرسل من أقسام الضعيف، كما تقدم مرارًا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٣ برقم ٩٢١٩) والنسائي في الكبرى (٦/ ١٣٠ برقم١٠٣٤٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٨٧ برقم٥٦٠٥، ٥٦٠٦) والنسائي في الكبرى (٦/ ١٣٢ برقم١٠٣٥١).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٢٦٠٠) والترمذي، برقم (٣٤٤٣) وابن ماجه، برقم (٢٨٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٤٤٢ برقم١٦١٧).

ومن وجه آخر: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ**» وذكر تمام الحديث[(١)] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وَقَالَ أَنَس ﵁ جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «**زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى**» قَالَ زِدْنِي؟ قَالَ: «**وَغَفَرَ ذَنْبَكَ**» قَالَ زِدْنِي؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: «**وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[(٢)] قال الترمذي: حديث حسن.

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله ﷻ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**» فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اطْوِلَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ**»[(٣)] قال الترمذي: حديث حسن»[(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث كلُّها تتعلق بالسفر[(٥)] والسُّنَّة للمُسافر، إذا أراد السفر أن والسُّنَّة للمُسافر، إذا أراد السفر أن يودع أهله، ويوصيهم بتقوى الله، ويوصيهم بما يلزم بعد سفره حتَّى يكون على بيِّنة وعلى استقامة، وعلى عمل يرضاه، ويقول: «**أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكُم، وَأَمَانَتَكُم، وَخَوَاتِيم عَمَلِكُم**» ويوصيهم بما يلزم من الخير.

---

(١) أخرجه الترمذي انظر الحاشية ما قبل السابقة.
(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٤٤).
(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٤٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ١٠٨ برقم ٢٤٨١).
(٤) قرئ بتاريخ (١٠/ ٨/ ١٤١٣هـ) و(١/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٧١ - ٢٧٣).
(٥) **السفر**: هو قطع المسافة، وجمعه أسفار؛ وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه يُسفر عن أخلاق الرِّجال، أي: يكشفها. ينظر: «**تحرير ألفاظ التنبيه**» للنووي (ص٨١).

كذلك يقول المُوَدِّع: «**أَسْتَوْدِعَكَ الله دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيم عَمَلِكَ**» كما كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يفعل ودعا له زودك الله بالتقوى، وغفر ذنبك، وجعل لك الخير حيثما كنت كل هذا مما ينبغي للمؤمن مع أخيه المؤمن فيما بينهم؛ لأنَّهم شيء واحد وأولياء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١] فهذا من موجب الولاية الدُّعاء لهم بالتوفيق والتَّيسير وغفران الذُّنوب.

واستوداع الله لهم دينهم وأمانتهم وخواتيم أعمالهم كل هذا من مقتضى الأخوة الإيمانية تأسيًّا بالنَّبِيِّ ﷺ، وتنفيذًا لمقتضى الأخوة الإيمانية.

وهكذا كونه يخلفه في أهله بخير إذا كان في بحاجة في مساعدة أو قرض خلفه في أهله بخير هذا أيضًا من باب التعاون على البر والتقوى، كما قال ﷺ: «**مَن جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَن خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»(١).

هكذا الإنسان: إذا غاب جاره في سفر أو في جهاد أو غيره، فخلفه بخير بأن ساعدهم بالصَّدقة بالقرض بغير هذا مما ينفعه كل هذا مما يحبه الله ويرضاه، وينبغي للمؤمن دائمًا يتوخى الخير مع جيرانه، ومع أحبابه ومع جلسائه، ومع عموم المؤمنين في أسفارهم وفي إقامتهم.

ومن آداب السفر أيضًا: التكبير على كل شرف، كون الإنسان إذا علا شيئًا كبر وإذا هبط واديًا سبَّح، كما كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يفعلون؛ ومناسبة التكبير على كل شرف؛ لأنَّ الشرف عظيم والجبال عظيمة والروابي عظيمة في النُّفوس، فالمعنى يشير إلى أن الله أكبر من هذا، وأكبر من كلّ شيء، وإذا كان هبوط، والله عالي، يقول: سبحان الله تنزيهًا لله عن الهبوط والسفول.

كلُّ هذا من آداب السفر، وعند ركوب الرَّاحلة يأتي بما شرع الله،

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٨٤٣) ومسلم، برقم (١٨٩٥) عن زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يحمد الله ويكبره، وفي الرواية الأخرى: يكبر ثلاثًا الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ويقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ [الزّخرُف: ١٣-١٤] كل هذه أشياء ينبغي للمسافر أن يقولها، كل واحد من المسافرين يقولها بنفسه ولا يكون كسولًا.

ـ ثُمَّ سأل سماحته ـ ماذا قال المحشي: عن الحديث الأول، حديث صلاة الركعتين؟ فقال **القارئ**: قال الألباني في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٣٧٢): ضعيف، وحسنه الحافظ في «تخريج الأذكار» وذكر له شواهد(١).

قال سماحته: على كل حال صلاة الرَّكعتين كلُّها خير، لكن كونها سنَّة لا بد يتحقق صحة الحديث، وإلَّا فكونه يخلف الركعتين في بيته، والوصية لأهله كل هذا خير، فإذا ثبت صحة الحديث تعتبر من ذوات الأسباب يحتاج النظر إلى طرقه.

الحاصل: أن ما ذكره المؤلف من صلاة ركعتين عند إرادة السفر حديث ضعيف؛ لأنَّه مرسل، وكان يغني عنه أن يورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إِذَا خَرَجْتَ مِن مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ تمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ تَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ**»(٢).

إذا قدم من سفر ووجد المسجد مغلقًا، صلى في البيت فهذا حسن، فالسُّنَّة أن يبدأ بالمسجد، وإذا ما تيسر صلى في البيت كلها سنة مستحبة إن صلى في البيت فحسن.

ومعنى: «**أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**» أي: أجعل دينك أمانة عند الله يحفظه الله، وما كان أمانة عند الله لا يضيعه الله، يعني: يجعله وديعة عند الله يحفظه، كذلك أمانته الَّتي أوصاه الله بها.

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٧٢ حاشية١) و«**شرح الأذكار**» (٥/ ١٠٦).

(٢) أخرجه البزار، كما في «كشف الأستار» (١/ ٣٥٧ برقم ٧٤٦) قال الهيثمى في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٣٥، برقم٣٦٨٣) رجاله موثقون، وقد حسنه ابن حجر، فيما ذكره السيوطي في «**جمع الجوامع**» (٣/ ٩٢ برقم ١٨٥٠).

يقول المودع: جزاك الله خيرًا، أو يقول: وأنا «أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» طيِّب يقول مثله.

كان ﷺ: «إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ» هذا هو الغالب المعروف عنه في كلِّ سلام توديع أو سلام عادي هذا من سنته، ومن تواضعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع والثلاثون
في ركوب الدَّابة والذِّكر عنده

قال عَلِيِّ بن رَبيعَةَ، شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَع رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ الله، فَلَمَّا اسْتَوى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ لِله، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ [الزّخرُف: ١٣-١٤].

ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لِله ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ ثَلاث مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَك إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ، قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**»(١) رواه أهل السنن، وصححه الترمذي.

وفي «**صحيح مسلم**» عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ**».

وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٢٦٠٢) والترمذي، برقم (٣٤٤٦) والنسائي، في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٧، ٢٤٨ برقم ٨٨٠٠، ٨٧٩٩ و٦/ ١٢٩ برقم١٠٣٣٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ١٠٨ برقم ٢٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٣٤٢).

وفي وجه آخر: «وَكَانَ رسول الله ﷺ وَأَصْحَابه ﷺ إِذَا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا»(١) (٢).

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السَّفر

قَالَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قَفَلَ مِنَ حَجٍّ أَو عُمْرَةٍ أَو غَزْوٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاث تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ الله وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(٣) رواه البخاري ومسلم»(٤).

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بأذكار السَّفر، وعند ركوب الدَّبة، وعند الإياب يستحب للمؤمن أن يقول: مثل ما كان النَّبِيّ يقول: يسمي الله عند ركوب الدَّابة ويحمد الله، ويكبر ثلاثًا كما في حديث ابن عمر، ويقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ يعني: مطيقين ذلك الانتقال البعيد لولا تسخير الله لنا ذلك ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزّخرُف: ١٣-١٤]أي: راجعون بعد مماتنا إلى ربنا لصائرون، وفي هذا بيان أن الله هو المنعم على عباده المستحق للعبادة وحده(٥).

---

(١) هذا الوجه أخرجه أبو داود مدرجًا عقب إيراد الحديث، برقم (٢٥٩٩) وفيه بدل: «أصحابه» «وَجُيُوشُهُ» وروى هذه الزيادة المدرجة عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٦٠برقم٩٢٤٥) مفردة.

(٢) قرئ بتاريخ: (٢/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (١٧٩٧) ومسلم، برقم (١٣٤٤).

(٤) قرئ بتاريخ: (١٢/ ٨/ ١٤١٣هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٧٤ - ٢٧٦).

(٥) يراجع: تعليق سماحته على «**تفسير الحافظ ابن كثير**» في الآيات المذكورة في سورة الزخرف (صوتي).

وإذا قال ما جاء في حديث علي: «حمد الله ثلاثًا»: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، «وكبر الله ثلاثًا»: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، كله حسن، والظاهر والله أعلم أنه كان يقول هذا تارة وهذا تارةً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما في حديث ابن عمر وكما في حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

[«ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟» لعدم وجود مناسبة للضحك «فَقَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ» هذا يدل على شدة اقتداء الصَّحابة بنبيهم ونقلهم وحفظهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي» فيه: إثبات صفة العجب لله على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى][(١)].

ويَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ» كلُّ هذا حسن يقوله الإنسان عند ركوب الدَّابة، وسيره إلى سفره.

ويُكثر المسافر في سفره من ذكر الله، كما كان الصَّحابة يُفعلون، وإذا ارتفعوا وصعدوا إلى الآكام والروابي والجبال كبروا الله، وإذا هبطوا في بطون الأودية سبحوا، تنزيهًا لله عن السفول وتقديسًا له؛ لأنه العالي فوق خلقه جَلَّ وَعَلَا.

وكانوا رُبَّما رفعوا أصواتهم رفعًا كثيرًا، فيقول لهم يا «**يَا عِبَادَ الله ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا**»[(٢)] يعني: أرفقوا يرفع الصوت صوتًا متوسطًا ليس فيه تكلف.

وكان إذا قفل راجعًا من السفر، من الحج أو العمرة أو المغازي،

---

(١) ينظر: لما بين المعكوفتين «**شرح سماحته لكتاب العقيدة الواسطية**» (ص٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٩٩٢) ومسلم، برقم (٢٧٠٤) عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يكبر الله ويهلله كلما علا شرفًا كبر وذكر الله، وكلما نزل الأودية والمنهبطات سبَّح الله، ويقول جابر رضي الله عنه: «**كُنَّا إِذا صعِدْنَا كَبَّرْنَا، وإِذا نَزَلْنَا سبَّحْنا**»[١].

ويقولون: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ويزيدون أيضًا: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ الله وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ» **يكرر هذا في طريقه** راجعًا.

والمعنى: «آيِبُونَ» يعني: راجعون إلى الحقِّ، وإلى بلادنا «تَائِبُونَ» يعني: من الذُّنوب «عَابِدُونَ» لله بطاعته وترك معصيته «حَامِدُونَ» له جَلَّ وَعَلَا «سَاجِدُونَ» له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هكذا** المؤمن أينما كان يعبد ربَّه، ويُنيب إليه، ويسجد له ويحمده ويثني عليه، أينما كان في السَّفر والإقامة، ولكن هذه من أذكار السفر.

ثُمَّ يقول: «صَدَقَ الله وَعْدَهُ» تحدث بنعم الله الَّتي أنعم بها على عباده، فإنَّه صدق وعده «وَنَصَرَ عَبْدَهُ» في يوم بدر، وفي الأحزاب، في خيبر، ثُمَّ في الفتح «وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» فإنَّهم تحزبوا وتجمعوا وحاصروا المدينة، فهزمهم الله وحده بالرِّياح العظيمة الَّتي أزعجتهم، وقلعت خيامهم وأكفأت قدورهم، ولم تضع لهم قرارًا حتَّى انشمروا إلى بلادهم فهذا من لطف الله جَلَّ وَعَلَا.

فالمؤمن عندما يُبتلى يفزع إلى ذكر الله وتكبيره، واستغفاره وتعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويتحرى سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتأسى به في السَّفر، فإذا ركب الدَّابة أو ركب الآن السيارة أو الطيارة، أو القطار، أو الباخرة، يأتي بالأذكار الشرعية، يُسَمِّي الله، ويحمد الله ويكبر الله ثلاثًا ويشتغل بالتكبير عند الصعود وبالتَّسبيح عند هبوط الأودية[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٩٩٣).

(٢) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالا متنوعة**» لسماحته (٢٦/ ١٩٧).

الفصل السادس والثلاثون
في الذِّكر على الدَّابة إذا استصعبت

قَالَ يُونُسَ بنِ عُبَيْدٍ[(١)]: لَيس رجُلٌ يكونُ على دابَّة صَعْبَةٍ، فيقول في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٣] إلَّا وَقفَتْ بِإِذْنِ الله تَعالَى[(٢)].

قال شيخنا قدَّس الله روحه: «**وقد فعلنا ذلك فكان كذلك**»[(٣)].

الفصل السابع والثلاثون
في الدَّابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عَن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ يَا عِبَادَ الله، احْبِسُوا عَلَيَّ، يَا عِبَادَ الله احْبِسُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ**»[(٤)][(٥)].

---

(١) أبو عبيد يونس العبدي تابعي ثقة ثبت فاضل، أخرج له الجماعة، كما «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص ٦١٣ برقم ٧٩٠٩) والراوي عنه المنهال بن عيسى مجهول. ينظر: تحقيق «**الكلم الطيب**» (ص١٤٦حاشية١٤١).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٢٤٠، ٢٤١برقم٥١٠).

(٣) ذكره في «الكلم الطيب» (ص١٤٧ تحت رقم ١٧٧) وبرر إيراده له بأنَّه «**قد فعله فكان ذلك كذلك**» وقد صرح ابن القيم بأن هذا هو قول شيخه، وتعقبه الشيخ الألباني في تحقيه: بأنَّ التجربة لا تثبت بها الشرائع.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ١٧٧ برقم٥٢٦٩) والطبراني في «**المعجم الكبير**» (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) قال الهيثمى في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٧ برقم ١٧١٠٥): فيه معروف بن حسان، وهو ضعيف، وقد تفرد به، وفيه انقطاع أيضًا بين أبي بريدة، وابن مسعود. ينظر: «**السلسلة الضعيفة**» (٢/ ١٠٨ برقم٦٥٥).

(٥) قرئ بتاريخ: (٧/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٧٧، ٢٧٨).

الشرح:

هذا الأثر ذكر عن بعض السلف إذا استصعبت الدَّابة، يقول في أذنها: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [آل عِمرَان: ٨٣] وأنَّها بإذن الله تذل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد فعلنا ذلك فكان كذلك» كما قال بعض السلف؛ لأنَّه يؤثر، وهذا من لطف الله جَلَّوَعَلَا أنَّ الأسباب المجربة يعمل بها، فاللَّه جعل كتابه شفاء من كلّ داء، وهذا من الأدواء، وهذا من شفائه القراءة في أذنها قوله: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ الآية.

[وهذه الآية عظيمة، والقرآن كلُّه عظيم، لمن تمسك به واستقام عليه، وما ثبت من الدَّعوات والأذكار النَّبويَّة، هي كافية عما ينقل عن بعض السَّلف، وهو أولى بالعناية، والحرص عليها مما يؤثر عن التابعين أو غيرهم][(١)].

وهكذا إذا انفلتت[(٢)] الدَّابة، يعني: شردت، يُنادي: «يَا عِبَادَ الله، احْبِسُوا، فَإِنَّ لله حَاضِرًا» مِنَ المَلَائِكَةِ أَوْ مِنَ الجِنِّ «يَحْبِسُوه» هذا إن صح علته أنَّه لله حاضر، أنَّ الله جَلَّوَعَلَا يمد عباده بحاضرين من المَلَائِكَةِ أَوْ مِنَ الجِنِّ، فيردون عليه دابته، وهذا شيء خاص بهذا المعنى، إن صح الحديث بذلك، والجواب ظاهر من قوله: فَإِنَّ لله حاضرًا من المَلَائِكَةِ أَوْ مِنَ الجِنّ، يردون عليه الدَّابة؛ لأنَّه قَال: يَا عِبَاد الله.

سأل سماحته: ماذا قال: المحشي في الأثر؟

فقال: القارئ يقول: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم واللَّيلة» (٥٠٩) وإسناده ضعيف، قال الحافظ في «تخريج أحاديث الأذكار» حديث غريب أخرجه ابن السني، وأخرجه الطبراني، وفي السند انقطاع.

---

(١) ما بين المعكوفتين من شرح سماحته، ويناسب هذا الموضع بتصرف يسير.

(٢) **انفلتت**: فرت وذهبت مسرعة. ينظر: «**النهاية في غريب الحديث**» لابن الأثير (ص٧١٥) مادة: [فلت].

وقد جاء بمعناه حديث آخر أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: «يَا عِبَادَ الله أَعِينُونِ ثَلَاثًا**[١] **فَإِنَّ لله عِبَادًا لَا نَرَاهُمْ**».

ثُمَّ قَال ولحديث عتبة شاهد من حديث ابن عباس «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَة فِي الأَرْضِ سُوَى الحَفَظَة يَكْتِبُونَ مَا يَسْقُطُ مِن وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ عَرَجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: «يَا عِبَاد الله أَعِينُونِي**».

قال الحافظ: هذا حديث حسن الإسناد غريب جدًّا، أخرجه البزار، وقال: لا نعلمه يروى عن النَّبِيِّ ﷺ بهذا اللَّفظ إلَّا من هذا الوجه بهذا الإسناد[٢] وقد أطال عليه الألباني في «**الأحاديث الضعيفة**» رقم (٦٥٥) والزيادة منه[٣].

قال سماحته: أنا لا أعلم له سندًا صحيحًا، **لكن لو صح**، فالعلة في قوله: «**فَإِنَّ لله حاضرًا**» ليس يدعو غائبًا يدعو حاضرًا فلو صح، لكن مادام الضعف قد اكتنف به من جميع الطرق، فلا حاجة إليه؛ بل يقول: اللَّهم احبسها عليَّ، فهو أقرب من كلِّ قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللَّهم احبسها عليَّ، اللَّهم رُدَّ عليَّ ضالتي، اللَّهم يسر لي من يردها، اللَّهم احفظها عليَّ ويكفي دعاء الله أفضل، فإنَّ هذا الحديث لا نعلم له طريقًا يعتمد عليها، **فالحاصل** في مثل هذا الواجب أن يقول: اللَّهم احبسها عليَّ، اللَّهم رُدَّها عليَّ، يعني: يدعو دعوات إلى الله جَلَّ وَعَلَا فهو الَّذي بيده تصريف المَلَائِكَةِ وتصريف الجِن، وتصريف غيرهم، هو

---

(١) هكذا في «**الوابل الصيب**» (ص٢٧٨) النسخة المقروء على سماحته، وفي الطبراني «**أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ الله أَغِيثُونِي**» **بدل** «**أعينوني**» أخرجه في «**المعجم الكبير**» (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠).

(٢) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٩٣ برقم١٧١٠٤) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٧٨).

سبحانه يأمر بأشياء ويردها إلى أشياء ﷻ.

والقاعدة الشَّرعيَّة: لا يعمل في هذه الأمور العظيمة إلَّا بالأحاديث الصَّحيحة الثابتة، وأمَّا الأشياء الَّتي فيها جهالات أو انقطاع لا يعمل بها في هذا المقام العظيم؛ لأنَّ هذا قد يتعلق به عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الجن، وأنَّهم قد يحضرون الجنّ وأنَّهم يسمعون كلامهم، وهذا يفضي إلى شر عظيم وفساد كبير.

فالحاصل: أنَّ دعاء الغائب مثل دعاء الميت، ومثل دعاء الجمادات لا يجوز، بل هو من الشِّرك هذا هو الأصل، دعاء الغائبين دعاء الجمادات دعاء الأموات كلها من الشِّرك الأكبر، فلا يجوز استثناء شيء منها إلَّا بدليل صحيح مقطوع به لا شبة فيه.

وسئل لو صح الحديث هل يقال خاص بالملائكة فقط؟

فقال: لا، ليس خاصًا، بالملائكة، الملائكة وغيرهم من الجنَّ من عباد الله، إن صحَّ الحديث؛ لكنه معلول مع بحثنا طول المدة ما وجدنا له طريقًا صحيحًا، وفَّق الله الجميع.

«الفصل الثامن والثلاثون
في الذِّكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عَن صُهَيْب رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا، إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا**» رواه النسائي[(١)] [(٢)].

الفصل التاسع والثلاثون
في ذكر المنزل يريد نزوله

قَالتْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيم رضي الله عنها: سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[(٣)] رواه مسلم.

وَعَن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ، فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «**يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ الله، أَعُوذُ بِاللَّه مِن شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ،**

---

(١) أخرجه في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٦ برقم (٨٨٢٧) والطبراني في «**المعجم الكبير**» (٨/ ٣٣ برقم٧٢٩٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦١٤ برقم ١٦٣٤ و٢/ ١١٠ برقم ٢٤٨٨) وقال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٩٥ برقم ١٧١١٨) رواه الطبراني: ورجاله رجال الصحيح، وقال سماحته: إسناد حسن، كما في «**تحفة الأخيار**» لسماحته (ص٥١) وهو في ضمن «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» (٢٦/ ٤٦).

(٢) قرئ بتاريخ (١٤/ ٨/ ١٤١٣هـ) كما قيَّد القارئ رحمه الله في نسخة كتابه (ص٢٩ س ٥).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).

وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَمِن شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّه مِن أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِن سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِن وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» رواه أبو داود[(١)]»[(٢)].

الشرح:

سبق أنَّه ﷺ شرع لأمته كل ما فيه خيرها وصلاحها من عبادات ودعوات وأذكار مطلقة ومقيدة بأوقات أخرى محددة، كل ذلك لما فيه صلاح الأمة ونجاتها؛ لأنَّ الله أرسله رحمةً للعالمين، وعلمه ما فيه صلاح الأمَّة فهو يدعو لمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قالت عائشة: «**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن**»[(٣)] يعني: يدعو إلى ما يدعو إليه القرآن، ويرغِّب فيما يرغِّب فيه القرآن، ويحذر وينهى مما يحذر وينهى عنه القرآن، ومن ذلك الأمر بكثرة الأذكار في ليله ونهاره في منزله وفي رحيله وفي جميع الأوقات يُكثر من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذا أنَّه ﷺ إِذَا أَقْبَلَ عَلَى قَرْيَةٍ يُرِيدُ دُخُولُها قَال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، - من الظل بالظاء ليس بالضاد - وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، - يعني: وما حملت - وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، - بالضاد من الإضلال - وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا».

هذا دعاء عظيم عند دخول القرية أو البلد الَّتي يريد دخولها هذا من أنفع الدُّعاء كذلك كونه يقول عند إقبال اللَّيل وأراد النزول في الأرض: «يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ الله»، **- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا،**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٢٦٠٢).

(٢) قرئ بتاريخ (٨/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٧٨ - ٢٨٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٩١، ١٦٣، ٢١٦ برقم ٢٤٦٤٥، ٢٥٣٤١، ٢٥٨٥٥).

وَخَيْرِ مَا خُلِقَ فِيهَا، وَخَيْرَ مَا يَدِبُّ فِيهَا ـ وَأَعُوذُ بِاللَّه مِن شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَمِن شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّه مِن أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِن سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِن وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»[(١)] هذا دعاء عام في طلب الخير والسَّلامة من الشر، وهذا أيضًا من الدَّعوات العظيمة.

وهكذا ما في حديث خولة إذا نزل منزلًا يقول: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» لقَوْلِهِ ﷺ: «مَن نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[(٢)].

«كَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ» يعني: الكاملات الَّتي لا يلحقها نقص، ولا عيب بأي وجه كما يلحق كلام البشر، وأنَّ الكلمات التَّامَّات هي القرآن، وقيل كل كلام الله تام، فالتعوذ بـ «كَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ» في اللَّيل والنَّهار، وعند نزول أي منزل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر، من سُنَّة النَّبيِّ ﷺ.

والمنزل: موضع النزول وحطِّ الرحل، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩] يقول المسلم هذا الذِّكر والدُّعاء، هكذا السُّنَّة، وإن قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» ليس فيه نفي القرصة أو اللَّدغة، وإنَّما المنفي ضررها فيمن حافظ على وِرده.

وهذه الأدعية والأذكار، هي من أعظم الأسباب في اتقاء شر الشرور، لمن حافظ عليها بصدق وإيمان، وثقة باللَّه واعتماد عليه، وهي أيضًا من أعظم السِّلاح لإزالة الشرور بعد وقوعه، مع الإكثار من الضراعة إلى الله، وسؤاله أن يكشف الضرر، ويزيل البأس، فالمؤمن يتأدب بالآداب الشرعية، ويحرص الدَّعوات الشرعية، والأوراد الشرعية أينما كان،

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٤٦) في المتن.

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).

وفَّق الله الجميع[(١)].

○ **مسألة: في وقت ذكر دخول القرية والمنزل:**

سئل سماحته متى يقال: ذكر دعاء دخول القرية والمنزل؟

فقال: إذا أقبل عليها، أو دخلها كل واحد.

ودعاء نزول المنزل يقوله أول دخوله منزلًا جديدًا أو مستأجر عام، وإن نسيه ثُمَّ تذكره يقوله متى ما تذكره والحمد لله.

○ **مسألة: في قراءة البقرة في المنزل الجديد:**

وسئل عن الاتيان بقارئ يقرأ سورة البقرة في المنزل الجديد؟

فقال: لا أعلم له أصلًا، ولكن قراءة القرآن كلُّه خير، النَّبِيّ ﷺ أخبر أنَّ قراء البقرة في المنزل تطرد الشَّيطان[(٢)] وأنَّها إذا قرئت يخرج الشَّيطان، فالقرآن كلُّه خير، فإذا قرأ في منزله أو أهله أو جيرانه، أو يأتون بقارئ لا أعلم فيه شيء.

---

(١) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ٢٨٩ و٨/ ١٠٨، ١٠٩، ١٦٦) و«**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٣٢٧ - ٣٢٩ حديث برقم ٩٨٢، ٩٨٣).

(٢) لعل ما يشير إليه سماحته هو قوله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**» أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٤، ٣٣٧، ٣٨٨ برقم ٧٨٠٨، ٨٤٢٤، ٩٠٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفصل الأربعون
في ذكر الطعام والشراب

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البَقَرَة: ١٧٢].

وَقَالَ عُمَر بن أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(١) متفق عليه.

وقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**»(٢) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال أُمَيَّةُ بن مَخْشِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ: بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ الله تَعَالَى اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**»(٣) رواه أبو داود(٤).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(٥) رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال **أَبُو هُرَيْرَةَ**: «مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٣٧٦) ومسلم، برقم (٢٠٢٢).
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٧٦٧) والترمذي، برقم (١٨٥٨).
(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٣٧٦٨).
(٤) قرئ بتاريخ (١٩/ ٨/ ١٤١٣هـ). كما قيَّد القارئ رَحِمَهُ اللهُ في نسخة كتابه (ص٢٨٢).
(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٣٤).

وَإِلَّا تَرَكَهُ»(١) متفق عليه»(٢).

الشرح:

هذه الآية الكريمة والأحاديث بعدها كلها فيما يتعلق بأذكار الطَّعام والشَّراب، يشرع للمؤمن، بل يجب عليه أن يشكر الله ﷻ على نعمه لأنَّه هو المنعم على عباده في وجودهم، وما أعطاهم من الحواس، وما أعطاهم من النعم، فالواجب على العبد أن يشكر الله على جميع إنعامه وإحسانه، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البَقَرَة: ١٦٨] قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البَقَرَة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البَقَرَة: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: ٧] وقال سبحانه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزُّمَر: ٧].

فهو سبحانه يرضى من عباده الشُّكر، ويأمرهم به، ويزيدهم من فضله بأسباب ذلك، وحقيقة الشُّكر الثناء على الله بما هو أهله، والإيمان بأن هذا من فضله وإحسانه، ثم العمل بطاعته وترك معصيته، فالشكر يكون باللِّسان والقلب والعمل، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سَبَإ: ١٣].

فالشُّكر باللِّسان الثناء على الله سبحانه بما هو أهله وحمده جَلَّ وَعَلَا، والاعتراف بنعمه، ومحبته على ذلك وخوفه ورجاؤه والشوق إليه،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٥٦٢) ومسلم، برقم (٢٠٦٤).

(٢) قرئ بتاريخ (٩/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٠ - ٢٨٢).

وبالعمل أداء فرائضه وترك محارمه، هذا هو الشَّاكر ومن هذا قول الشَّاعر:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرُ المُحَجَّبَا(١)

يعني: أن الشُّكر يكون بالضمير بالقلب، وباللِّسان وبالعمل هكذا يكون الشكر.

وفي هذا حديث: عمر بن أبي سلمة ربيب النَّبيّ ﷺ، عمر أمه أم سلمة، النَّبيّ ﷺ تزوجها لما توفيَّ أبو سلمة في السَّنة الرَّابعة، وكان قد جرح يوم أحد وانتقض عليه، ومات به، وعمر، كانت يده تطيش في الصَّحْفَة في الطَّعام، يأكل من هنا ومن هنا، فقال له النَّبيّ ﷺ: «**يَا غُلَام سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». فهذه هي السُّنَّة عند الأكل: أن يُسمِّي الله، ويقول: بسم الله، أو يقول: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ويكمِّل البسملة، فهو أكمل وأحسن؛ لأنَّه من تمام التسمية، ويَأْكُلْ بيمينه، ويأكل مما يليه من جهته، ولا يأكل من جهة النَّاس الَّذين معه، هذه هي السُّنَّة والأكل باليمين واجب، ويأكل مما يليه، إلَّا إذا كان الطعامُ أنواعًا مختلفة، فلا بأس أن يتناول النوع الَّذي ليس من جهته، وهذا كله من باب التأدب الشرعي، والتعليم والتوجيه إلى ما فيه الخير للمُعَلَّمِ(٢).

وفي حديث عائشة: شرعية التَّسمية في أوله، فإن نسيَ فليسمِّ **في أثنائه**: «**بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**» وبذلك يحصل المطلوب من التَّسمية، إذا سمى في وسط الأكل أو حتَّى قبيل آخره(٣).

وفي حديث أَبي هُريرة، يقول: «**مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِن**

---

(١) ينظر: «**طريق الهجرتين وباب السعادتين**» **لابن القيم** (١/ ٣٤٦) و«**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**» (١/ ١٥٠) و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (١/ ١٢٨).

(٢) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٧٤ - ٧٦ برقم ٧٢٨) و(١/ ٥٧٠ برقم ٢٩٩).

(٣) للمزيد، ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٧٤ حديث برقم ٧٢٩).

اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِن كَرِهَهُ تَرَكَهُ» هذا يدلُّ على أن الأفضل عدم عيب الطَّعام يكون الإنسان كريمًا طيِّبًا، إن اشتهى أكل وإلَّا ترك فلا يعيب ويقول طعامكم فيه كذا وكذا؛ لكن إذا كانوا أهل بيته يوجههم لما يريد حتَّى يتوجهون ويوصيهم؛ للعناية بإعداد الطَّعام في المستقبل[1].

وفي هذا حديث أميَّة بن مخشي: أنَّ الشَّيطان يشارك الإنسان في أكله إذا لم يسمِّ، ومِن هذا الحديث الصحيح أنَّ الرَّسول ﷺ كان يأكل ذات يوم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَانَ يُدفَعُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تُدْفَعُ فَأَمْسَكَ بِيَدِهَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَ بِهُمَا لِيَسْتَحِلَّ بِهِمَا الطَّعَامَ، إِذَا لَمْ يُذْكَر اسْمُ الله عَلَيْهِ، بِسْم الله كُلُوا**»[2] لأنَّ الإنسان إذا جاء وأكل ولم يسمِّ الله شاركه الشَّيطان، فالتَّسمية تطرد الشَّيطان وتمنع مشاركته.

سأل سماحته ماذا قال المحشي: في حديث مخشي؟

فقال القارئ قال: (في إسناده المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وهو مستور، كما قال الحافظ في التقريب[3] انظر: الإرواء (١٩٦٥))[4].

فقال: المقصود: أنَّ الأحاديث الصَّحيحة تكفي، حديث الجارية والأعرابي جاء بهما الشَّيطان ليستحل بهما الطَّعام، والحديث الصَّحيح «**إذا دخل الإنسان بيته وذكر اسم الله قال: الشيطان منعتم المبيت، وإذا سمى في الأكل، قال منعتم العشاء**»[5]. فالتَّسمية تطرد الشَّيطان، وتركها من أسباب مشاركته، المشروع للمؤمن أن يتحرى هذا عند أكله وشربه يسمِّي الله جَلَّوَعَلَا، ويعلم الأطفال الصِّغار الَّذين لا يعرفون يعلمهم: سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك حتَّى يتعلم.

---

(١) ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٨٢ حديث برقم ٧٣٦).

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ١٢١ برقم ٧٠٨٨) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) قال من الطبقة الثالثة، أخرج له أبوداود والترمذي. ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٥١٩ ترجمة رقم ٦٤٧٢).

(٤) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٢). (٥) سبق تخريجه في (ص٣٣١).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَعَن وَحْشِيٍّ: أَنَّ أُنَاسًا قَالُوا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ الله تَعَالَى يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»[١] رواه أبو داود.

وَعَن مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن أَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِن غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢] قال الترمذي حديث حسن.

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِن طَعَامِهِ، قَالَ: «الحَمْدُ لله الَّذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ»[٣] رواه أبو داود والترمذي.

وذكر «النسائي» عَن رَجُلٍ خَدمَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيّ ﷺ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ، يَقُولُ: «بِسْم الله» وَإِذَا فَرَغَ مِن طَعَامِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ»[٤].

وفي «صحيح البخاري» عَن أَبِي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رفعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: «الحَمْدُ لله كَثِيرًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا»[٥]»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣٧٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٥٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٧ برقم١٨٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٥٠) والترمذي، برقم (٣٤٥٧).

(٤) أخرجه في السنن الكبرى (٢/ ٢٠٢ برقم ٦٨٩٨).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (٥٤٥٨).

(٦) قرئ بتاريخ (٢٠/ ٨/ ١٤١٣هـ). وبتاريخ (١٤/ ٧/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٢ - ٢٨٤).

الشرح:

هذه الأحاديث فيها الحث على حمد الله وشكره بعد الفراغ من الطَّعام، الله جَلَّ وَعَلَا أنعم على عباده بنعم كثيرة، وشرع لهم الشُّكر والحمد والثناء، فينبغي للمؤمن أن يكون شكورًا، كثير الحمد لربِّه عَزَّ وَجَلَّ على ما أعطاه من النِّعم، نعمة الإسلام نعمة الصِّحة، نعمة الأرزاق الغداء والعشاء، والملابس والسكن إلى غير ذلك، كان النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من طعامه، يقول: «**الحَمْدُ لله كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا**» هذا من أفضل الحمد بعد الطَّعام «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِن غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ**» «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ**» «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا**»[(١)].

وكان عند المبيت يقول: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مَنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»[(٢)] والمهم أن المشروع للمؤمن عند فراغه من الأكل أن يحمد ربَّه وهكذا عند الشراب يحمد ربَّه يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[(٣)] رواه مسلم.

ربنا يرضى عنك أن تحمده، وأن تشكره على ما منَّ به عليك من طعام أو شراب سواء كان ليلًا أو نهارًا، قليلًا أو كثيرًا تحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المنعم وهو المحسن جَلَّ وَعَلَا، تسمي الله عند ابتداء الطَّعام وتحمده عند النِّهاية تقدَّم حديث ابن أبي سلمة: «**يَا غُلَام سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٥١) والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٨ برقم٦٨٦٧) عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٣٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) سبق تخريجه في (ص٣٣٣).

وكان إذا أكل طعامًا بدأ بالتَّسمية وانتهى بالحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالمؤمن يتأسى به في أقواله وأعماله وفي شرابه وفي طعامه وفي لباسه وفي كل شيء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

[وفي حديث وَحْشِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُنَاسًا قَالُوا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «**فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**» فيه الدلالة على أن من أسباب البركة في الطعام الاجتماع عليه، ولا بأس في التفرق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النُّور: ٦١] أي: لا بأس أن تأكلوا جميعًا معًا أو كل واحد يعطى غداءه وعشاءه؛ لكن إذا أحسوا بشيء من عدم الشبع، فإنَّ الاجتماع أفضل لحديث وحشي هذا، فإنَّهم إذا اجتمعوا كان أقرب إلى البركة، كما أرشدهم النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالاجتماع على الطعام من أهل البيت، النساء وحدهن والرجال وحدهم إذا كانوا ليس محارم، أما الزوج مع زوجته أو زوجاته، أو المحارم كأخواتهم وبناتهم لا بأس، أما إذا كان فيهم أجانب كزوجات الإخوان وزوجات الأعمام لا، النساء وحدهن والرجال وحدهم هذا من أسباب البركة، وإن جعلوا طعام كل واحده لأسباب اقتضت ذلك فلا بأس][(١)].

أمَّا حديث «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ...**»[(٢)] حديث ضعيف، لكن لو قاله الإنسان من باب أنَّه حمدًا طيبًا لا يضر، فالإنسان مشروع له أن يحمد الله مطلقًا بأنواع الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وليس يشترط أن يكون الحمد بألفاظ مروية له أن يحمد الله، وذكره بمثل هذا يكون من باب الثناء.

---

(١) ما بين المعكوفتين. ينظر: «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٣/ ٩٢، ٩٣ حديث برقم ٧٤٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «**الدُّعاء**» (١/ ١٣٦ برقم٣٧٠) وابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص ٢٤ برقم ٢٥) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«الفصل الحادي والأربعون في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عَن عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ، قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَبِي، فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَى، **قَالَ شُعْبَةُ**: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ الله إِلْقَاءُ النَّوَى [بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ] ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَن يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ ادْعُ الله لَنَا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ**»(١) رواه مسلم.

وَعَن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلَائِكَةُ**» رواه أبو داود(٢).

وَعَن جَابِرٍ قَالَ: صَنَعَ أَبُو الهَيْثَمِ بن التَّيِّهَانِ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ: «**أَثِيبُوا أَخَاكُمْ**» قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَا إِثَابَتُهُ؟ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُخِلَ بَيْتُهُ، فَأُكِلَ طَعَامُهُ وَشرِبَ شَرَابُهُ فَدَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إِثَابَتُهُ**» رواه أبو داود(٣)»(٤).

الشرح:

هذه الأحاديث تدلُّ على أنَّه ينبغي للضَّيف أن يدعو للمُضيِّف بما يناسب من الدَّعوات الطَّيِّبة؛ لقوله ﷺ بالعموم: «**مَنِ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠٤٢). (٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٣٨٥٣).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٦/ ٨/ ١٤١٣هـ) و(١٥/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٥، ٢٨٦).

فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[١] فالدُّعاء من المكافأة ولا سيما في المقامات التي ليس فيها إلَّا الدُّعاء كأكل الطعام عند المُضيِّف، وفيه عدم التكلف، وأن المزور لا يتكلف، بل يصنع ما جرت به العادة ويقدم ما تيسر من الطَّعام كما قدم أبو عبد الله بن بسر ما تيسر من التمر وما ذكر معه فيه عدم التكلف.

وأنَّ السُّنَّة لمن قدم له الطعام أن يقول بعد ذلك: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ»** هذا من إثابتهم، وهكذا لما استضافه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سعد بن عبادة وأكل عندهم ما قدموا له قال: **«أَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلَائِكَةُ»** يدعو بهذا في رمضان وغيره عام.

وإذا دعا بغير ذلك من الدَّعوات، هذا من إثابة المُضيِّف كونه يدعا له، كما في الحديث الثالث أن من حقِّ المؤمن على إخوانه إذا استضافوه وأكرموه الدُّعاء له، يدعوا له بما تيسر، ومن أحسن الدُّعاء ما دعا به النَّبِيَّ ﷺ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ»**.

من هذا كَثر الله خيركم أثابكم الله، أنعم الله عليكم، زادكم الله من فضله دعوات مناسبة تناسب المقام من باب المكافأة على إكرامه وضيافته، والمُضيف لا يتكلف حسب التيسير وما جرت به العادة من غير تكلف؛ لأن التكلف ينفر من الزيارات، وينفر من تقارب الإخوان، فإذا كان من غير تكلف زار بعضهم بعضًا واتصل بعضهم بعضًا، فيقدم ما تيسر من تمر أو لبن أو طعام آخر، يقدم ما تيسر، وفَّق الله الجميع.

❍ مسألة: **في طلب الضيافة:**

إذا نزل الضيف بقوم ولم يضيفوه، له أن يطالبهم بالضِّيافة، كما ورد في حديث قصة اللَّديغ[٢] وإذا سمح فهذا من مكارم الأخلاق، وإن طالبهم ضيافته يوم وليلة هذا هو الواجب، وما زاد فهو فضل مستحب، إذا سمحوا.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٦٧٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه في (ص٤٠٤) في هذا الكتاب الفصل الرابع والعشرون.

«الفصل الثاني والأربعون
في السَّلامِ

عَن عَبْدِ الله بن عَمْرو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولُ الله ﷺ أَيُّ الإِسْلَام خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(١) متفق عليه.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٢) رواه أبو داود.

وَقَالَ عَمَّارٌ بن يَاسِر رضي الله عنهما: ثَلَاثٌ مَن جَمَعَهُنَّ، فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: «الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ» ذكره البخاري(٣).

وَقَالَ عِمْرَانُ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**ثَلَاثُونَ**» قال الترمذي: حديث حسن(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٢) ومسلم، برقم (٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٩٣) وقد أخرجه مسلم، برقم (٥٤) ففي عزوه لأبي داود فقط قصور.

(٣) معلقًا موقوفًا قبل رقم (٢٨) ووصله موقوفًا ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٩ برقم٨٩) وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٣٨٦ برقم ١٩٤٣٩) وانظر: ما قاله عنه الحافظ ابن حجر: في تغليق التعليق (٢/ ٣٦ - ٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٩١) والترمذي، برقم (٢٦٨٩).

وَعَن أَبِي أُمَامَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّه مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»(١) قال الترمذي حديث حسن.

وخرَّج «**أبو داود**» عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُجْزِئُ عَنِ الجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ**»(٢)

وَقَالَ أَنَسٌ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِم»(٣) حديث صحيح.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِن بَدَا لَهُ أَن يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ**»(٤) قال الترمذي حديث حسن»(٥).

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالسَّلام، السَّلَام مشروع وسنَّة مؤكدة بين المسلمين، وبدأه سنَّة مؤكدة، وقال بعض أهل العلم واجب، ورده واجب، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: ٨٦].

ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**» فإفشاء السَّلام من أسباب المحبة، ومن كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنَّة.

ولهذا حلف «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**» يعني:

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٩٧) والترمذي، برقم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٤٧) ومسلم، برقم (٢١٦٨).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٥٢٠٨) والترمذي، برقم (٢٧٠٦).

(٥) قرئ بتاريخ (٢٧/٨/١٤١٣هـ) و(١٦/٧/١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٦ - ٢٨٩).

باللَّه ورسوله، ولا «تُؤْمِنُوا» يعني: الإيمان الكامل «حَتَّى تَحَابُّوا ـ تحابوا في الله ـ أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وفي حديث عَبْدِ الله بن عمرو، يقول النَّبِيُّ ﷺ لما سُئِلَ أَيُّ الإِسْلَامِ أفضل؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ» هذه أفضل خصال الإسلام العامة «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» يعني: بعد أداء الفرائض وترك المحارم.

فالمؤمن: «يَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَف وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ» إلَّا أن يكون كافرًا لا يبدأه بالسَّلام، لكن إذا لم يعرفه قد يكون مسلمًا، فإنَّه يسلم، و«يُطْعِمُ الطَّعَامَ» للفقير، والمسكين، وابن السبيل، والضيف، يطعم الطعام إذا تيسر يكون عند حرص على إطعام الطَّعام؛ لأنَّه قد يصادف ذلك فقير مسكين فتحسن إليه، من باب الإحسان والجود والكرم، الَّذي أمر الله به، ومدح فاعليه هذا من أفضل الأعمال أن تتصدق على صاحب الحاجة.

وَلهذا قَالَ عَمَّارُ بن يَاسِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ثَلَاثٌ مَن جَمَعَهُنَّ، فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَار» أي من القلة، وبذل السَّلام هذه من خصال الإيمانِ، وقال أيضًا: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ».

وفي الحديث الآخر: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ، إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ...**»[(١)] فالسَّلام من حقِّ المسلم على أخيه وإذا تيسر له يفعل بقيَّة الخصال العظيمة.

وكذلك إذا دخل على قوم سلم عليهم، وإذا أراد أن يقوم يسلم عليهم كذلك «فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الثانيةِ» كما أمر به النَّبِيّ ﷺ، فالسُّنَّة أن تسلم عند مجيئك وعند القيام تسلم، تقول: **السَّلَامُ عليكم**، كفى وإن قلت: **السلام عليكم ورحمة الله** أفضل، وإن قلت: **السَّلام عليكم وبركاته** فأفضل.

ولهذا في الحديث أنَّه ﷺ كان جالسًا فدخل رجل فقال: «السَّلَامُ

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عَلَيْكُمْ» فقال: «عَشْرٍ» ثم جاء آخر فدخل فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ» فقال: «عِشْرُونَ» ثُمَّ دخل الثالث، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» فقال: «ثَلَاثُونَ» يعني: حسنة، السلام عليكم عشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، والسلام وعليكم ورحمة الله عشرون حسنة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الجميع ثلاثون حسنة، هذا فيه الحث على إكمال السَّلام وإذا تيسر أن يكمل السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، هذا فيه خير عظيم، وفَّق الله الجميع.

فوائد حول السَّلام:

إذا سُلم على المصلِّي يرد بالإشارة ولا يتكلم، فقد كان الصَّحابة يسلمون على النَّبِيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في الصَّلاة ويرد عليهم بالإشارة. **كذلك يجزئ** أن يُسلم عن الجماعة أحدهم، وأن يرد أحدهم، والحديث في ذلك لا بأس به، فقد عزاه المؤلف لأبي داود.

كذلك حديث «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» حديث صحيح، وهو يدلُّ على فضل البدء بالسَّلام، والبادئ هو أولى النَّاس باللَّه، وإذا دخل على جماعة سلم عليهم، وإذا أحبَّ أن يصافحهم فلا بأس.

وردُّ السَّلام يكون بالأحسن، فمن قال: السَّلام عليكم تزيد ورحمة الله، وإن قال: ورحمة الله تزيد وبركاته، هكذا هو الرَّدُّ الأحسن، وإن كملها، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» تزيد حياك الله يا مرحبًا[(١)].

الفاسق إذا أعلن فسقه وأظهر معصيته لا تسلم عليه إلَّا إذا أردت نصحه وتوجيهه، أمَّا إذا كان يخفي فسقه يسلم عليه، وإذا كان هو المسلم يردُّ عليه.

---

(١) ينظر: للمزيد من أحكام السَّلام. «**شرح رياض الصالحين**» لسماحته (٢/ ٩٠ حديث رقم ٣٧٨) (٢/ ٣٤٠ حديث رقم ٥٥٠) وأيضًا (٣/ ١٩٤، ١٩٦ حديث رقم ٨٤٨) و(٣/ ٥١٠ حديث رقم١١٦٦) و«**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ١٨، ١٩).

الفصل الثالث والأربعون في الذِّكر عند العطاس

قال أبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ»(١) رواه البخاري.

وعنه أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الحَمْدُ لِله، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»(٢) رواه البخاري.

وفي لفظ أبي داود: «الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»(٣).

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»(٤) رواه مسلم»(٥).

الشرح:

هذه الأحاديث في العطاس، وما يشرع فيه للمسلمين، العطاس محبوب إلى الله؛ لأنَّ فيه خير ومصلحة، فيه تخفيف وإزالة بعض الأشياء المؤذية،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٢٦) ومسلم مختصرًا برقم (٢٩٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٢٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٣٣).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٢).

(٥) قرئ بتاريخ (٨/ ١٠/ ١٤١٣هـ) و(٢١/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٨٩، ٢٩٠).

ونافع ومفيد؛ ولهذا يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ**».

فالعطاس فيه فوائد ومصالح؛ ولهذا شرع الله للمؤمنين عند العطاس أن يحمد الله؛ لأنَّه نعمة فائدة، فإذا عطس الإنسان فليحمد الله، كما قال ﷺ: «**فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَحْمَدِ الله**» وَلْيَقُلْ لَهُ أخوه أو صاحبه: «**يَرْحَمُكَ اللهُ**» فإذا قال له: «**يَرْحَمُكَ اللهُ؛ فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» هذه السُّنَّة.

أمَّا التثاؤب: فمن الشَّيطان، الله يكره التثاؤب؛ لأنَّه ينشأ في الغالب عن الكسل والضعف ونحو ذلك، والسنة لمن تثاءب أن يكظم ما استطاع، يكظم فمه ما استطاع يرد التثاؤب بوضع يده على فِيهِ؛ لأنَّه يفغر فاه فيستكره منظره والشَّيطان يضحك منه، فالسُّنَّة أن يضع يده على فيه، وأن يكظم ما استطاع و«**لَا يَقُلْ هَاهْ، هَاه**»[(١)] بل يكظم ما استطاع، ولا يقول شيئًا[(٢)] عند التثاؤب إرغامًا للشَّيطان، حتَّى لَا يبلغ الشَّيطان مراده منه.

وفي الحديث يقول ﷺ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ الحمَدُ لله، فَإِذَا قَالَ: الحِمْدُ للهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مَن سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ: يَرْحَمُكَ الله**» وفي الحديث الآخر: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله، فَلَا تُشَمِّتُوهُ**» يدلُّ على أنَّ السُّنَّة تشميت من حمد الله دون غيره، فقد عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الآخَر: شَمَّتَّ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، فقال: «**لأَنَّهُ حَمِدَ الله، وَأَنْتَ لَمْ يَحْمَدِ الله**»[(٣)].

هذه السُّنَّة في العطاس والتثاؤب، مثلما سمعتم العطاس محبوب إلى الله جَلَّ وَعَلَا والسُّنَّة في حق من عطس أن يحمد الله، يقول: الحمد لله هذا أقل شيء، أو يقول: الحمد لله رب العالمين، أو الحمد لله على كل حال كله طيِّب، والَّذي يسمعه يقول له: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله،

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: كتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (٩/ ٢٨٧).
(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٢١) ومسلم، برقم (٢٩٩١) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يقول: «يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» الرَّجل والمرأة، الكبير والصَّغير.

أمَّا التثاؤب مكروه لله جَلَّوَعَلَا فإذا تثاءب الإنسان السُّنَّة له أن يكظم ما استطاع يضع يده على فيه ولا يقول: هاه؛ لأنَّ الشَّيطان يضحك منه وهو من آثار الكسل والضعف ونحو ذلك، وفَّق الله الجميع.

○ **مسألة: في تكرار العطاس والتشميت**

سئل سماحته إذا تكرر العطاس مرتين أو أكثر؟

فقال: يشمت كلما عطس إذا حمد الله هكذا السُّنَّة، الأحاديث الصَّحيحة كلها فيها التشميت بعد الحمد، ولو زاد العطاس على الثلاثة.

الأمر بالتشميت سنَّة، كما قال أهل العلم، وإن كان الأصل في الأوامر للوجوب، لكن هذه من أخلاق المسلمين فيما بينهم، مثل البدء بالسَّلام، لكن على المؤمن ألَّا يفرط في هذا الأمر؛ لأنَّ الرَّسول قال: «كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مَن سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ: يَرْحَمُكَ الله» ينبغي للمسلم ألَّا يتساهل في هذه المسائل.

كذلك يستحب إذا نسي التحميد أن يُذكر فذلك حسن من باب التواصي بالحقِّ، لكن لا يشمت إلَّا إذا حمد الله، لكن إن كان جاهلًا يُعلم يقال له احمد الله(١).

□ **فائدة: حول التثاؤب**

سئل سماحته عمن يتعوذ عند التثاؤب؟

فقال: لا مانع بالتعوذ باللَّه من الشَّيطان، وإن لم يرد فيه شيء، لكن أخذًا بعموم الآية: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [فُصّلَت: ٣٦] والتثاؤب هو من نزغ الشَّيطان؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: «**التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ**»(٢).

---

(١) ينظر: للمزيد «شرح رياض الصالحين» لسماحته (٣/ ٢٢٤ - ٢٢٦ حديث رقم ٨٧٨ - ٨٨٠) و(٣/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولهذا اعتاد النَّاس عند التثاؤب أن يقولوا: أعوذ باللَّه من الشَّيطان، يعلمون أنَّه من الشَّيطان، فلا بأس من التعوذ، أخذًا بعموم الآية، لكن لا يقال: إنَّه سُنَّة إلَّا بدليل، لكن عموم الآية يقتضي ذلك، فالسُّنَّة كظم التثاؤب باليد.

«الفصل الرابع والأربعون
في ذكر النِّكاح والتهنئة به، وذكر الدُّخول بالزَّوجة

قَالَ ابن مَسْعُودٍ عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةَ النِّكَاح: «**الحَمْدُ للهِ نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله** [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ](١) **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

وفي رواية زيادة: «**أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيراً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ، مَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَن يَعْصِهِمَا، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ الله شَيْئًا**»(٢).

«﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]» رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن(٣).

وَعَن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ،

---

(١) ما بين المعكوفتين لفظ: [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] هي في نسخ «**الوابل الصيب**» (**ص٢٩١**) وابن ماجه فقط.

(٢) أخرج هذه الزيادة أبو داود، برقم (٢١١٩).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٢١١٨) والترمذي، برقم (١١٠٥) والنسائي، برقم (١٤٠٤) وابن ماجه، برقم (١٨٩٢) وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي (٢/ ١٩٩ برقم٢٧٤٤).

قَالَ: «بَارَكَ الله لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَّةٍ»[١] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وَعَن عَمْرو بنِ شُعَيْبٍ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُم امْرَأَةً، أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِن شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[٢] رواه أبو داود.

وفي «الصَّحيحين» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا»[٣]»[٤].

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بخطبة النِّكاح، وما يقال: لمن تزوج وما يدعا له به، وما يستحب للمؤمن أن يقوله عند إرادة الوطء، ثبت عنه ﷺ من حديث ابن مسعود ما يستحب عند الحاجة من الخطبة، وحاجة النكاح حاجة مهمة، فيستحب أن يقال عند إجراء العقد: «إِنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

ثُمَّ يقرأ هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الآية من سورة آل عمران، وأول سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (١٠٩١) وليست عنده لفظ: «وَعَافِيَّةٍ» هي في نسخ «الوابل الصيب» آخر سطر في (ص٢٩١).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٢١٦٠).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢٦٩).

(٤) قرئ بتاريخ (١١/ ١٠/ ١٤١٣هـ) و(٢٢/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «الوابل الصيب» (ص٢٩٠ - ٢٩٣).

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ وآية الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

ثُمَّ يقول الولي: زوجتك فلانة، ويقول الزوج: قبلت الزواج، وإذا سميا مهرًا: على مهر كذا وكذا، فلا بأس فهو حسن، ويستحب أن يقول له بعد الزواج: «بَارَكَ الله لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَّةٍ» هذا من الدُّعاء الحسن، ولا يقول: بالرفأ هذه سُنَّة الجاهلية غير مشروعة.

كذلك إذا دخل عليها يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِن شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ» كل ذلك مما يشرع للمؤمن الدُّعاء به، وهكذا عند شراء الخادم والدابة يأخذ بناصيتها ويقول ذلك.

وإذا أراد أن يطأ زوجته يقول عند الوطء: «بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا» وهذا فيه استعانة باللَّه، وتبرك به بسم الله، قال النَّبِيُّ ﷺ «فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا» هذا خير عظيم وفضل كبير، ووعدٌ من الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ هذا المولود الَّذي نشأ عن هذه التَّسمية، وعن هذا الجماع لا يضره الشَّيطان أبدًا هذا فضل عظيم.

فينبغي للمؤمن عند جماع أهله أن يستعمل هذا الذِّكر، وهذا الدُّعاء امتثالًا لما وجه إليه الرَّسول ﷺ، ورجاء هذا الخير العظيم الَّذي وعد به، وهكذا جميع ما يتعلق بالسُّنَّة والكتاب العزيز .**ينبغي للمؤمن**: أن يتحرى ما جاء القرآن والسُّنَّة بالحث عليها، وتكون له عناية بها سواء كانت واجبات أو مستحبات، المؤمن يتحرى الخير في هذه الدار، هي دار العمل وهي دار الزراعة للآخرة.

فالمؤمن والمؤمنة: يتحريان كل ما شرعه الله من واجبات مستحبات،

فيفعلان ذلك، كما أنَّهما يحذران جميع ما نهى الله عنه من أقوال وأعمال، ويعلمان أن هذا هو طريق النجاة، هذا هو سبيل النجاة، فالمؤمن يتحرى الخير ويفعله، ويجتهد في معرفة الشر ويجتنبه، هكذا المؤمن أبدا حريص على فعل الخيرات وترك المنكرات.

واللَّه يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ويقول ﷺ يقول: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**»[(١)].

○ مسألة: **فيما يتعارف عليه من العطايا:**

سئل سماحته عن (الشرحة) قبل الزواج.

فقال: لا أعلم فيها شيئًا، هذه أمور عرفية إذا أعطاهم شيء قبل الزواج كمقدمة علامة على أنَّه راغب وحريص في الزواج لا بأس به هذه أمور عرفية، وليست تعبدية.

والدبلة يهديها ويلبسها لا بأس بها يعطيها إن لم تكن من سجايا الكُفَّار فتمنع.

□ فائدة: **حول مرويات عمر بن شعيب:**

سئل سماحته: عن مرويات عمر بن شعيب عن أبيه عن جده لم يخرجا له في الصَّحيحين مع أن الألباني وأحمد شاكر قال: هو من أصِّح الأسانيد؟

فقال: الصَّحيحين ما خرجا كلّ شيء، خرجا بعض الشيء، ما لتزما اخرج كل ما هو صحيح، خرجا بعض ما رأياه صحيحًا، وتركا الكثير.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«الفصل الخامس والأربعون
في الذِّكر عند الولادة والذِّكر المتعلق بالولد

يُذْكَرُ أَنَّ فَاطِمَةَ **رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا** لَمَّا دَنَا وِلَادُهَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ، وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَن تَأتِيَا فَتقْرَآ عَلَيْهَا آيَةَ الكُرْسِيِّ، وَ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى آخر الآيتين [الأعراف: ٥٤، ٥٥] وتعوذانها بالمعوذتين[(١)].

وقال أبو رافِعٍ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ»[(٢)] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ويُذْكَرُ عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ اليُمْنَى، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أُذُنِهِ اليُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ**»[(٣)].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالبَرَكَةِ، وَيُحَنِّكُهُمْ»[(٤)] رواه أبو داود.

وقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**إِنَّ النَّبِيّ ﷺ أَمَرَ بِتَسْمِيَةِ المَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَوَضْعِ الأَذَى عَنْهُ وَالعَق**» قال الترمذي: حديث حسن[(٥)].

وقد سمى النَّبِيُّ ﷺ ابنه إبراهيم[(٦)] وإبراهيم بن أبي موسى[(٧)]

---

(١) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص٢٩٣برقم٦٢٠) وأورده المؤلف بصيغة التضعيف «**يذكر**».

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٠٥) والترمذي، برقم (١٥١٤).

(٣) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص ٢٩٤ برقم٦٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٠٦) والعزو إليه فقط فيه قصور فالحديث بنصه، وبزيادة عند مسلم برقم (٢٨٦، وبرقم ٢١٤٧) وبنحوه عند البخاري برقم (٢٢٢).

(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٢٨٣٢).

(٦) فقد جاء عند مسلم، برقم (٢٣١٥) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٧) أخرجه البخاري، برقم (٥٤٦٧ وبرقم ٦١٩٨) ومسلم، برقم (٢١٤٥).

وعبد الله بن أبي طلحة[١] والمنذر بن أبي أُسَيِّد[٢] قريبًا من ولادتهم[٣] [٤].

وعَن أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُم**»[٥] ذكره أبو داود».

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالولادة، وتسمية المولود والدُّعاء له بالبركة والعقيقة، جاءت الأحاديث في هذا الباب تدل على أنه يستحب تسمية المولود يوم سابعه، وإن سماه في اليوم الَّذي ولد فيه فلا بأس، للحديث الصحيح، حديث سمرة «**كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُسَمَّى**»[٦].

فالسُّنَّة أن يحلق يوم سابعه، ويسمى، ويعق عنه، **العقيقة**: هي الذَّبيحة الَّتي تذبح عن المولود شاتان عن الذَّكر وواحدة عن الأنثى، هذا هو السُّنَّة، كما ثبت عنه ﷺ: «**عَنِ الغُلَامِ شَاتَانِ مُتَكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الجَارِيَةِ شَاةٌ**»[٧].

وقد سمى النَّبِيُّ ﷺ جماعة من أولاد الصَّحابة في يوم الولادة لما جاءوا بهم إليه دعا لهم بالبركة وحنكهم وسمَّاهم، وهكذا قال: «**وُلِدَ لِي**

(١) فقد جاء عند البخاري، برقم (٥٤٧٠) ومسلم، برقم (٢١٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) فقد جاء عند البخاري، برقم (٦١٩١) ومسلم، برقم (٢١٤٩) عن سهلٍ رضي الله عنه.

(٣) هذا من كلام شيخ الإسلام، ينظر: «**الكلم الطيب**» (ص١٦٣ برقم ٢١٥ الحاشية ١٧١).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٣/ ٧/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٩٣ - ٢٩٥).

(٥) أخرجه أبو داود، برقم (٤٩٤٨) والدارمي، برقم (٢٦٩٤).

(٦) أخرجه أبو داود برقم (٢٨٣٧) والنسائي برقم (٤١٢٠) وابن ماجه برقم (٣١٦٥).

(٧) أخرجه أبو داود، برقم (٢٨٣٤ - ٢٨٣٦) والترمذي، برقم (١٥١٣) والنسائي، برقم (٤٢١٧، ٤٢١٨) وابن ماجه، برقم (٣١٦٢) عن أم كرز رضي الله عنها، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٢٦٥ برقم ٧٥٩١) وأخرجه أبو داود، برقم (١٥١٣) عن عائشة رضي الله عنها.

اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»[(١)] فدل على أن الأمر واسع إن سماه يوم المولد أو اليوم السابع، كله سنَّة حسنة. وهكذا التحنيك كونه يحنك بتمرة ونحوها، رفع اللَّهات كانوا يأتون بالأولاد يحنكهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والدُّعاء له بالبركة، والتحنيك تفعله أمه أو أبوه أو غيرهم الأمر فيه واسع، وليس التحنيك خاص بالنَّبِيِّ.

أمَّا أثر قصة ولادة فاطمة: يحتاج إلى نظر، ماذا قال المحشي عليه؟ قال: رواه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» برقم (٦٢٥) وإسناده ضعيف جدًّا[(٢)].

هذا هو، المقصود: كونه يقرأ عليها لا بأس، ولو ما صح الحديث، كونه يقرأ على الحامل عند تعسر الولادة ويدعى لها كل هذا طيِّب لا بأس به، وهكذا كلّ مريض يُدعى له، يقرأ عليه لا بأس به.

فقراءة القرآن للاستشفاء بذلك أمر مشروع؛ لكن تحديد آيات بعينها لتسهيل الولادة لم يثبت بسند صحيح.

أمَّا الأذان والإقامة: فقد جاء في حديث في سنده بعض الضعف، يؤذن في اليمنى ويقام في اليسرى، من فعله فلا بأس ومن تركه فلا بأس، استعمله كثير من أهل العلم ورأوه سنة، والحديث مقارب في إسناده عاصم بن عبيد الله العمري[(٣)] فيه لين، وإذا أذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، كما فعله كثير من السلف عملًا بالحديث، فلا بأس إن شاء الله.

---

(١) فقد جاء عند مسلم، برقم (٢٣١٥) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٩٣ح ٣) وفيه موسى بن محمَّد بن عطاء، وصف بأنَّه كذَّاب يضع الحديث لا تحل الرواية عنه، وفي سنده أيضًا: عيسى بن إبراهيم القرشي، وصف بأنَّه منكر الحديث، ومثله موسى بن أبي حبيب ذاهب الحديث. ينظر: «**الكلم الطيب**» لشيخ الإسلام، تحقيق: الشيخ الألباني (ص١٦١برقم٢١٠حاشية ١٦٥).

(٣) ينظر: «**التلخيص**» للحافظ ابن حجر (٤/ ٦٣).

والعقيقة فمثلما تقدَّم يعق عن الذَّكر اثنتان، وعن الأنثى واحدة، وأمَّا وضع الأذى: معناه يحلق شعر الذَّكر في يوم سابعه هذا هو الأفضل وهو السُّنَّة، وأمَّا الأنثى لا يحلق رأسها، والتصدق بوزن الشعر الحديث ضعيف[(١)].

ولو كنى نفسه بشيء قبل أن يُولد له، ليس في ذلك شيء، فعائشة رضي الله عنها تكنى أم عبد الله، ولم يولد لها شيئًا[(٢)].

أم الصِّبيان: يروون أنَّها من الجن، ولكن الحديث فيه ضعف.

يقرأ عند الحاجة ما تيسر آية الكرسي والمعوذتين عند تعسر الولادة، وعلى المريض، والإنسان عند النوم يقرأ آية الكرسي، آية عظيمة، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رحمه الله:

«وذكر «مسلم» عَنِ ابنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى الله ﷻ عَبْدُ الله، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»[(٣)].

وعَن أَبي وَهْبِ الجُشَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَسْمَاءِ إِلَى الله ﷻ عَبْدُ الله، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ**»[(٤)] رواه أبو داود والنسائي.

وغير النَّبيّ ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة[(٥)] فغير اسم برَّة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٥/ ١٦٣ برقم٢٧١٩٦) عن أبي رافع رضي الله عنه، وإسناد ضعيف فيه عبد الله بن محمَّد بن عقيل. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٩٣ح ٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم (٣٧٣٩) عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كُلُّ أَزْوَاجِكَ كَنَّيْتَهُ غَيْرِي قَالَ: «**فَأَنْتِ أُمُّ عَبْدِ الله**».

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢١٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٤٩٥٠) والنسائي، برقم (٣٥٦٥).

(٥) ينظر: «**زاد المعاد**» لابن القيم (٢/ ٣٣٤ - ٣٤٤) و«**تحفة المولود**» (ص١٠٣، ١١١ - ١١٤).

إلى زينب[١] وغير اسم حزن إلى سهل[٢] وغير اسم عاصية، فسماها جميلة[٣] وغير اسم أصرم إلى زرعة[٤].

وسمى حربًا سلمًا، وسمى المضطجع المنبعث، وسمى أرضًا يقال لها عفرة خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزِّنية سماهم بني الرِّشدة»[٥][٦].

الشرح:

هذه الأحاديث في الدَّلالة على العناية بالأسماء، وأنَّه يستحب للمؤمن أن يعتني بالأسماء، ويتخيَّر الأسماء الطَّيِّبة، فالنَّاس يدعون بأسمائهم، وأسماء آبائهم يوم القيامة، وأحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن، وهكذا بقية الأسماء المعبدة لله ﷻ، مثل: عبد المجيد، وعبد الرحيم، وعبد القدوس، وعبد السَّلام وأشباه ذلك.

وهكذا أسماء الأنبياء كمحمَّد وصالح وهود وشعيب وإبراهيم وغير ذلك، ينبغي للمؤمن أن يختار الأسماء الطَّيِّبة، وهكذا في النساء، زينب وعائشة ومريم وآسيا، وفاطمة، وجويرية، وميمونة، يختار الأسماء الحسنة، ويبتعد عن الأسماء الَّتي فيها شيء من السوء كحرب ومرة والمضطجع وأشباه ذلك من الأسماء الَّتي فيها شيء من التفاؤل غير الطَّيِّب، فالإنسان يتحرى الأسماء الَّتي فيها التفاؤل الطَّيِّب، ويتباعد عن

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦١٩٢) ومسلم، برقم (٢١٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه كما أخرجه مسلم، برقم (٢١٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦١٩٠) عنِ ابنِ المسيب عن أبيه.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢١٣٩) عَنِ ابنِ عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٤٩٥٤) عن أسامة بن أخدريّ رضي الله عنه.

(٥) وتغيير بعض الأسماء ذكر منها أبو داود، عقب الحديث رقم (٤٩٥٦) جملة، وقال تركت أسانيدها للاختصار، ينظر: «**سنن أبي داود**» (ص٧٤٣).

(٦) قرئ بتاريخ (١٥/ ١٠/ ١٤١٣هـ) و(٢٨/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٢٩٥ - ٢٩٧).

الأسماء الَّتي فيها سوء اللَّفظ، أو سوء المعنى، نسأل الله للجميع التَّوفيق.

○ مسألة: **في «خير الأسماء ما عُبِدَ وحُمِدَ»:**

سئل سماحته حول صحة ما اشتهر: «خير الأسماء ما عُبِدَ وحُمِدَ»؟

فقال: هذا ليس بحديث، ولا أعرف له أصلًا، وإنَّما المقصود: عبِد لله.

وسئل عن تسمية الأنثى بأمة الله؟

فقال: أمَّا تسمية الأنثى بأمة الله، ليس فيه شيء كلِّ النِّساء إماء الله، لكن تسمية الأنثى باسم معروف تُميَّز به أفضل، كزينب وعائشة ومريم وهند وفاطمة أسماء معروفة تُميَّز بها.

وسئل سماحته عن ضابط تغيير الأسماء؟

فقال: تغيير كلّ اسم مناسبة مستحب، إلَّا إذا كان في الاسم تعبيد لغير الله فيجب، كعبد النَّبِيّ، وعبد الكعبة، هذا يجب تغييره، أمَّا الأسماء الأخرى الَّتي فيها الكراهة، فالأفضل تغييرها، النَّبِيّ ﷺ ما غير ميمونة وهو اسم زكي، وغير برَّة إلى زينب، ولا غير صالح وعامر وسعيد وسعد كلُّها زكية طيِّبة ولم يغيرها[1].

كذلك إذا كانت الأسماء فيها تشبه بالكفرة لا يسمي بأسماء الكفرة المشهورة بينهم يتسمى بأسماء المسلمين.

وسئل سماحته هل تغيير الاسم له عقيقة؟

فقال: تغير الأسماء يكون بدون ذبح عقيقة للتغيير.

---

(١) ينظر: للمزيد من أحكام المولود .«**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١٨/ ٤٨ ـ ٥٨) وكتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (١٨/ ٢١٠، ٢١١، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٩٨ – ٢٥٠) و«**أحكام المولود في الإسلام**» لسماحته (ص ٥٣، ٥٤، ٦٠ – ٦٥).

«الفصل السادس والأربعون
في صياح الدِّيكة والنهيق والنباح

في «الصَّحيحين» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحَمِيرِ، فَتَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا الله مِن فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»(١).

وفي «سنن أبي داود» عَن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الكِلَابِ، وَنَهِيقَ الحَمِيرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِالله مِنْهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»(٢) رواه أبو داود.

الفصل السابع والأربعون
في الذِّكر يطفأ به الحريق

يُذْكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم الحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ»(٣)»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٣٠٣) ومسلم، برقم(٢٧٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٠٣) وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي (٤/ ٣١٦ برقم٧٧٦٢).

(٣) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٤٥، ١٤٦برقم٢٩٤ ـ ٢٩٨) وفي سنده القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني متروك رماه أحمد بالكذب، أخرج له ابن ماجه. ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (٤٥٠ ترجمة رقم٥٤٦٨).

(٤) قرئ بتاريخ (١٦/ ١٠/ ١٤١٣هـ) و(٢٩/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٩٧، ٢٩٨).

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يقال عند سماع صياح الدِّيكة، ونهيق الحمير، ونباح الكلاب، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحَمِيرِ، فَتَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا، وإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا الله مِن فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا» هذا يدلّ على شرعية التعوذ باللَّه من الشَّيطان، عند سماع نهيق الحِمير، واستحباب سؤال الله فضله عند صياح الدِّيكة وأذانها، ونباح الكلابِ من جنس نهيق الحمر، يتعوذ باللَّه من الشَّيطان، وأمَّا صياح الدِّيكة، فهو ما يسمى بأذانها، فيسأل الله من فضله، وهذا عام في اللَّيل والنهار كما في الحديث الصَّحيح.

أمَّا رواية: باللَّيل في إسنادها نظر، والحديث المتقدِّم هو أصح في الصَّحيحين، والمعتمد: هو التعوذ باللَّه عند سماع نهيق الحُمر، ونباح الكلاب، ويلحق بذلك من جهة أنَّها ترى شيطانًا، أو سؤال الله من فضله عند سماع صياح الدِّيكة.

وأمَّا ما يتعلق بتخصيص اللَّيل: فالظاهر أنَّه إمَّا وهمٌ من بعض الرواة، أو لا يقتضي التخصيص؛ لأنَّ ذكر بعض أفراد العامة لا يقتضي التخصيص، فالحديث الصحيح عام.

وأمَّا ما يتعلق بالحريق: فليس فيه حديث ثابت، لا يثبت فيه شيء عن النَّبيِّ ﷺ، والأثر الَّذي ذكره المؤلف ليس له أصل يعتمد، ولكن إذا كبر النَّاس، وذكروا الله، وسألوا الله من فضله أن يطفئ هذا حسن كغيره من المصائب.

عند المصيبة يسأل الإنسان ربّه العافية، ويذكر الله كما عند مصيبة الموت، إذا أصيب بالموت، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويترك الجزع، فهذه من المصائب، كونه يرى اشتعال النَّار في محل، فيقول: الله أكبر أو أعوذ باللَّه، اللهم عافنا، اللهم أنقذنا، اللهم سلمنا، يا ذا الجلال والإكرام، يا رحمن، لا إله إلَّا الله، فالذِّكر يُستعان به في كل شيء، الذِّكر فيه خير عظيم يستعان به على دفع البلاوي والمحن، وعلى

جلب المصالح.

ولهذا شرع عند وجود الكسوف «**إِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**»[(١)] لأنَّه يؤذن بخطر، تخويف من الله لعباده، فالأخطار يدفع شرها بالأسباب الحسية وبالأسباب المعنوية، الأسباب الحسية إطفاءها بصب الماء عليها وغير ذلك من أسباب الإطفاء، والأسباب المعنوية ذكر الله وسؤاله ودعاؤه أن الله يطفئها، وأن الله يكفيه شرها.

وهكذا الهدم وغير ذلك مما يصيب النَّاس ويخشى منه، النَّاس يفزعون إلى الله ويتضرعون إليه، كما يفزعون عند الجدب إلى الاستغاثة وسؤال الله الغيث، وعند وجود العدو أن يكفيهم الله شره، وإلى جهاده، فيجمعون بين هذا وهذا بين الجهاد بالقتال والدفاع، وبين ذكر الله ودعائه والضراعة إليه أن يدفع شره، وفَّق الله الجميع.

□ **فائدة: حول تسمية صوت الديك:**

صوت الدِّيك يسمى صياحًا، وقد ألهمه الله وهداه لأوقات الأذان، فهو يصيح عند حلول وقت الصَّلاة، وهو تسبيح منه لله تعالى.

فاتخاذ الدِّيك في البيت لأجل الأذان، وقيام اللَّيل ليس فيه شيء، فيه نفع، تقول عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ**»[(٢)].

أمَّا حديث: «**لا تسبوا الدِّيك، فإنَّه يوقظ للصَّلاة**»[(٣)] وحديث «**الدِّيك حبيبي وحبيب حبيبي؟**»[(٤)] لا أعرفهما، ولا أذكر فيهما شيئًا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٥٩) ومسلم، برقم (٩١٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١١٣٢) ومسلم، برقم (٧٤١).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٥١٠١) وصححه ابن حبان (١٣/ ٣٧ رقم ٥٧٣١) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٤) المقاصد الحسنة (٤٩٩) عن أنس رضي الله عنه.

«الفصل الثامن والأربعون
في كفارة المجلس

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن جَلَسَ مَجْلِسًا فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَن يَقُومَ مِن مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا كُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»(١) قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي حديث آخر: «أَنَّهُ إِن كَانَ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ كَانَ كالطَّابَعِ لَهُ، وَإِن كَانَ فِي مَجْلِس تَخْلِيطٍ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ»(٢).

وفي «السنن» عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِن قَوْمٍ يَقُومُونَ مِن مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَن مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيهِمْ حَسْرَةً»(٣).

وَعَنِ ابن عُمَرَ قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: يَقُومُ فِي مَجْلِس حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَات لأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِن طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَن ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَن عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»(٤) قال الترمذي

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٣٣) وعنده: «غَفَرَ» بدل «كُفِرَ».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٣٨برقم١٥٨٧) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٢٠ برقم ١٩٧٠) وفيهما بدل: «خَيْرٍ» «ذِكْرٍ» وبدل: «تخليط» «لغو».

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٥٥).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٠٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي(١/ ٧٠٩برقم١٩٣٤).

حديث حسن»[(١)].

الشرح:

هذه الأحاديث في كفارة المجلس، وأنَّه ينبغي للمؤمن أن يعتني بمجلسه، وأن يكون مجلسه، مجلس ذكر وخير، ولا يكون مجلس غفلة وإعراض، فالمجالس لها شأن، فينبغي للمؤمن أن يعمر مجلسه بذكر الله جَلَّوَعَلَا وقراءة القرآن، والمذاكرة في الخير أو في أمر مباح من غير غفلة، والسُّنَّة له إذا قام أن يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» فإنَّ هذا الكلام يكون كفارة لما حصل من تخليط ولغو، وإن كان مجلس خير كان كالطابع عليه، يعني: كالختم، فكفارة المجلس تقال عند القيام من المجلس، مجلس لغو وغفلة وغيبة، أو مجلس ذكر وطاعة، ويذكرها جهرًا حتى يسمعه إخوانه ويتأسى بعضهم ببعض، ويتعلمها الجاهل.

فقد قال بعض أهل العلم: إن هذا من تفسير قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطُّور: ٤٨] حين تقوم، يعني: من المجلس[(٢)] كون من تفسير هذه الآية «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» عند قيامه من مجالسه الَّتي يجلس فيها، وأن هذا من أسباب المغفرة والرحمة والعفو عما قد يقع فيها من التخليط.

وفي الحديث الثاني: الدَّلالة على من جلس مجلسًا ولم يذكر الله فيه، ولم يصلِّ على النَّبيِّ ﷺ، فإنه يكون كمن قام عن جيفة حمار، فيه الحث على الذِّكر في المجالس، وأن القوم إذا جالسوا مجلسًا وقاموا غافلين يشبه ذلك بمن قاموا عن مثل جيفة حمار «**مَا مِن قَوْمٍ يَقُومُونَ مِن**

---

(١) قرئ بتاريخ (٢٢/ ١٠/ ١٤١٣هـ) و(٣٠/ ٧/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٢٩٨، ٢٩٩).

(٢) ينظر: «**تفسير معالم التنزيل**» للبغوي (٧/ ٤٩٤) و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٧/ ٤٣٩).

مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَن مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً» نسأل الله العافية.

وفي اللَّفظ الآخر: «**مَا جَلَسَ قَومٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله تَعَالَى فِيهِ، ولَم يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهم فِيهِ إِلَّا كانَ عَلَيّهم تِرةٌ**»[(١)] **تِرَة**: يعني حسرةً وندامةً، ونقصًا عليه، فالمؤمن يعمر مجالسه، ويحرص عليها بالذِّكر، وقراءة القرآن، والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، حتَّى لا يتحسر عليها يوم القيامة.

وفي الحديث الأخير: الدَّلالة على أنَّه كان يدعو في غالب مجالسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يدعو لنفسه ولأصحابه، فالمؤمن يكون عامرًا مجالسه بالذِّكر والدُّعاء يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله، وينتهز الفرص، وهذا الدُّعاء رواه الترمذي «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِن طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا...**» إلى آخره، الدُّعاء المعروف في القنوت، وفي سنده عبيد الله بن زَحر، وهو يُضعَّف في الحديث[(٢)] ولكنه دعاء طيِّب، دعاء عظيم دعاء نافع ومفيد، فإذا دعا به الإنسان في مجلسه، أو في قنوته أو في أوقات أخرى كلّه طيِّب؛ لأنَّ الدُّعاء لا يشترط فيه الأثر، بل كل دعاء طيِّب صالح يدعو به الإنسان، يقول الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]الله أكْثَر.

في الحديث الصَّحيح يقول ﷺ: «**مَا مِن عَبْدٍ مُسْلِم يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِم إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ فِي الدُّنيا، وَإِمَّا أَنْ تُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُصْرفَ عَنْهُ مِنَ**

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٨٠) وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٥ برقم ٢٠١٧) وأورده الحاكم بسند قبل هذا (١/ ٦٧٤ برقم ١٨٢٦) وتعقبه الذهبي بقوله صالح ضعيف.

(٢) ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٣٧١ برقم٤٢٩٠).

السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «الله أَكْثَرُ»[(١)].

فدلَّ على أن الدُّعاء ليس توقيفيًّا، بل يدعو الإنسان بما تيسر من الدَّعوات الطَّيِّبة، الَّتي ليس فيها إثم، وليس فيها قطيعة رحم، والله جَلَّوَعَلَا وعده الإجابة، وهذه الدَّعوات الَّتي ذكرها هنا دعوات طيِّبة وإن كان الحديث في سنده لين، لكنها دعوات طيِّبة مباركة، فإذا دعا بها الإنسان في سجوده في خلوته بربه مع أصحابه ومع إخوانه في قنوته كلها طيِّبة، وفَّق الله الجميع.

□ فائدة: **لو بدئت مجالس أمور الدُّنيا بذكر الله.**

سئل سماحته عن المجالس الَّتي تكون في أمور الدُّنيا من تجارة وبيع وشراء، لو بدأ بذكر الله وحمد الله فيها؟

فقال: كله طيِّب، أو في أثنائه يذكر الله جَلَّوَعَلَا، فإذا عمّر مجلسه بذكر الله بالتَّسبيح والتهليل والتحميد والتكبير مع مشاغله الأخرى؛ تارة بالبيع والشراء، وتارة لذكر الله تارة كذا وتارة كذا، تارة هات يا فلان كذا، صب قهوة، صب شاي، فيختلط هذا بهذا، ويختمه بكفارة المجلس، والحمد لله الأمر فيه سعة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١١٣٣) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٠ برقم ١٨١٦) عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الفصل التاسع والأربعون
فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فُصِّلَت: ٣٦].

وقال سُلَيْمانَ بن صُرَدٍ رضي الله عنه: كُنْتُ جالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، أَحَدُهُمَا قدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»(١) متفق عليه.

وَعَن عَطِيَّة بنِ عُرْوَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»(٢) رواه أبو داود.

وفي حديث آخر: «**أَنَّهُ أَمَرَ مَن غَضِبَ إِذَا كَانَ قَائِمًا أَن يَجْلِسْ، وَإِذَ كَان جَلِسًا، أَن يَضطَجِعْ**»(٣) (٤).

الفصل الخمسون
فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِله الَّذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ**

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٨٢٢) ومسلم، برقم (٢٦١٠).
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٧٨٤).
(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٧٨٢) عن أبي ذر رضي الله عنه.
(٤) قرئ بتاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٤١٣هـ) كما قيَّد القارئ رحمه الله في نسخة كتابه (ص٣٠١ س٤).

تَفْضِيلًا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ»[١] قال الترمذي: حديث حسن»[٢].

الشرح:

هذه الآية والأحاديث فيما يتعلق بعلاج الغضب، الغضب من الشَّيطان يُبتلى به الإنسان عند النزاع بينه وبين غيره، أو عندما يعتدي عليه غيره، فيستحب عند ذلك أن يلجأ إلى الله، ويتعوذ باللَّه من الشَّيطان، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [فُصّلَت: ٣٦].

فيقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، فإنَّ هذا من أسباب إطفاء جمرة الغضب، ومن ذلك كونه يُكثر من ذكر الله، وكونه يُعالج الأوضاع الَّتي تسببت في الغضب بما يزيلها أو يخففها، يتعاطى العلاج الَّذي يزيل ما سبب الغضب، فإذا كان بينه وبين أخيه نزاع، يقول له اسمح عني، أو يعطيه حقه إن كان الحق عليه، أو يقول: نتفاهم في الموضوع إن شاء الله يكون خير، يعالج الأمور بما يستطيع، مع التعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

وفي الحديث الصَّحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لما رأى رَجُلًا قد اشتد غضبه واحْمَرَّ وَجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فقال: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فهذا يدل على أنه يستحب للمؤمن أن يقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، يكرر ذلك حتى يهدأ.

وَيُكثر من ذكر الله، يقرأ القرآن، يسأل ربه أن يكفيه شر الغضب، ويعالجه بالعلاج الآخر إن كان مظلومًا يسأل ربّه أن ينصره على من ظلمه، وإن كان ظالمًا يتوب إلى الله ويعطي المظلوم حقه، ولا يطاوع الشَّيطان.

ومن ذلك الوضوء: إذا غضب يتوضأ، «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَالنَّارُ تُطْفَأُ بِالمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ الإنسان استحب له الوَضوء بالماء، لِأَنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ» ثُمَّ إنَّ الوضوء عبادة وقربة إلى الله، ومن أسباب

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٣٢).

(٢) قرئ بتاريخ (٥/٨/١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٠، ٣٠١).

السَّلامة من كل سوء، فإذا توضأ وتعوذ باللَّه من الشَّيطان فهذا من أسباب السَّلامة.

كذلك كونه يغيِّر حاله: إن كان قائمًا يجلس، وإن كان جالسًا يضطجع، إن كان في مكان اللغط فيه يظهر يعالج الأمور بالأشياء الحسية حتَّى يهدأ الغضب، قد يتساهل فربما ضرب وربما قتل وربما سب وربما لعن، الغضب يُغيِّر الشعور ولكن مع العلاج والرفق، والتعوذ باللَّه من الشَّطان يكفيه الله شر ثورة الغضب.

وإذا رأى مبتلًا، يقول: «**الحَمْدُ لله الَّذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا**» ولا يقوله وهو يسمع، بينه وبين نفسه؛ لأنَّه قد يتأثر إذا قاله وهو يسمع يكون بينه وبين نفسه؛ لئلا يؤثر على أخيه.

ثُمَّ سأل سماحته ماذا قال المحشي على حديث المبتلى؟

قال القارئ: رواه الترمذي في الدَّعوات، باب رقم ٣٨ وهو حديث حسن بشواهده. انظر: «**الأحاديث الصَّحيحة**» رقم (٦٠٢)[(١)].

قال سماحته: على كلِّ حال نعمة عظيمة كونه إنسان الله عافاه من بليَّة الصرع أو بَليَّة المرض أو بَليَّة نقص الخلقة، يقول: الحمد لله الَّذي عافيتني مما ابتليت به فلان، الحمد لله الَّذي عافاني من هذا البلاء من هذا المرض، يعني: يشكر الله حيث عافاه من مثل هذه البليَّة الَّتي أصاب بها فلان.

وربُّك جَلَّ وَعَلَا حكيم عليم يبتلي عباده بالسَّراء والضَّراء، وله الحكمة البالغة في ابتلاء هذا وعافية هذا، وفي توفيق هذا لكذا، وفي حرمان هذا، له الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قسم فضله ورحمته وعدله بين عباده جَلَّ وَعَلَا وفَّق الله الجميع.

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٣٠١ حاشية ٣).

❍ **مسألة: في الدُّعاء بالعافية من البلاء:**

سئل سماحته إذا كان المبتلى في دينه؟

فقال: نعم. يقول: الحمد لله الَّذي عافاني مما ابتلى به فلان من الكفر والضلال، ويدعو له بالهداية، ولا بأس أن يسمعه ذلك من جهة الكفر والمعاصي.

□ **فائدة: فيمن إذا نصح للتعوذ باللَّه عند الغضب، ولم يقبل النصح؟**

وسئل فيما إذا نصح المتخاصمان للتعوذ باللَّه من الشَّيطان، ولم يمتثلا؟

فقال: يكون النُّصح بالرِّفق واللِّين هداكم الله بارك الله فيكم، تعوذوا باللَّه بالرفق واللين؛ لأنَّ مع شِدَّة الغضب قد يصعب أمرهم.

□ **فائدة: في حكم ركعتين عند الغضب:**

وسئل عن صلاة ركعتين عند الغضب؟

فقال: لا أتذكر شيئًا في صلاة ركعتين عند الغضب، لكن ما دام الوضوء سنَّة عند الغضب، ومن توضأ يستحب له أن يصلِّي ركعتين، فلا بأس بذلك.

«الفصل الحادي والخمسون
في الذِّكر عند دخول السُّوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ، أَلفَ أَلفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلفَ أَلفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلفَ أَلفِ دَرَجَةٍ**»(١) رواه الترمذي.

وَعَن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ: إِذَا دَخَلَ السُّوقَ، قَالَ: «**بِسْم الله اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ السُّوقِ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ بِهَا يَمِيناً فَاجِرَةً، أَوْ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ**(٢)»(٣).

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٢٨) وقال: حديث غريب، وقد تقدَّم ذكره في فوائد الذِّكر الفائدة (٣٣) (ص٢١٧) وقد ضعفه سماحته هنا كما في الشرح، وضعفه أيضًا في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٢٤٧، برق ١١٦) وذكر علل تضعيفه هناك.

(٢) أخرجه البخاري في «**التاريخ الكبير**» (١/ ١٧٩) والطبراني في «**الأوسط**» (٥/ ٣٥٤ برقم٥٥٣٤) والبيهقي في «**الدعوات**» (١/ ١٣٢) وابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص٩٤، ٩٦برقم ١٨١) والحاكم وتعقبه الذهبي، فقال: أبو عمرو لا يعرف، والمدائني متروك (١/ ٧٢٣ برقم ١٩٧٧).

(٣) قرئ بتاريخ (٢٩/ ١٠/ ١٤١٣هـ). كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٠٢ س١١).

الفصل الثاني والخمسون
في الرَّجل إذا خدرت رِجله

عَنِ الهَيْثَم بنِ حَنَش، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبد الله بن عُمَرَ ﵄، فَخَدِرَتْ رِجْلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ، فَذَكَرَ مُحَمَّدًا فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِن عِقَالٍ[(١)].

وَعَن مُجَاهِدٍ ﵀، قَالَ: خَدِرَتْ رِجلُ رَجُلٍ عِنْدَ ابن عباس ﵄، فقال: اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ رَسُول الله فَذَهَبَ خَدِرَهُ»[(٢)][(٣)].

الشرح:

هذا الحديث، حديث الترمذي عن عمر ﵁، والأثر بعده، فيما يتعلق بالسُّوق، وفيما يتعلق بخدور الرجل. **السوق محل** اللغط، ومحل القيل والقال، محل الكذب ومحل الخيانة والغش، فينبغي للمؤمن إذا جاء السُّوق أن يتحرز، وأن يحذر من الكلام الباطل والكذب والخيانة والغش، وأن يكثر من ذكر الله عند غفلة النَّاس.

أمَّا حديث عمر: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَن دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكُ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ، أَلفَ أَلفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلفَ أَلفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلفَ أَلفِ دَرَجَةٍ**» فهو حديث ضعيف رواه الترمذي ﵀ بإسناد ضعيف[(٤)] ولكن الذِّكر مطلوب عند لغط

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٨٩ برقم١٧٠).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٨٨ برقم١٦٩).

(٣) قرئ القراءة الثانية بتاريخ (٢٩/ ٨/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٢، ٣٠٣).

(٤) ففي سنده أزهر بن سنان أبو خالد البصري، وهو ضعيف، كما في التقريب (ص٩٧ برقم٣٠٩) وأن أزهر رواه عن محمَّد بن واسع، وفي سماعه منه نظر، وفي سنده عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، ضعيف كما في التقريب (ص٤٢١ برقم ٥٠٢٥) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» (٢٦/ ٢٤٧، ٢٤٨ برقم ١١٦).

النَّاس، وعند كثرة القيل والقال، وعند كثرة الكلام الَّذي قد يخشى شره، ينبغي للمؤمن أن يكون حضوره في هذه المجالس مذكرًا باللَّه، يكثر من ذكر الله من تسبيحه وتهليله وتحميده حتى يسلم هو، ويذكر غيره بهذا الخير العظيم.

وكذلك حديث الدُّعاء والتسمية عند دخول السوق، وسؤال الله خير الصفقة، ويسأل الله العافية من أن يصيب صفقة خاسرة أو يمينًا فاجرة، فمعناه صحيح، ولكن الحديث مثلما ذكر المحشي(١) ضعيف، ولا نعلم له طرقًا تقويه.

المقصود: أنَّ المؤمن في هذه المسائل يحتاط لدينه، ويكثر من ذكر الله، والتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ولا يشارك الناس في لغوهم وغلطهم وجهلهم وكذبهم، بل يحذر، وإما ألَّا يدخل السوق؛ ولكن إذا بُلي بدخول السوق واحتاج إلى ذلك، يُكثر من ذكر الله عند غفلة الناس.

أمَّا خُدور الرِّجل فلم يثبت فيه شيء، فيما أعلم، لكن إذا سأل الله العافية، أو صلى على النَّبِيِّ ﷺ، أو ذكر الله كلُّه طيب، فقد يكون من ثواب ذلك أن الله ينشطها ويزيل عنها الخدور، فإن الأعمال الصالحة كلها خير من ذكر الله وتسبيحه وتحميده، والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، كلها من أسباب السعادة في الدُّنيا والآخرة.

فالإكثار من ذكر الله، والصَّلاة على النَّبِيِّ ﷺ، من أسباب العافية من كل سوء، ومن أسباب طرد الشَّيطان، والعافية من مكائده، فالمؤمن ينبغي عند وجود ما يؤذيه أن يذكر الله، وأن يصلي على نبيه، وأن يسأله العافية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنَّ ذلك من أسباب العافية.

ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، والصَّلاة على نبيه من أسباب العافية؛ ولهذا

---

(١) بشير محمَّد عيون (ص ٣٠٢) وذكر تضعيف الشيخ الألباني له في ضعيف الجامع، برقم (٤٣٩٦).

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٦] ذكروه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واعتمدوا عليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٧].

وكان ﷺ إذا نابه شيء فزع إلى الصَّلاة لما فيها من ذكره وطاعته جَلَّ وَعَلَا، فالذكر كله خير، فاعتياد المؤمن لذكر الله، وتسبيحه وتحميده، وقول: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، كل هذا من أسباب تنفيس الكروب وتيسير الأمور، نسأل الله للجميع التوفيق.

□ **فائدة: في ذهاب المرأة للأسواق:**

سئل سماحته عن ذهاب المرأة للأسواق المختلطة؟

فقال: السُّوق المختلط لا بأس أن تأتيه المرأة، وتشتري حاجتها، فالسُّوق يؤتى إليه، النَّاس يأتون السُّوق لحاجاتهم النِّساء والرِّجال من دون خلوة، ومن غير تكشف، مع الحجاب والتستر؛ لكن إذا هداها الله وقضى لها حاجتها وليها فهذا يكون أحسن لها أن تقر في بيتها.

□ **فائدة: حول ذهاب الخدر من الرِّجْلِ:**

سئل عما ذكر عن العرب عند خدور رِجْلِ أحدهم يذكر محبوبته؟

فقال: لا أعلم ذلك وليس لنا بأمور الجاهلية مثل.

○ **مسألة: في حكم حديث:**

وسئل عن حديث شر البلاد؟

فقال: الحديث: «**أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا**» خرَّجه مسلم في الصَّحيح[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٦٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفصل الثالث والخمسون
في الدابة إذا عثرت

عَن أَبِي المَلِيح عَن رَجُلٍ[١] قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «**لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ البَيْتِ؛ وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ الله، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»[٢].

الفصل الرابع والخمسون
فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ماذا يقول؟

عَن عَائِشَة **رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهَا**، قَالَتْ: «**أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ شَاةٌ**، فَقَالَ: «اقْسِمِيهَا» وَكَانَتْ عَائِشَةُ ﵂ إِذَا رَجَعَتِ الخَادِمُ، تَقُولُ: مَاذَا قَالُوا؟ تَقُولُ الخَادِمُ، قَالُوا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، تَقُولُ عَائِشَةُ ﵂: وَفِيهِم بَارَكَ اللهُ، نَرُدُّ عَلَيْهِم مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا»[٣]. وقد روي عنها في الصَّدقة مثل ذلك»[٤].

---

(١) **فائدة:** أبو المليح تابعي واسمه عامر، والرجل المجهول هنا هو أبوه أُسَامَة، وهو صحابي وجهالة الصَّحابي لا تضر؛ لأنهم كلهم عدول، وجاء ذكره عند ابن السني عن أبي المليح عن أبيه، قال: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيّ فَعَثَرَتْ دَابَّتِي» أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص٢٤٠ برقم ٥٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٩٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٣٢٤، ٣٢٥ برقم ٧٧٩٢، ٧٧٩٣) وحكم عليه سماحته بأنَّه لا بأس به كما سيأتي في الشرح.

(٣) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٣٨ برقم٢٧٨).

(٤) قرئ بتاريخ (١/ ١١/ ١٤١٣هـ) و(٢٠/ ٨/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٣، ٣٠٤).

الشرح:

الحديث الأول: فيه الدَّلالة أنَّه ينبغي عند عثور الدَّابة أن يقول الإنسان: بسم الله؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هو مصرف الأمور، بيده تصريفها بيده العون على كل شيء بيده الحياة والموت، بيده الصحة والمرض، بيده كل شيء فهو مصرف الكائنات، فالأفضل أن يقول: بسم الله.

ولهذا لما قال الرجل: «**تَعِسَ الشَّيْطَانُ، قَالَ: لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّه يَتَعَاظَمَ**» في نفسه ويتفاخر، ويقول: إني فعلت وفعلت «**وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ الله، فَإِنَّهُ بِهَذَا يَتَصَاغَرَ** ويحتقر **حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ**» والحديث لا بأس به.

كذلك **الحديث الثاني**: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إثابة من أهدي إليه، فدعا للمَهدي، وأنَّ المُهدي يدعو أيضًا، فقد صح في هذا الباب حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(١).

فالسُّنَّة لمن أُهديَ إلَيه شيء أن يدعو للمُهدي والمتصدق، وإذا كان المُهدي ممن يصلح أن يعطى مكافأة يكافأ كان النَّبي: «**يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُكَافِأُ عَلَيْهَا**»(٢) فإذا كان المُهدي ممن يريد الصَّدقة، يريد الأجر يدعو له اللَّهم اغفر له، جزاه الله خيرًا أثابه الله، ضاعف الله مثوبته، غفر الله له وما أشبه ذلك، يدعو له؛ لأنَّ الإحسان جزاءه الإحسان: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠].

عليه أن يكافئ صاحب الهدية، فيعطيه عوضًا عنها ما هو خير منها أو مثلها، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القَصَص: ٧٧] وعملًا

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٦٧٢) والنسائي، برقم (٢٥٦٧) وحكم سماحته بصحة إسناده هنا، وكما في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٤٤١، و٦/ ٢٨٧، ٣٣٦، و١٤/ ٢٦٢، ٢٦/ ١٣٨).

(٢) أخرجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، البخاري، برقم (٢٥٨٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٦].

ثُمَّ نبهت رضي الله عنها بقولها: «**وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا**» أن ثناؤهم علينا بأن «**قَالُوا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ**» لا يعتبر مكافأة لنا فيما أهدينا لهم، بل أجرنا باقٍ لنا.

المقصود: أنَّ التعوذ باللَّه من شره أفضل، من لعنه؛ لعنه الله وطرده عن الرحمة.

فالمؤمن إذا فُعِلَ معه معروف، يقابل المعروف بالمعروف، الهدية بالهدية، والصَّدقة بالدُّعاء، وفَّق الله الجميع.

الفصل الخامس والخمسون
فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى، فقال رسول الله ﷺ: «**مَسَحَ اللهُ عَنْكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ مَا تَكْرَهُ**». وفي لفظ آخر: «**لَا يَكُنْ بِكَ السُّوءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ**»[(١)].

وَعَن عُمر رضي الله عنه: أَنَّهُ أخذ عن رجل شيئًا، فقال الرجل: صرف الله عنك السوء، فقال عمر رضي الله عنه: «**صَرَفَ اللهُ عَنَّا السُّوءَ، مُنْذُ أَسْلَمْنَا، وَلَكِنْ إِذَا أُخِذَ عَنْكَ شَيْءٌ فَقُلْ أَخَذَتْ يَدَاكَ خَيْرًا**»[(٢)].

الفصل السادس والخمسون
في رؤية باكورة الثمرة

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَن يَحْضُرُهُ مِنَ الوِلْدَانِ**» رواه مسلم[(٣)][(٤)].

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ١٣٩، ١٤٠برقم ٢٨١، ٢٨٢) وقد حكم سماحته عليه بالضعف، كما في الشرح.

(٢) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٤٠ برقم٢٨٣) وحكم سماحته بضعفه.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٣٧٣).

(٤) قرئ بتاريخ (٧/ ١١/ ١٤١٣هـ) و(٢١/ ٨/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٥، ٣٠٦).

الشرح:

هذه الآثار فيما يتعلق بأخذ الأذى عن اللِّحية، ذكرها المؤلف هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **والمؤلف كعادته** يتسامح في ذكر الآثار، وهي آثار ضعيفة لا فيما يروى عن النَّبِيِّ ﷺ، ولا فيما يروى عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كلُّها ضعيفة[١] لكن إذا أخذ الإنسان عن لحية أخيه سوء أو عن ثوبه أو عن رأسه، على كل حال هذا معروف، يدعو له مثل ما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ**»[٢].

وفي الحديث الآخر: «**مَن صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ الله خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»[٣] فالمؤمن يكافئ أخاه إذا فعل معه معروفًا، بأن أزال عنه أذى، أو دعا له بدعوة طيبة، أو شفع له؛ يدعوا له بالخير ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠] ولو لم تثبت هذه الآثار؛ لكن من باب المقابلة المعروف بالمعروف.

وهكذا ما يتعلق بالثمرة إذا جاءوا بها مثل ما جاء في الحديث «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا**» يدعى فيها بالبركة أن الله ينزل فيها البركة، وأن الله يجعلها مباركة، وإذا قدم إليه شيء من الباكورة وعنده بعض الصبيان أعطاه إياه؛ لأن الصبي يتشوف لهذه الأشياء، وهذا يدلُّ أنَّ السُّنَّة عند وجود الثمار وإتمامها الدُّعاء، أن الله ينزل فيها البركة، وأن الله يجعلها مباركة، وأن الله ينفع المسلمين بها ونحو ذلك.

والشريعة جاءت بكل خير، فالمؤمن يدعو الله في جميع أحواله

---

(١) فحديث أبي أيوب في إسناده الأول: عثمان بن فائدة، وفي الأخرى أبو هلال محمد بن سليم الراسبي، وكلاهما ضعيف ينظر: «**الكلم الطيب**» (ص ١٧٦) وأثر عمر حكم سماحته عليه بالضعف.

(٢) أخرجه، أبو داود، برقم (١٦٧٢) والنسائي، برقم (٢٥٦٧) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحكم سماحته بصحة إسناده، كما في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١/ ٤٤١، و٦/ ٢٨٧، ٣٣٦، و١٤/ ٢٦٢، ٢٦/ ١٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٣٥) عن أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: حسن جيد غريب.

لإخوانه بالخير في أموالهم وفي أنفسهم وفي أولادهم، ويدعو لنفسه كذلك، الله جَلَّ وَعَلَا حث عباده على الذِّكر والدعاء، يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] المؤمن هكذا يكون في أحواله كلّها ذاكرًا لله داعيًا ربَّه جَلَّ وَعَلَا في طلب الخير، وصرف الشر عنه وعن المسلمين، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

❍ مسألة: **في حكم اللّحية والأخذ منها:**

وسئل عن حكم من يصف اللّحية بالوسخ؟

فقال: هذا جاهل يُعلم أنَّ إعفاء اللِّحية سُنَّة، وإذا عرف السُنَّة وقال: ولو هذا عناد واستهزاء، يُعتبر ردَّة، نسأل الله العافية والسَّلامة.

وسئل عن أخذ ابن عمر بعد الحج ما زاد عن القبضة؟

فقال: هذا اجتهاد منه، وهو غلط، السُّنَّة توفيرها وإعفاؤها.

«الفصل السابع والخمسون
في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ**»[١] حديث صحيح.

وَيُذْكَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قال: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفسِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيُبَرِّك عَلَيْهِ، فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ**»[٢].

وَيُذْكَرُ عنه ﷺ أنه قال: «**مَن رَأَى شَيْئًا فَأَعْجَبَهُ فَلْيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَمْ تُصِبْهُ العَيْنُ**»[٣].

وَيُذْكَرُ عَنْهُ ﷺ فِيمَن خَافَ أَن يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَلَا تَضُرَّهُ**»[٤].

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا**» قال الترمذي حديث حسن، ورواه ابن ماجه في سننه»[٥][٦].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص١٠٥ برقم٢٠٥) عن سهل بن حنيف رضي الله عنه والإمام أحمد، عن عبد الله بن عامر، وفيه قصة سهل بن حنيف (٣/ ٤٤٧ برقم ١٥٧٣٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٢٤٠برقم ٧٤٩٩).

(٣) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٠٦ برقم٢٠٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص١٠٧ برقم٢٠٨) عن حزام بن حكيم رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٥٨) والنسائي، برقم (٥٤٩٤) وابن ماجه، برقم (٣٥١١).

(٦) قرئ بتاريخ (٨/ ١١/ ١٤١٣هـ) و(٢٦/ ٨/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٦، ٣٠٧).

الشرح:

هذه الأحاديث مع الآية الكريمة، في علاج العين، وما يخشى من ذلك، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ**» هذا أمر معلوم. والعين: شيء يصدر من الإنسان إذا رأى شيئًا يعجبه، قد تتكيف نفسه بشيء، ويحدث في نفسه شيء عنده من التأثير، فرُبَّما يتأثر المَعِينُ بذلك، وقد جرى هذا كثيرًا بإذن الله عز وجل.

وهذه العين: علاجها أن يقول: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه، إذا رأى ما يعجبه، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] **لولا**: بمعنى هلَّا قُلتَ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه.

فالمقصود: أنَّ المؤمن إذا رأى ما يعجبه من بستان أو بيت أو رجل أو امرأة أو طفل أو سيارة وغير ذلك، أن يقول: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه، هذا من أسباب السَّلامة من شر النَّفس، ودفع العين وزجرها، أن يقول: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه.

وهذه **العين**: قد تكون بغير اختيار الإنسان، وقد تكون باختياره، قد اعتاد يفعل ذلك، ويقع الأمر بإذن الله عز وجل، وأنفع العلاج: **ما شاء الله**، وبارك الله في هذا، اللَّهم بارك فيه، كل هذا في علاج العين، وما قد يخشى منه.

[كما في الحديث «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفسِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيُبَرِّك عَلَيْهِ، فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ**» فما يعجب الإنسان من أموال أو ملابس أو زينة أو غير ذلك، أو رآها في بعض النَّاس، ولم يبرك فتقع العين بإذن الله، ولكن إذا برك لا تصيب العين الشيء المعجب به، وإن أصابته لا تضره][(١)] فيعلم أن يبرك إذا رأى ما يعجبه.

وإذا كان بعض النَّاس تقع منه العين باختياره، وجب أن يعاقب كأن يحبسه ولي الأمر حتَّى لا يضر النَّاس بعينه، وإن قتل بعينه اختيارًا يقاد

(١) ينظر: كتاب «**فتاوى نور على الدرب**» لسماحته (١/ ٣٣١).

منه، فمن عان إنسانًا وقتله باختياره يضمنه، أمَّا إذا كان بغير اختيار من باب قتل الخطأ، أمَّا إذا كان معروفًا أنَّه يَعين يختبئ، ويختار هذا الشيء، ويفعله اختيارًا يقاد، كما نص عليه أهل العلم.

ومن العلاج بعد وقوع العين الاغتسال: لقوله ﷺ: «**وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**»(١) إذا وقعت العين، فالعلاج يكون بالاغتسال، يغسل وجهه ويديه ويتمضمض في إناء، ثُمَّ يصب الماء على المَعين، ويبرأ بإذن الله، كما جرى لعامر بن ربيعة حين عان، سهل بن حنيف، ولا يأنف الإنسان إذا طلب منه ذلك.

المقصود: أنَّ هذا يقع كثيرًا في عهد النَّبِيّ ﷺوقبله وبعده، مثل ما قال النَّبِيُّ: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ**» كل شيء بقدر؛ ولكن هذا من أسباب ما قد يقع بقدر الله، وبإذن الله سبحانه الكوني.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ..**» «**مِنَ الجَانِّ**» يعني: من الشَّيطان ليرد كيده ووسوسته، ويتعوذ من الإنس ليرد حسده وشره حتَّى نزلت المعوذتان: الفلق، والنَّاس، فصار يتعوذ بقراءتهما عقب كل صلاة مفروضة، وعند إرادة النوم.

التعوذات باقية كالتعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شر ما خلق وغيرها من التعوذات...، يتعوذ من كل شيء مع المُعَوِّذَتَانِ، وقد استعمل هذا وهذا.

ومما ينبغي للمؤمن دائمًا، أن يتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإن هذه الكلمات فيها الخير العظيم «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»(٢) وكذلك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتان هي أيضًا من أسباب السَّلامة، يقول النَّبِيّ ﷺ: «**مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِذٌ بِمِثْلِهِمَا**»(٣) المعوذتان.

---

(١) تمام حديث ابن عباس، الَّذي ذكر أوله المؤلف رحمه الله في مطلع الباب.

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٩٤).

ويستحب: أن يأتي الإنسان بهذه السور الثلاثة، ثلاث مرَّات صباحًا ومساءً وعند النّوم، فهي من أسباب العافية من كلِّ سوء، من العين وغيرها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١-٤] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفَلَق: ١-٥] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس: ١-٦] فهي من أسباب السلامة والعافية، وفَّق الله الجميع.

«الفصل الثامن والخمسون
في الفأل والطيرة

قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَأَصْدَقُهَا الفَأْلُ**» قِيلَ: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ يَسْمَعُهَا الرَّجُل**»(١).

وكان النَّبِيُّ ﷺ يعجبه الفأل(٢). كما كان في سفر الهجرة فلقيهم رجل، فقال: «**مَا اسْمُكَ؟**» قال: بريدة، قال: «**بَرَدَ أَمْرُنَا**»(٣).

قال ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي دَارِ عُقْبَةَ بنِ رَافِعٍ، وَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ فَأَوَّلْتُهَا الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**»(٤).

وأمَّا الطيرة، فقال مُعَاوِيَةَ بن الحَكَم: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَلِكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِى صُدُورِكُمْ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**»(٥) وهذه الأحاديث في الصِّحاح.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٥٦، ٥٧٧٦) ومسلم، برقم (٢٢٢٤) عن أنس رضي الله عنه كما أخرجاه بنحوه البخاري برقم (٥٧٥٤، ٥٧٥٧) ومسلم برقم (٢٢٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «**الكلم الطيب**» (ص١٨٠ برقم ٢٤٩حاشية ٢٠٣) وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكر تخريجه ضمن الحاشية السابقة.

(٣) لم أعرف من خرجه، وقال محقق: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٨ حاشية٣) ذكر الزرقاني في «**شرح المواهب اللدنية**» (١/ ٤٠٥) ونسبه عن بريدة للبيهقي. وينظر: «**الوابل الصيب**» تحقيق ابن قائد: (ص٣٧٣ح ٣).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٧٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٥٣٧).

فقال: «أَصْدَقُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، وَإِذَا رَأَيْتُم مِنَ الطِّيَرَةِ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه»[(١)](٢).

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالفأل والطيرة، بيَّن النَّبِيّ ﷺ في الأحاديث الصَّحيحة في الصَّحيحين وغيرهما أنَّ [الفأل: هو أن يسمع الإنسان الكلمة الطَّيِّبة، فتسره، وقد فسَّر النَّبِيّ ﷺ الفأل بذلك حين سئل: وَمَا الفَأْلُ؟ فَقَالَ: «**الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ يَسْمَعُهَا الرَّجُل**».

ومن أمثلة الفأل: أن يسمع المريض من يقول: يا سليم يا معافى فيسره ذلك، وهكذا إذا سمع من ينشد ضالة من يقول: يا واجد، أو يا ناجح أو يا موفق فيسره ذلك ويتفاءل به][(٣)] وَكَانَ ﷺ يعجبه الفأل، ومن ذلك أنَّه كان في سفر الهجرة، فقابل رجلًا فسأله: «**ما اسمك؟**» قال بُريدة: «**برد أمرنا**» فالكلمة الطَّيِّبة والرؤيا الحسنة هي خير، قال ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي دَارِ عُقْبَةَ بنِ رَافِعٍ، وَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ فَأَوَّلْتُهَا الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**» «**ابْنِ طَابٍ**» **نوع تمر رطب مثل ما يقول**: «**صقعي**» ونبت السيف، وأولها النَّبِيّ بالرفعة في الدُّنيا والعاقبة الحميدة في الآخرة، وأن الدين طاب سينصر ويستقر[(٤)].

أمَّا الطيرة، فقال فيها: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**

---

(١) أخرجه باللَّفظ المذكور، ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص١٤٤، ١٤٥برقم٢٩٣) وأخرجه بيسير اختلاف أبو داود عن عروة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، برقم (٣٩١٩).

(٢) قرئ بتاريخ (١٥/ ١١/ ١٤١٣هـ) و(٢٧/ ٨/ ١٤١٦هـ) .ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٠٨ – ٣١٠).

(٣) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوع**» لسماحته (٢٥/ ٩١).

(٤) ينظر: «**شرح صحيح مسلم**» لسماحته (٦/ ٢٣٦) شرح حديث رقم (٢٢٧٠).

وَلَا نَوْءَ»[١].

وفي حديث جابر زيادة «**وَلَا غُولَ**»[٢] وأنَّ هذه من الأشياء الَّتي اعتادها أهل الجاهلية ويعتقدونها وهي باطلة، فليس هناك شيء يعدي بطبعه؛ ولكن الله جعل الخلطة تكن سببًا، الاختلاط قد يكون سببًا لانتقال البلاء والمرض؛ ولكن ليس بطبعه، بل بأمر الله وتكوينه وإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقدره جَلَّ وَعَلَا.

ولهذا ثبت في الحديث الصَّحيح يقول ﷺ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[٣] يعني: لا يورد صاحب إبل مراض على صاحب إبل صحاح، فهذا في وقت وهذا في وقت كل واحد ينفرد، ويقول ﷺ: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**»[٤] هذا يفيد أنَّه ينبغي البعد عن المخالطة لمن كانت أمراضه في الغالب تنتقل؛ ولكن يعلم المؤمن أنَّها لا تنتقل بطبعها، ولا بذاتها، ولكنه بأمر الله وتكوينه وقدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومشيئته جَلَّ وَعَلَا.

فالمؤمن يتوقى الشَّر، ويبتعد عن المخالطة للشيء الَّذي يخشى منه العدوى، وقد ثبت عنه ﷺ أنَّه وفد إليه جماعة فيهم إنسان مجذوم فبايعهم، وقال للمجذوم: «**قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**»[٥] ولا حاجة لمجيئك إليَّ.

وجاء عنه ﷺ أنَّه أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُوم فأكل معه، وَقَالَ: «**كُلْ بِسْمِ اللهِ ثِقَةً بِاللَّه**»[٦] ليبيِّن للنَّاس أنَّ عدوى هذه الأشياء ليست بأمر لازم، بل قد يختلط الرجل الصَّحيح مع المريض بالجذام وغيره ويسلم، إنَّما الأمور

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٠٧، ٥٧٥٧) ومسلم، برقم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٢٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٣ برقم٩٧٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٣١) عن عمرو بن الشريد عن أبيه.
(٦) أخرجه أبو داود، برقم (٣٩٢٥) والترمذي، برقم (١٨١٧) وابن ماجه، برقم (٣٥٤٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ١٥٢برقم٧١٩٦).

هي بيد الله، وإنَّما المرء مأمور بتعاطي الأسباب، أسباب الصِّحة وأسباب العافية.

ولهذا ينهى عن الاختلاط بمن ابتلي بالأمراض، الَّتي من عادتها ومصيبتها أنَّها تنتقل تعدى لمن خالطته. ولهذا قال ﷺ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**» فهو من باب التوقِ، من باب ترك الأسباب الضارة، والأخذ بالأسباب النافعة مع الاعتقاد بأنَّ الأمور بيد الله، وأنَّه سبحانه هو الَّذي يدبر الأمور، وهو الَّذي يقضي بانتقال هذا الدَّاء، وعدم انتقاله.

فالمؤمن يأخذ بالأسباب مع إيمانه بأن الأمور بيد الله، وأنَّه سبحانه هو الضار النافع ومسبب الأسباب بيده الأمر كله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما سئل قال له مُعَاوِيَةَ: مِنَّا أناس يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدَكُم فِي صُدُرِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**» فلا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول.

«**لَا عَدْوَى**»: يعني: تعدي بطبعها؛ بل قد يكون اختلاط المريض بالصَّحيح من أسباب الانتقال. «**وَلَا طِيرة**» الطيرة هي التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات، كانوا في الجاهلية يتشاءمون ويرجعون عن حاجاتهم، يتطيرون بالمرئيات والمسموعات، فالنَّبِيّ أبطلها، والطيرة: هي ما أمضاه الإنسان أو رده، وهي لا حقيقة لها، بل هي باطلة شرك من قسم الشِّرك الأصغر.

وفي الحديث: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» «**وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»(١) (٢).

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣٩١٠) والترمذي، برقم (١٦١٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: حديث حسن صحيح، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

(٢) ينظر: للمزيد عما كانوا يتطيرون منه كالهامة والنوء والصفر والغول وغيرها من المرئيات والمسموعات شرح سماحة الشيخ ابن باز لكتاب «**التَّوحيد**» باب ما جاء في الطيرة (٢٦٩ - ٢٧٥).

ويقول: عند الطيرة، إذا أحس بشيء: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»[(١)] فالطيرة لا ترد مسلمًا عن حاجته، المسلم يمضي في حاجته ويتعوذ باللَّه من شر كل ذي شر، ولا ترده عن حاجته؛ بل يقول: ما أمر به النَّبِيّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ...**».

وما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»[(٢)]. هكذا المؤمن يعتصم باللَّه، ويتوكل عليه، ويمضي في حاجاته، لا ترده الطيرة[(٣)]. واللَّه وليُّ التَّوفيق.

○ مسألة: **في حمل ما يظن من التعارض بين السُّنَّة.**

سئل سماحته من قال: بالتعارض بين حديث: «لَا عَدْوَى» وَحَدِيث «فِر مِن المَجْذُومِ»؟

فقال: لا منافاة عند أهل العلم بين هذا وهذا، وكلاهما قاله النبي ﷺ حيث قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول**» وذلك نفي لما يعتقده أهل الجاهلية من أن الأمراض كالجرب تعدي بطبعها، وأن من خالط المريض أصابه ما أصاب المريض، وهذا باطل، بل ذلك بقدر الله ومشيئته، وقد يخالط الصحيح المريض المجذوم ولا يصيبه شيء، كما هو واقع ومعروف...

وأما قوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**» وقوله ﷺ في الحديث الآخر: «**لا يورد ممرض على مصح**» فالجواب عن ذلك: أنه لا يجوز أن يعتقد العدوى، ولكن يشرع له أن يتعاطى الأسباب الواقية من وقوع الشر، وذلك بالبعد عمن أصيب بمرض يخشى انتقاله منه

(١) سبق تخريجه في (ص٥٠٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٠ برقم ٧٠٤٥).
(٣) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعه**» لسماحته (٦/ ٢٢، و٨/ ٢٣ - ٢٥ و٢٥/ ٩٠، ٩٩، ١٠٠).

إلى الصحيح بإذن الله ﷻ كالجرب والجذام، ومن ذلك عدم إيراد الإبل الصحيحة على الإبل المريضة بالجرب ونحوه توقيا لأسباب الشر، وحذرا من وساوس الشيطان الذي قد يملي عليه أنما أصابه أو أصاب ابله هو بسبب العدوى[١].

(١) ينظر: «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعه**» لسماحته (٢٥/ ٩٩-١٠١).

«الفصل: التاسع والخمسون
في الحمام

يُذكر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهُ، قَالَ: «**نِعْمَ البَيْتُ الحَمَّامُ يَدْخُلُهُ المُسْلِمِ، إِذَا دَخَلَهُ سَأَل الله الجَنَّة، وَاسْتَعَاذَ بِهِ مَن النَّارِ**»(١).

الفصل الستون
في الذِّكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في «**الصَّحيحين**» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال كَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا دَخلَ الخَلَاءَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»(٢).

وزاد سعيد بن منصور: «**بِسْمِ اللهِ**»(٣).

وفي «**مسند الإمام أحمد**» عَن زَيْدِ بن أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الخَلَاءَ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»(٤).

وفي «**سنن ابن ماجه**» عَن أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**لَا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ مِرْفَقَهُ، أَن يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ، الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٣٢ برقم ٤) موقوفًا، بلفظ: «**نِعْمَ البَيْتُ الحَمَّامُ، يُذْهِبُ الوَسَخَ، وَيُذَكِّرُ النَّارَ**» **وقال البيهقي**: إسناده صحيح موقوفًا، ووافقه ابن حجر. وأما اللَّفظ الَّذي ذكره المصنف، فقد أخرجه مرفوعًا ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص١٥٤ برقم٣١٥) وذكره النووي في «**الأذكار**» وقال بسند ضعيف (ص٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢) ومسلم، برقم (٣٧٥).

(٣) زيادة التسمية في حديث أنس أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١١ برقم ٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٧٣ برقم١٩٣٥١).

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم (٣١٦، ٣١٧).

وفي «**الترمذي**» عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ سُولُ الله ﷺ: «**سِتْرُ مَا بَيْنَ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا دَخَلَ الكَنِيفَ أَن يَقُولَ: بِسْمِ الله**»[(١)].

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ، قَالَ: «**غُفْرَانَكَ**»[(٢)] رواه الإمام أحمد، وأهل السنن.

وفي «**سنن ابن ماجه**» عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الخَلَاءِ، قَالَ: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**»[(٣)][(٤)].

الشرح:

الحديث الأول: يتعلق بالحمام، والحديث الَّذي ذكره المؤلف: «**نِعْمَ البَيْتُ الحَمَّامُ**» ضعيف عند أهل الحديث[(٥)] والحمامات: هي محلات تتخذ للاغتسال في البلاد الباردة، كالشَّام ونحوها، يتخذون الحمامات فيها الماء الساخن يدخلها الرِّجال والنِّساء، للغسل بسبب برودة الجو، فلا بأس بدخولها إذا وجدت مع الستر؛ لأنَّه قد يدخلها عدد، فيكون الداخل لها متستر بإزار، إلَّا إذا كان وحده، فلا بأس أن يكشف عورته،

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٦٠٦) وابن ماجه، برقم (٢٩٧).

(٢) أخرج الإمام أحمد (٦/ ١٥٥/ برقم ٢٥٢٦١) وأبو داود، برقم (٣٠) والترمذي، برقم (٧) وابن ماجه. برقم (٣٠٠) وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٢٦٢ برقم ٥٦٢، ٥٦٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم (٣٠١).

(٤) قرئ بتاريخ: (٢١/ ١١/ ١٤١٣) و(٢٨/ ٨/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣١٠ - ٣١٣).

(٥) في إسناده: يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب، قال عنه الحافظ ابن حجر، متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع، من السادسة أخرج له الترمذي وابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٥٩٤ ترجمة رقم ٧٥٩٩) وكذلك أبوه عبيد الله مقبول من الثالثة، أخرج له البخاري في «**الأدب المفرد**، وأبو داود الترمذي وابن ماجه والنسائي في «**عمل اليوم واللَّيلة**» ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٣٧٢ ترجمة رقم٤٣١١).

أمَّا إذا كان معه غيره فلا بدَّ أن يكون مستور العورة عند اغتساله، ولا يدخلها النِّساء إذا كانت مشتركة، أمَّا إذا وجدت حمامات خاصة بالنِّساء مستورة، فلا بأس على الأصل المعروف في الشريعة.

وأمَّا أحاديث الحمام الَّتي فيها مدحها أو ذمها فكلها ضعيفة إلَّا قوله ﷺ: «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبُرَةَ وَالحَمَّامَ**»[1] فهو حديث جيِّد، ثابت عن أبي سعيد الخدري رواه أحمد وغيره، فيه النَّهي عن الصَّلاة في الحمام والمقبرة؛ لأنَّ الصَّلاة في المقبرة وسيلة للشِّرك، فلهذا منهي عنها، بسبب أن هناك من يعبدها من دون الله ويستغيث بأهلها وينذر لهم؛ لهذا «**لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ من اتخذها مساجد**»[2] أمَّا الحمامات فلأنَّها **محل** النَّجاسات، محل البول، فلا يصلَّى فيها.

وأمَّا الأحاديث الأخرى: فيها الدَّلالة على التعوذ باللَّه من الخبث والخبائث عند إرادة دخول الخلاء شرعية **آداب التخلي**: فهي سُنَّة ثابتة عن النَّبِيِّ ﷺ كان إذا أراد دخول الخلاء، قال: «**أَعُوذُ بِالله مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**» وفي الروية الأخرى الأمر بذلك.

فالسُّنَّة للمؤمن عند إرادة دخول بيت الخلاء، محل قضاء الحاجة للبول أو الغائط، أن يقول ذلك. وهكذا إذا أراد أن يقضي الحاجة، وهو في السفر في البرية، والصّحاري، يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**» أو «**بِسْمِ اللهِ أَعُوذُ بِالله مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**».

والخُبُث: ـ بضم الخاء ـ ذكور الشَّياطين، **والخبائث**: إناث الشَّياطين[3].

وقال جماعة من أهل العلم: **الخُبْث**: ـ بسكون الباء ـ الشر، **والخبائث** أهل الشر، والشَّياطين: هم أهل الشر، شياطين الإنس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٨٣ برقم١١٨٠١، ١١٨٠٥) والترمذي، برقم (٣١٧) وابن ماجه، برقم (٧٤٥).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٣٣٠) ومسلم، برقم (٥٢٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) ينظر: «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير (ص٢٥٢) مادة: [خبث].

والجن، فيستعيذ باللَّه من الخبث والخبائث من الشَّياطين كلهم.

وعند الخروج من الخلاء، يقول: «**غُفْرَانَكَ**» يعني: أسألك غفرانك؛ لأنَّ الإنسان مقصر، وقد أنعم الله عليه بالنِّعم، ثُمَّ يسَّر له إخراج هذا الأذى، وهو في الغالب محل التقصير، فيقول: «**غُفْرَانَكَ**» يعني: أنِّي أنا محل التقصير لا أقوم بالشُّكر؛ لكني أسألك غفرانك عما حصل من التقصير في شكر نعم الله.

وفي رواية: ابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه، يقول: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**» ولكنها ضعيفة، الثابت حديث عائشة رضي الله عنها أنَّه عليه الصلاة والسلام كان إذا خرج من الغائط، قال: «**غُفْرَانَكَ**» يعني: أسألك غفرانك؛ لأنَّ التخلي من الأذى نعمة عظيمة، وأنت محل التقصير، فتقول: «**غُفْرَانَكَ**» يعني: اغفر لي ما حصل لي من التقصير في شكر نعمك، وفَّق الله الجميع.

الفصل الحادي والستون
في الذِّكر عند إرادة الوضوء

ثبت في «**النَّسائي**» عنه ﷺ أنَّه وَضَعَ يَدَهُ فِي الجَفْنَةِ وَقَال: «**تَوَضَّئُوا بِسْمِ الله**»(١).

وفي «**صحيح مسلم**» عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل، وفيه: «**يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ**» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ؟ أَلَا وَضُوءَ [أَلَا وَضُوءَ؟ وفيه، فقال: «**خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ: بِسْمِ الله**»](٢) فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: بِسْمِ الله، فَرَأَيْتُ المَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ»(٣).

وفي «**المسند والسنن**» من حديث سعيد بن زيد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله عَلَيْهِ**»(٤) قال البخاري: «هذا أحسن شيء في هذا الباب»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله عَلَيْهِ**»(٦) رواه الإمام أحمد، وأبو داود.

وفي «**المسند**» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله عَلَيْهِ**»(٧)»(٨).

---

(١) أخرجه النَّسائي عن أنس رضي الله عنه، برقم (٧٨).

(٢) ما بين المعكوفتين من تكرار أَلَا وُضُو الثالثة حتَّى المعكوفة يوجد في المطبوع، ولا يوجد في التسجيل.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٣٠١٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٧٠، برقم١٦٧٠٢، و٥/ ٣٨١ برقم٢٣٢٨٤، و٦/ ٣٨٢ برقم٢٧١٨٩ - ٢٧١٩١) والترمذي، برقم (٢٥) وابن ماجه، برقم (٣٩٨).

(٥) ينظر: ذكر ذلك الترمذي: في سننه (ص ١٨ حديث رقم ٢٥).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤١٨ برقم٩٤٠٨) وأبو داود، برقم (١٠١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤١ برقم ١١٣٨٨، ١١٣٨٩).

(٨) قرئ بتاريخ (٢٨/ ٤/ ١٤١٤هـ) و(٩/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣١٣ - ٣١٥).

الشرح:

هذه الأحاديث كلُّها تتعلق بالتَّسمية عند الوضوء، وقد دلَّت الأحاديث الكثيرة على شرعية التسمية عند بدء الوضوء، والوضوء من شرائط الصَّلاة، لا صلاة لمن لا وضوء له، من صلى محدثًا فصلاته باطلة عند جميع أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ الآية [المائدة: ٦].

فلابدَّ من الوضوء لمن كان على حدث من بول أو غائط أو ريح أو مس فرج أو نحو ذلك مما ينقض الوضوء.

والمشروع أن يسمِّ الله عند بدء الوضوء، إذا أراد أن يبدأ يقول: بسم الله عند وضع يديه في الماء، وقد أجمع العلماء على شرعيَّة التَّسمية عند الوضوء، واختلفوا في الوجوب، فأكثر أهل العلم على أن ذلك مستحب؛ لهذه الأحاديث «سمِ الله» في عدة أحاديث، وكقوله: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله عَلَيْهِ» وإن كان في أسانيدها مقال؛ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ لا يثبت في هذا الباب شيء؛ لكنها كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ[(١)] وجماعة يشد بعضها بعضًا، وتكون من قبيل باب الحسن لغيره.

فينبغي للمؤمن عند بدء الوضوء، أن يسمِّ الله، وعند عدم الماء أو العجز عن استعمال الماء يسم الله عند التيمم أيضًا، فإذا نسي أو كان جاهلًا **وترك التسمية**، فلا شيء عليه، إذا نسي التَّسمية، أو كان جاهلًا فلا شيء عليه، أمَّا التعمد فلا ينبغي أن يتعمد، بل ينبغي له أن يلاحظ التَّسمية عند بدء الوضوء؛ لهذه الأحاديث وما جاء في معناها من العمومات.

وعند الفراغ يتشهد، يقول: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ،**

---

(١) ينظر: «**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٣/ ٤٧ و١/ ١٢١).

وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»[١] فيسم الله في أوله، ويأتي بالشهادة في آخره.

وفي حديث آخر، يقول: مثل دعاء المجلس: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[٢]. عند فراغه من الوضوء، مثل الدعاء في كفارة المجلس، وإذا فعل هذا وهذا كله خير، وفَّق الله الجميع.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٥٥) عن عمر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٥٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

الفصل الثاني والستون
في الذِّكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في «**صحيحه**» عن عمر بن الخطاب ﵁ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(١).

وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشَّهادتين: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ**»(٢).

وفي بعض طُرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد: «**فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ...**» وذكره(٣).

وفي لفظ للإمام أحمد: «**مَن تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ ثَلَاث مَرَّات: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٤).

وفي «سنن النَّسائي» عن **أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ** ﵁ **قَالَ**: «**مَن تَوَضَّأَ فَفَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ، وَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طُبِعَ عَلَيْهَا بِطَابِعٍ، ثُمَّ رُفِعَتْ تَحْتَ العَرْشِ، فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة**» هكذا رواه من قول أبي سعيد الخدري ﵁(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٣٤).

(٢) هذه الزيادة أخرجها الترمذي، برقم (٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (١٧٠) والإمام أحمد (١/ ١٩ برقم١٢١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٦٥ برقم ١٣٨١٨) من رواية أنس ﵁.

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٥ برقم (٩٩١١) وفي «**عمل اليوم والليلة**» (١/ ١٧٤برقم ٨٣).

ورواه بقي بن مخلد في «**مسنده**» من حديثه أيضًا مرفوعًا[(١)].

وأمَّا الأذكار الَّتي يقولها العامَّة على الوضوء عند كل عضو، فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصَّحابة والتَّابعين، ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ[(٢)]»[(٣)].

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالذِّكر عقب الوضوء، سبق أنَّه يشرع التسمية عند بدء الوضوء، أن يقول: بسم الله، ويغسل كفيه ثلاث مرَّات، ثُمَّ يتمضمض ويستنشق ثلاثًا بثلاث غرفات، ثُمَّ يغسل وجهه ثلاثًا إلى آخره.

والسُّنَّة بعد ذلك أن يقول: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» هكذا رواه مسلم في الصَّحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّهُ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ الوُضُوءَ ـ أَوْ فَيُسْبِغُ ـ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ: أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**».

هذا وعد عظيم، وفضل كبير، يدلُّ على فضل هذا الذِّكر، وأنَّ المؤمن يأتي به بعد الوضوء عن إيمان وعن يقين، وعن صدقٍ، وعن رغبة فيما عند الله، قائلًا: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ**».

---

(١) أخرجه مرفوعًا البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٣/ ٢١برقم ٢٧٥٤).

(٢) ينظر: «**زاد المعاد**» لابن القيم (١/ ١٩٥) و«**الأذكار**» (١/ ١١٦) و«**المجموع**» (١/ ٤٨٩) للنووي.

(٣) قرئ بتاريخ (٤/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(١٠/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣١٥، ٣١٦).

ويستحب أن يقول أيضًا: دعاء كفارة المجلس: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» لهذه الأحاديث.

فيجمع بين الطهارتين، طهارة الأعضاء الحسيَّة بالماء، وطهارة العقيدة والقلب بهذا الذِّكر العظيم، ومن ثوابه أنَّه تفتح له به أبواب الجنَّة الثمانية يدخل من أيّها شاء يعني: من أسباب دخول الجنَّة لمن استقام على هذا التوحيد والإيمان والهدى، واستقام على التوبة حتَّى الموت، هذا هو النَّعيم، والخير الكثير، ويكون دخول الجنَّة من أي أبوابها شاء.

وزاد الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ» هكذا جاءت روايته، وهي زيادة صحيحة، فيستحب أن يقولها المؤمن مع الشهادة.

وهكذا ما جاء في حديث أبي سعيد موقوفًا ومرفوعًا، موقوفًا عند النسائي بإسناد جيِّد، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأنَّه لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوع بالمعنى، وإن أوقفه الراوي على أبي سعيد: «مَن تَطَهَّرَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ... ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ اللّهُمّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، يُطْبَعَ عَلَيْهَا بِطَابِعٍ، ثُمَّ تُوضَع تَحْتَ العَرْشِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة» هذا فضل عظيم.

وقول الصَّحابي يكون له حكم الرفع، إذا كان مثله لا يقال من جهة الرأي، وليس هو ممن تنقل عن بني إسرائيل، ورواه بقي بن مخلد فصرح بالرفع، في «مسنده» وبقي إمام من أئمة المغرب المحدثين[(١)] له «مسند» جيِّد رواه مرفوعًا، عن أبي سعيد، والَّذي صرح بقي رَحِمَهُ اللهُ في مسنده

(١) هو بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، ولد سنة ٢٠١هـ، وكان إمامًا حافظًا بلغ رتبة الاجتهاد، ومفسرًا ومحققًا، ومحدثًا، له كتاب في الحديث رتبه على أسماء الصحابة، توفيَّ رَحِمَهُ اللهُ سنة ٢٧٦هـ ينظر: ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي (٢/ ٦٠) و«**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (٣/ ٥٣).

بالرفع، وتقدَّم أنَّ النَّسائي رواه موقوفًا على أبي سعيد رضي الله عنه.

أمَّا الأذكار الَّتي يقولها بعض العامة عند غسل الوجه: اللَّهم بيض وجهي حين تبيض وجوه وتسود وجوه، وعند غسل اليدين يقول: اللَّهم أعطني كتابي **بيميني**، وعند غسل الرأس اللَّهم أظلني تحت ظل عرشك، وعند غسل القدمين: اللَّهم ثبت قدمي على الصِّراط، هذه أذكار وأدعية لا أصل لها مثل ما قال الحافظ ابن القيم رحمه الله فهي من اختراع بعض النَّاس، وإنَّما المستحب التسمية عند البدء، والشهادة عند النهاية.

والدُّعاء بها عند الوضوء يُوهم النَّاس أنَّها سُنَّة، فلا يدع بها ليست بثابتة في الحديث، أمَّا إذا دعا بها في أي وقت آخر يطلب من ربِّه أن يثبته على الصِّراط، ويبيض وجهه، عندما تسود الوجوه، وأن يعطيه كتابه بيمينه، في دعائه في صلاته في سجوده، في آخر التحيات لا بأس به؛ لكن ليس هذا مشروعًا عند الوضوء؛ لعدم وروده في الدَّليل عن النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام.

والقاعدة: أنَّ العبادات توقيفية، لا يشرع منها إلَّا ما جاء به النَّص الشرعي في الكتاب والسُّنَّة(١).

○ **مسألة: حديثية:**

رواية رفع النظر إلى السَّماء: «**ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ**» هذه رواية ضعيفة؛ لأنَّها راويه رجل مبهم(٢) لم يعرف عند الإمام أحمد، ولا غيره.

---

(١) وهذه القاعدة ذكر الإجماع عليها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كما في «فتاوى ورسائله» (٣/ ٨٣).

(٢) في سنده وهو ابن عم زهرة بن معبد قاله الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند (٤/ ١٥٠).

«الفصل الثالث والستون
في ذكر صلاة الجنازة

في «**صحيح مسلم**» عَن عَوْفَ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِن دُعَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» قَالَ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ المَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفي لفظ: «**وَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ**»(١).

وفي «**سنن أبي داود**» عَن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَن أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**»(٢).

وفي «**سنن أبي داود**» أيضًا عَن وَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَع قَالَ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٣).

وَسَأَلَ مَرْوَانَ أَبَا هُرَيْرَةَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي عَلَى الجَنَازَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلَامِ،**

(١) أخرجه مسلم، برقم (٩٦٣). (٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٢٠١).
(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٢٠١). (٣) أخرجه أبو داود، برقم (٣٢٠٢).

وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَهُ»[١] رواه الإمام أحمد وأبو داود»[٢].

الشرح:

هذه الأحاديث الأربعة فيما يتعلق بالدُّعاء للميت في الصَّلاة عليه، والمشروع في الصَّلاة على الميت، أن يكبر عليه الإمام أربعًا، وهكذا المأموم، يقرأ في الأولى: الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **والثانية**: يصلِّي فيها على النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يكبر الثالثة: ويدعو للميت: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَن أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَن تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ».

كما كان النَّبِيّ يدعو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، - وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَزَوِجٍ زَوِجْهُ مِنَ الحُورِ - وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ».

وهكذا الدُّعاء الآخر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا إِلَيْكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، قَدْ جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَهَا وارحَمْهَا» يدعو بهذه الدَّعوات الحسنة الَّتي دعا بها النَّبِيّ ﷺ وما تيسر منها ثُمَّ يكبر الرابعة ويسلم.

والمرأة كذلك، لكن يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا وَارْحَمْهَا» وإن كان لا يعرف الميت هل هو رجل أو امرأة قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ» أي الميت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٤٥، ٣٦٣ برقم ٨٥٢٦، ٨٧٣٦) وأبو داود، برقم (٣٢٠٠).

(٢) قرئ بتاريخ (٥/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(١١/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣١٧، ٣١٨).

سواء كان رجلًا أو امرأة، يدعو بهذه الدَّعوات الطَّيِّبة «اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ» «اللَّهُمَّ قِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ» كل هذا من الدَّعوات الطَّيِّبة، الَّتي كان النَّبيّ ﷺ يدعو بها حَتَّى قَالَ عوف: تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ المَيِّتَ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الدُّعَاءَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. ويرفع يديه مع التكبيرات الأربع، هذا هو الأفضل.

ثُمَّ يُسلم تسليمة واحدة بعد التكبيرة الرابعة، عن يمينه، هذا هو السُّنَّة، ولا فرق بين الرجل والمرأة، وإذا كانوا جماعةً صلوا عليهم جميعًا إذا حضروا، وإن كان عددهم اثنين يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمَا وَارْحَمْهُمَا» وإن كانوا جماعة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُم وَارْحَمْهُم» ولو رجالًا ونساءً يجمعهم جميعًا هذا هو الأفضل.

والصَّلاة على الميِّت مطلوب فيها الإيجاز والإسراع في حمله إلى قبره، لقوله ﷺ: «أَسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُن سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَن رِقَابِكُمْ»(١) فالسُّنَّة الإسراع بها، فما داموا حضروا جميعًا يصلَّى عليهم جميعًا، ولو كانوا كثيرين، وفَّق الله الجميع.

○ **مسألة: في رفع الصَّوت بالدُّعاء للميِّت أحيانًا:**

سُئِل عن رفع الإمام صوته بالدُّعاء للميِّت بعض الأحيان لتعليم النَّاس.

فقال: أمر طيِّب ليس فيه مانع، من باب التعليم، مثلما يجهر بالفاتحة بعض الأحيان حتَّى يعلم النَّاس أنَّه يقرأ، فعله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فجهر بالقراءة، وقال: «لِيَعْلَمُوا أَنَّهَا سُنَّة» أخرجه البخاري في الصَّحيح(٢).

○ **مسألة: في زيادة عدد التكبيرات على الميِّت:**

استقرت الشَّريعة على أربع **تكبيرات**، والزِّيادة تركها أولى؛ لأنَّ آخر ما صلى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على النجاشي كبر عليه أربع تكبيرات، واستقر

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٣١٥) ومسلم، برقم (٩٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٥) عن طلحة بن عبد الله بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر على أربع تكبيرات، ولو كبر خمس لا حرج؛ لكن الاقتصار على أربع تكبيرات هو الأولى.

❍ مسألة: **الدُّعاء الوارد في الصَّلاة على الطفل، وعدد التكبيرات:**

الطفل مثله مثل الكبير، يكبر عليه أربع تكبيرات، ويقول في الدُّعاء بعد: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ**».

ويقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ ذُخْرًا لِوَالِدَيْهِ وَفَرَطًا، وَشَفِيعًا مُجَابًا، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، وَثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ سَلَفِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام، **وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمَ**» هذا ما ورد في حقِّ الطفل[1].

---

(١) ينظر: للمزيد في الجنائز «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٣/ ٣٩٦ - ٣٩٨ و١٣/ ١٤٥ - ١٤٧).

«الفصل الرَّابع والستون»[١]
في الذِّكر إذا قال: هُجرًا أو جرى على لسانه ما يسخط ربّه ﷻ

ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَن حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَن قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ**»[٢].

فكل من حلف بغير الله، فهذه كفارته؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: «**مَن حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[٣] حديث صحيح.

وكفارة الشِّرك: التَّوحيد، وهو كلمة لا إله إلَّا الله، ومن قال تعال: أُقامرك، فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار، وهو إخراج المال في أحقِّ مواضعه، وهو الصَّدقة.

وقال مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَن أَبِيهِ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالعُزَّى ـ وَكَان العَهْدَ قَرِيبًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ للنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتَ هُجْرًا**[٤] **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَانْفُثْ عَن يَسَارِكَ سَبْعًا وَلَا تَعُدْ**»[٥][٦].

---

(١) هذا الفصل وجدت له شرحان، قراءة الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ اللهُ، وقراءة الشيخ أحمد بن باز حفظه الله، ابن الشارح رَحِمَهُ اللهُ، وتم دمج الشرحين معًا في شرح واحد.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤٨٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٣٢٥١) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) قول: «**قَدْ قُلْتَ هُجْرًا**» من قول أصحاب النَّبيّ ﷺ، كما ذكر ذلك المخرجان للحديث الإمام أحمد والنسائي.

(٥) أخرجه النسائي، برقم (٣٧٧٧) والإمام أحمد (١/ ١٨٣ برقم١٥٩٠ و١/ ١٨٦ برقم١٦٢٣) وفيهما «**وانفث ثلاثًا**» بدل «**وانفث سبعًا**» التي في «**الوابل الصيب**» **وقال سماحته**: المحفوظ ثلاثًا.

(٦) قرئ بتاريخ (٦/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(١٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣١٩، ٣٢٠).

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بنطق اللِّسان بالخطأ من القول السيء، وهو الهُجر القول المنكر، والزور، والإنسان في هذه الدار عرضة للآفات، والمعاصي والخطايا، كما قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١) فمن قال هُجرًا: الهُجر بالضم: هو القول الرَّديء، من شرك أو سب أو غيبة أو نميمة يحذر ذلك كلّه؛ لأنَّه هُجر من المنكرات القولية، وكذلك يحذر المنكرات الفعلية، من الزنى والقمار والرِّبا كله هُجر كله منكر.

الواجب على المسلم: أن يصون لسانه، وجوارحه عما لا يجوز، وأن يتحرى في أقواله وأفعاله الطَّيِّب من القول والفعل، فلا يقول هُجرًا وفي الحديث الصَّحيح: «**زُورُوا القُبُورَ ولَا تَقُولُوا هُجْرًا**»(٢) أي: لا تقولوا كلامًا سيئًا، فمن قال: هُجرًا، فعليه التَّوبة إلى الله والاستقامة على التَّوحيد والإخلاص لله ﷻ.

فمن حلف بغير الله، كمن قال: واللَّات والعُزَّى، أو والنَّبِيّ أو والأمانة، فليقل: لا إله إلَّا الله؛ لأنَّ التَّوحيد هو كفارة الشِّرك، من أشرك فكفارته أن يتوب إلى الله، وأن يوحد الله سبحانه وتعالى.

والحلف بغير الله من الشِّرك، كما قال النَّبيّ ﷺ: «**مَن حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ**» وقال: «**إنَّ اللهَ ﷻ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر رضي الله عنه(٣).

وأخرج أبو داود والترمذي بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَن حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي، برقم (٢٠٣٣) والإمام أحمد (٥/ ٣٦١برقم٢٣١٠٢) عن بريدة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٨برقم١١٢).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٣٢٥١) دون لفظ قوله: «كَفَرَ» وهي عند الترمذي، برقم (١٥٣٥).

وقال ﷺ: «**مَن حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»(١) وقال ﷺ: «**مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّه أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

فالحلف بغير الله من الشِّرك الأصغر، وقد يكون من الأكبر بحسب ما يقوم بقلب صاحبه، فالحلف بقول: واللَّات والعُزَّى من قسم الشِّرك الأصغر، قالها سعد: لأنَّه كان حديث عهد بعبادة اللَّات والعُزَّى، فلهذا بقي عندهم من آثارها حتَّى بيَّن لهم النَّبيّ ﷺ وأرشد إلى الحقِّ.

فمن حلف بغير الله غلطًا أو جاهلًا أو ناسيًا، ثُمَّ تنبه، يقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، ويفث عن يساره سبع مرَّات، فهذا من علاج الوساوس كما تقدَّم(٣) لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا هو الَّذي يعيذه منه؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعرَاف: ٢٠٠] فهو سبحانه هو الَّذي يقدر أن يعيذ العبد منه وأن يكفيه شرَّه.

«**وَمَن قَالَ: تَعَالَ: أُقَامِرْك**» أقامرك مجزوم بفعل الأمر تعال، مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعَام: ١٥١] الفعل المضارع يجزم بفعل الأمر، ومعنى أقامرك، أي: تعال حتَّى نعمل القمار، فليتب إلى الله وليتصدق، كفارة كسب الحرام الصَّدقة، من المال الطَّيِّب في وجوه الخير، على الفقراء.

والقمار: هو الميسر الَّذي حرمه الله في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: ٩٠] فإذا قال: تعال أقامرك، تعالى نعمل قمار نعمل الميسر الرِّبا نعمل كذا مما حرَّم من الكسب، فليتصدق، بدل الحرام يتصدق بما يسَّر الله، اتقوا النَّار ولو

---

(١) أخرجه أبو داود عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٣٢٥٣) والإمام أحمد (٥/ ٣٥٢ برقم٢٣٠٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٣٣١ برقم٧٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣٦٧٩) ومسلم، برقم (١٦٤٦) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٩٣) في الفصل العشرون: في الأذكار التي تطرد الشيطان، عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**وَاتْفِلْ عَن يَسَارِكَ ثَلَاثًا**».

بشق تمرة.

وفي حديث سعد زيادة: «وَانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ سَبْع مَراتٍ، وَلِيَقُل: أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ الشَّيْطَانِ» فليتعوذ باللَّه من الشَّيطان، مع التَّوبة إلى الله والندم، وقول: لا إله إلَّا الله، فهي أصل الدِّين وأساس الملة، وهي أصل التَّوحيد؛ لأنَّ معناها: لا معبود حقّ إلَّا الله، فمن صدق فيها فهي كفارة.

❍ مسألة: **في الحلف:**

سُئل سماحته عن الحلف بالقرآن؟

فقال: الحلف بالقرآن، إذا قال: وكلام الله، وعلم الله، وعزَّة الله، ورضى الله، والقرآن ما أفعل كذا هذا حلف شرعي، يمين شرعية؛ لأنَّ القرآن كلام الله ﷻ، فالحلف به حلف باللَّه، وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

«الفصل الخامس والستون فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يُذكر عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّ كَفَّارَةِ الغِيبَةِ أَن تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ، تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ**» ذكره البيهقي في كتاب «الدَّعوات الكبير»[(١)] وقال: في إسناده ضعف.

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء: هما روايتان عن الإمام أحمد[(٢)] وهما: هل يكفي في التَّوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لابدَّ من إعلامه وتحلُّيله.

والصَّحيح: أنَّه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار له، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن الَّتي اغتابه فيه، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] وغيره[(٤)].

والَّذين قالوا: لا بدَّ من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر، فإنَّ الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدَّعوات الكبير» (٢/ ٨٢ برقم ٤٧٩) عن أنس رضي الله عنه، وضعفه أيضًا السخاوي في «**المقاصد الحسنة**» (١/ ٥٠٦ تحت رقم ٨٠٤) والسيوطي في «**اللآلئ المصنوعة**» (٢/ ٢٥٧).

(٢) ينظر: «**الفروع**» لابن مفلح (٦/ ٩٧، ٩٨) و«**الآداب الشَّرعيَّة**» لابن مفلح أيضًا (١/ ٩٢ - ٩٧).

(٣) ينظر: «**مجموع الفتاوى**» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩١ و١٨/ ١٨٩) و«**الفتاوى الكبرى**» (١/ ١١١).

(٤) ينظر: «**فتاوى ابن الصلاح**» (١/ ١١٩٠ - ١٩٢) و«**تفسير القرطبي**» (١٦/ ٣٣٧٤) و«**سبل السلام**» (٤/ ٢٠٣) و«**غذاء الألباب**» (١/ ١١٤، و٢/ ٥٧٦) و«**الوابل الصيب**» تحقيق: ابن قائد (ص٣٩٠ ح٢).

فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها.

وأمَّا في الغيبة: فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلامه إلَّا عكس مقصود الشَّارع ﷺ فإنَّه يُوغر صدره، ويؤذيه إذا سمع ما رُمي به، ولعله يُهيج عداوته، ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله، فإنَّ الشَّارع الحكيم ﷺ لا يُبيحه، ولا يُجَوِّزُهُ فضلًا عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشَّريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها، والله تعالى أعلم»[(١)].

الشرح:

هذا الكلام يتعلق بالغيبة، وكيف يتخلص منها المغتاب، الغيبة معصية ومن أسباب الفتنة، ونشر العداوة والشحناء بين النَّاس، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢] فنهى عن الغيبة في نص القرآن الكريم، قيل يا رسول الله: ما الغيبة قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ: يَا رَسُول الله إن كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[(٢)].

فالمغتاب على كلِّ حال ظالم مطلقًا إن أصاب فقد اغتاب، وإن أخطأ فقد بهت وظلم، والشَّريعة تطلب من المسلمين التحاب في الله، والتعاون على الخير، والتواصي بالحقِّ، والبُعد عن أسباب الشحناء والبغضاء، والغيبة من أسباب الشحناء والبغضاء.

ولهذا يقول ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» خرَّجه مسلم في الصَّحيح[(٣)] ويقول ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**مَن كَانَتْ عِنْدَهُ لأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ**

---

(١) قرئ بتاريخ (١١/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(١٨/ ١٠/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِن كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِن حَسَنَاتِهِ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(١).

وفي الحديث الصَّحيح الآخر لما سألهم ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ ـ يعني: الفقير الَّذي ليس عنده شيء ـ فَقَالَ: «**الْمُفْلِسَ مِن يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢) نسأل الله العافية.

هذا يدلُّ على أنَّ الظلم في الأعراض وفي الأموال قبيح، فالواجب الحذر، فالسَّيِّئَات لها شأن خطير، وإذا تعلقت بالإنسان بظلمه والعدوان عليه صارت أخطر.

واختلف النَّاس في المغتاب ماذا يفعل هل يتحلل من اغتابه، أو يكفيه أن يستغفر له، ويذكره بمحاسن أعماله على قولين لأهل العلم: منهم من قال: لا بدَّ أن يتحلله، لحديث «**مَن كَانَتْ عِنْدَهُ لأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ**».

وقال آخرون: التحلل قد يُوغِر صدره، قد تبقى في نفسه العداوة إذا أخبره أنَّه قال فيه: كذا وكذا؛ لكن يستغفر له، ويدعو له، ويذكره بمحاسن الأعمال الطَّيِّبة الَّتي يعرفها عنه في المجالس والأماكن الَّتي ذكره فيها بالغيبة، فتكون هذه بهذه، بدل ما ذكر من أعماله الرَّديئة، ذكره بمحاسن أعماله، مع الاستغفار له والدُّعاء له.

والأقرب والله أعلم إذا تيسَّر التحلل فالتحلل أولى إن كان التحلل لا يترتب عليه شر ظاهر الحديث لا بدَّ من التحلل؛ لقوله ﷺ: «**مَن كَانَتْ عِنْدَهُ لأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ**» رواه البخاري،

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٤٤٩) وبرقم (٦٥٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فذكر العرض، فإذا كان تحلله في العرض لا يترتب عليه مفسدة كبرى، قال: يا أخي أنا قلت: فيك كذا وكذا، تكلمت فيك بكذا، اغتبتك فأرجو أن تسامحني، وأنا لن أعود إن شاء الله هذا أكمل إن سامحه وأباحه.

أمَّا إذا كان يخشى فتنة ويخشى شر أكبر، فإنَّه يكفيه الاستغفار له والدعاء له وذكر محاسنه عملًا بالقاعدة: «تحصيل المصالح ودرء المفاسد»[1] وأن المفسدة الكبرى تدرأ بترك بالحسنة فإذا كان يترتب على إخباره خطر وسوء عاقبة لم يخبره، يدعو له ويستغفر له.

جاء في حديث ضعيف: كفارة من اغتبته: أن تستغفر له؛ لكن هذا الحديث لا يصح عن النَّبِيِّ ﷺ، ولكن المغتاب على حالين:

الحالة الأولى: حالة يمكن استحلاله، ويمكن أن يطلب منه العفو، فهذا يطلب منه العفو، إن كان يغلب على ظنه أنَّه يبيحه ويسامحه فلا بأس.

الحالة الثانية: إن كان يغلب على ظنه أنَّه يسوءه هذا، وأنَّه لا يحصل المقصود؛ بل رُبَّما أفضى إلى العداوة والشَّحناء، فلا يقل له شيئًا، ولكن يدعو له، ويستغفر له، ويذكره بمحاسن أعماله، وأخلاق الطَّيِّبة الَّتي يعلمها عنه، حتَّى تكون هذه بدل تلك، هذا التفصيل هو الصواب، وبذلك يُغفر له مع توبته، وإقلاعه وندمه، تُغفر له هذه السَّيِّئة، ولا حاجة إلى إخباره، إذا كان إخباره يخشى منه شرًا، وفتنة أعظم وعاقبة لا تحمد، وفَّق الله الجميع.

○ **مسألة: في إطلاق لفظ الشَّارع:**

سئل سماحته في وصف الرَّسول بالشارع؟

فقال: الشارع يطلق على الله، وعلى الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ﴾ [الشورى: ١٣] ويطلق على الرَّسول أنَّه شارع؛ لأنَّه مُبلغ عن الله تعالى.

(١) ينظر: «**الموفقات**» للشاطبي (٤/ ٢٠٧) و«**المدخل في فقه الإمام أحمد**» لابن بدران (١/ ٢٩٨).

«الفصل السادس والستون
فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس، وخسوف القمر

في «**الصَّحيحين**» عن عائشة **رضي الله تعالى عنها** عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُموهما فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا**»(١).

وفي «**صحيح مسلم**» عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَرْمِي بِأَسْهُمِي فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَنَبَذْتُهُنَّ وَقُلْتُ: لَأَنظُرَنَّ إِلَى مَا يَحْدُثُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي انْكِسَافِ الشَّمْسِ اليَوْمَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ يَدْعُو وَيُكَبِّرُ وَيَحْمَدُ وَيُهَلِّلُ وَيَدْعُو حَتَّى جُلِّيَ عَنِ الشَّمْسِ، فَقَرَأَ بِسُورَتَيْنِ وَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ»(٢).

والنَّبيُّ ﷺ أمر في الكسوف بالصَّلاة، والعتاقة، والمبادرة إلى ذكر الله تعالى، والصَّدقة، فإنَّ هذه الأمور تدفع أسباب البلاء»(٣).

الشرح:

هذه الأحاديث تتعلق بالكسوف، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختصر الوارد في الكسوف، وقد وردت في الكسوف أحاديث كثيرة عن النَّبِيِّ ﷺ من حديث عائشة، وابن عباس، ومن حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن أحاديث أخرى عن غيرهم، كُلُّها تدل على شرعية صلاة الكسوف، عند كسوف الشَّمس والقمر.

وقد شرع الله جَلَّ وَعَلَا للعباد عند كسوفهما أنواعًا من الذِّكر والعبادة،

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٤٤) ومسلم، برقم (٩٠١).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٩١٣).
(٣) قرئ بتاريخ (١٢/ ٥/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢١، ٣٢٢).

هذه الشَّمس في ضيائها ونورها، وهذا القمر في نوره وضيائه إذا أراد الله خسفهما، خسفهما وذهب هذا النُّور، إمَّا كله وإمَّا بعضه، وعند رؤية ذلك شرع ﷺ للنَّاس أن يبادروا بالصَّلاة والتكبير، والذِّكر والدُّعاء.

ولهذا قال: «**فَإِذَا رَأَيْتُموهما فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا**» وأمر بالصَّلاة: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا**»[(١)] وفي اللَّفظ الآخر: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلَكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**»[(٢)] وفي لفظ: «**فَإِذَا رَأَيْتُم ذَلِكَ فَصَلُّوا وَادْعُوا الله حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ**»[(٣)].

هذه السُّنَّة للمسلمين إذا رأوا كسوف الشَّمس أو خسوف القمر بادروا بالصَّلاة والذِّكر والدُّعاء، والتكبير والعتق والصَّدقة على الفقراء؛ لأنَّ الله يكسفهما تخويفًا للعباد، وتحذيرًا لهم من عقابه وغضبه، فهو سبحانه قادر على كسفهما، وهو قادر ـ أيضًا ـ على كسف نور القلب إذا تجرأ صاحبه على المعاصي والشرور وتساهل فهو على خطر.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة: الحذر من أسباب غضب الله، وأن يجتهد في أداء فرائض الله، وترك محارم الله، وإذا رأى الآيات استفاد منها وانتفع بها، وتقوى إيمانه وعظُم حذره.

وقد شُرع الرَّسول ﷺ، أن يُنادى لها، **الصَّلاة جامعة**، إذا رأى النَّاس الكسوف أو الخسوف، يقول المؤذن أو غيره، **الصَّلاة جامعة، الصَّلاة جامعة**، يكررها مرَّات حتَّى يبلغ النَّاس ذلك، وهي تصلَّى في وقت وجود الكسوف، إذا كسفت الشَّمس ضُحىً أو ظهرًا أو عصرًا صليت، وهكذا القمر إذا خسف في أول اللَّيل أو في وسطه أو في آخره صلِّي.

وقد جاءت عن النَّبِيِّ ﷺ أنواعًا من الهيئات لصلاة الكسوف؛ لكن أثبتها وأصحها أنَّه يصلِّي ركعتان، في كل ركعة قراءتان، وركوعان

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٤٢) ومسلم، برقم (٩١٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٩١٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٩١١) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

وسجدتان هذا أصح ما ورد فيها، يكبر ويقرأ ويطيل فيها، ثُمَّ يركع ويطيل فيه، ثُمَّ يقرأ ويطيل، ثُمَّ يركع ويطيل؛ لكن كل قراءة وكل ركوع دون الَّذي قبله.

ويطيل إطالة لا تشق على النَّاس، إطالة يحصل بها الخضوع لله، والعناية بالدُّعاء في السجود، وهكذا في الركعة الثانية: القراءة والركوع والسجود يطيل فيها لكن دون الركعة الأولى، والقراءة الثانية في الركعة الثانية دون القراءة الأولى والركوع كذلك والسجود كذلك أخف، ثُمَّ يسلم فإن انجل الكسوف فالحمد لله، وإلَّا يشتغل بالذِّكر والدُّعاء والاستغفار والتكبير، ولا يعاد تكرار صلاة الكسوف.

قد جاء في ذلك ثلاث قراءات وثلاث ركوعات وسجدتان، وجاء أربع قراءات وأربع ركوعات وسجدتان أنَّه صلَّى ثمان ركعات في أربع سجدات، وست ركعات بأربع سجدات، لكن أثبتها وأصحها أنَّه يصلِّي ركعتان[(١)].

ولما فرغ من الصَّلاة بالنَّاس خطب النَّاس وذكرهم ووعظهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ الله تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلَكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ، فَصَلُّوا وَادْعُوا الله حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ**».

والسُّنَّة الجهر فيها بالقراءة، يجهر ولو في النَّهار؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلَّى في كسوف الشَّمس، وجهر بالقراءة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولما كانت الجمعة مجمعًا للنَّاس شرع الله فيها الجهر، وإن كانت في النَّهار، وهكذا الفجر لما كان بعد الراحة في اللَّيل شرع الله فيه القراءة جهرة، والتطويل لينتفع المسلمون بذلك، الإمام والمأموم.

---

(١) ينظر: للمزيد حول الكسوف «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (١٢/٢٩ - ٤٦).

وفي العيد أيضًا لما كان محل اجتماع شرع الله في العيد الجهر حتَّى يسمع النَّاس القراءة، وشرع فيه الخطبة حتَّى يستفيد النَّاس، وهكذا صلاة الكسوف مظنة كثرة النَّاس إذا سمعوا المنادي «**الصَّلاة جامعة**» ولأنَّها دعوة إلى تخويف وحذر، واستعداد للآخرة فصارت جهرية ليكون ذلك أنفع للنَّاس.

❍ مسألة: **صلاة النساء للكسوف في المساجد:**

سُئل سماحته هل تشرع صلاة الكسوف للنِّساء في المساجد؟

فقال: إن خرج النِّساء لصلاة الكسوف في المساجد فلا بأس، ولا حرج، وإن كانت الصَّلاة في بيوتهن خير لهنَّ، ولكن إن حضرن للمساجد طيِّب لا بأس، وفَّق الله الجميع.

«الفصل السابع والستون
فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر علي بن المديني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر، يقولُ للرَّجُل إذا أضلَّ شيئًا، قُل: «اللَّهمّ ربّ الضَّالَّة، هادي الضَّالَّة، تهدي من الضَّلالة، رُدَّ عليَّ ضالَّتي بقدرتكَ وسلطانكَ، فإنَّها من عطائكَ وفضلكَ»[(١)].

وفي وجه آخر: سئل ابن عمر رضي الله عنه عن الضَّالة، فقال: يتوضأ ويصلِّي ركعتين، ثُمَّ يتشهد، ثُمَّ يقول: اللَّهم رادَّ الضَّالَّة، هادي الضَّلالَة، تهدي من الضَّلال رد عليَّ ضالتي بعزِّك وسلطانك، فإنَّها من فضلك وعطائك»[(٢)] قال البيهقي: هذا موقوف وهو حسن»[(٣)].

وقد قيل: إنَّ من ضاع له شيء، فقال: يا جامع النَّاس ليوم لا ريب فيه، رُدَّ عليَّ ضالتي ردَّها الله تعالى عليه[(٤)]»[(٥)].

الشرح:

هذه الآثار فيما يتعلق بالضَّالَّة، والضَّالَّة: ما يضيع للإنسان حيوانات

---

(١) أخرجه موقوفًا البيهقي في «كتاب الدعوات الكبرى» (٢/ ٥٤ برقم ٤٦٢). أو (٢/ ٢٧٢) إسناد رجاله ثقات. ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٩٢ح١) تحقيق ابن قائد.

(٢) أخرجه مرفوعًا الطبراني في «**المعجم الكبير**» (١٢/ ٣٤٠ برقم ١٣٢٨٩) وفي «**الأوسط**» (٥/ ٤٣ برقم ٤٦٢٦) وفي «**الصغير**» (ص٣٩٤ برقم ٦٦٠) قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٣ برقم١٧١٠٦) رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة، وفيه عبد الرحمن يعقوب بن أبي عباد المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) قاله البيهقي في «**كتاب الدعوات الكبرى**» (٢/ ٥٥برقم ٤٦٣). أو (٢/ ٢٧٣).

(٤) ينظر: ما قاله ابن قائد في تحقيقه لكتاب «**الوابل الصيب**» (ص٣٩٣ ح٢).

(٥) قرئ بتاريخ (٦/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(١٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٢، ٣٢٣).

أو غيرها، والغالب أنَّها تطلق على الحيوان، يقال لها ضالة، كالإبل والبقر والغنم، أمَّا ماعدا ذلك كالنقود، فيقال لها: لقطة، ومن ضل له شيء من الحيوان أو النقود شرع له أن يسأل ربه أن يردها عليه، وهو سبحانه يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] فليجتهد بالدُّعاء وليفعل الأسباب الأخرى، يسأل الناس ويبحث، مع من يظن أنه اطلع، لعله يجد، يفعل الأسباب ويدعو ربه أن يرد الله عليه ضالته، فهو سبحانه قادر على كلِّ شيء.

فيقول: اللَّهم ربّ الضَّالَّة رُدَّها عليَّ، فهي من نعمتك وإحسانك، اللَّهم يسرها لي اللهم احفظها عليَّ وما أشبه ذلك. سواء كانت حيوانًا أو مالًا آخر، مع فعل الأسباب، يسأل من يظن أن عنده خبر، هل رأيت الدابة كذا، هل رأيت كذا، هل رأيت البساط الَّذي سقط مني أو النقود، يسأل الله، ويسأل النَّاس عما يعلمون؛ لأنَّه قد يجدها إنسان ولا يعرِّفها، فإذا سئل، وسمع السؤال بين ما عنده، وإلَّا فهو واجب على من وجد لقطة أن يعرِّفها سنة كاملة في مجامع النَّاس.

كل شهر مرتين ثلاث أكثر، من له كذا؟ من له مال من له لقطة من له بساط من له كذا؟ حتَّى يجئ من يعرفها بصفاتها، وهكذا الشاة من الغنم يعرِّفها من له رأس من الشاة؟ من له عنز، من له كذا؟ فإذا جاء صاحبها ووصفها بالصِّفات الدقيقة يعطيه إيَّاها، أمَّا البقر والإبل لا تتعرض لها أتركها؛ لأنَّ الإبل والبقر ترعى وترجع بنفسها، فلا تلتقط، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **الوضوء والصَّلاة لردّ الضَّالَّة:**

سئل سماحته ما صحة القول: «يتوضأ ويصلي ويتشهد...»؟

فقال: هذا من كلام ابن عمر، ليس له حكم الرفع، اجتهاد منه، ليس عليه دليل، والعبادات توقيفية عن الله وعن رسول الله ﷺ، وهذا الأثر لو صح عن ابن عمر، ليس فيه دليل؛ لكن في صحته نظر عن ابن عمر رضي الله عنه.

- السُّنَّة لمن أضل شيئًا أن يدعو ربّه أن يردَّ عليه ضالته.

الفصل الثامن والستون
في عقد التَّسبيح بالأصابع، وأنَّه أفضل من السبحة

روى الأَعْمَشِ عَن عَطاءِ بنِ السَّائِبِ عَن أَبيهِ عَن عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو، قَالَ: **«رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ»**[(١)] رواه أبو داود.

وروت يُسَيْرَةَ إحدى المهاجرات رضي الله عنها، **قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُنَّ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ»**[(٢)].

الفصل التاسع والستون
في أحبِّ الكلام إلى اللّه عز وجل بعد القرآن

ثبت في «**صحيح مسلم**» عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى الله تَعَالَى أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْت: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»**[(٣)].

وفي أثر آخر: «أَفْضَلُ الكَلَامِ بَعْدَ القُرْآنِ أَرْبَعٌ، وَهُنَّ مِنَ القُرْآنِ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٠٢) والترمذي، برقم (٣٤١١) وقال: حسن غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٢ برقم٢٠٠٦) وليست عند الترمذي والحاكم قوله: «**بِيَمِينِهِ**».

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (١٥٠١) والترمذي، برقم (٣٤٨٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٢ برقم٢٠٠٧). قرئ بتاريخ (١٩/ ٥/ ١٤١٤هـ) كما قيَّد القارئ في كتابه (ص٣٢٤).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٦١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٠ برقم ٢٠٢٣٦) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

وفي أثر آخر: «**أَفْضَلُ الكَلَامِ مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[(١)].

وفي «**الصَّحيحين**» عن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»[(٢)].

وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[(٣)][(٤)].

الشرح:

هذه الأحاديث في عقد الأذكار بالأصابع، والحث على الإكثار من التَّسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، الحديث الأول: أنَّه ﷺ كان يعقد التَّسبيح بيده اليُمنى عليه الصلاة والسلام.

ولفظة: «**بِيَمِينِه**» وإن لم تثبت هنا؛ إلَّا أنَّ النَّبيَّ ﷺ: «**كَانَ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّه**»[(٥)] حديث عَائِشَة رضي الله عنها يعم ذلك اليمين هي المقدمة في ذلك في جميع شؤونه، ولو سبَّح بيساره مع اليمنى فلا بأس مثل ما قال للنِّساء: «**وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ**» فلو سبَّح بالاثنتين، يده اليُمنى ويده اليُسرى فلا بأس.

وفي حديث يسيرة أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمر النِّساء أن يُكثر من التَّسبيح والتحميد، ويحذرن الغفلة، ويعقدن التَّسبيح بالأنامل؛ لأنَّهنَّ مسؤولات

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٣١) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٩٩).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٥٨).

(٤) قرئ بتاريخ (٢٥/ ٥/ ١٤١٤هـ) و(٢٤/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٣ - ٣٢٥).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (١٦٨) ومسلم، برقم (٢٦٨).

ومستنطقات، وهذا خير من السُّبحة الَّتي يفعلها بعض النَّاس من خرز أو النوى أو الحصى أو نحوه؛ لكن كون الإنسان يُسبح بالأصابع أفضل، كما كان النَّبِيُّ ﷺ يفعل سبحان الله والحمد لله يَعدّها بالأصابع هذا هو الأفضل، وإن عدها بالنوى أو الحصى أو العُقد فلا بأس؛ لكن عدها بالأصابع هو الأفضل وهو السُّنَّة.

من ذلك أن يسبح بعد كل صلاة ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، ويحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ويكبر الله ثلاثًا وثلاثين، ويختم المئة بـ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أو سبّح ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ويكبر الله أربعًا وثلاثين، الجميع مئة، وإن سبَّح خمس وعشرين تسبيحة، وخمس وعشرين تحميدة، وخمس وعشرين تكبيرة، وخمس وعشرين تهليلة هذا أيضًا سُنَّة، وكل هذا جاءت به السُّنَّة، وعلمه النَّبِيّ أصحابه(١).

وجاء في بعض الروايات أنَّهُ يسبح إحدى عشر... ولكن أكملها أن يسبح ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ويكبر الله ثلاثًا وثلاثين، ويختم بـ لا إله إلَّا الله.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من هذه الأذكار مع القرآن الكريم، القرآن الكريم: هو أحب شيء إلى الله، وهو كلام الله جَلَّوَعَلَا، وهو أفضل الذِّكر، وأفضل الذِّكر بعد القرآن هذه التهليلات والتسبيحات، يقول النَّبِيُّ ﷺ: **«لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»** ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: **«أَحَبُّ الكَلَام إِلَى الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»**. أخرجهما مسلم في الصَّحيح(٢).

---

(١) ينظر: ما سبق ذكره في (ص٣٦٥) في الفصل الثالث عشر في الأذكار المشروعة بعد السَّلام.

(٢) سبق تخريجهما في المتن الَّذي يشرحه سماحته رَحِمَهُ الله في الصفحة السابقة.

ويقول ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العَظِيمِ**»[(١)] متفق على صحته، فينبغي الإكثار منهما، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، هذه الكلمات الخفيفة بحمد الله.

وقال: «**البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه**»[(٢)] هذه الكلمات العظيمة الباقيات الصّالحات، نسأل الله التوفيق للجميع.

○ **مسألة: كون السُّبحة بدعه فيه نظر:**

من يرى أنَّ السُّبحة بدعة؛ لأنَّ التَّسبيح عبادة، والعبادة مبناها على التوقف، وليس هناك مجال للقياس؟

يقال له: القصد من السُّبحة العد، بعض الصَّحابة كانوا يعدون بغير الأصابع، لكن إذا استخدم بعض بدنه كأصابعه يكون أفضل، كما استعملها النَّبِيّ ﷺ، أمَّا كون السُّبحة بدعة محل نظر؛ لأنَّ المقصود العد، استدلالًا بحديث جورية وغيره، أمَّا وصفها بأنَّها بدعة فيه نظر.

أمَّا إنكار ابن مسعود رضي الله عنه فهو للتَّسبيح الجماعي، شخص يقول لهم: سبحوا الله كذا، وأحمدوا الله كذا وكذا يكون فيهم رئيسًا هذه طريقة بدعية، فالتَّسبيح بالسُّبحة لا بأس فيه؛ لكن الأفضل التَّسبيح باليد «**بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ**».

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٩٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢١٢).

«الفصل السبعون
في الذِّكر المضاعف

في «**صحيح مسلم**» عَن جُوَيْرِيَةَ أُم المُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا**» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(١).

وعَن سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ دَخلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «**أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا وَأَفْضَلُ**» فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالحَمْدُ لِله مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه مِثْلُ ذَلِكَ**»(٢) رواه أبو داود والترمذي، قال: حديث حسن»(٣).

الشرح:

هذان الحديثان فيما يتعلق بالأذكار المضاعفة الَّتي عددها قليل، ويحصل بها الأجر العظيم، والَّتي أرشد إليها النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من

(١) سبق تخريجه في (ص١٧٢).
(٢) سبق تخريجه في (ص٢٨١).
(٣) قرئ بتاريخ (٢/ ٦/ ١٤١٤هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٥، ٣٢٦).

ذلك ما ذكره المؤلف من حديث جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج من عندها بعد صلاة الفجر، وهي في مصلاها، ثُمَّ عاد إليها، وهي على حالها في مصلاها، فقال لها: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم، قال لها: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ الله العَظِيم وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ» هذه الكلمات الأربع لها شأن عظيم، سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، يكثر منها الإنسان، يكررها ثلاث مرَّات، صباحًا ومساءً، وفي كلِّ وقت.

وهذا يدل على أنَّه قد يخرج من المسجد بعد صلاة الفجر أحيانًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولهذا قال: خرج منها بعد صلاة الفجر هذا يدل على كونه يقيم في المصلى حتَّى تطلع الشَّمس هو الغالب، لكن قد يخرج لسبب من الأسباب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكذا الحديث الآخر: حديث سعد أنَّهُ ﷺ دخل على امرأة تعد التسبيح بالحصى أو بالنوى، فقال لها: ألَّا أدلك على أفضل من ذلك؟ ثُمَّ علمها أن تقول: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِك، سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالحَمْدُ لِله مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه مِثْلُ ذَلِكَ» هذا ذكر مضاعف، وقد حسن هذا الحديث جماعة، فينبغي الإكثار من التَّسبيح لما فيه من المضاعفة والاختصار

وفي هذا الحديث جواز العد بالحصى و**النوى** عند التسبيح، بعد الصَّلاة، ويحسن أن يجلس في محل مصلاه ويعد تسبيحه، ولكن بالأصابع أفضل، كما كان النَّبِيّ يعد بأصابعه ﷺ وهكذا الصَّحابة فالعد بالأصابع أفضل، وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **التسبيح بالسُّبحة:**

لا حرج في التَّسبيح بالسِّبحة؛ لكن التَّسبيح بالأصابع أفضل، لكن استعمال حجر أو نوى ليس فيه شيء؛ لكن بالأصابع أفضل، إلَّا إذا كانت على الطريقة البدعية، يجتمعون ويسبحون، كما فعل بعض النَّاس في عهد ابن مسعود فأنكر عليهم ذلك، أمَّا إذا كان يسبح بها بينه وبين ربَّه لا يضر، بينه وبين ربَّه لا بأس أو في بيته لا حرج، أما عند النَّاس بأصابعه، وعند بعض الصَّلوات، فالأفضل التَّسبيح بالأصابع.

الفصل الحادي والسبعون
فيما يقال لمن حصل له وحشه

روِّينا في «**معجم الطبراني**» عَنِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا اشْتَكَى إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الوَحْشَةَ، فَقَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، جُلِّلَتَ السَّمَوَاتِ، وَالأَرْضَ بِالعِزَّةِ، وَالجَبَرُوتِ**» فَقَالَهَا الرَّجُلُ: فَأَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ الوَحْشَةَ»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذا الحديث فيما يتعلق بدعاء الوحشة: «**سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، رَبِّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ، جُلِّلْتَ السَّمَوَاتِ، وَالأَرْضَ بِالعِزَّةِ، وَالجَبَرُوتِ**» **فَقَالَهَا الرَّجُلُ: فَأَذْهَبَ الله عَنْهُ الوَحْشَةَ**» فهو حديث ضعيف[(٣)] كما ذكر أهل العلم ليس بصحيح، والمؤلف رحمه الله قد يتساهل في هذا كثيرًا.

ويكفي عنه ما ثبت في الحديث الصَّحيح: «**مَن نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[(٤)] فينبغي أن يقوله من دخل منزله، أو وجد وحشة «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**» وإذا كررها ثلاثًا كان أكمل: «**أَعُوذُ**

---

(١) أخرجه في المعجم الكبير (٢/ ٢٤ برقم١١٧١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٨ برقم ١٧٠٧٢) رواه الطبراني: وفيه محمد بن أبان الجعفي، وهو ضعيف، وسيأتي في الشرح تضعيف سماحته له.

(٢) قرئ بتاريخ (٢٥/ ١٠/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٦، ٣٢٧).

(٣) فيه محمَّد بن أبان الجعفي ذكره الحافظ ابن حجر للتمييز، وقال فيه مستور من التاسعة. ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٤٦٥ ترجمة برقم٥٦٩٠).

(٤) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).

بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّة مِن كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[(١)] كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعوذ بهما الحسن والحسين.

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِى الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ» أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح[(٢)].

وروي عنه أنَّه كان يقول: «**مَن قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ صَبَاحاً لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَن قَالَهَا مَسَاءً لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصْبِحُ**»[(٣)].

أمَّا هذه الرواية الَّتي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الطبراني ضعيفة.

والمقصود: أنَّ علاج الوحشة، في التَّعوذ بكلمات الله التَّامَّات، وقراءة آية الكرسي، وقل هو الله أحد والمعوذتين، هذا هو العلاج الَّذي أرشد إليه النَّبِيِّ ﷺ في الأحاديث الصَّحيحة.

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٨).
(٢) سبق تخريجه في (ص٢٧٤).
(٣) سبق تخريجه في (ص٣٠٢).

«الفصل الثاني والسبعون
في الذِّكر الَّذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا

عَن أَبِي نَضْرَةَ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ قَمِيصًا أَوْ إِزَارًا أَوْ عِمَامَةً، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِن خَيْرِهِ وَخَيرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**»[(١)].

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رأى أَحَدُهُمْ عَلَى صَاحِبِه ثَوْبًا جَدِيدًا، قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللهُ تَعَالَى. ذكره البيهقي[(٢)].

وَعَن سَهْلِ بنِ مُعَاذِ بنِ أَنَس عَن أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَن لَبِسَ ثَوْبًا، جديدًا فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[(٣)][(٤)].

الشرح:

هذان الحديثان فيما يقوله من لبس ثوبًا جديدًا، يستحب لمن لبس ثوبًا جديدًا أو بشتًا جديدًا أن يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٤٠٢٠) والترمذي، برقم (١٧٦٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٢١برقم ٧٤٠٨).

(٢) ذكره في «شعب الإيمان» (٥/ ١٨٠ برقم ٦٢٨٤).

(٣) أخرجه في حديث طويل أبو داود، برقم (٤٠٢٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٧ برقم١٨٧٠) دون زيادة قوله: «**وَمَا تَأَخَّرَ**» لا في الطعام ولا في اللِّباس، **قال سماحته**: فيه نظر كما سيأتي في فائدة.

(٤) قرئ بتاريخ (٢٤/ ٦/ ١٤١٤هـ) و(٢٦/ ١٠/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٧، ٣٢٨).

مِنْ خَيْرِهِ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ،وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» ويقول عند لبسه «الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ» هذا من شكر الله على نعمه وفضله وإحسانه ﷻ، واعتراف العبد بعجزه وضعفه، فيحمد الله على ما منَّ به عليه، ويسأل الله خيره وخير ما صنع له، ويتعوذ باللَّه من شره، وشر ما صنع له.

كان بعض السَّلف إذا لقي أخاه وعليه ثوب جديد، يقول له: «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللهُ» يعني: يطول الله عمرك حتَّى تبليه، ويخلف الله عليك غيره، هذا من باب الأدب مع الإخوة، وإيناس للإخوة، إذا قلت له: «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللهُ» أو ما أشبه ذلك، لا بأس؛ ولكن يحمد الله، ويقول: «الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

وكذلك إذا استجد عبدًا أو جارية، أو زوجة يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ**»[(١)] وفَّق الله الجميع.

○ مسألة: **في وقت دعاء اللبس:**

سئل سماحته متى يقول الدُّعاء؟

فقال: يقوله: عند لبسه البسة الأولى فقط.

أمَّا حديث: «الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا...» فيه كلام اقرأ الحاشية، فقرأ القارئ الشَّيخ محمَّد إلياس عبد القادر ؒ، رواه ابن السني هكذا مختصرًا رقم (٢٧٢) في «**عمل اليوم واللَّيلة**» وليس عنده «وَمَا تَأَخَّرَ» وهو جزء من حديث طويل رواه أبو داود رقم (٤٠٢٣) في اللِّباس في فاتحته: وإسناده حسن، وحسنه الحافظ في «**تخريج الأذكار**» في ابن علان (١/ ٣٠٠،٣٠١) ورواه الحاكم أيضًا وصححه ووافقه الذهبي، وليس عنده

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٣١٦٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٧ برقم١٨٧٠) .عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

«**وَمَا تَأَخَّرَ**» لا في الطعام ولا في اللباس[١].

المقصود: أن رواية: «**وَمَا تَأَخَّرَ**» غير ثابتة «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**» هذا فضل كبير، ولو قالها طيِّب لا بأس به.

---

(١) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٨ حاشية ١).

الفصل الثالث والسبعون
فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابنُ وَهْبٍ عَن سُلَيْمان بن بِلَالٍ عَن سُهَيْلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَبدا لَهُ الفَجْر، قَال: «**سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ الله وَنِعْمَتِهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا رَبَّنَا صَاحِبْنَا فَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِالله مِنَ النَّارِ**»(١). يقول ذلك ثلاث مرَّات ويرفع بها صوته، هذا إسناد صحيح على شرط مسلم(٢).

الفصل الرابع والسبعون
في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد
في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾ [آل عمران: ١٥٦] فنهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النَّبِيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،**

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٨) وأبو داود، برقم (٥٠٨٦).

(٢) أخرجه كاملًا الحاكم في «المستدرك» وصححه ووافقه الذهبي في «**التلخيص**» (١/ ٦١٥ برقم١٦٣٦).

(٣) جزء من الحديث الآتي تخريجه في الحاشية التالية.

وَاستَعِن بِاللَّه، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم[1].

وَعَن عَوْفِ بنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ المَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»[2].

فنهى النَّبِيّ ﷺ أن يقول: عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه، فإن أعجزه القضاء، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فإذا قال: حسبي الله بعد تعاطي ما أمر به من الأسباب قالها وهو محمود، فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب، وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب الَّتي اقتضتها حكمة الله ﷻ، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به»[3].

الشرح:

الحديث الأول فيما يتعلق بما يقوله المؤمن عند رؤية الصبح وانفجار الفجر، يقول: كما كان النَّبِيُّ ﷺ يقول: «**سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ الله وَنِعْمَتِهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللَّه مِنَ النَّارِ**» عائذًا باللَّه من النَّار يكررها ثلاثًا لرؤية الصّبح، في أسفاره، كما فعله النَّبِيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولا شك أنَّ الصُّبح واللَّيل كلُّها من نعم الله ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٦٤). (٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٦٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم (٣٦٢٧).

(٣) قرئ بتاريخ (١٠/٦/١٤١٤هـ) و(١/١١/١٤١٦هـ) .ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٢٨ - ٣٣٠).

فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [لقمان: ٢٩] فمن نعمه العظيمة أن جعل اللَّيل سكنًا، والنَّهار معاشًا للعباد يتصرفون، ويعملون في طلب الرِّزق.

فالإنسان يحمد ربّه، ويأخذ بالأسباب، ويعمل بالكيس، ويسأل ربّه التَّوفيق، فهذا هو المشروع للمؤمن في كلِّ وقت، الأخذ بالأسباب الشَّرعيَّة والحسيَّة، والاعتماد على الله، والتَّوكل عليه، ويأتي بالأذكار المشروعة في الصَّباح والمساء، وفي جميع الأوقات.

وكان ﷺ يلوم على قول: «لَوْ» فيما يصيب الإنسان، وأن على الإنسان أن يأخذ بالكيس، والأعمال الَّتي شرعها الله ويجتهد، فإذا غلبه الأمر، يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] قدر الله وما شاء فعل.

أمَّا أن يتعلق بـ «لَوْ» وهو مُفرِّط مُضيع لا يبالي بالأسباب هذا غلط، ولهذا ذم الله الَّذين قالوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦] ذم الله الَّذين قالوا لو كان أولادهم وإخوانهم عندهم ما ماتوا وما قتلوا.

المقصود: أنَّ القتل أو الموت مكتوب على العبد، سواء خرج للجهاد أو بقي في بيت أهله، إذا جاء أجله لم يتأخر: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] لكن الإنسان مأمور بالجهاد في سبيل الله، مأمور بأخذ الأسباب الطَّيِّبة مأمور بترك الأسباب الرَّديئة، فهو يأخذ بالأسباب، ويجتهد بالأسباب النافعة، ويبتعد عن الأسباب الضارة، وبعد ذلك إذا غلبه أمر، يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] قدر الله وما شاء فعل.

ولهذا يقول ﷺ «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» ثُمَّ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاستَعِن بِالله، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

الإنسان يعمل ويجتهد، فإذا غلبه الأمر يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] لا يركن للقدر، بل يعمل، ويجتهد ويأخذ بالأسباب

الشرعية، يشتري ويزرع ويحرث، يتسبب يتجر إلى غير ذلك، يعني: يأخذ بالأسباب، فإذا خسر في سلعة، أو أصابته نكبة أو نزل به مرض، يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ قدر الله وما شاء فعل، أمَّا أن يعطل الأسباب، ثُمَّ يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ هذا غلط ليس هذا محلها، عليك أن تجتهد أولًا.

وهكذا إذا تعدى على أحد، ثُمَّ غلب في الحكم، حكم عليه الحاكم بما رأى الحقّ، حين يقول حسبي الله ونعم الوكيل، ليس هذا محلها، محله إذا كنت مظلومًا، أمَّا إذا كنت ظالمًا متعديًا متساهلًا فليس هذا محل هذه الكلمة، وإن كانت كلمة طيِّبة؛ لكنها قيلت في غير محلها.

فالواجب عليك التوبة عند ذلك، وليس قول: حسبي الله ونعم الوكيل، بل عليك التوبة إلى الله والرجوع إليه والندم على تفريطك وتقصيرك لأمر الله، أمَّا إذا غلبك القدر بمرض أو موت قريب، أو خسارة في سلعة أو ما أشبه ذلك تقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ قدر الله وما شاء فعل، وفَّق الله الجميع.

□ **فائدة:** حول قول «**لو**»:

الحديث ينهى عن «**لو**» فقولها محرم؛ لأنَّ الرَّسول، يقول: «**فَلَا تَقُلْ لَوْ**» يقولها الإنسان في استحباب الخيرات، مثل «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِن أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ**»[(١)] قالها النَّبيُّ ﷺ في حجَّة الوداع، في الحج قَال: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِن أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ**» لو علمت أنَّه هنا لجئته وأكرمته، وما أشبه ذلك، لو علمت أنَّ الطَّريق آمن لحججتُ.

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٦٥١) ومسلم، برقم (١٢١٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

«الفصل الخامس والسبعون
في جوامع من أدعية النَّبِيِّ ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ[(١)].

وفي «**المسند**» و«**النَّسائي**» وغيرهما أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَغُرَفِهَا[(٢)] وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَأَغْلَالِهَا وَسَلَاسِلِهَا» فَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَقَدْ سَأَلْتَ الله خَيْرًا كَثِيرًا، وَتَعَوَّذْتَ مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ**» وَبِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»[(٣)].

وفي «**مسند الإمام أحمد**» و«**سنن النَّسائي**» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيّ ﷺ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ**

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٨٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في «التلخيص» (١/ ٧٢٣ برقم ١٩٧٨).

(٢) في رواية الإمام أحمد، بدل: «**وَغُرَفِهَا**» «**وَنَعِيمَهَا وَسْتَبرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا وَبَهْجَتَهَا**» وتمامه: «**أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**» أخرجه (١/ ١٧٢، ١٨٣ برقم ١٤٨٣، ١٥٨٤) وفي رواية أبي داود: بدل: «**وَغُرَفِهَا**» «**وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا**» وتمامه: «**فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنْ أُعْطِيتَ الجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّر**» أخرجه أبو داود، برقم (١٤٨٠) وينظر: «**الوَابل الصيب**» (ص ٣٣١ ح٣) وما ذكره من شواهده.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٨٣برقم ١٥٨٤) لم أجده في سنن النَّسائي.

اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مِطْوَاعًا لَكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»[١] هذا حديث صحيح، ورواه الترمذي: وحسنه وصححه.

وفي «الصَّحيحين» من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيّ ﷺ: فَكُنْتُ أَسْمَعُه يُكْثِرُ أَن يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»[٢]»[٣].

الشرح:

هذه الأحاديث في شيء من دعوات النَّبِيِّ ﷺ وتعوذاته وأنَّها دعوات جوامع كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتحرى جوامع الدُّعاء، يعني: اللَّفظ الجامع للخير؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها كَانَ ﷺ: **يَسْتَحِبُّ أَن يدعو بِالجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سُوى ذَلِكَ**، أي: يترك.

كان يدعو ﷺ بالجوامع مثل «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّة وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**»[٤].

هذا من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رضاك والجَنَّة، وَأَعُوذُ بِكَ من سخطك والنَّارِ**» «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[٥] «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»[٦] وما أشبه هذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٢٧برقم ١٩٩٧) وأبو داود، برقم (١٥١٠) الترمذي، برقم (٣٥٥١) والنسائي في الكبرى (٦/ ١٥٥ برقم١٠٤٤٣) وابن ماجه، برقم (٣٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٨٩٣) ومسلم، برقم (١٣٦٥) واللَّفظ للبخاري.

(٣) قرئ بتاريخ (١١/ ٦/ ١٤١٤هـ) و(٢/ ١١/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣١، ٣٣٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٣٣ برقم ٢٥٠٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه عن عائشة الترمذي، برقم (٣٥١٣) وقال: حسن صحيح.

(٦) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من دعواته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولما سمع سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابنه يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَكَذَا وَكَذَا - يعدد ما فيها من نعيم - وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَأَغْلَالِهَا وَكَذَا وَكَذَا» فَقَالَ يَا بُنَيَّ: لَقَدْ سَأَلْتَ الله خَيْرًا كَثِيرًا، وَتَعَوَّذْتَ بِالله مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ» فخاف عليه من الاعتداء في الدُّعاء، وقال له: يكفيك أن تدعو بجوامع، مثل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ» إلى آخره، فأنت تسأل الله بجوامع الدُّعاء ما يكفيك عن التفاصيل.

هذا يدلُّ على أنَّ المشروع للإنسان أن يتحرى جوامع الدُّعاء، وأن يدعو بها، وفي ذلك الخير الكثير، مثل حديث عائشة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ﷺ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» وَ«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ» كل هذا من جوامع الدُّعاء.

وهكذا قال: أنس يحكي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه كان يتحرى جوامع الدُّعاء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا ينبغي للمؤمن: أن يتحرى الدَّعوات الجامعة، ومن هذا قول الرَّسول ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، واهدني ويسر الهدى لي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا لَكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».

ومن دعائه ﷺ: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» كان كثيرًا ما يدعو بهذا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويكثر أيضًا أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**» فينبغي للمؤمن أن يتحرى الأدعية الجامعة ويدعو بها، كما كان النَّبِيّ يدعو بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مع الإلحاح في الدُّعاء والإكثار من الدُّعاء كله طيِّب، فالإكثار من الدُّعاء مما يحبه الله، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**صحيح مسلم**» عَن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(١).

وفي «**الصَّحيحين**» عن عائشة **رضي الله تعالى عنها** أنَّ رسول الله كان يدعو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ يَا رَسُول الله؟ فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَمِن فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَمِن جَمِيعِ سَخَطِكَ**»(٣)»(٤).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٢٢).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٨٣٢) ومسلم، برقم (٥٨٩).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٣٩).
(٤) قرئ بتاريخ (١٧/ ٦/ ١٤١٤هـ) و(٣/ ١١/ ١٤١٦هـ) ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣٣).

الشرح:

هذه الأحاديث في جملة من أدعيته ﷺ، والمؤمن يشرع له أن يدعو بالدَّعوات الجامعة الطَّيِّبة، الثابتة عنه ﷺ، وأيُّ دعاء دعا به، ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم لا بأس به، وإن كانت لم تنقل إذا كان معناها صحيحًا، وليس فيها محذوراً شرعيًّا فله أن يدعو بها،؛ لكن الدَّعوات المأثورة، عن النَّبِيُّ ﷺ تكون أفضل من غيرها، من هذه ما روي عن زيد ابن أرقم، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم.

ومنها: ما جاء في حديث زيد: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَرَمِ، وَمِن عَذَابِ القَبْرِ**» هذه دعوات جامعة، العجز والكسل يثبطان عن كلِّ خير، والجبن والبخل كذلك، الجبن عن الشجاعة في الحقِّ، والبخل بالمال والجاه ونحو ذلك، وهكذا الهرم يفضي إلى التعب الكثير تعب في نفسه وتعب في غيره، وعذاب القبر كذلك محل البلايا والمحن «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**» من الدَّعوات الجامعة، اللَّهم آت، أي: أعطي نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها فأنت وليها ومولاها. وكان **عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام** «**وَإِذَا دَعَا أَوْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا**»[(١)] «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِن نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِن دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**» هذه من دعواته عليه الصلاة والسلام.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَمِن فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ،** - يقال وفاجأه - **وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» هذه أربع دعوات جامعة.

وكان يتعوذ من بعض الأشياء الَّتي يتعوذ منها في آخر الصَّلاة، كما قالت عائشة رضي الله عنها كان الغالب يأتي بها في آخر الصَّلاة «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّم، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ**

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٩٤، ٩٥، ٦٢٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَمِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» قِيلَ: يَا رَسُول الله مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ! قال ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» المأثم، يعني: الإثم، أي: المعاصي، والمغرم يعني: الدَّين، والعبد إذا غرم ثقل عليه الدّين وعد وأخلف، وحدث فكذب، يعد الناس وما عنده ما يوفي به، فيخلف، يحدث بأشياء ولا يفي بها، فيكذب بسبب عجزه عن الوفاء، ومحبته لإرضاء الناس، فيحدثهم بالكذب، ويعدهم ويخلف، من أجل هذا كان يستعيذ الرسول ﷺ من المأثم والمغرم.

ومن دعائه الجامع: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**»(١) هذه من الدَّعوات الجامعة، أعوذ باللَّه من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل، ومن دعائه العظيم: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(٢).

فينبغي للمسلم أن يتأسى بالنَّبِيِّ ﷺ في الدَّعوات الجامعة، يكثر من الدُّعاء، يلح في الدُّعاء؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: والمؤمن بحاجة بل في ضرورة إلى رحمة ربّه وإحسانه فليكثر من الدُّعاء، وفَّق الله الجميع.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي «الترمذي» عَن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَسْأَل؟ قَالَ: «**قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(٣) قال الترمذي: صحيح.

وفي «**مسند الإمام أحمد**» عن أبي بكر الصِّديق عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ البِرِّ، وَهُمَا فِي الجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا الله المُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ رَجُلٌ**

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٦) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٢) سبق تخريجه في (ص٥٥٣). (٣) سبق تخريجه في (ص٥٥٣).

بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرٌ مِنَ المُعَافَاةِ»[(١)].

وفي «**صحيح الحاكم**» عن ابن عمر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَا سُئِلَ اللهُ** ﷻ **شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ**»[(٢)].

وذكر الفريابي في «**كتاب الذِّكر**»[(٣)] من حديث أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاء رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**تَسْأَلَ اللهَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ، فَإِذَا أُعْطِيتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**»[(٤)] [(٥)].

وفي «**الدَّعوات للبيهقي**» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مرَّ رسول الله ﷺ برجل يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ، قَالَ: «**سَأَلْتَ اللهَ البَلَاءَ فَسَلِ العَافِيَةَ**» وَمَرّ بِرَجُلٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فَقَالَ: «**وَمَا تَمَامُ النِّعْمَةِ؟**» قَالَ: سَأَلْتُ وَأَنَا أَرْجُو الخَيْرَ، قَالَ لَهُ: «**تَمَامُ النِّعْمَةِ الفَوْزَ مِنَ النَّارِ، وَدُخُولَ الجَنَّةِ**»»[(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣ برقم ٥) وأصله في صحيح مسلم عن ابن مسعود، برقم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٦٧١برقم١ ٨٣٣) والترمذي، برقم (٣٥٤٨) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عبد الرحمن بن أبي مليكة، قال الحافظ ابن حجر: ضعيف من السادسة، أخرج له الترمذي وابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» (ص٣٣٧ برقم٣٨١٣).

(٣) أخرجه من طريق الفريابي أبو الشيخ الأصبهاني في «**طبقات المحدثين بأصبهان**» برقم (٣٥١٣).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٥١٢) وقال: حسن غريب، وابن ماجه، برقم (٣٨٤٨) وفي سنده سلمة بن وردان الليثي أبو يعلى المدني، قال الحافظ ابن حجر: ضعيف من الخامسة أخرج له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه، ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٢٤٨ برقم٢٥١٤).

(٥) قرئ بتاريخ (١٨/ ٦/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣٤، ٣٣٥).

(٦) أخرجه في الدعوات (١/ ١٨٣) وهو في المسند (ص٢٧٣ برقم ٢٨٧) والترمذي، برقم (٣٥٢٧) وقال الترمذي: حديث حسن، وهو كما قال، كما في الوابل الصَّيب (ص٣٣٥ ح ١) **وقال سماحته:** فيه نظر.

الشرح:

هذه الأحاديث فيما يتعلق ببعض ما كان يدعو به ﷺ من الأدعية، كان كثير الدُّعاء والضراعة إلى الله ﷻ بأنواع الدُّعاء، وكان يستحب الجوامع من الدُّعاء، الأدعية الجامعة الَّتي تجمع الخير الكثير، كما تقدَّم في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان ﷺ: «**يُحبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ**» أي يترك ما سوى ذلك[(١)].

ومن ذلك حثه ﷺ على سؤال الله العفو، كما في حديث عائشة قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**» يُدعى به في أفضل ليلة، وهي ليلة القدر، فالعفو من الله جَلَّ وَعَلَا من أعظم النِّعم أن يعفو الله عنك فتفوز بالجنَّة، وتنجو من النَّار.

فالمؤمن يسأل ربّه العفو من جميع الذُّنوب، والعفو عما قصَّر فيه، وذلك من أفضل الدُّعاء. ويسأل ربّه العافية والمعافاة في الدُّنيا والآخرة، فإنَّ العافية تشمل عافية الدِّين والبدن، عافية الدِّين والدُّنيا جميعًا، فليس هناك شيء أغلى من العافية؛ ولهذا حث ﷺ على سؤال العافية في الدُّنيا والآخرة، فالإنسان يسأل ربَّه العافية من أعظم الدُّعاء ومن أجمع الدُّعاء.

وكذلك يسأل الله الصِّدق والبر، فإنَّهما في الجنَّة، ويتعوذ باللَّه من الكذب والفجور، فإنَّهما في النَّار، كما في حديث ابن مسعود في الصَّحيحين «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا**»[(٢)].

ومن ذلك: «**أَن يسَأَلْ رَبَّهُ الصَّبْرَ**» ويقول: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ على

---

(١) سبق تخريجه في (ص٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٩٤) ومسلم، برقم (٢٦٠٧).

طاعتك، الصَّبر على المصائب، الصَّبر على ما حرَّمت عليَّ، يسأل ربَّه الصَّبر على ما شرع له، وعلى ترك ما حرَّم الله عليه، وحديث من سأل الصبر فقد سأل البلاء، في صحته نظر، وإن حسنه الترمذي.

المقصود: أنَّ الصَّبر جاء في النُّصوص الحث عليه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦] فأنا اعتقد أن الحديث في صحته نظر، وإن حسنه الترمذي؛ لأنَّ ظاهره مخالفته الآيات والأحاديث المعروفة.

من حديث جَلَّ وَعَلَا بالجامع من الدُّعاء مثل: «**اللَّهم إِنِّي أَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةِ، وَأَعوذُ بكَ مِن سَخَطِكَ وَالنَّارِ**»[(١)] «**اللَّهم إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**»[(٢)] كلُّ هذه الدَّعوات من الدَّعوات الجامعة.

وكذلك يسأل: «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»[(٣)] كان أكثر دعاء النَّبِيّ ﷺ بهذا الدُّعاء، ومن دعائه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصَّحيح أنَّه كان يسأل ربَّه رضاه والجنَّة، والتعوذ به من سخطه والنَّار، هذه دعوات جامعة.

وهكذا يتحرى المؤمن الدَّعوات الجامعة: اللَّهمَّ اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، اللَّهمَّ أصلح قلبي وعملي، اللهم اهدني سواء السبيل، اللَّهمَّ إني أسألك الهدى والسداد، اللَّهمَّ إنِّي أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللَّهمَّ ألهمني رشدي وقني شر نفسي، اللَّهمَّ قني شح نفسي وأشباهها، هذه الدَّعوات الجامعة، يتحرى الإنسان الدَّعوات الجامعة، وقد جمع جملة منها في «**الترغيب والترهيب**» «**رياض الصالين**» ومثل كتاب المؤلف هذا «**الوابل الصيب**» وغيره يتحرى وفَّق الله الجميع[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه في (ص٥٥٣). (٢) سبق تخريجه في (ص٥٥٣).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٤٥٢٢) ومسلم، برقم (٢٦٩٠) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: للمزيد «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» لسماحته (٢٤/ ١٠١، ١٠٢ و٢٦/ ١١٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه **رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ** قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ مَن أَسْلَمَ أَن يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَارْحَمْنِي**»[١].

وفي «**المسند**» عَن بُسْرِ بنِ أَرْطَاةَ **رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ** قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ**»[٢].

وفي «**المسند**» و«صحيح الحاكم» عَن رَبِيعَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَلِظُّوا بِيَاذَا الجِلَالِ وَالإِكْرَامِ**»[٣] أي: الزموها وداوموا عليها»[٤].

«وفي «**صحيح الحاكم**» أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال لهم أتحبون أيُّها النَّاس أن تجتهدوا في الدُّعاء؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[٥].

وفي «**الترمذي**» وغيره أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**أَوْصَى مُعَاذًا أَنْ يَقُولهَا دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ**»[٦].

وفي «**صحيحه**» أيضًا عَن أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلْقَةٍ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ وَدَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨١ برقم ١٧٦٦٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٣/ ٦٨٣ برقم٦٥٠٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٧٧ برقم ١٧٦٣٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٦ برقم١٨٣٦).

(٤) قرئ بتاريخ: (٢٤/ ٦/ ١٤١٤هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٣٦ س٥).

(٥) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٧٧ برقم١٨٣٨) والبيهقي في الدعوات (١/ ٣٦٣برقم٢٧٥).

(٦) لم أجده عند «الترمذي» وهو عند أبي داود من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه، برقم (١٥٢٢) والنسائي، برقم (١٣٠٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٤٠٧ برقم ١٠١٠).

إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١)(٢).

الشرح:

هذه الأحاديث كالَّتي قبلها في الحث على الدُّعاء، بدعوات النَّبِيّ ﷺ والحرص على جوامع الدُّعاء، والدَّعوات الجامعة هي الَّتي تجمع الخير كله مع اختصارها، فالمؤمن يجتهد في الدَّعوات الطَّيِّبة، ولا سيما الواردة عن النَّبِيِّ ﷺ؛ لأنَّ المأثور أفضل من غيره، وإذا دعا بغير ذلك من الدَّعوات الجامعة فكلُّه طيِّبٌ يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالمؤمن يجتهد في الدُّعاء، ويحرص على ما يسَّر الله له من الدُّعاء، وإذا تيسرت له دعوات مأثورة كانت أفضل من غيره، ومن ذلك ما كان يعلِّمهُ من أسلم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِّي، وَارْحَمْنِي**» هذه دعوات طيِّبة علَّمه النَّبِيِّ ﷺ أن يقول: «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**» قَالَ يَا رَسُول الله: هَذَا لِرَبِّي فَمَا لِي قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي**».

ومنها: «**اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ**» هذه دعوات جامعة: «**اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» هذه من الدَّعوات الجامعة، الَّتي أرشد إليها أصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وعلمها معاذًا أن يدعو بها في دبر كل

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٤٩٥) والنسائي، برقم (١٣٠٠) وابن ماجه، برقم (٣٨٥٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٨١ برقم١٨٥٦، ١٨٥٧).

(٢) قرئ بتاريخ: (٢٤/ ٦/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣٥ - ٣٣٧).

صلاة، وهي سنَّة لمعاذ ولغير معاذ، الدُّعاء بها في آخر الصَّلاة: «اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» فهذه الدَّعوات وأشباهها من خير الدُّعاء، وتقدَّمت تقدَّمت دعوات كثيرة.

المؤمن يدعو لنفسه ولإخوانه المسلمين، وليس له في ذلك شيء محدد، بل كلما احتاج دعا ربَّه، يسأل ربَّه الثبات على الحقِّ، وحسن الختام، ويسأل ربَّه المغفرة والعفو، والنجاة من النَّار، ودخول الجنَّة، وهكذا الدَّعوات الطَّيِّبة.

ومن ذلك ما أرشد إليه ﷺ لما سمع رجلًا يدعو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ الله بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» يعني: العظيم، وكل أسمائه عظيمة ﷻ، وكل أسمائه من أسباب الإجابة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالإنسان يتوسل بأسماء الله: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، أن تغفر لي، أن تصلح قلبي وعملي، أن تهب لي رزقًا مباركًا، أن تحسن خاتمتي.. وما أشبه ذلك، وأسماء الله كلُّها حسنى كلُّها عظيمة.

وورد في أحاديث بأسانيد ضعيفة بأن اسم الله الأعظم، هو الحي القيوم.

□ **فائدة: في الغسل لمن أسلم:**

سئل سماحته: هل يجب على من أسلم أن يغتسل؟

فقال: الأفضل لمن أسلم أن يغتسل، كما أمر به قيس بن عاصم أن يغتسل[(١)] وكما فعل عثمان لما أراد أن يسلم اغتسل رضي الله عنه؛ ولكنه ليس بواجب كما قال بعض أهل العلم، لقد أسلم يوم الفتح خلق كثير، ولم يحفظ عنه ﷺ أنَّه أمرهم أن يغتسلوا[(٢)] لكنه من الأفضل لمن أسلم أن يغتسل، المقصود: أنَّه سنَّة وليس بواجب.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٦٠٥) وحسنه، والنَّسائي، برقم (١٨٨).

(٢) ينظر: تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (٢/ ٦٨ برقم ٦٥٧) فهناك تفصيل أكثر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي «**المسند**» و«**صحيح الحاكم**» أيضًا عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «**يَا شَدَّاد إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الذَّهَب وَالفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةِ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَمِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الغُيُوبِ**»[(١)][(٢)].

«وفي «**الترمذي**» أَنَّ حُصَيْنِ بن عبيد بن خلف الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «**كَمْ تَعْبُدُ إِلَهًا؟**» قَالَ: سَبْعَةً، سِتَّةٌ فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ**» قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ لَعَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ**» فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**»[(٣)] حديث صحيح.

وزاد الحاكم فيه في «صحيحه»: «**اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ، وَمَا تَعَمَّدْتُ، وَمَا عَلِمْتُ، وَمَا جَهِلْتُ**»[(٤)] وإسناده على شرط الصَّحيحين.

وفي «**صحيح الحاكم**» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل عليَّ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «هَلْ سَمِعْتِ مِن رَسُولُ اللهِ ﷺ دُعَاءً عَلَّمَنِيهِ؟ قُلْتُ: مَا هُو؟ قَالَ: كَانَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ يُعَلِّمُهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ: لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَبَلُ ذَهَبٍ دَيْنًا، فَدَعَا الله بِذَلِكَ لَقَضَاهُ الله عَنْهُ، اللَّهُمَّ فَارِجَ الهَمِّ، كَاشِفَ الغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّينَ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَحِيمَهُمَا، أَنْتَ رَحْمَانِي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٣ برقم ١٧١٥٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٨٨ برقم١٨٧٢).

(٢) قرئ بتاريخ: (٢٥/ ٦/ ١٤١٤هـ). كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٨٣)

(٤) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٩١ برقم١٨٨٠).

فَارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»[(١)][(٢)].

الشرح:

هذه الأدعيَّة كالَّتي قبلها يشرع للمؤمن الإكثار من الدُّعاء، والعناية بالدُّعاء، في جميع الأوقات، لا سيما الأوقات المناسبة كحال السجود والجلوس للتشهد قبل السَّلام، وآخر اللّيل وجوف اللّيل، وفي آخر نهار يوم الجمعة قبل الغروب، وبين الأذان والإقامة يتحرى الأوقات المناسبة الَّتي يرجى فيها إجابة الدَّعوة فيدعو فيها بالدَّعوات الَّتي ثبتت عن النَّبِيِّ ﷺ، وبالدَّعوات الَّتي يحتاجها، والَّتي لا حرج فيها.

من ذلك هذا الحديث: حديث شداد بن أوس وهو دعاء عظيم، قال له النَّبِيّ ﷺ إذا كان النَّاس يكنزون الذهب والفضة فاكنز أنت هذه الدَّعوات: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةِ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ فَإِنَّكَ تُعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الغُيُوبِ**» هذه دعوات عظيمة ينبغي حفظها والدُّعاء بها.

كذلك ما علمه النَّبِيّ لحصين لما أسلم حصين بن عبيد الخزاعي، والد عمران علمه النَّبِيّ ﷺ كلمتين، قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِّي شَرَّ نَفْسِي**» هاتان الكلمتان من جوامع الكلم، «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِّي شَرَّ نَفْسِي**» أو يقول: «**وَأَعِذْنِي مِن شَرِّ نَفْسِي**» المعنى واحد هذا يجمع خير الدُّنيا والآخرة، من ألهمه الله رشده، ووقاه شر نفسه، فقد أفلح.

ويروى: أنَّ عبد الرحمن بن عوف كان يطوف ويلح بهذا الدُّعاء، اللهم قني شح نفسي، اللهم قني شح نفسي، فقال له بعض أصحابه:

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه (١/ ٦٩٦ برقم١٨٩٨).

(٢) قرئ بتاريخ: (٢٤/ ٦/ ١٤١٤هـ) و(٢٥/ ٦/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣٧، ٣٣٨).

أكثرت من هذا الدُّعاء، فقال: أما سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩] فإذا وقيت شح نفسك فقد أفلحت، وشحها بخلها وحرصها على المال.

فالإنسان قد يهلكه حرصه، وقد يهلكه بخله، حرصه على المال قد يوقعه في الحرام، وأكل المال بالباطل، والسرقات والخيانة، والغش وغير هذا، وبخله كذلك قد يحمله على ترك الواجبات، والشح بما لا يضره، فإذا وقاه الله شح نفسه فقد أفلح.

كذلك الحديث الآخر: «**اللَّهُمَّ فَارِجَ الهَمِّ، كَاشِفَ الغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّينَ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَحِيمَهُمَا، اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَصْلِحْ قَلْبِي وَعَمَلِي**» إلى غير ذلك، كله هذا مما ينبغي للمؤمن أن يدعو به، فهي دعوات جامعة.

فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يحب أن يسأل، ويحب أن يجود ويعطي لعباده، وهو القائل سبحانه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وهو القائل جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وهو القائل سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وهكذا يدعو بالدَّعوات الجامعة الَّتي جاءت في الأحاديث، والَّتي يلهمه الله إيَّاها ويرى فيها المصلحة له يدعو بها: كاللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ أصلح ذريتي، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا، ا اللَّهُمَّ اهدهم سواء السبيل، ا اللَّهُمَّ أصلح لهم البطانة، اللَّهُمَّ أكثر أعوانهم في الخير، اللَّهُمَّ أصلح أحوال المسلمين، اللَّهُمَّ فقههم في الدين، اللَّهُمَّ اجعلهم من الهداة المهتدين، من الدَّعوات الطَّيِّبة، ولو ما نقلت، يدعو بها المؤمن في أوقات الإجابة وفي غيرها.

□ **فائدة: في وصف المستدرك بالصَّحيح:**

سئل سماحته عن قول المؤلف في «صحيحه»؟

فقال: إطلاق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ على مستدرك الحاكم في «**صحيحه**» من باب الترغيب والترهيب؛ وإلَّا كتاب الحاكم فيه الغث والسمين، فيه

الصَّحيح والضعيف والموضوع أيضًا؛ لأنَّه إطلاق من باب التسامح هذا قصده حتَّى ولو كان الدُّعاء غير مأثور، لو كان معناه صحيحًا يدعو به هذا قصده، واللَّه أعلم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي «**صحيحه**» أيضًا عن أم سلمة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا مَا سَأَلَ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ، وَخَيرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ العَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الحَيَاةِ، وَخَيْرَ المَمَاتِ، وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي، وحَقِق إِيمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَتِي، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَن وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَن تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ لِي قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَن تُبَارِكَ لِي فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي وَفِي بَصَرِي وَفِي رُوحِي وَفِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي وَفِي أَهْلِي وَفِي مَحْيَايَ وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، وَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ آمِينَ»[(١)] [(٢)].

«وفي «**صحيحه**» أيضًا من حديث مُعَاذِ **رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ** قَالَ: أَبْطَأَ عَنَّا رَسُول الله ﷺ بِصَلَاةِ الفَجْرِ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُدْرِكَنَا الشَّمْسُ، ثُمَّ خَرَجَ

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠١ برقم ١٩١١) والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣١٦ برقم ٧١٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١/ ٤٨ برقم ١٧٣٨٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، بأسانيد ورجال الأوسط ثقات.

(٢) قرئ بتاريخ (١/ ٧/ ١٤١٤هـ). كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٣٩ آخر سطر فيها).

فَصَلَّى بنا، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمْ أُخْبِرْكُمْ مَا أَبْطَأَنِي عَنْكُم اليَوْمَ؟ إِنِّي صَلَّيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ مَلَكَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَأَلْهَمَنِي أَنْ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ، وَفِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ، وَتَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي خَلْقِكَ فِتْنَةً، فَنَجِّنِي إِلَيْكَ مِنْهَا غَيْرَ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**تَعَلَّمُوهُنَّ وَادْرُسُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ**»(١) ورواه الترمذي، والطبراني، وابن خزيمة، وغيرهم بألفاظ أخر»(٢).

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يدعو: «**اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ**»(٣).

وفيه عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي**»(٤) (٥).

«وفيه أيضًا عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ،**

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٢ برقم١٩١٣).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٢٣٥) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٩ برقم٢١٦) وابن خزيمة، في «**كتاب** التوحيد» (ص٢١٨، ٢١٩).

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٩٠ برقم١٨٧٨) و(٢/ ٣٨٨ برقم٣٣٦٠).

(٤) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٩٠ برقم١٨٧٩) والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٤٤ برقم ٧٨٦٨) وله شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٩٩) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه، برقم (٢٥١).

(٥) قرئ بتاريخ (٢/ ٧/ ١٤١٤هـ). كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٤١ س٤).

وَأَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولك مُحَمَّد ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولك مُحَمَّد ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِن أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا»[1].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله أوصى سلمان الخير، فَقَالَ له: **«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَن، وَتَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُو بِهِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهَا فَلاحٌ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا»**[2]»[3].

الشرح:

هذه جملة من الأحاديث المروية عن النَّبِيِّ ﷺ في أنواع من الدُّعاء تقدَّم أنَّ الدُّعاء بابه مفتوح كلّ دعاء ليس فيه إثم ولا فيه قطيعة رحم يدعو به الإنسان ولو لم ينقل ما دام في حاجة إلى شيء من الدُّعاء، فلا بأس أن يدعو بما يسَّر الله له، ولو لم ينقل، والله يحب من عبده أن يُكثر من الدُّعاء، ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] ولكن الدَّعوات المنقولات الثابتة عن النَّبِيِّ ﷺ تكون أفضل من غيرها.

الدَّعوات المأثور عن النَّبِيِّ ﷺ تكون أفضل من غيرها، والنَّبِيُّ كان يدعو كثيرًا ويتضرع إلى الله كثيرًا، لكن بعض الدَّعوات غير ثابتة غير صحيحة، وكان النَّبِيّ ﷺ يستحب جوامع الدُّعاء كما قالت عائشة رضي الله عنها[4].

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٢ برقم١٩١٤) وابن ماجه، برقم (٣٨٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٤ برقم١٩١٩) والنسائي في الكبرى (٦/ ٩ برقم٩٨٤٩) و(٦/ ١٤٦ برقم١٠٤٠٤).

(٣) قرئ بتاريخ: (٢/ ٧/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٣٩ - ٣٤٢).

(٤) سبق تخريجه في (ص٥٥٢).

فالمؤمن يجتهد في الدَّعوات الطَّيِّبة، ولا سيما الثابتة عن النَّبيِّ ﷺ ويدعو بما دعت حاجته إليه ويختص به كل ذلك امر مطلوب؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ وعلا قال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّسَاء: ٣٢] وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

فالكل يدعو بما يناسبه، هذا يسأل ربَّه زوجة صالحة، وهذا يسأل ربَّه ذرية طيِّبة، وهذا يسأل ربَّه رزقًا حلالًا، وهذا يسأل ربَّه أن يقضي دينه إلى غير هذا من سؤلات يدعو بدعوات النَّبِيّ ﷺ الجامعة من ذلك ما تقدَّم في الأحاديث الصَّحيحة.

ومنها ما ذكره هنا؛ لكن في بعضها نظر؛ لأنَّ روايات الحاكم يغلب عليها الضَّعف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لكنها دعوات معناها صحيح منها الدُّعاء **المشهور**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِين، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي خَلْقِكَ فِتْنَةً، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمِلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ» هذه دعوات معروفة جيِّدة.

والفتنة عامة فتنة الدِّين وفتنة الدُّنيا، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأعظم فتنة في الدِّين قد تكون فتنة في دينه فيرتد عن الإسلام والعياذ باللَّه، وقد تكون فتنة في دنياه تكون شحناء وعداوة بينه وبين النَّاس، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، والمراد بالفتنة: الفتنة الَّتي تضره، المال فتنة الولد فتنة، الفتنة الَّتي تضره كالشِّرك والمعاصي والبدع، أو الشحناء، نسأل الله العافية.

وحُبُّ المَسَكِين، أمَّا حديث: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١) جاء فيه

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٥٢) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: حديث غريب، وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، برقم (٤١٢٦) قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: إسناده ضعيف (٤/ ١٢٨).

حديث ضعيف[(١)] ليس بثابت.

وكذلك حديث عائشة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولك مُحَمَّد ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولك مُحَمَّد ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِن أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا» طلب خير الدُّنيا والآخرة.

ومن ذلك حديث معاذ: أنَّه ﷺ أخر ذات يوم صلاة الفجر إلى آخر وقتها، ثُمَّ جاء فصلى بهم فخفف، وأخبرهم أنَّه رأى ربَّه في النوم، ورؤية ربّه في النوم ثابتة من أحاديث، وقد صنف الحافظ ابن رجب كتابا في هذا يسمى «**اختيار الأولى، في اختصام الملأ الأعلى**» وذكر هذا الحديث وغيره، وهي رؤية منام.

أمَّا في اليقظة: فلم يره، وَلَمَا سُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» وفي اللَّفظ الآخر قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(٢)] وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»[(٣)]. فاللَّه سبحانه لا يرى في الدُّنيا؛ لأنَّ رؤيته نعيم عظيم أعلى النعيم؛ لأوليائه في الآخرة، فالدُّنيا ليست دار نعيم، دار ابتلاء وامتحان، دار اختبار ودار عمل، فلهذا ادخر الله الرؤيا لأوليائه يوم القيامة وفي الجنَّة.

---

(١) أخرجه الترمذي، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في الحاشية السابقة، وهو ضعيف كما قال سماحته ففي إسناد الترمذي الحارث بن النعمان منكر الحديث، كما قال البخاري فيما نقله عنه ابن الجوزي، وفي إسناد ابن ماجه أبو مبارك مجهول، وأبو يزيد بن سنان ضعيف ليس بشيء منكر الحديث كما قال أئمة الحديث فيما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٣).

(٢) بلفظيهما أخرجهما مسلم، برقم (١٧٨) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٦٩) عن بعض أصحاب النَّبِيّ ﷺ وساقه بعد رقم (٢٩٣١).

ولكن الرَّسول رأى ربّه رؤية منام، وعلمه وألهمه هذه الدَّعوات: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكُ فِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمِلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ».

وهكذا من دعائه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَنِي، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ».

وكذلك الدُّعاء الآخر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَان، وَإِيمَانًا فِي حَسَنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهَا فَلَاحٌ، وَرَحْمَة مِنكَ وَعَافِيَةً وَمَغفِرَةً مِنكَ وَرِضْوَانًا».

فهذه الدَّعوات وما أشبهها، كلّها دعوات طيِّبة يدعو بها الإنسان، مثلما تقدَّم، يتحرى الدَّعوات الطَّيِّبة، حتَّى وإن كانت غير منقولة، الدَّعوات الَّتي يحتاج إليها يدعو بها، إذا لم يكن بها إثم ولا قطيعة رحم، الله يحب أن يدعى ويحب أن يسأل سبحانه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

«وفيه أيضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَكَ، وَأَنْتَ الآخِرُ لَا شَيْءَ بَعْدَكَ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ نَاصِيَتُهَا بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الإِثْمِ وَالكَسَلِ، وَمَنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمَنْ فِتْنَةِ الغِنَى، وَمِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ بَعِّدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطِيئَتِي كَمَا بَعَّدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**»[(١)] [(٢)].

وفي «**مسند الإمام أحمد**» و«**صحيح الحاكم**» أيضًا عَن عَمَّارُ بن يَاسِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةً، أَوْجَزَ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لَقَدْ دَعَوْتُ الله فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَى، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِن غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»[(٣)].

وفي «**صحيح الحاكم**» أيضًا عن ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ**

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٥ برقم١٩٢٢) والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣١٦ برقم٧١٧).

(٢) قرئ بتاريخ (١٥/ ٧/ ١٤١٤هـ) كما قيَّد القارئ في نسخة كتابه (ص٣٤٢ س١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٤برقم ١٨٣٥١) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٥ برقم١٩٢٣) والنسائي، برقم (١٣٠٥، ١٣٠٦) وصحح سماحته سند النسائي كما سيأتي في الشرح.

مِن كُلِّ إِثْمٍ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفَوْزَ بالجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ»[(١)](٢).

الشرح:

هذه الأحاديث فيها الحث على العناية بدعوات النَّبِيّ ﷺ والدُّعاء بذلك من أفضل الدُّعاء، فإنَّه ﷺ كان يعتني بجوامع الدُّعاء، كما قالت عائشة رضي الله عنها فإذا تيسَّر للمؤمن تتبع الأحاديث الصَّحيحة، والدَّعوات الَّتي كان يدعو بها ﷺ كان هذا من أفضل القُرب.

وكل دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم يدعو بها المؤمن ولو لم تثبت، فالدُّعاء بابه مفتوح بالوارد وبغير الوارد إذا كان دعاءً سليمًا ليس فيه محظور يدعو به المؤمن؛ لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ تُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ الله عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» قَالُوا يَا رَسُول الله: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»(٣).

وهكذا ما جاء في حديث أم سلمة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَكَ، وَأَنْتَ الآخِرُ لَا شَيْءَ بَعْدَكَ**» ثُمَّ يدعو بدعوات من ذلك كان يقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**» هذا رواه مسلم في الصَّحيح(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه (١/ ٧٠٦ برقم١٩٢٥) قال الذهبي: أبو الصهباء لم يخرج له البخاري.

(٢) قرئ بتاريخ: (١٦/ ٧/ ١٤١٤هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٤٢، ٣٤٤).

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٨٦).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٢٧١٣) والإمام أحمد (٢/ ٣٨١ برقم ٨٩٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث أم سلمة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ نَاصِيَتُهَا بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الإِثْمِ وَالكَسَلِ، وَمَنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمَنْ فِتْنَةِ الغِنَى وَمِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ بَعِّدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطِيئَتِي كَمَا بَعَّدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

وهكذا الدَّعوات الَّتي دعا بها عمار بن ياسر عند الإمام أحمد والحاكم ورواه النسائي أيضًا بسند صحيح: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَى، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِن غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» هذه الدَّعوات وأشباهها كلها دعوات عظيمة طيِّبة.

وكذلك دعاء آخر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، ـ الَّتي يجزم بها سبحانه ـ وَأَسْأَلُكَ الغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَأَسْأَلُكَ الفَوْزَ بالجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ»

ومنها الحديث الآخر: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ**»[(١)] «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ من سخطك وَالنَّارِ**»[(٢)] فالإنسان يتحرى الدَّعوات الطَّيِّبة ويدعو بها، مثل اللَّهُمَّ ثبتني على الإيمان، اللَّهُمَّ ارزقني الاستقامة على دينك، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من مضلات الفتن، وما أشبه ذلك من الدَّعوات الَّتي لا محظور فيها، نسأل الله للجميع التَّوفيق.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٢٤) برقم (١٥٥٣١) عن عبيد بن رفاعة الزورقي.

(٢) سبق تخريجه في (ص٥٥٣).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ إنَّه كان يدعو: «**اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشَمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ**»[(١)].

«وَعَنِ النَّوَّاس بن سمْعَانَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِن قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**» وَكَانَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَالمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ** ﷻ **يَرْفَعُ أَقْوَمًا، وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة**»[(٢)] حديث صحيح رواه الإمام أحمد، والحاكم في صحيحه.

وفي «**صحيح الحاكم**» أيضًا عن ابن عمر أنَّه لم يكن يجلس مجلسًا كان عنده أحد أو لم يكن إلَّا قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِن طَاعَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَارْزُقْنِي مِن خَشْيَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَي بِهِ رَحْمَتَكَ، وَارْزُقْنِي مِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرِي عَلَى مَن ظَلَمَنِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَن عَادَانِي، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَن لَا يَرْحَمُنِي**» فَسُئِلَ عَنْهُنَّ ابنُ عُمَرَ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْتِمُ

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٦ برقم١٩٢٤). عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا وقرئ بتاريخ (١٦/ ٧/ ١٤١٤هـ).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢برقم ١٧٦٦٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٦ برقم ١٩٢٦) و(٤/ ٣٥٧ برقم٧٩٠٧) والنسائي في الكبرى (٤/ ٤١٤ برقم ٧٧٣٨) وابن ماجه، برقم (١٩٩).

بِهِنَّ مَجْلِسَهُ»[(١)]»[(٢)].

الشرح:

هذه أيضًا بعض الأدعية الَّتي ينبغي أن يدعى بها وتروى عن النَّبِيِّ ﷺ، ومن ذلك أنَّهُ كان ﷺ، يقول: «**اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشَمِتْ بِي الأَعْدَاء**» هذه من الدَّعوات الطَّيِّبة حتَّى ولو ما صح بها الحديث معناها صحيح.

كذلك ما يتعلق بالقلوب وأنَّها بين أصبعين هذا ثابت عن النَّبِيِّ ﷺ، والقلوب بين أصابع الله يقلبها كيف يشاء ﷻ فينبغي استحبابًا الإكثار من هذا الدُّعاء «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» «**اللَّهُمَّ يَا مُصَرِّف القُلُوبِ اصْرِف قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ**» و«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنتَ المُقَدِمُ وَأَنتَ المُؤخر، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ**» وهكذا من جنس هذه الأدعيَّة الواردة عن النَّبِيِّ ﷺ، وما جاء في معناها، كلُّ دعاءٍ معناه صحيح فالمؤمن يدعو به ويستكثر من الدُّعاء ويحرص ويرجو من الله الإجابة، ولا يمل «**فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَل حَتَّى تَمَلُوا**»[(٣)].

الإنسان لا يمل يدعو كثيرًا في ليله ونهار في سجوده في آخر الصَّلاة في جوف اللَّيل قائمًا، وقاعدًا ومضطجعًا، وفي طريقه يُكثر من ذكر الله يكثر من الدُّعاء، هكذا شأن المؤمن، يكون لسانه رطبًا بذكر الله، لسانه رطبًا بالدُّعاء الطَّيِّب في جلساته، في سيره إلى حاجاته، في مضطجعه للنومه وفي يقظته من نومه، ويلاحظ الأذكار والأدعية الَّتي ثبتت عن النَّبِيِّ ﷺ فيستعملها أكثر وأكثر.

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٩ برقم١٩٣٤) كما أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٠٢).

(٢) قرئ بتاريخ (١٨/ ٧/ ١٤١٤هـ) و(١٧/ ١١/ ١٤١٦هـ). ينظر: «**الوابل الصيب**» (ص٣٤٣، ٣٤٤).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٥٨٦١) ومسلم، برقم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

وقد جمع العلماء في هذا الباب كثيرًا من أذكاره، ودعواته ﷺ، كما فعل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا، وكصاحب «**الترغيب والترهيب**»، والنووي في «**الأذكار**»، وغيرهم ممن جمع بعض ما تيسر له من الأحاديث في هذا الباب.

وقد لخصنا ما تيسر لنا من ذلك في **كُتيب** «**تحفة الأخيار**» جمعنا فيه الأذكار الصَّحيحة والدَّعوات الصَّحيحة، وهذا مما يعين على حفظها واستعمالها في أوقاتها، وهكذا الدَّعوات المطلقة والأذكار المطلقة يعتني بها الإنسان أينما كان، وفق الله الجميع.

ومعنى: «**واجعلهما الوارث مني**»: يعني: متعني بهما حتى أموت.

وسئل عن صحة حديث ابن عمر: «**لم يكن يجلس مجلسًا**»:

قال: فيه بعض الضعف، في سنده عبيد الله بن زحر[(١)] فيه ضعف؛ لكنها دعوات طيِّبة، ولو لم يصح الحديث، فهي من الدَّعوات الطَّيِّبة.

[الله جَلَّ وَعَلَا هو مقلب القلوب، كما قال في كتابه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠] فهو مقلب القلوب جَلَّ وَعَلَا؛ ولهذا كان الرَّسول يُكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» ويقول: «**مَا مِن قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**».

فالمؤمن يسأل ربَّه أن يثبت قلبه على الإيمان، وأن يعيذه من نزغات الشَّيطان، ويدعو بما دعا به النَّبِيّ ﷺ: وفي هذا الحديث إثبات الأصابع لله، وأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأن له أصابع، كما في الحديث الآخر: «**أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ**:

---

(١) الضمري؛ مولاهم، قال عنه الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ، من الساسة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأهل السنن الأربعة. ينظر: «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر (ص٣٧١ ترجمة رقم ٤٢٩٠).

أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ»[١].

وفي اللَّفظ الآخر: «**ثُمَّ يَهُزُهُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُون**»[٢] فالأصابع ثابتة لله، واليد ثابتة لله على الوجه اللائق به، فيده ثابتة ولا يشبه يد خلقه، قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وهكذا القدم كما في الحديث الصَّحيح: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّم يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِن مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعُ الجَبَّارُ قَدَمَهُ فِيهَا، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط**»[٣] يعني: حسبي.. حسبي، فيجب إثبات ذلك لله على الوجه اللَّائق باللَّه، وكذا السمع، والبصر، واليد، والقدم، وسائر الصِّفات الثابتة، كلُّها يجب إثباتها لله، على الوجه اللَّائق باللَّه عملًا، بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

فاللَّه سبحانه هو الصَّادق فيما أخبر به، وهو أعلم بنفسه، فما أخبر به عن نفسه في القرآن أو السُّنَّة يجب إثباته لله على الوجه اللَّائق باللَّه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل][٤].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٨١١) ومسلم، برقم (٢٧٨٦) عن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٨٨) باللَّفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٦٦١) ومسلم، برقم (٢٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنهما.

(٤) ما بين المعكوفتين تم إثباته من إحدى شروحات سماحته للكتاب لما له من الأهمية في إثبات تقرير مذهب السلف في إثبات صفة الأصابع لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

خاتمة الحافظ ابن القيم

والحمد لله ربّ العالمين حمدًا طيِّبًا مباركًا فيه، كما يحب ربّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، ملء سمواته وملء أرضه، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد، ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، وصلى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى ومخرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد.

الَّذي بعثه للإيمان مناديًا وإلى الصِّراط المستقيم هاديًّا، وإلى جنَّات النَّعيم داعيًا، وبكلِّ معروف آمرًا وعن كلِّ منكر ناهيًا، فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها بعد ظلماتها، وألَّف بينها بعد شتاتها، فدعا إلى الله ﷻ على بصيرة من ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله تعالى حقّ جهاده حتَّى عبد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سير الشَّمس في الأقطار، وبلغ دينه الَّذي ارتضاه لعباده ما بلغ اللَّيل والنَّهار.

وصلَّى الله ﷻ وملائكته وجميع خلقه عليه، كما عرف باللَّه تعالى ودعا إليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

■ **قال القارئ[(١)]:**

انتهى الكتاب هل نعيد قراءته من أوله، أو نقرأ في كتاب «**الكلم الطيب**» **لشيخ الإسلام ابن تيمية؟**

● **قال سماحته:**

تعيد قراءة كتاب «**الوابل الصَّيب**» هو أعم من كتاب «**الكلم الطيب**» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

(١) وقد توفي: يوم الأربعاء (٨/ ٧/ ١٤٤٣هـ) وقد قيَّد القارئ في نسخة كتابه في أعلى صفحة (٣٤٥) تم بحمد الله، قراءة هذا الكتاب على سماحة الشيخ القراءة الثانية بتاريخ (١٧/ ١١/ ١٤١٦هـ) يوم الجمعة..

(٢) وبدئ فيه بالقراءة الثالثة بتاريخ (١٥/ ٥/ ١٤١٧هـ) فيما قيَّده القاري أيضًا في نسخة كتابه في (ص١٥) وقرئ فيه حتَّى (ص١٢٠) حدود (٢١ درسًا) وقد تم إثبات ذلك في حواشي صفحات هذا الكتاب.

فهرس الموضوعات

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة